

مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ

من قصة
نبي الله سليمان





د. رشيد الجراح

Certificate of Registration
CopyrightFrance

Copyright Registration Number: 9H2F1R2

CopyrightFrance.com. Website registered under number 2104 by the State Prosecutor of the High Court of Evreux (FRANCE) certifies having delivered the certificate of the original following registration

Name of the registrant: Rasheed Saleem Al-Jarrah

Title or URL of the registered document: https://www.dr-rasheed.com/

Description: Dr. Rasheed's blog documents his lifelong reflections on the Quran, offering linguistic and analytical insights without adhe ring to any specific sect. The goal is to officially archive and le gally protect his writing, ideas and stories presented in the blog.

Date / time of the registration: 15-02-2025 à 20:46

The submitted document has been time stamped by a RGS qualified Certification Authority and ETSI TS 102 023 certified.

Paris (date) 15-02-2025 - The publication manager G.E.E. :

Reminder : (code of the intellectual property, extracts) :

✔ **Point L.335-2.** All publishing of written documents, musical composition, drawing painting or any other totally or partly printed, engraved production regardless of the laws and regulations concerning author's property is a forgery and any forgery is an offence. In France, forgery of published work in France or abroad is punished by 3 years in prison and a 300.000 euros fine. Will be punished the same way selling export and import of counterfeit work.

✔ **Point L.335-3.** Is also considered a forgery offence all reproduction , representation or circulation by any mean, of piece of spiritual work by violating the author's rights, as they are set and regulated by law. Is also considered as a forgery offence the violation one of the owner of the software's rights.



3c14c5091f191db578780f4e846d7a176d3cb058592f3b129f067ba1aa063728

كلمة فريق عمل مدوّنة روح

الحمد لله الذي علّم الإنسان بالقلم، وخصّه بنعمة البيان، وجعل تدبّر كتابه العزيز سبيلًا للهداية.
أمّا بعد،

يمرّ الفكر الديني المعاصر بمنعطفٍ تاريخي يفرض إعادة تأسيس العلاقة مع النصّ المؤسِّس؛ فكثير من المفاهيم والمناهج قد ترسّخت عبر القرون حتى غدت في الوعي العام بمنزلة المسلّمات المطلقة. في خضمّ هذه الحاجة الملحة للمراجعة والتجديد، يأتي مشروع الأستاذ الدكتور رشيد سليم الجرّاح ليقدّم قراءةً مغايرة للقرآن الكريم، قراءةً لا تكتفي بحدود التفسير الموروث بل تتجاوزه نحو فهمٍ جديد يتأسّس على منهجٍ علميٍّ دقيق، يلامس روح النصّ بعمق ويقترب من منطق العقل والفطرة السليمة.

لعلّ في الاسم الذي يحمله الدكتور رشيد سليم الجرّاح إشارةً بالغة الدلالة؛ فهو بحقٍّ يُجري عمليةً جراحية للكلمة القرآنية. إنه يتعامل مع مفردات الوحي برُشدٍ متناهٍ، كأنّه يضعها تحت مجهر الفكر واللغة، فيُريك نسيجها العضوي، ويكشف عن أعصابها الصرفية وعروقها الدلالية، لتتجلّى بذلك أبعادها النفسية والمادية العميقة. هكذا تتحوّل الكلمة في مشروعه من مجرّد رمزٍ صوتي إلى كيانٍ حيٍّ نابضٍ بالمعنى، يحمل إمكانات التأويل التي تنتظر التحرير.

لقد كانت أبحاث الدكتور الجرّاح ومقالاته بمثابة أطروحات نوعية تميّزت بالعمق والجرأة الفكرية، فمثّلت دعوةً صريحةً لإعادة بناء علاقتنا التلقّائية بالوحي، لا على قاعدة التلقّي الجامد، بل على أساس الفهم المتدبّر والتحليل العلمي المحكم. وهي دعوةٌ ضرورية تُعيد إلى النصّ حيويته الجوهرية، وإلى الفكر الديني توازنه المنشود، وتُحيي مسؤولية الباحث في إعمال العقل وكسر حاجز السؤال الموقوف.

وانطلاقًا من قناعتنا الراسخة بأهمية هذا المشروع الريادي، وبضرورة حفظه وتوثيقه ليكون مرجعًا للباحثين والمهتمين، تضافرت جهود فريق المدوّنة. لقد قمنا بجمع هذه المقالات والدراسات المنشورة، ومن ثم تنظيمها وتصنيفها وتحريرها بعناية فائقة، لتصدر الآن في هذا العمل المتكامل الذي نضعه بكل تقدير بين يدي القارئ الكريم.

نحن نؤمن يقينًا بأنّ هذه الكتابات تمثّل إسهامًا محوريًا في مسار الفكر القرآني المعاصر، وأنها تفتح آفاقًا رحبة للتأمّل والمراجعة والتجديد، بما يليق بكتابٍ أنزله الله للعقل قبل التقليد، وللحياة قبل التاريخ.

إنّ هذا العمل ليس سوى نقطة انطلاق في مسارٍ نأمل أن يكون مستدامًا؛ وفاءً لصاحب هذا المشروع العلمي الرائد، وإيمانًا بما قدّمه من اجتهادٍ صادق ورؤيةٍ علمية مغايرة تستحقّ كل التقدير والاحتفاء.

فريق عمل مدوّنة الدكتور رشيد الجراح:

 المهندس **عامر محمد العوض، مهندس نظم المعلومات من مايكروسوفت.**

 المهندس **زكرياء مصباح، مهندس مدني.**

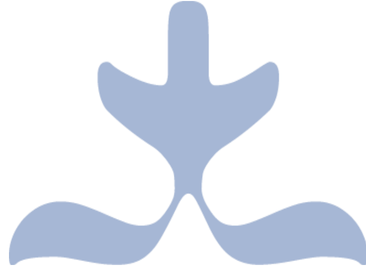
 الأستاذ **مصطفى عيسى، مصمم ديكور ومستشار في العقارات.**

 الأستاذ **محمد عادل الخولي، مستشار في العقارات.**

 الدكتور **يوسف فرمي، مهندس البحث والتطوير في الإلكترونيات الدقيقة والبصريات.**

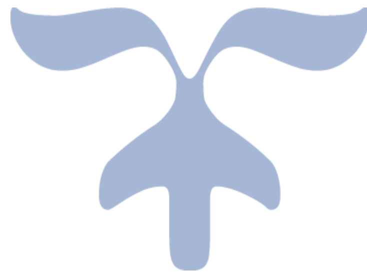
للإتصال بالفريق : roohblog2025@gmail.com

الفهرس



مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَْرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ

البــاب الأول المنسأة



الباب الأول: المنسأة

لعلنا لا نتجاوز الحقيقة إن زعمنا أن في قصة سليمان ووالده داوود من العجائب التي تطير لها الألباب، ونحن نزعم أن تلك القصة لم يصار بعد إلى تجليتها بالشكل الذي يمكن أن يرضي كل باحث عن الحقيقة، كما نزعم الظن أن الصورة الحقيقية قد شوهتها التحريفات وقصص المخيال الشعبي (عربيّه وأعجميّه)، فغالباً ما كان الفهم مليئاً بالمسلمات التي يجب على السامع أن يأخذها من فم المتكلم بدون كثير عناء وتدبر، فأنت ملزم بما تصدح به حناجرهم ليس لأنه الحق (ولا شي غيره)، ولكن لأن القول صدر من أفواه هؤلاء الرجال الذين يجب أن تثق بقولهم حتى ولو صعب عليك تدبره. والأغرب من ذلك أن بضاعتهم قد راجت لسبب بسيط في نظرنا وهو عدم توافر البديل، فلو حاول شخص عادي (من مثلي) أن ينكر شيئاً مما يقول هؤلاء الرجال فهو بلا شك مطالب بتقديم البديل، ولما وجد الكثيرون أنفسهم لا يمتلكون البديل كان الصمت والقبول بواقع الحال هو الصفة الأميز لأقوالهم التي لم ينطقوا بها أصلاً.

أما نحن، لما ظننا أن بإمكاننا تقديم البديل، ما ترددنا لحظة واحدة أن نزعم أن بإمكاننا أن نلقي بظلال الشك على أقوال كل من سبقونا، وسنحاول أن ندلي بدلونا في قصة سليمان وما أحاط بها من أسرار (كما نفهمها نحن من كتاب الله)، لنترك للقارئ الكريم حق المقارنة والخروج بنفسه بتقييمات لعملنا هذا مع جهد كل من سبقونا في هذا المجال.

السؤال: ما هي منسأة سليمان التي أكلتها دابة الأرض فدلت الجن على موت سليمان؟

افتراء من عند أنفسنا: إن منسأة سليمان هي نفسها عصا موسى

الدليل

لجلب الدليل على هذا الافتراء الذي هو بلا شك من عند أنفسنا نظن أننا ملزمين بالرجوع إلى الوراء قليلاً، لنجيب على سؤال واحد قبل محاولتنا الإجابة على السؤال الرئيس السابق، والسؤال الفرعي الجديد هو: من أين جاءت المنسأة لسليمان؟ أي، من أين حصل سليمان على تلك المنسأة التي لازمته في سنوات حكمه وكانت العلامة التي من خلالها عرف الجن بموت سليمان؟

رأينا: يمكن أن نصل إلى إجابة على هذا السؤال من خلال السياق القرآني التالي:

- **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) النمل**

لا شك عندنا أن سليمان كان الوريث الشرعي والوحيد لداوود، لذا لا نتردد أن نطارد الاعتقاد الظني بأن تلك المنسأة قد جاءت لسليمان عن طريق والده داوود ،فما دام أن سليمان قد ورث داوود، فلربما - لنا الحق أن نشك بداية- أن تلك المنسأة كانت جزءاً من ميراث النبوة، ولكن هذا السؤال يدعونا إلى طرح التساؤل نفسه مرة أخرى على النحو التالي: من أين حصل داوود أصلاً على تلك المنسأة؟

إن مراد قولنا بأن سليمان قد ورث تلك المنسأة عن والده داوود لا يحل لغز السؤال وإنما يعيدنا إلى حقبة تاريخية سابقة، وهي الفترة الزمنية التي كان الأمر فيها متحصلاً لداوود قبل أن يرثه ولده سليمان، لنحاول أن نتفكر بالأمر مرة أخرى لنتعرف كيف حصل داوود نفسه على تلك المنسأة.

رأينا: نحن نظن أن دراسة متأنية للفترة الزمنية التي عاشها داوود ربما تسعفنا في فهم جزئية هامة جداً تساعدنا (إن أذن الله لنا بشيء من علمه) على الوصول إلى إجابة أكثر إقناعا حول خبر منسأة سليمان.

زمن داوود

جاء خبر داوود الأول في كتاب الله مصاحباً قصة جالوت وطالوت، أليس كذلك؟ فلقد جاءت القصة في سورة البقرة على النحو التالي:

يتم استضعاف بني إسرائيل من قبل عدوهم، فيطلبوا من نبي لهم أن يبعث لهم ملكاً ليقاتلوا معه في سبيل الله:

- **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ البقرة (264)**

ولما كان نبيهم يعلم طبيعة القوم تردد قليلاً في إجابة طلبهم:

- **قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا... (264) البقرة**

فيرد القوم بنبرة الواثق من نفسه أنهم لن يترددوا في الذهاب إلى القتال، فيسوقوا الأسباب الموجبة لذلك:

- **قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا.. (246) البقرة**

وما هي لحظات حتى تبين نواياهم الحقيقية (بعد أن تمت إجابة طلبهم):

- **فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) البقرة**

فينبري نبيهم ليحدد لهم شخصية ذلك الملك الذي بعثه الله لهم ليقاتلوا في سبيل الله، فيتبين للقوم بأن ملكهم الآن هو طالوت:

- **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا (247)البقرة**

فيأتي ردهم بشيء من الإنكار، المبرر – حسب ظنهم- بأن هذا الرجل ينقصه شيئان مهمان من صفات الملوك الذين يعرفونهم، وهما

⇐ أولا: أن ذلك الرجل ليس له الحق بالملك

⇐ ثانيا: وأنه لم يؤت سعة من المال

- **قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ... (247) البقرة**

فالقوم يظنون أن طالوت ليس له الحق في ذلك الملك (مادام أن الملك هو وراثة شرعية لصاحب الحق)، وهذا يقودنا إلى الاستنتاج الخطير التالي: لم يكن طالوت من الملأ من بني إسرائيل

الدليل:

نحن نعرف أن الملك يرثه ملك، والملك الوارث لابد أن يكون شرعي للملك الموروث، ولمّا كان الله قد تحدث عن بني إسرائيل في آية كريمة على أنهم ملوكاً:

- **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (20) المائدة**

فإننا نتجرأ على أن نفتري القول إنه لو كان طالوت من بني إسرائيل (الذين كانوا هم ملوكاً أو على الأقل أنه من الملأ من بني إسرائيل الذين قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً) لما انبرى القوم ليحتجوا على أن يكون طالوت ملكاً عليهم، ولما قالوا إنهم أحق بالملك منه كما ظنوا وزعموا.

إنّ عقد مقارنة بين ما جاء في الآية التي تتحدث عن طلب الملأ من بني إسرائيل مع الآية التي تتحدث عن حقيقة أن بني إسرائيل قد جعلوا ملوكاً ربما تشير إلى مثل هذا الفهم، فلنقدم الآيتين معاً ونترك للقارئ الكريم حق التدبر:

- **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (20) المائدة**
- **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُواۖقَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَاۖفَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْۗوَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) البقرة**

تشير الآية الكريمة الأولى أن الله قد جعل بني إسرائيل ملوكا منذ زمن موسى (وربما من قبل ذلك منذ أيام يوسف في مصر، وسنتعرض لهذه الجزئية لاحقاً بحول الله وتوفيقه)، وتشير الآية الثانية (آية البقرة) إلى أن القوم أنفسهم قد طلبوا ملكاً عليهم، واحتجوا على أحقية طالوت بأن يكون ملكاً عليهم، وظنوا أنهم هم أحق بالملك منه، فلم- يا ترى- يظن القوم أنهم أحق بالملك منه؟ من يدري!!!

ولم يتوقف القوم عند هذا الحد، بل زادوا القول إنه حتى لو تجاوزنا مسألة الأحقية في الملك، فإن الرجل لم يؤت سعة من المال، وهنا ينبري نبيهم نفسه ليبرر لهم سبب وقوع الاختيار على طالوت ليكون عليهم ملكاً، فرد حجتهم بالحجة التالية:

- **قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِۖوَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُۚوَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247) البقرة**

فالرجل (طالوت) الذي لم تكن له أحقية وراثة الملك، ولم يؤت سعة من المال، كان يمتلك ما لا يمتلكه الملأ (عِلْيَة القوم) من بني إسرائيل آنذاك:

⇐ بسطة في العلم
⇐ بسطة في الجسم

فلقد كان علم طالوت يعوّضه عن نسبه، وكان جسمه يعوضه عن مالهم. فإن كان هو لا يملك ما يملكون من النسب والمال، فإن لديه ما ليس لديهم من العلم والجسم.

فتقع الفتنة الأولى لبني إسرائيل في إطاعة ملكهم الجديد والقتال تحت حكمه. وسنتعرض بحول الله وتوفيقه لاحقاً لقصة طالوت بتفصيل أكبر لنتعرف على مصدر علمه وقوة جسمه.

دعاء: لذا الله أسأل أن ينفذ قوله بمشيئته وبإرادته لي الإحاطة بعلم لا ينبغي لأحد غيري إنه هو العليم الحكيم

لكن الذي يهمنا في النقاش الآن هو ما حصل فعلاً بعد أن برر لهم نبيهم سبب أن يكون طالوت على وجه التحديد هو الملك الذي بعثه الله لهم ليقاتلوا في سبيله، فالقارئ المتأني للقرآن الكريم في عرضه لتلك القصة يجد أن ذلك النبي (نبي بني إسرائيل آنذاك، الذي سنحاول تحديد هويته لاحقاً بحول الله وتوفيقه) لم يتوقف عند سرد الأسباب التي أوجبت أن يكون طالوت هو الملك (العلم والجسم)، لكنه تابع حديثه ليقدّم للقوم الدليل على أحقية ذلك الرجل (أي طالوت) بالملك، فجاء قول الحق على لسان ذلك النبي الكريم على النحو التالي:

- **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (248) البقرة**

دقق – عزيزي القارئ- مليّاً بهذه الآية الكريمة، وحاول أن تتدبر ما جاء فيها في سياق الحديث عن قصة طالوت: لقد كانت آية ملك طالوت هو التابوت، أليس كذلك؟

لقد أثارت هذه الفكرة حفيظتنا في طرح سيل من التساؤلات:

- لم التابوت؟
- ما هو ذلك التابوت؟
- ومن أين جاء التابوت؟
- كيف جاء التابوت؟
- وما علاقة ذلك التابوت بداوود؟
- الخ

ما هو التابوت؟ ومن أين جاء ذلك التابوت؟

لو تدبرنا السياق القرآني نفسه، لوجدنا أن ذلك التابوت قد ربط على الفور في الآية نفسها مع موسى وهارون عليهما السلام:

- **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ (248) البقرة**

إن هذا السياق القرآني يجعل لزاماً علينا أن نعود إلى قصة التابوت بكليتها لنطرح الافتراء التالي الذي هو بلا شك من عند أنفسنا:

الافتراء: لم يأتي ذكر التابوت إلا في قصة طالوت بعد أن جاء الحديث الأول عنه في قصة موسى

قصة التابوت

تظهر قصة التابوت الأولى في حادثة إلقاء أم موسى رضيعها في اليم، بعد أن كانت قد قذفته في التابوت:

- **إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (39) طه**

إن الحقيقة التي يصعب المجادلة فيها هي أن أم موسى قد وضعت رضيعها (موسى) في التابوت وقامت بقذف التابوت في اليم، وقد وصل موسى إلى بيت فرعون (أو آل فرعون) محمولاً في ذلك التابوت، فنشأ موسى في ذلك التابوت. وهذا التصور يجعل الخيال عندنا يحلق بعيداً لينسج قصة خيالية من عند أنفسنا عن علاقة تابوت موسى الذي وضعته أمه فيه لتقذفه به في البحر مع قصة التابوت الذي جاء كآية على ملك طالوت وكان فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون. وهذه القصة الخيالية مدفوعة – لا شك- بسيل من الظنون والافتراءات التي هي من عند أنفسنا.

فنحن نفتري الظن أولاً أن ذلك التابوت كان من أهم العوامل التي دفعت بكيد فرعون (بتوفيق من الله) عن النيل من موسى في صغره. فالمحبة من الله قد ألقيت على موسى وهو لازال رضيعاً في بيت فرعون لأن موسى كان مقذوفاً في ذلك التابوت. فما كان الناظر إلى موسى في ذلك التابوت (المهد) لا يستطيع أن يقاوم محبة من الله وقد ألقيت على ذلك الرضيع في مهده (التابوت)، وهذا يقودنا إلى طرح الافتراء التالي الذي سنطارده بحول الله وتوفيقه لاحقاً: لقد وقعت محبة موسى في قلب فرعون نفسه، فما أصر على ذبحه بالرغم من يقينه بأن الرضيع هو من بني إسرائيل

ونحن نفتري الظن ثانياً أنه لو عدنا إلى سياق الحديث عن التابوت في قصة طالوت لوجدنا العجب العجاب، ففي هذا التابوت نفسه سكينة من الله:

- **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ (248) البقرة**

إن عقد المقارنة بين التابوتين يجد أن المحبة و (أو) السكينة كانتا متواجدتين فيهما، نعم، إننا نظن أنها السكينة هي التي ولدت المحبة التي ألقاها الله في ذلك التابوت يوم أن كان موسى هو من ينام فيه، أو بكلمات أكثر دقة يمكن تصور الأمر على المقلوب بالقول: إن المحبة التي ألقاها الله على موسى وهو في ذلك التابوت هي من ولدت السكينة التي جاءت مع التابوت في زمن طالوت. فصنع موسى على عين الله في ذلك التابوت، فسكت المجادلون من الملأ من بني إسرائيل عن قضية أحقية طالوت في الملك كما ألجم فرعون من ذي قبل، فلم يستطيع أن يذبح موسى كما كان يفعل مع كل أبناء بني إسرائيل آنذاك، وكان ذلك كله في ظننا بسبب المحبة التي نجمت عنها تلك السكينة المصاحبة لذلك التابوت:

- أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (39) طه

نتيجة مفتراة: نحن نزعم القول إن السكينة الموجودة في ذلك التابوت كان مصدرها ما ألقى الله على نبيه موسى من المحبة منذ اليوم الأول الذي ألقت فيه أم موسى رضيعها فيه.

من أين جاء ذلك التابوت؟

لو تدبرنا قصة التابوت الذي قذفت أم موسى رضيعها فيه، لوجدنا أن الأمر قد جاء إليها بطريقة غير اعتيادية، فكيف - يا ترى- تقدم امرأة أن تقذف بابنها في التابوت لتقذف التابوت بمن فيه في اليم بعد ذلك؟ ألم ينفطر فؤاد أم موسى على فراق طفلها؟ ألم تكد أن تبدي به لولا أن ربط الله على قلبها؟

- وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10) القصص

جواب: لم تكن أم موسى (ولا أي أم على وجه البسيطة) أن تفعل ذلك لولا أن الأمر قد جاءها من ربها (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ). ولكن كيف؟

إن المتدبر للحادثة نفسها كما ترد في كتاب الله يجد بما لا يدع مجالاً للشك أن الأمر لأم موسى قد جاء وحياً من الله:

- وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) القصص

لقد جاء الوحي من الله إلى أم موسى بأن تلقي بطفلها (خوفاً من بطش فرعون) في البحر، ولكن كيف لها أن تنفّذ ذلك؟ والأهم من ذلك، كيف حصل الوحي لأم موسى؟ هل كانت أم موسى من الأنبياء الذين يوحى إليهم؟

رأينا: كلا وألف كلا، إن الوحي لا يقتصر على الأنبياء لأن الله قد أوحى لغيرهم، فالله قد أوحى إلى النحل مثلاً:

- وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) النحل

فالوحي من الله للنحل كان محدداً بأن يجد النحل مأوى له، أي لاستخدام أداة وهي البيوت، وبالمقابل فإننا نظن أن الوحي لأم موسى جاء لاستخدام أداة تقوم بواسطتها بتنفيذ وحي ربها لتلقي بطفلها في اليم. فكما اهتدى النحل إلى الجبال وإلى الشجر ليكون بيتاً له، اهتدت أم موسى إلى التابوت ليكون بيتاً لموسى في اليم.

نتيجة: أم موسى تحتاج إلى أداة تقوم بواسطتها بتنفيذ وحي ربها لها بإلقاء طفلها في اليم، فأين يا ترى ستجد تلك الأداة؟

جواب: لقد كانت تلك الأداة منّة من الله على موسى:

- **وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (39) طه**

لقد كانت المنة الأولى من الله على نبيه موسى أن أوحى الله إلى أم موسى أن:

⇐ تقذف به في التابوت

⇐ تقذف به في اليم.

ومادام أن تلك كانت منة من الله، فنحن لا نتردد أن نطرح السؤال التالي: من أين جاء ذلك التابوت؟

رأينا: ربما نستطيع أن نتصور إجابة على مثل هذا التساؤل لو حاولنا ربط تابوت موسى هذا مع التابوت الذي جاء كآية على ملك طالوت على لسان نبي بني إسرائيل آنذاك:

- **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(248) البقرة**

نعم، كان ذلك التابوت – في رأينا- محمولاً من الملائكة على الدوام.

افتراء من عند أنفسنا: نحن نفتري الظن أنه كما جاءت الملائكة تحمل ذلك التابوت يوم أن بعثه الله آية على ملك طالوت، جاءت الملائكة أنفسهم يحملون التابوت نفسه يوم أن أوحى الله إلى أم موسى أن تقذف برضيعها فيه فتقذفه في اليم، فكان ذلك هو الوحي الذي جاء أم موسى، وكانت تلك هي المنة الأولى من الله على موسى. وسنتعرض لهذه القصة بتفصيل أكثر عند الحديث عن طفولة موسى في مقالة مستقلة بحول الله وتوفيقه.

دعاء: لذا الله أسأل أن ينفذ كلمته بمشيئته وبإرادته لي الإحاطة بشيء من علمه لا ينبغي لغيري، إنه هو العليم الحكيم

ولو تدبرنا الآية الكريمة السابقة نفسها لربما وجدنا فيها ما يدعم زعمنا هذا، فذلك التابوت لم يكن موجهاً فقط لمن كان حاضراً آنذاك، بل هو أيضاً آية من الله لنا نحن على مر الزمان:

- **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (248) البقرة**

دعاء: فأنا أشهد الله أني قد آمنت بآياته جميعها وآمنت بأن في ذلك (التابوت) آية لنا، لذا أسأله جل وعلى الذي يبين لنا آياته أن يؤتينا علماً بها، إنه هو السميع المجيب.

أما بعد،

إن المتفحص للآية الكريمة نفسها يجد أن ذلك التابوت الذي جاءهم قد أتى القوم تحمله الملائكة، وكان فيه أكثر من السكينة من ربنا ورب القوم آنذاك، لقد كان فيه أيضاً بقية مما ترك آل موسى وآل هارون:

- **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (248) البقرة**

إن هذا الفهم يثير غريزتنا في طرح التساؤل التالي: ما هي تلك البقية من آل موسى وآل هارون؟ أو ماذا كان يوجد في ذلك التابوت الذي أتى كآية من الله كدليل على ملك طالوت من بقايا (أو ما تبقى من أثر) آل موسى وآل هارون؟

آل موسى وآل هارون

قبل الإجابة على هذا التساؤل لابد من التعريج على جزئية أثرناها سابقاً وهي سبب ورود الحديث في هذه الآية الكريمة عن آل موسى منفصلاً عن الحديث عن آل فرعون بالرغم أن موسى وهارون هم إخوة؟ فلم - يا ترى- يكون هناك آل لموسى وآل لهارون؟

افتراء سابق: لقد افترينا سابقاً أن موسى وهارون هم إخوة من الأم فقط:

- **وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (150) الأعراف**
- **قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94) طه**

نعم، لقد جاء الخطاب من هارون إلى موسى على أساس أنه ابن أمه، وذلك لأن أب موسى –نحن نزعم القول- لم يكن نفسه هو أب هارون، وزعمنا كذلك أن والد هارون هو ذو الكفل (الذي تكفل موسى بعد أن كف فرعون عن إلحاق الأذى به ونزل عند رغبة امرأته في أن تتخذ منه ولدا)، وزعمنا أيضاً أن امرأة فرعون هي أخت ذي الكفل هذا، فكان ذو الكفل من قوم فرعون وكان هارون من قوم فرعون، فكان قوم موسى (أي المؤمنون من أتباع موسى) ينقسموا إلى قسمين:

⇐ بني إسرائيل (المستضعفين في الأرض آنذاك وهم آل موسى)

⇐ ممن آمن من قوم فرعون بموسى على خوف من فرعون وملئه (آل هارون)

فكان نسب الأب يختلف بالنسبة لكل واحد منها، فبالرغم أنهم جميعاً قوم موسى (أي النبي الذي أرسل لهم) إلا أن جزء منهم يتبع آل موسى (من نسب موسى لأبيه)، بينما يتبع القسم الآخر آل هارون (من

نسب هارون لأبيه)، وربما يفسر مثل هذا الطرح سبب أن فرعون (وهو الذي كان يذبح أبناء بني إسرائيل) لم يقدم على ذبح هارون بالرغم أنه أخ موسى، وربما يدعم هذا الظن ما حصل بعد أن عاد موسى من لقاء ربه:

- **قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94) طه**

فموسى يطلب توضيحاً من هارون عن سبب عدم لحاقه به، فيرد هارون بأن السبب كان يكمن من الخوف أن تقع الفرقة بين بني إسرائيل: آل موسى من جهة وآل هارون من جهة أخرى.

(للتفصيل انظر مقالتنا السابقة تحت عنوان لماذا قدّم نبي الله لوط بناته بدلاً من ضيوفه ومقالتنا تحت عنوان قصة موسى: باب السامري ومقالتنا تحت عنوان من هي زوجة موسى؟)

عودة على بدء

ربما نستطيع أن نجلب هذه الفكرة على سبيل التحديد لنلقي بشيء من الضوء على سبب إنكار الملأ من بني إسرائيل (الذين طلبوا الملك ليقاتلوا في سبيل الله) لأحقية طالوت بالملك عليهم:

- **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247) البقرة**

فنحن نزعم القول إن القوم آنذاك كانوا من آل موسى وآل هارون، ولما كان آل موسى هم الملوك والأحق بها، أظهروا عدم رضاهم في أن يكون الملك من غيرهم، لذا نحن نجرؤ أن نقدم الافتراء التالي الذي سنضطر لاحقاً لمتابعته وجلب الدليل على صحته: لقد كان طالوت من آل هارون، فاحتج الملأ من بني إسرائيل على هذا الاختيار مادام أن أهل النسب الأحق بالملك هم آل موسى، وسنحاول تفنيد هذا الزعم أو توكيده عند الحديث عن طالوت وجالوت لاحقاً بحول الله وتوفيقه.

دعاء: لذا الله أسأل أن يعلمنا كيف نقول الحق فلا نفتري عليه الكذب إنه هو السميع المجيب.

المهم بالنسبة لنا في سياق بحثنا هذا هو العودة إلى النقاش الخاص بالتابوت على ما جاء في الآية الكريمة من تأكيد رباني بأن ما كان يوجد في ذلك التابوت هو بقية مما ترك آل موسى وآل هارون فما هي تلك البقية؟

افتراء خطير جداً من عند أنفسنا: إنها المنسأة، بقية من عصا موسى

الدليل

لفهم طرحنا هذا كما نحاول تقديمه (ونعتمد على قدرة القارئ على التمييز حتى لو فشلت كلماتنا في توصيل رسالتنا) لابد من العودة إلى مقالتنا السابقة التي تتحدث عن قصة موسى تحت عنوان باب السامري، حيث كان جل الحديث منصباً على قصة عصا موسى، كما سنحاول بحول الله وتوفيقه العودة على قصة عصا موسى مرات كثيرة في سياق حديثنا عن جوانب كثيرة تتعلق بالآيات القرآنية التي تتحدث عن تلك العصا.

دعاء: لذا الله أسأل أن يهدينا إلى ما لم يهتدي إليه غيرنا، إنه هو السميع المجيب

أما بعد،

حاولنا في مقالتنا السابقة تحت عنوان باب السامري طرح جملة من الاستنباطات الخطيرة جداً، نذكر منها على سبيل المثال:

- ⇐ عصا موسى كانت ملازمة له على الدوام
- ⇐ جرى الحديث في أول لقاء لموسى بربه عن تلك العصا
- ⇐ عاد موسى ليقدم تلك العصا كآية من ربه إلى فرعون وملائه
- ⇐ كانت العصا سبباً في قهر فرعون وجنوده ونجاة موسى ومن معه
- ⇐ ترك موسى هارون أخيه خليفة له في قومه حتى يعود من لقاءه الثاني مع ربه
- ⇐ ذهب موسى إلى ربه في لقاءه الثاني متعجلاً، فنسى
- ⇐ حصل اللقاء بين موسى وربه فغاب ذكر العصا
- ⇐ عاد موسى يحمل الألواح بكلتا يديه
- ⇐ ألقى موسى الألواح وأخذ يجر إليه برأس أخيه ولحيته، فكان يمسك رأس أخيه (شعر رأسه) بيد ويمسك بلحية أخيه (شعر وجهه) بالأخرى، فلم يكن يحمل تلك العصا آنذاك.
- ⇐ خاطب موسى السامري بلهجة التودد بالرغم من علمه المسبق من ربه بأن السامري هو سبب الضلالة التي وقع فيها القوم
- ⇐ يبدو في عقاب موسى للسامري شيء من الليونة بالرغم من شدة الذنب الذي ارتكبه السامري
- ⇐ زعمنا القول إن عصا موسى وقعت بيد السامري وكانت سبباً في قدرة السامري على إخراج العجل للقوم
- ⇐ لم يستطع السامري الحصول على العصا بأكملها لكنه قبض شيئاً منها
- ⇐ اختفت تلك العصا بين متاع القوم، فلم يتم العثور عليها بعد ذلك

فلنبدأ النقاش في هذه المقالة من حيث انتهينا هناك.

أما بعد،

فبعد أن ألقى القوم أمتعتهم لأخذ قسطاً من الراحة قبل أن يكدوا اللحاق بموسى، يتمكن السامري من أن يبصر شيئاً لم يبصره غيره (**قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ**)، وظننا أن ذلك الشيء كان عصا موسى التي تركها بيد هارون عندما خلفه في القوم ليذهب موسى للقاء ربه الثاني، فالسامري يقبض قبضة من أثر الرسول (**فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ**)، فكان ذلك حسب زعمنا- جزء من عصا موسى:

- **قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96) طه**

ونحن نزعم الظن أن القبضة لم تكن أكثر من ما يمكن أن تقبضه بكف اليد، فلقد قام السامري بأخذ شيء من عصا موسى (بحجم القبضة)، ووضعها في مكان لا يراه الناس (فَنَبَذْتُهَا)، وكان ذلك من باب ما تسول له به نفسه (**وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي**)، ليرى بأم عينه ما ستفعله تلك العصا التي قهرت السحرة (ومنهم السامري) في يوم الزينة:

- **قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87) طه**

وزعمنا الظن أنه لما ألقى السامري تلك القبضة من العصا (**فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ**) في ذلك الجسد (متاع وزينة القوم) الذي جعله على شكل عجل، تحرك ذلك الجسد بسبب تلك العصا التي ألقاها السامري في داخله:

- **وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (148) الأعراف**
- **فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (88) طه**

وكان ذلك – في رأينا- بسبب العصا التي أخذت تهتز في داخل العجل، فلا ننسى أن الله قد أمر موسى بإلقاء العصا فدبت الحياة فيها على الفور:

- **قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (20)**

ولا شك أن حركتها تلك كانت عبارة عن اهتزاز كاهتزاز الجان:

- **وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (10) النمل**
- **وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (31) القصص**

فكان ذلك بالفعل – في رأينا- ما حصل لذلك الجسد (العجل) الذي ألقى فيه السامري تلك القبضة من العصا: لقد كان ذلك الجسد يهتز كاهتزاز الجان، وكان ذلك هو خواره الذي أخاف قوم موسى، فظنوا بقدرة السامري العجيبة وصدقوه حتى رجع إليهم موسى ليكشف زيف دعوى السامري الذي أقنعهم بأن ذلك العجل هو إلههم وإله موسى. فلا ننسى أن حجة السامري كانت مقنعة للغالبية الساحقة من بني إسرائيل لدرجة أن

الذين صدّقوا هارون (قبل عودة موسى) كانوا نفراً قليلا. لقد أدخل السامري الرعب في قلب القوم عندما أراهم قدرة ذلك العجل العجيبة، فلا ننسى أن موسى نفسه قد وقع الخوف في قلبه لحظة أن رأى اهتزاز العصا كأنها جان، فولى هارباً، ولولا التطمين الإلهي له، لربما لم يرجع موسى بعد أن ولى مدبرا ولم يعقب. نعم، نحن نظن أن خوار ذلك العجل (بسبب اهتزاز قبضة العصا بعد أن ألقاها السامري فيه) كانت مصدر قوة السامري وضعف حجة هارون (بالرغم من فصاحته).

عودة إلى منسأة سليمان

نخرج من زيف ما افترينا حتى اللحظة بالاستنباطات الغريبة التالية التي سنطاردها في الصفحات القادمة:

- ⇐ عندما أخذ السامري شيئاً من عصا موسى (قبضة) لم تعد تلك العصا عصا، وإنما أصبحت منسأة
- ⇐ اختفت تلك المنسأة منذ تلك الحادثة
- ⇐ استقر ما بقي من تلك العصا (أو المنسأة) في التابوت الذي كان مما حمل القوم معهم بعد خروجهم من أرض مصر
- ⇐ بقي ذلك التابوت فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون
- ⇐ ظهر ذلك التابوت مرة جديدة فقط عندما بعث الله طالوت ملكاً
- ⇐ لم ينتبه الكثيرون لذلك التابوت ولأهميته، فدارت معركة عظيمة بين جالوت بجيشه الضخم من جهة وطالوت بمن صبر معه من بني إسرائيل
- ⇐ اشتدت المعركة، فلم يتمكن الملك طالوت (بالرغم مما آتاه الله من بسطة الجسم) من النيل من جالوت (عدوه)
- ⇐ كان من بين جند جالوت آنذاك غلام يافع وكان اسمه داوود
- ⇐ انتبه ذلك الغلام بما آتاه الله من الحكمة والعلم إلى ذلك التابوت
- ⇐ نبش الغلام في ذلك التابوت ليبحث فيه عن مخرج مما هم فيه من بلاء الحرب وقوة جالوت المدمرة
- ⇐ وقع بصره على تلك المنسأة (بقية عصا موسى)
- ⇐ لم يتردد داوود (صاحب العلم) أن يستخدم تلك المنسأة، فضرب بها جالوت، فقتله
- ⇐ تحصل لداوود بسبب تلك المنسأة شيء من إرث النبوة وشيئاً من الملك، فاستتب له الأمر بالملك والنبوة
- ⇐ ورث سليمان عن والده داوود الملك والنبوة، فانتهت المنسأة بيد سليمان – موضوع حديثنا في هذه المقالة

الدليل

ما الفرق بين العصا والمنسأة (عصا موسى ومنسأة سليمان)؟

نحن نزعم الظن أن ما انتهى إلى يد سليمان (المنسأة) هي في الأساس عصا موسى، ولكنها أصبحت عصا قصيرة بعد أن كان السامري قد أخذ منها قبضة. ولكن هذا الزعم يحتاج إلى دليل يثبته، أليس كذلك؟

دعنا - بادئ ذي بدء- نحاول التمييز بين العصا والمنسأة، لنطرح السؤال على النحو التالي: ما الفرق بين العصا والمنسأة؟

جواب: إن الدليل على التفريق بين الكينونتين قد ورد – نحن نفتري الظن- في الخطاب الرباني الأول مع موسى، قال تعالى:

- **وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (18) طه**

فالمتفحص لهذا الحوار الرباني الأول مع موسى يجد فيه من الغرابة ما تستدعي الانتباه، ونخص بالذكر كيفية رد موسى على سؤال ربه، فالله يسأل موسى عن ما في يمينه، أليس كذلك؟

ألم يكن يكفي موسى أن يرد بالقول: هي عصا وكفى؟ فما الموجب أن يستطرد موسى في الإجابة ليقول: هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ؟ فهل لو سألتك أنا (ولله ورسوله المثل الأعلى) عن ما تحمل بيدك، وقلت لك ما في يمينك وأنا أنظر إليه وأرى أنه كتاب مثلاً، فهل عليك أن ترد عليّ بالقول: هو كتابي لأقرأ به وأدرسه لطلابي وأقدمه هدية لصديقي، وهكذا.

رأينا: لو تجاوزنا ما قاله أسيادنا العلماء (وهم لا شك أهل العلم والدراية) قليلاً من أن موسى كان يحاول أن يطيل اللقاء مع ربه مثلاً (ويكأن الله ...)، وحاولنا التدقيق في الجزئية نفسها لوجدنا أن فيها العلم الغزير الذي سنحتاجه لفهم جزئيات كثيرة في كتاب الله عند ربط الأحداث مع بعضها البعض، ولكن كيف؟

رأينا: إن الفكرة التي نود أن نقف عليها هنا هي رد موسى بالقول " أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا:"

- **قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (18)**

تساؤلات:

- ⇐ هل كان موسى بحاجة لعصا ليتوكأ عليها؟
- ⇐ هل بلغ موسى من الكبر عتيّا حتى يحتاج أن يتوكأ على عصا؟
- ⇐ هل بلغ موسى من الضعف في جسمه مرحلة يحتاج معها أن يتوكأ على عصا؟
- ⇐ الخ

رأينا: كلا وألف كلا، لقد كان موسى لا زال بالغاً أشده ومستويا، فهو لازال في أفضل مراحل قوته الجسمية، لذا لا يحتاج – نحن نزعم القول- إلى عصا ليتوكأ عليها كما يمكن أن نظن نحن من الغرض الذي تستخدم العصا لأجله، ولكن بالرغم من ذلك لا نستطيع أن ننكر أن موسى كان يستخدم العصا ليتوكأ عليها، فالنص القرآني يثبت بصريح اللفظ أن موسى كان يتوكأ على العصا، فكيف – يا ترى- كان يتوكأ موسى على العصا؟ أو بكلمات أكثر دقة: ما معنى أن يتوكأ موسى على العصا؟

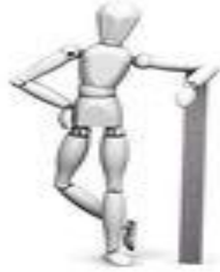
افتراء من عند أنفسنا: نحن نزعم الظن أن واحدة من استخدامات العصا تكون للتوكؤ عليها، أليس كذلك؟

ولا يتوقف موسى عند هذا القول بل يفرد استخداماً آخر للعصا وهي "أن يهش بها على غنمه"، فكيف كان موسى يتوكأ على العصا؟ وكيف كان (من يتوكأ على العصا) يهش بالعصا نفسها على غنمه؟

نتيجة: يستخدم موسى العصا لغرضين ظاهرين وهما: (1) للتوكؤ عليها و(2) للهش بها على غنمه في الوقت ذاته.

كيف يتم التوكؤ على العصا؟

نحن نزعم الظن أنه حتى تصبح العصا قابلة للتوكؤ عليها فلابد أن تكون من الطول أن تصل بين يد الرجل الواقف والأرض. فلو كانت عصا موسى قصيرة لما استطاع أن يتوكأ عليها، أليس كذلك؟ فنحن نظن أن العصا القصيرة (التي لا تصل من يد الرجل الواقف إلى الأرض) لا تستخدم للتوكؤ عليها، وإنما يجب أن تصل إلى الأرض ليحصل التوكؤ عليها كما في الشكل التوضيحي التالي:



وحتى يستطيع أن يهش بها على غنمه، فلابد أن تكون من الحجم الذي يستطيع مقارعة ظروف الزمان والمكان، فهي من المتانة بمكان أن يستخدمها موسى سنوات من عمره وهو يرعى الغنم في أرض مدين قبل أن يرجع قافلاً العودة إلى أرض مصر بصحبة أهله.

والآن لنحاول ربط ذلك بمنسأة سليمان، لنطرح السؤال التالي: هل كان سليمان يستخدم منسأته ليتوكأ عليها؟

جواب: لم نجد دليلاً واحداً في كتاب الله يبين لنا أن واحدة من استخدامات منسأة سليمان كانت للتوكؤ عليها، فبالرغم أن منسأة سليمان كانت على الدوام في يده، لم يكن سليمان يستخدمها للتوكؤ وذلك لأن تلك المنسأة لم تكن بالحجم المطلوب لتصل من يد سليمان إلى الأرض، فلقد كانت عصا قصيرة، لا يمكن استخدامها للتوكؤ.

افتراء من عند أنفسنا: نحن نتخيل المشهد على النحو التالي:

- ⇐ موسى يملك عصا يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه
- ⇐ يقبض السامري منها قبضة يودعها في جسد العجل
- ⇐ ينبذ ما تبقى من العصا في التابوت
- ⇐ يحافظ بنو إسرائيل على إرث موسى وهارون، فيحافظون على ذلك التابوت
- ⇐ يظهر التابوت مرة أخرى كآية على ملك طالوت، ويكون فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون
- ⇐ يكون من بين تلك البقية ما تبقى من عصا موسى
- ⇐ تقع تلك البقية في يد داوود فيقتل بها جالوت

- ⇐ يتحصل داوود على إرث النبوة (العصا من موسى وهارون) وارث الملك من طالوت
- ⇐ ينتقل الحكم من داوود إلى ولده سليمان
- ⇐ يفضل سليمان (على خلاف والده داوود) الحكم على السياسة (العلم)
- ⇐ يحمل سليمان في يده منسأته كدليل على سلطته في الحكم
- ⇐ تبقى تلك المنسأة رمز قوته وسطوته وحكمه على الجن والإنس والطير
- ⇐ يبقى الجن في العذاب المهين (بسبب سطوة تلك المنسأة عليهم)
- ⇐ ما أن تأكل دابة الأرض تلك المنسأة حتى تكون الدليل على أن سليمان قد مات
- ⇐ بذهاب تلك المنسأة في بطن تلك الدابة لا يمكن أن يتحصل لأحد سلطة عسكرية في الحكم كما كانت لسليمان

المنسأة: رمز السلطة العسكرية

لازال قادة الجيوش العظيمة (وخاصة قادة الجيوش العظيمة في بلاد العرب المهيبة) يحملون تحت أكتافهم عصا قصيرة لتكون صولجانا يرمز إلى سلطتهم العسكرية، فمن أين يا ترى جاء هذا التقليد في معظم أصقاع المعمورة على مر الزمان؟

جواب مفترى: لا شك عندنا أن أعظم قائد جند عرفه التاريخ هو نبي الله سليمان الملك، فما أن يقضي الله بالموت على والده داوود حتى يجمع سليمان جنوده في عرض عسكري مهيب، فيقوم خطيباً بهم لا يجيد فن السياسة، فيكون كلامه غاية في الوضوح والشدة التي لا تنقص رجل العسكر:

- **وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) النمل**

وما يكون منه إلا أن يطلب عرضاً عسكرياً لجنده جميعاً:

- **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) النمل**

وحتى يرى الحضور جميعاً بأم أعينهم سطوة وجبروت سليمان، تكون تلك المنسأة صولجان يعذب به كل من يزغ عن أمره، وتبقى تلك المنسأة رمزاً على عسكرية سليمان التي لا تقاوم حتى تأكله دابة الأرض مباشرة بعد موته.

في المرة القادمة سنحاول أن ننبش في الأسئلة التالية:

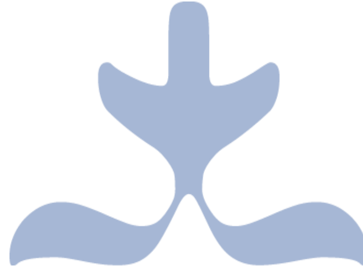
- كيف أكلت دابة الأرض تلك المنسأة؟
- أين ذهبت تلك الدابة؟
- هل يمكن العثور على منسأة سليمان؟
- ما هي الحروب التي شنها سليمان؟
- ما هو الجسد الذي ألقي على كرسي سليمان؟

- لماذا تفقد سليمان الطير على وجه الخصوص؟ ولم لم يقم بتفقد الجن والإنس كما تفقد الطير؟
- كيف تم إحضار عرش ملكة سبأ إلى سليمان بأسرع من ارتداد الطرف؟
- لماذا كشفت ملكة سبأ عن ساقيها عند أمرت أن تدخل الصرح؟
- أين هو صرح سليمان؟
- الخ

هذا والله أعلم.

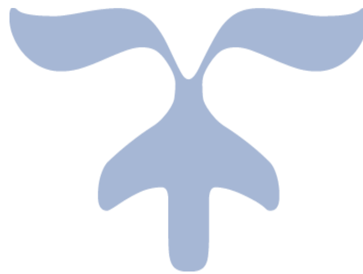
دعاء: فالله نسأل أن يعلمنا قول الحق الذي يرضاه فلا نفتري عليه الكذب إنه هو السميع المجيب

ونسأله تعالى أن يؤتينا كفلين من رحمته وأن يجعل لنا نورا وأن يغفر لنا إنه هو الغفور الرحيم



مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ

الباب الثاني الدابة



الباب الثاني الدّابة

كان الجهد في الجزء السابق منصبّاً على قصة منسأة سليمان، وانتهينا عند طرح الأسئلة التالية:

- كيف أكلت الدابة تلك المنسأة؟
- أين ذهبت تلك الدابة؟
- هل يمكن العثور على منسأة سليمان؟
- ما هي الحروب التي شنها سليمان؟
- ما هو الجسد الذي ألقي على كرسي سليمان؟
- لماذا تفقد سليمان الطير على وجه الخصوص؟ ولِم لَم يقم بتفقد الجن والإنس؟
- كيف تم إحضار عرش ملكة سبأ إلى سليمان بأسرع من ارتداد الطرف؟
- من الذي أحضر ذلك العرش لسليمان؟
- لماذا كشفت ملكة سبأ عن ساقيها عند أمرت أن تدخل الصرح؟
- أين هو صرح سليمان؟
- الخ

وسنحاول أن ندلي بدلونا في قصة سليمان كما نفهما من كتاب الله، مركزين على هذه التساؤلات التي ربما تدعو إلى إثارة التفكير وإعادة النبش بموروثاتنا العقائدية التي غالباً ما غُلِّفت بمسلمات قد لا ترضي طموح من يريد الوصول إلى الحقيقة. إن محرك البحث لمن أراد الخوض في مثل هذه القضايا الكبيرة يجب أن ينطلق - في نظرنا- من إطار نظري صحيح يمكن أن يكون قابلاً للتطبيق العملي، فأنت أن وضعت نظرية في أي مجال علمي، وبان لك أنّ هناك عشرات الأدلة التي تشير إلى فشل الإطار النظري الذي وضعت فيه، فيجب عليك أن تعيد صياغة ذلك الإطار النظري حتى يصبح قادراً على أن يستوعب ما بان به من مشاكل لم يستطيع أن يتعامل معها في صياغته الأولى. ولمّا كان ظننا أن الإطار النظري الذي وضعه أسيادنا من أهل العلم والدراية لا يستطيع أن يفسر لنا كثيرا من الأمثلة المتوافرة في كتاب الله (كعصا موسى أو منسأة سليمان مثلاً)، أخذنا على عاتقنا مهمة صياغة إطار نظري نظن – مفترين القول- أنه أكثر قدرة على حل مثل هذه القضايا. وكان من أبرز المشاكل التي كانت على الدوام – في رأينا- سبباً في فشل الإطار النظري السائد منذ قرون جملة من المسلمات التي صمت الآذان، وأغشت الأبصار، وأقفلت القلوب، نذكر منها على سبيل المثال:

⇐ الظن بأن أهل العلم قد أحاطوا بهذه القضايا علماً، وأنهم قد قدموا للعامة ما يحتاجوا أن يفهموه منها، فعندما يحصل النقاش حول هذه القضايا يحيلك معظم الناس إلى أهل العلم، ظانين أن لديهم الخبر اليقين، وعندما كنت أطلب من طلابي أن يذهبوا إلى من يختارون من أهل العلم (بالوسيلة التي يرونها مناسبة) ليسألوهم عن مثل هذه القضايا، غالباً ما كانوا يعودون إليّ بخفي حنين: معرفة لا تتجاوز بمجملها ما يعرفونه هم أنفسهم عن الموضوع قيد البحث والدراسة.

- ⇐ الظن بأن من واجب الناس عدم الخروج على إجماع أهل العلم، فالقول بما لم يقله الأقدمون يخرجك – في نظرهم- من نطاق أهل الجماعة، ونحن نتساءل فقط: إن كان المطلوب أن لا تخرج عن إجماع أهل العلم (إن كان هناك إجماع لأهل العلم أصلاً)، فما الجديد الذي يمكن أن نقدمه للأمة؟ أم هل أن أهل العلم (وأنا لا أعرف مواصفاتهم) قد أحاطوا بكل ما في كتاب الله حتى أصبح من المتعذر الخروج عن ما قالوا؟ من يدري!!!
- ⇐ الظن بأن مسؤولية العلماء تكمن في توصيل الأفكار التي جادت بها عقول الأقدمين، فوقفة سريعة مع عشرات البرامج الدينية على الفضائيات لـ "جهابذة أهل العلم" مثلاً ربما تخرجك بمثل هذا التصور، فنحن نتحدى أن تجد في برامجهم شيئاً جديداً، بل إن قدرة هؤلاء "العلماء" تكمن في رأينا- في الصياغة الشكلية للأفكار القديمة، فالقدرة على الخطابة هي ما يؤهلهم ليكونوا "أهل العلم"، وليس العلم نفسه.
- ⇐ وثوق أهل العلم بقدراتهم العقلية والذهنية، فلمّا لم يستطيعوا هم إيجاد الحلول لهذه القضايا الإشكالية ظنوا باستحالة قدرة غيرهم على ذلك. فمن يستطيع أن يظن أن بإمكانه أن يقول أفضل مما قال ابن عمر أو ابن العباس أو أبو حنيفة أو... أو.... لقد كانت ردة الفعل الأولى لطلابي في قاعة التدريس عندما كنت أفاجئهم بالقول بأني أكثر علم من هؤلاء هي على الدوام الاستغراب لدرجة الانفجار بالضحك الممزوج بشيء من السخرية والتندر. وكان التكذيب والنعت بالكفر هو السمة المميزة لردة فعلهم عندما كنت أفاجئهم بالقول بأني قد أكون أكثر علماً ممن هم أكثر علماً من هؤلاء الناس. لكن المفاجئ بالنسبة لهم كان أيضاً عدم قدرتهم على الرد عندما كنت أطلب منهم استقصاء بعض الدروس والعبر من قصة نبي الله وكليمه موسى في رحلته لطلب العلم مع ما يسمونه بـ "الخضر"، وكيف أن نبي الله موسى نفسه ذهب يطلب العلم على يد رجل لا نعرف اسمه، وكيف أن ذلك الرجل هو من طلب من موسى الرحيل في نهاية المطاف عندما لم يصبر موسى على صحبته. لقد كان جل ردهم يتمثل بأن هذه من المعجزات التي لا يجوز النبش فيها.
- ⇐ جعل العلم خاصاً بأهل الدين، فالطبيب الذي يذهب إلى عيادته يظن أن الخوض في هذه القضايا ليست من اختصاصه، فهو قد أوكلها إلى من يسمون أنفسهم "بأهل الدين"، وظن أنهم يقوموا بواجبهم خير قيام، والمهندس الذي يدخل مكتبه ينشغل بأمور دنياه ويترك قضايا العقيدة لأهلها ظانا أنهم سيقومون بواجبهم خير قيام، وهكذا.

المطلوب: رفض هذه المسلّمات التقليدية والعمل بنقيضها تماماً:

- ⇐ لا يمكن لأهل العلم الإحاطة المطلقة بما في كتاب الله، فلازال هناك الكثير الذي ينتظر الدراسة العلمية الدقيقة
- ⇐ لابد من الخروج عن الإجماع، لظننا أن ليس هناك إجماع في الأصل حتى يتم الخروج عنه
- ⇐ مسؤولية أهل العلم (وليس أهل الكلام) هي النبش في الأفكار وتمحيصها، وليس فقط ترديدها بقوالب مزخرفة ومزينة بالعبارات الرنانة التي تخلو من الجوهر والمضمون
- ⇐ عدم وثوق العالم بقدرته الذهنية، لا بل يجب عليه أن يؤمن إيماناً يقينياً أن النساء لا تعدم أن تلد من هو أكثر علماً منه، أو ممن سبقوه
- ⇐ جعل الدين مسؤولية الجميع، فالكل قد يسهم بقدر ما من العلم بما منّ الله عليه من فضله

السؤال: هل يمكن تقديم الدليل العملي على افتراءاتنا هذه؟

جواب: قصة سليمان: باب الدابة

سنحاول في هذا الجزء متابعة حديثنا عن قصة سليمان، وسنترك للقارئ الكريم الحق في المقابلة وبالتالي المفاضلة بين ما نقدمه نحن من افتراءات وأكاذيب وما قدمه من سبقنا من أهل العلم والدراية من معرفة وأخبار يقين.

الدابـة

تعرضنا في الجزء السابق من هذه المقالة لمنسأة سليمان، وحاولنا تقديم الدليل الظني على افتراءنا بأن منسأة سليمان هي نفسها عصا موسى، وكان منطقنا المحرّف على النحو التالي:

- السامري يقبض من عصا موسى قبضة وينبذها في زينة القوم.
- يخرج السامري لهم بسبب تلك القبضة من زينتهم عجلاً له خوار، وكان ذلك – في ظننا- بسبب حركة "تلك القبضة" التي ألقاها في زينة القوم التي كانت على شكل عجل، فيصبح لذلك العجل خوار
- ينبذ السامري ما تبقى من العصا، فتستقر في التابوت الذي تناقلته أجيال بني إسرائيل
- حافظت أجيال من بني إسرائيل على ذلك التابوت الذي كان فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون كجزء من ممتلكات آل موسى وآل هارون.
- جاء ذلك التابوت محمولاً من قبل الملائكة كآية على حق طالوت بالملك على الملأ من بني إسرائيل
- ما فطن أحد لأهمية تلك البقية التي كانت متواجدة في ذلك التابوت إلا غلام يافع اسمه داوود، بما منّ الله عليه بشيء من علمه
- ما أن أتى ذلك التابوت محمولاً من قبل الملائكة كدليل على ملك طالوت، حتى استطاع الغلام داوود أن يظفر بما في ذلك التابوت من بقية العصا وقد أصبحت منسأة ما دام أنها قد قصرت
- استخدم داوود تلك المنسأة للنيل من جالوت، فقتل داوود جالوت وهزموهم بإذن الله.

نتيجة مفتراة: فنحن نفتري الظن بأن العصا التي فجر فيها موسى الماء من الحجر، والعصا نفسها التي شق بها البحر، والعصا نفسها التي قهر بها السحرة بإذن الله لا تعجز أن تكون قادرة –بإذن الله- عن الظفر بجالوت. ولكن الفرق الوحيد بين عصا موسى ومنسأة سليمان –في نظرنا- هو أن العصا في يد موسى كانت من الطول حتى ينفّذ بها ما أراد (كالتوكؤ عليها والهش بها على غنمه)، لكنها لم تعد كذلك في يد داوود وولده سليمان من بعده، فأصبحت منسأة استخدمها داوود للنيل من جالوت، واستخدمها سليمان لتكون صولجاناً يظهر بطشه العسكري فيعذب بها من يزغ من الجن عن أمره.

ولكن المفاجئ بالأمر أن سليمان لم يتوقف عند ذلك بل دعا الله أن يهبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده: وهذا يثير حفيظتنا في طرح سؤالين اثنين وهما:

⇐ لم دعا سليمان ربه أن يهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده (ولا حتى لذريته)؟ فهل كان يضير سليمان أن يأتي من بعده من يحصل على ملك كملكه؟ ألا تشكل مثل تلك الدعوة (بقالبها الظاهري) شيئاً من الأنانية وحب الذات؟

⇐ وكيف تحقق لسليمان ما أراد؟ أي كيف أجاب الله دعوة سليمان فلم يهب لأحد من بعده ملكاً كملكه؟

رأينا: إن الإجابة على التساؤلين السابقين وما ينفرط عنهما من تساؤلات فرعية كثيرة يكمن في رأينا بكلمة واحدة هي المنسأة، ولكن كيف؟

استراحة قصيرة

قبل تقديم تصورنا المفترى في هذه القضية الرئيسة في بحثنا هذا نجد من الضروري التعريج على قضية فرعية ربما سيكون لها تداعياتها في فهم الصورة الكلية لقصة منسأة سليمان، والقضية الجديدة هي محاولة التفريق بين مفردة الوراثة ومشتقاتها من جهة ومفردة التركة ومشتقاتها من جهة أخرى في النص القرآني، لنثير السؤال على النحو التالي:

ما الفرق بين الورثة والنصيب من التركة؟

افتراء من عند أنفسنا: النصيب من التركة يكون للرجال والنساء، ولكن الوراثة لا تكون إلا للرجال فقط

سؤال: لماذا؟

جواب: لأن النصيب من التركة مبني على الجزئية بينما الوراثة هي أخذ على الكلية

الدليل

عندما نتحدث عن الوراثة في الآية الكريمة التالية:

- **وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) النمل**

نجد بما لا يدع مجال للشك أن الوارث الوحيد لداوود هو ولده سليمان، أليس كذلك؟

والآن لو حاولنا طرح السؤال الافتراضي التالي: ماذا لو كان وريث داوود هو أنثى وليس ذكرا؟ هل كان يحق لها أن تأخذ كل ما ترك والدها داوود؟ أي هل يحق للأنثى أن تتحصل على كامل ما ترك والدها؟

جواب: كلا، لأن المرأة تأخذ فقط نصيباً مما ترك والدها ولا تأخذه كله، فيكون القانون الإلهي الثابت على النحو التالي:

- **لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (7) النساء**

وقد حاولنا النبش في آيات الكتاب الكريم، فما وجدنا دليلاً واحداً على أن المرأة ترث والدها أو والدتها أو حتى أخاها أو أختها على الكليّة، فحتى لو كن نساء فوق اثنتين – بنص الآية الكريمة التالية- فلهما جزء كبير من التركة (الثلثين) ولكن ليس التركة كلها:

- **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ**

وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (11) النساء

وهذا المنطق ينطبق على الرجال ممن هم ليسوا من الجيل التالي الأول (كالأب أو الأبن) لمن أدركه الموت وترك خلفه شيئاً من الميراث:

- وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (33) النساء

إنَ أكثر ما يهمنا هنا هو هذا التباين بين نصيب الأنثى من جهة وميراث الذكر من جهة أخرى، وهذا التباين واضح تماماً في الآية الكريمة التالية:

- يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ۗ... (176) النساء

ففي حين أن للأخت نصيب مما ترك أخوها (فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ) إلا أنه يرثها تماماً (وَهُوَ يَرِثُهَا .(وربما يسعفنا مثل هذا الظن في فهم ماهية طلب زكريا:

- يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6) مريم

فزكريا يطلب من الله وريثاً وليس من يأخذ نصيباً مما سيترك، فهو إذاً يريد غلاماً ذكراً ليتحصل له كامل ما يترك وراءه (لا بل وليكن له حصة في ميراث آل يعقوب). وبالمنطق نفسه ربما نفهم كيف أن سليمان قد تحصل على كامل حصة والده داوود:

- وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) النمل

نتيجة مفتراة: عندما لا يكون من حقك كامل النصيب مما ترك من سبقك (كأن يكون أبوك أو أخوك أو أختك) فأنت لا تكون وريثاً وإنما تأخذ نصيباً مما ترك، فعندما يأخذ الرجل جزءاً مما ترك عمه أو خاله أو قريب له أو حتى زوجته، فهو ليس إذاً وريث.

انظر في السياق القرآني التالي:

- وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (12) النساء

ولكن – بالمقابل- عندما يكون لك الحق في كامل ما ترك من غيرك (حتى وإن أخذ الآخرون شيئاً منه)، فأنت بلا شك وريثه. لذا لمّا كانت النساء (بغض النظر عن العدد) لا يحصلن على كامل التركة فلا يمكن –نحن نفتري القول- أن ينظر إليهن من باب "الوراثة"، وإنما من باب "نصيب من التركة" فقط. ولندقق النظر في النص التالي لنثبت افتراءنا بأن الوراثة من نصيب الرجال فقط:

- **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11) الحجرات**

فالقوم بنص الآية الكريمة السابقة هم الذكور فقط (لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ) بدليل أن المقابل لهم في الآية نفسها هم النساء (وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ)، أليس كذلك؟ وإن صح هذا الاستنباط فعلينا أن نعيد النظر في كيفية أن نفهم مفردة الوراثة في السياقات القرآنية التالية:

- **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (137) الأعراف**
- **كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (28) الدخان**

عودة على بدء

لنحاول تمحيص الآية الكريمة التالية التي كان جل الحديث منصباً عليها في قصتنا الخيالية التي نسجناها حول منسأة سليمان في ضوء فهمنا هذا للفرق بين الوراثة من جهة ونصيب من التركة من جهة أخرى:

- **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (248) البقرة**

لما كان ما في التابوت بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، فإننا لا نتردد أن نفتري الظن أن داوود (الذي حصل على تلك البقية) لم يكن وريث شرعي لموسى وهارون، لأنه لو كان هناك وريث شرعي من الذكور لموسى ولهارون لكان ذاك الوريث صاحب الحق في الوراثة كلها، ولكانت تلك البقية المتبقية في التابوت من نصيبه.

سؤال: ما فائدة هذا الافتراء؟

جواب: ربما يرشدنا هذا الحوار للحديث عن التباين بين شرعية حكم داوود وشرعية حكم ولده سليمان لنفتري الظن التالي: في حين أن سليمان قد تحصل على الملك وراثة من والده داوود لم يتحصل داوود نفسه على الحكم بتلك الطريقة، فداوود لم يتأتى له الملك وراثة. ولكن لماذا؟

عودة على زمن داوود

عندما حاولنا أن نتفقد الزمن الذي عاش فيه داوود، وجدنا أنه هو الزمن الذي جاء فيه طالوت ملكاً على بني إسرائيل، فلقد كان داوود أحد جند طالوت، فكان طالوت هو الملك آنذاك، وكان داوود جندي في جيش طالوت، وهذا يقودنا إلى الافتراض التالي:

لو كان طالوت هو والد داوود ،لكان الملك قد انتقل إلى داوود بطريقة الوراثة. لكن لما انتقل الملك إلى داوود بطريقة غير طريقة الوراثة، فإننا لا نتردد أن نظن بأن داوود لم يكن من آل طالوت:

- **فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) البقرة**

فالآية الكريمة تشير بما لا يدع مجالاً للشك أن الله هو من آتى داوود الملك، لذا لم يتحصل داوود على الملك وراثة كما سيكون الحال بالنسبة لولده سليمان في المستقبل.

ولا ننسى كذلك أن في ذلك الزمن نفسه كان للملأ من بني إسرائيل نبي:

- **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) البقرة**

لذا نحن نفتري الظن أن داوود لم يكن ولد (أي من صلب) ذلك النبي، لأنه لو كان داوود هو ولد ذلك النبي لورثه وراثة، كما كان الحال بالنسبة لسليمان، أو كما كان الحال بالنسبة ليحيى الذي ورث والده زكريا مثلاً، فالولد لا شك يرث والده.

لذا نحن نلتزم بافترائنا السابق أن داوود لم يتحصل على الحكمة والعلم (النبوة) بطريقة الوراثة:

- **فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) البقرة**

وهذا المنطق يقودنا إلى أن نقدم افتراء آخر أكثر خطورة من سابقه وهو أن تحولاً في بيت النبوة قد حصل في زمن داوود النبي، فلقد انتقلت النبوة من بني إسرائيل (أي آل إبراهيم وآل يعقوب آنذاك) إلى بيت نبوة جديد، وهم – نحن نفتري الظن- آل داوود، وكان ذلك بفضل مباشر من الله:

- **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10) سبإ**

ومنذ تلك اللحظة ظهر آل جديد ليس لهم عهد سابق بالنبوة وهم آل داوود، فقد ظهروا نداً قوياً لآل يعقوب (بني إسرائيل آنذاك):

- **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) سبإ**

وسنرى – بحول الله وتوفيقه- انعكاسات ذلك على بيت النبوة زمن زكريا النبي الذي طلب الولد ليكون وريثاً له ولآل يعقوب مقابل آل عمران (حيث كان عيسى بن مريم)، لذا فالله أسأل أن ينفذ قوله بمشيئته وإرادته لي الإحاطة بشيء من علمه لا ينبغي لأحد غيري إنه هو السميع المجيب.

إن مبتغ القول هنا هو أنه لمّا لم يتحصل داوود على النبوة أو الملك وراثة، وإنما تحصل عليهما خلافةً:

- **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26) ص**

ونحن نفتري القول إن الخلافة لا تتم إلا بانتقال في النسب، فلقد كان أبو بكر خليفة رسول الله لأن أبو بكر لم يكن وريثاً للنبي محمد، وكان عمر خليفة أبو بكر (وكان خليفة خليفة رسول الله) لأنه لم يتحصل على الحكم وراثة، وهكذا كان عثمان وعلي. فالوارث لابد أن يكون من له الحق في النصيب كاملاً، فحتى عليٌ لا يعتبر وريثا للنبي محمد لأنه لو تم تقسيم ميراث النبي محمد فلا يحق لعلي أن يحوز على كامل الحصة، وإنما يكون له جزء من التركة بحكم قرابته للنبي كقرابة من الدرجة الثانية أو الثالثة.

نتيجة مفتراة: لا يكون الشخص وارث إذا لم يكن هو من له حق التركة بأكملها.

ولو عدنا إلى قصة الخلق الأول لربما افترينا القول بأنه على الرغم من أن الله هو من نفخ في آدم روحا منه، إلا أن آدم لم يكن وريث للإله وإنما خليفة له على الأرض وكفى. وهكذا كان حال عيسى بن مريم:

- إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (51) آل عمران

وبمثل هذه الحجة يمكن رد افتراء الكاذبين بأن عيسى بن مريم هو ولد الإله:

- وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (116) البقرة
- قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (68) يونس
- وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (88) مريم
- أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) مريم
- وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (26) الأنبياء
- الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (2) الفرقان
- وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4) مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (5) الكهف

لقد كذبوا عندما قالوا إن الرحمن قد اتخذ ولدا، لأن الولد يكون هو الوريث للوالد، ولما كان الله لم يرث من أحد، ولما كان الله لا يورّث أحدا، جاء قول الحق على النحو التالي:

- لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) الاخلاص

نتيجة: الله لم يرث ملكه من أحد، وهو لن يورث ملكه لأحد. ولكن الله يتخذ من يشاء خليفة، فلقد قضت مشيئته أن يكون آدم خليفة له على الأرض (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)، وكذلك كانت مشيئته بالنسبة لداوود (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ).

وربما لهذا نفى الله عن نبيه محمد أن ينسب إليه الولد من غير صلبه:

- **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**

فلو كان لمحمد ولد من صلبه (أو لو اتخذ محمد ولداً له)، لكان له الحق في كامل تركة محمد، ولأصبح هو الوريث الشرعي له، ولكن لمّا كان لمحمد ذرية من الإناث فقط، ورجال من الدرجة الثانية أو الثالثة من القرابة كان لك واحد منهم حق في "نصيب من التركة" وليس التركة كلها.

عودة على بدء

لما كان داوود قد تحصل –حسب زعمنا- على البقية مما ترك آل موسى وآل هارون حصل في تلك الفترة من الزمن تحول في بيت النبوة، فانتقلت النبوة من بيت نبي من أنبياء بني إسرائيل (آل يعقوب) آنذاك إلى بيت داوود (آل داوود)، فالنبي الذي أخبر الملأ من بني إسرائيل بأحقية طالوت في الحكم كان –نحن نفتري الظن- من آل يعقوب، بدليل أن ذلك النبي كان لهم

- **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) البقرة**

من هو ذلك النبي؟

سؤال: من هو ذلك النبي الذي كان متواجداً بين ظهرانيهم حينئذ ولا يذكر القرآن الكريم في الآية نفسها اسمه بصريح اللفظ؟

جواب: نحن نفتري الظن أنه نبي الله اليسع

الدليل

جاء ذكر نبي الله اليسع في موقعين من كتاب الله الكريم على النحو التالي:

- **وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) الأنعام**
- **وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ (48)**

إن وجود ذكر لنبي الله اليسع مع هذه المجموعة من الرسل ونعتهم بصفات محددة يدعونا إلى إثارة سؤالين اثنين وهما؟

⇐ كيف فضل الله إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا على العالمين؟

⇐ لماذا إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ من الأخيار؟

التفضيل على العالمين (وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ)

افتراء من عند أنفسنا: لو دققنا في التباين الذي يرد في السياقين القرآنيين لربما خلصنا إلى نتيجة مفتراة مفادها أن من فُضِّل على العالمين لابد أن يكون من بني إسرائيل:

- **وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (16) الجاثية**

وعند مقارنة ما جاء في هذه الآية الكريمة بما جاء في كتاب الله عن داوود وولده سليمان ربما نصل إلى حقيقة تطير لها الألباب ويصعب المجادلة فيها وهي أن سليمان وداوود لم يفضلا على العالمين وإنما فضلا على كثير من عباد الله المؤمنين. لذا جاء قول الحق عن داوود وسليمان على النحو التالي:

- **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًاۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15) النمل**

نتيجة: في حين أن من كان من بني إسرائيل قد فضل على العالمين، كان داوود وسليمان قد فضلا على كثير من عباد الله المؤمنين.

نتيجة مفتراة: لقد انتقلت النبوة زمن داوود من بني إسرائيل (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) إلى بيت من غير بيوت بني إسرائيل (آل يعقوب) وهو بيت داوود (آل داوود)، فكما كان لإبراهيم آل ولحفيده يعقوب آل (آل يعقوب) (وهم بنو إسرائيل ومنهم إسحق وإسماعيل)، أصبح لداوود آل (ومنهم داوود وسليمان)

نتيجة مفتراة: لقد كان نبي بني إسرائيل الذي جاء ذكره في قصة طالوت وداوود ممن فضلهم الله على العالمين وهم: وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا، وفي حين أن قصة إسماعيل ويونس ولوط معلومة لدينا من سياقات قرآنية أخرى كثيرة، كان اليسع هو من نبحث عنه.

وكل من الأخيار

لقد خلصنا من النقاش السابق أن اليسع هو من أنبياء الله الذين فضلوا على العالمين، وافترينا القول نتيجة لذلك أنه من أنبياء بني إسرائيل مادام أن الله قد فضله على العالمين، فما فضل الله على العالمين غير بني إسرائيل

- **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (47) البقرة**
- **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (122) البقرة**

- جَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (139) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (140) الأعراف
- وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (30) مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ (31) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (32) وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ (33) الدخان
- وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (16) الجاثية

نتيجة مفتراة: ومادام أن اليسع قد فضل على العالمين فلابد أن يكون من بني إسرائيل (للتفصيل حول من هم بنو إسرائيل انظر مقالتنا تحت عنوان لماذا قدّم نبي الله لوط بناته بدلاً من ضيوفه؟) حيث افترينا القول في واحدة من أجزاء تلك المقالة بأن الناس كلهم من بني إسرائيل لأن إسرائيل هو ولد آدم الذي قتل أخاه نبي الله إدريس، فجاءت البشرية جمعا من صلب ذلك الولد القاتل، فكان الناس كلهم بني آدم كما كانوا جميعاً بني إسرائيل (فلم ترد لفظة بني إلا مع آدم ومع إسرائيل فقط). واستمر الناس جميعاً ينتسبون في نسبهم إلى آدم (فكانوا بنو آدم) ثم إلى ولده إسرائيل (فكانوا بنو إسرائيل)، واستمر الأمر على تلك الشاكلة حتى كان زمن إبراهيم حيث سمى الناس بالمسلمين، فتقبل الناس تلك التسمية حتى زمن يوسف، فمات يوسف مسلماً، وما أن هلك يوسف حتى دبّ الخلاف بين الناس، فانقسموا إلى قسمين مختلفين، فتقبل جزء قليل منهم تلك التسمية ولكن الغالبية منهم عادوا إلى تسميتهم القديمة، فكانوا بنو إسرائيل من جديد (للتفصيل انظر مقالة لماذا قدّم نبي الله لوط بناته بدلاً من ضيوفه). لذا فقد كان كل من انحدر من نسل آدم وولده إسرائيل هو من بني إسرائيل نسباً حتى زمن يوسف، لذا فنحن نفتري الظن أن إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وكل رسل الله وأنبياءه حتى تلك الفترة كانوا من بني إسرائيل، ولكن الأمر اختلف بعد أن هلك يوسف:

- رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101) يوسف
- وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (34) غافر

ولكن الأنبياء والرسل من بعد ذلك انقسموا إلى من هم بنو إسرائيل (آل يعقوب) ومن هم من ليس من بني إسرائيل، فكان داوود من سلالة غير تلك السلالة، ولكن اليسع (مدار بحثنا هنا) كان من بني إسرائيل بدليل أنه من الذين فضلهم الله على العالمين.

ولكن يبقى أن نتعرض إلى سياق قرآني آخر جاء ذكر اليسع فيه صريحاً وهو قول الحق:

- **وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ (48) ص**

السؤال: ما معنى أن يكون هؤلاء الرسل (إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ) من الأخيار (وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ)؟

لا شك أن التخيير أو الخيرية تكون بين أكثر من طرف، فعندما تحصل عملية التخيير تستدعي المقارنة بين طرفين، فأنت لا تقول عن شخص أنه خير من شخص آخر إلا إذا كان هناك شخص آخر يقابله في الأصل، فهذا إبليس مثلاً يخيّر (أي يعطي الخيرية لـ) نفسه على آدم:

- **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (12) الأعراف**

فإبليس - لا شك- ليس من الأخيار، لأنه افترض أنه خير من آدم، ولا شك كذلك أن سبب ذلك كان التكبّر:

- **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) ص**

فالاستكبار هو سبب التكبر، وهو السبب الذي نظن أنه يجعل الشخص خارج دائرة الأخيار، وإن صح هذا الافتراض، فإننا نفتري الظن أن الشخص لا يكون من الأخيار إلا إذا ما ابتعد عن داء الاستكبار وذلك بتقديم غيره على نفسه. فمن لم يستكبر (أو من لم يكن في قلبه شيء من الكبر) لا شك هو من الأخيار.

ولو عدنا إلى قصة إسماعيل وذو الكفل وتجاوزنا اللفظ لربما قلنا أنهم "الجنود المجهولون" الذين فضّلوا غيرهم على أنفسهم، فذو الكفل آثر أن لا يذكر اسمه الحقيقي واكتفى بلقب يبقيه خارج دائرة الضوء، وهو من ذكرنا أنه آثر أن يبقى الضوء مسلّطاً حينئذ على موسى بدلاً منه (انظر مقالتنا لماذا قدّم نبي الله لوط بناته بدلاً من ضيوفه)، فكان هذا النبي الكريم من الأخيار:

- **وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ (48) ص**

وبالمنطق نفسه يمكن أن نفهم جانباً من شخصية نبي الله ورسوله إسماعيل، فما تردد إسماعيل لحظة أن يقدم نفسه فداءً (ولم يحتج لوالده أن يكون أخوه هو من يقدم نفسه بدلاً منه)، كما رضي أيضاً أن يستمر بيت النبوة في بيت أخيه إسحق وينقطع من بيته، فكان هذا النبي أيضاً من الأخيار:

- **وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ (48) ص**

وها هو اليسع يشاركهم هذه الخيرية، فهو يؤثر أن تنتقل النبوة من بيته إلى بيت رجل آخر، فنبي بني إسرائيل الذي قال لهم أن طالوت هو ملك عليهم لم يستحوذ على النبوة في بيته، فلم يكن له وريث من الذكور يرث تلك النبوة:

- **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) البقرة**

فلقد غاب ذكر هذا النبي بعد تلك الحادثة، وانتقل الأمر بكليته إلى بيت داوود ليرثه ولده سليمان من بعده.

نتيجة مفتراة: اليسع كان نبياً من أنبياء بني إسرائيل، بينما لم يكن داوود وسليمان من أنبياء بني إسرائيل. فلقد انتقلت النبوة آنذاك بغير طريقة الوراثة.

انظر دقة اللفظ في الآية الكريمة التالية:

- **فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) البقرة**

وكان هذا – في نظرنا- سبب آخر لأن يؤتى داوود على وجه الخصوص زبورا:

- **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163) النساء**
- **وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (55) الإسراء**

فلو كان داوود وريث نبوة بني إسرائيل لما كان بحاجة- نحن نفتري الظن- إلى زبور خاص به، منفصلاً عن زبر من جاء قبله من بني إسرائيل.

الذرية المصطفاة

لو تعرضنا للآية الكريمة التالية لوجدنا أن الله قد اصطفى: آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران:

- **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) آل عمران**

السؤال: فأين آل داوود؟ وأين آل يعقوب مثلاً؟ ولم ليس لزكريا آل؟ ولم لم يكن لإسحق (والد يعقوب آل) في الوقت الذي كان لوالده إبراهيم آل ولوده يعقوب آل؟ (انظر مقالتنا تحت عنوان من هي زوجة موسى؟) ولم لم يأتي ذكر لآل داوود تلك مع الصحبة السابقة؟

- **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) سبإ**

جواب: نحن نفتري الظن أن آل إسرائيل امتدت من آدم إلى نوح فإبراهيم حتى وصلت إلى زكريا، والدليل على ذلك هو وجود عبارة: على العالمين في نهاية الآية نفسها:

- **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33)**

أما عندما جاء الحديث عن آل داوود انتهت الآية بالحديث عن عباد الله الشاكرين:

- **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13)**

وسنتعرض لمعنى مفردة العالمين لاحقاً إن أذن الله لنا بشيء من علمه، لذا فالله أسأل أن يعلمني ما لا تعلمون إنه هو السميع العليم

نخلص من نقاشنا هذا إلى الزعم بأن تلك البقية التي أخذها داوود مما تبقى في التابوت لم يكن وراثة وإنما نصيبه مما ترك آل موسى وآل هارون: إنها ما تبقى من العصا: المنسأة

فأين – يا ترى- ذهبت تلك المنسأة؟

افتراء من عند أنفسنا: لقد كان حكم داوود ولولده سليمان من بعده متركزاً – نحن نفتري القول- في المنسأة، فما أن قضى الله بالموت على سليمان حتى كان اختفاء المنسأة أمراً لا مفر منه، فأين ذهبت المنسأة؟

الجواب: أكلتها دابة الأرض:

- **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14) سبإ**

السؤال: لم أكلت دابة الأرض المنسأة؟

الجواب: حتى لا يتحصل لأحد من بعد سليمان ملكاً كملكه.

نتيجة مفتراة خطيرة جداً: لو بقيت تلك المنسأة موجودة بين يدي الناس لتحصل لمن يقبض بتلك المنسأة من الملك ما تحصل لنبي الله سليمان نفسه.

ولو دققنا في اللفظ القرآني الذي يتحدث عن دعاء نبي الله سليمان لوجدناه يتحدث عن ملك من بعده وليس ملك من قبله:

- **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (35) ص**

فسليمان لا يتحدث عن ملك من سبقه لأن العصا كانت موجودة قبله ولكنه يطلب أن لا يكون هناك ملكاً لمن بعده، فكان ذهاب العصا (أو المنسأة في شكلها الحال) أمراً لا مفر منه. فجاءت تلك الدابة لتأكل تلك المنسأة وتنهي الحكم بتلك الطريقة على الأرض.

سؤال: ما هي دابة الأرض التي أكلت منسأة سليمان؟

رأينا: إن مراجعة سريعة لما قاله الأقدمون عن دابة الأرض تلك تظهر الطابع الشعبي الذي أسقط على فهم القصص الدينية، فهم يظنون – كما يشاهدون في حياتهم اليومية- كيف تنخر بعض قوارض الأرض من الديدان والحشرات والبكتيريا الخشب فتحيله (بالتحلل التدريجي) إلى تراب، ولكن مثل هذا الفهم يشير إلى أن الدابة قد أكلت المنسأة بالتدريج مع مرور الزمن (أي أن المنسأة قد أكلتها بالتدريج الزمني الطبيعي مما يتطلب فترة طويلة من الوقت)، ولكن هل فعلاً حصل ذلك على فترة زمنية طويلة؟ وإن كان هذا فعلاً ما حصل، فماذا حصل أيضاً لجثة سليمان نفسه؟ ألم تتحلل هي أيضاً بالطريقة التدريجية الطبيعية؟

سيرد علينا الكثيرون بالقول: لكن هذه جسد نبي، والله قد حرم أجساد الأنبياء على الأرض، أليس كذلك؟

فنرد بالقول: لكن سليمان لم يوارى الثرى بعد، فهو لازال جالساً على كرسيه.

تساؤلات

ولنوافقكم الرأي قليلاً لنطرح جملة من التساؤلات:

- إذا كانت الجن قد عرفت بموت سليمان بسبب أن دابة الأرض قد أكلت منسأته (وكان ذلك على فترة لا بأس بها من الزمن)، ألم يعلم الأنس والطير بموت سليمان كذلك؟
- أم هل بقي خبر موت سليمان خفياً على الجميع كل هذه الفترة الزمنية؟ ألم يعلم أهله بخبر موته إلا بعد أن انتهت دابة الأرض من أكل منسأته كلها (أي بعد فترة طويلة من الزمن)؟
- ماذا حصل لملك سليمان طيلة هذه الفترة الزمنية؟
- كيف كانت مملكة سليمان تدار خلال هذه الفترة الزمنية؟
- الخ

رأينا، كلا وألف كلا، إننا نظن أن التدقيق في الآية الكريمة نفسها جيداً ربما يبطل كل ما قاله الأقدمون، ولكن كيف؟

جواب: ورد في كتاب الله لفظة الدابة ومشتقاتها (كالدواب مثلاً). ونحن نفتري القول إن اللفظة التي وردت عند الحديث عن منسأة سليمان هي دابة واحدة (فاللفظ يدل على المفرد)، بينما تدل لفظة الدواب مثلاً على الجمع، فلو كان ما قاله الأقدمون صحيحاً، لكان الذي أكل منسأة سليمان هي الدواب وليس فقط دابة واحدة (إلاّ إنْ كانت مفردة دابة لا علاقة لها بمفردة الدواب، وهو ما سنحاول النبش فيه لاحقاً بحول الله وتوفيقه)، لكن يكفينا الآن أن نظن أن الدابة التي أكلت منسأة سليمان هي دابة واحدة:

- **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14) سبإ**

رأينا: لما كانت الدابة التي أكلت منسأة سليمان هي دابة واحدة، فنحن نزعم الظن أن عملية التحليل الطبيعي التي نعرف لا تقوم بها دابة واحدة (هذا إن كان ما يقوم بذلك من كائنات حية هي أصلاً من فصيلة الدواب)، فالمدقق باللفظ القرآني يجد أن الذي حصل للمنسأة هو عملية أكل حقيقي.

فعملية التحلل الطبيعي تلك هي – نحن نفتري القول- عملية جعل وليس عملية أكل:

- **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (21) الزمر**

الأمر الذي يستدعينا للنبش بمعنى "الأكل" في السياق القرآني.

الأكل

عندما حاولنا تفقد السياقات القرآنية التي تتحدث عن ما يمكن أن يقع تحت إطار "الأكل"، وجدنا أن هناك على الأقل ثلاث عمليات لتناول الطعام، وهي: الأكل والالتقام والالتقاف:

فالحوت قد التقم نبي الله ذا النون:

- **وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (139) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (140) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (141) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (145) وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (146) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (147) الصافات**

فلقد دخل يونس (ذا النون) إلى بطن الحوت بطريقة الالتقام (وليس بطريقة الأكل)، لذا لم يتأذى الهيكل البدني لنبي الله يونس بسبب ذلك الالتقام، فكان مسبحاً في بطن الحوت:

- **وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88) الانبياء**
- **فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144) الصافات**

أما عصا موسى فلقد كانت تلقف ما يأفكون من عصي السحرة وحبالهم:

- **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (117) الأعراف**
- **وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (69)**
- **فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (45) الشعراء**

نتيجة مفتراة: لم يكن من أكل منسأة سليمان حوتاً لأن الحوت يلتقم، ولم يكن ثعباناً لأن الثعبان تلقف ولا تأكل. لذا لابد أن يكون من أكل منسأة سليمان من النوع الذي يأكل (أي لا يلقف ولا يلتقم).

فمن هو يا ترى؟

عند استعراض الآيات الكريمة الخاصة بالأكل، وجدنا أن هناك كائنات كثيرة تأكل، فلنحاول أن نستعرضها جميعاً لننظر أتكون هي التي أكلت منسأة سليمان أم لا.

السبع يأكل:

- **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3) المائدة**

رأينا: لا أظن أن الدابة التي أكلت منسأة سليمان من السَّبُعُ (بضم الباء: انظر تشكيل الكلمة جيداً) على الرغم أنه من الكائنات التي تأكل وذلك لسببين على الأقل:

⇐ السَّبُعُ لا تتواجد بين الناس، فمن المستغرب أن يكون في المكان الذي كان يتواجد فيه سليمان حينئذ شيء من السَّبُعُ

⇐ السَّبُعُ هي كائنات آكلة للحوم (carnivore)، فكيف بها أن تأكل منسأة، مادام أن المنسأة (إن صح زعمنا) هي عصا

ونحن لا نظن أن الذي أكل منسأة سليمان هو الذئب كما كان الحال بالنسبة لظن يعقوب، وكما كذب أبناءه في قصة ذهاب أخيهم يوسف:

- قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (14) يوسف
- قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۖ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17) يوسف

رأينا: لا أظن ذلك لأن الذئب من السَّبُعُ

النار تأكل :

- الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (183) آل عمران

رأينا: لا أظن أن الذي أكل منسأة سليمان كانت النار، وذلك لأنّ النار ليس بدابة.

السنين تأكل:

- قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48) يوسف

رأينا: لا أظن أن عصا موسى قد تحللت بفعل الزمن (حتى وإن كانت السنين تأكل)، فهي ليست دابة.

الجسد قد يأكل وقد لا يأكل:

- وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (8) الانبياء

رأينا: لا شك أن الذي أكل المنسأة هو جسد يأكل (أي فيه حياة)، فإبراهيم يطلب من الأصنام (الأجساد التي لا حياة فيها) أن تأكل، فيجدها جسداً لا تأكل الطعام:

- فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91) الصافات

الملائكة لا تأكل:

- فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (27) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (28) الذاريات
- فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (70) هود

رأينا: لا شك عندنا أن الملائكة لم تأكل منسأة سليمان لأن الملائكة ببساطة لا تأكل.

الناس والأنعام يأكلون

هل أكل منسأة سليمان أحد من الناس أو الأنعام مادام أنهم يأكلون؟

- إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24) يونس

- أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (26) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (27) السجدة
- إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (12) محمد

رأينا: لا نظن أن الذي أكل منسأة سليمان أحد من الناس أو الأنعام لأن الذي أكل المنسأة هي دابة الأرض:

- وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28) فاطر

ولا أظن أن البقر هو من أكل منسأة سليمان، فالبقر يأكل كما رآها ملك مصر في منامه:

- وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43) يوسف
- يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (46) يوسف

رأينا: لا أظن أن الذي أكل منسأة سليمان هو البقر لأن البقر من الأنعام، بينما كان الذي أكل المنسأة هو دابة (أي من الدواب):

- خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (6) الزمر
- ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۖ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ ۖ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (143) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (144) الانعام

الطير تأكل:

هل كان الذي أكل منسأة سليمان من الطير؟

- وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ۚ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (41) يوسف

رأينا: لا أظن أن الذي أكل منسأة سليمان كان من الطير لأن الذي أكلها كانت دابة الأرض، والمقابلة بين الطير والدابة واضح في الآية الكريمة التالية:

- وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (38) الأنعام

نتيجة بديهية: إن الذي أكل المنسأة كان دابة الأرض التي هي بلا شك بصريح اللفظ في الآية السابقة أمم أمثالنا.

الدواب

الدواب تؤمن وتكفر:

- إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22) الأنفال
- إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (55) الأنفال
- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ (18) الحج
- وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (49) النحل

والدواب مخلوقات من ماء، مبثوثات في الأرض:

- إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164) البقرة
- خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (10) لقمان
- وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (29) الشورى
- وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (4) الجاثية

والله يرزق الدواب كما يرزقنا نحن البشر:

- وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ
- وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (60) العنكبوت

وللدواب نواصي (كما لنا نحن البشر نواصي):

- إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (56) هو

وللدواب مستقر ومستودع (كما لنا نحن البشر مستقر ومستودع):

- وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (6) هود

ووجود الدواب مرتبط بوجود البشر:

- وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (61) النحل
- وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (45) فاطر

وتختلف الدواب عن البشر في الشكل:

- وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (45) النور

نتيجة: الدواب خلق مكلّف مثلنا: منه المؤمن ومنه الكافر، له مستقر ومستودع ونواصي، ومرتبط وجوده بوجود الإنسان، فإن قام الإنسان بالظلم لربما وقع العذاب على الدواب بما كسبت أيدي الناس.

ولو جلبنا الآية الكريمة التالية لوجدنا أن نهاية الإنسان على هذه الأرض مرتبط بتلك الدابة:

- وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (82) النمل

فكيف ستكلم تلك الدابة الناس؟ ومن أعطاها القدرة على أن تكلم الناس؟ ولم ستكون تلك الدابة علامة من علامات إذا ما وقع القول عليهم؟

افتراء خطير جداً من عند أنفسنا: إنها المنسأة التي أكلتها تلك الدابة، إنها الدابة نفسها التي أكلت منسأة سليمان.

- فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14) سبإ

إن الدابة تلك هي آية من آيات الله، فما هي يا ترى؟

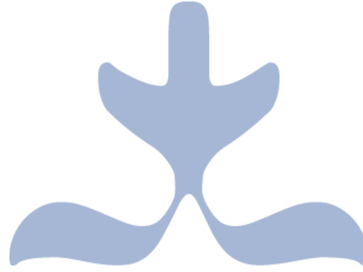
رأينا: إنها دابة من الأرض، وهي دابة تأكل، وهي آية من آيات الله، فأين سنجدها؟

رأينا: ربما هي ما نجده في الآية الكريمة التالية:

- وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) الأعراف

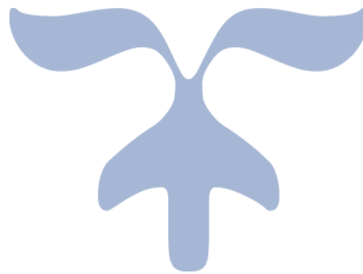
- وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (64) هود

إن أذن الله لنا بشيء من علمه، فإن للحديث بقية.



مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ

الباب الثالث الناقة



الباب الثالث: الناقة

خلصنا في الجزء السابق عند طرح الافتراض الظني الذي هو - بلا شك- من عند أنفسنا الذي فحواه أن الذي أكل منسأة سليمان كانت دابة واحدة، قامت بعملية أكل حقيقي، فانتهت تلك المنسأة التي كانت تمثل ملك سليمان وسطوته على كل جنده من الجن والإنس والطير، وكان ذلك تحقيقاً ربانياً لدعاء سليمان ربه بأن لا يهب لأحد من بعده ملكاً كملكه:

- **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (35)ص**

فكان ذهاب تلك المنسأة – في ظننا- أمراً لا مفر منه، كما كان ظننا أن دابة الأرض التي أكلت تلك العصا ربما هي نفسها الدابة التي ستخرج تكلم الناس (إذا ما وقع عليهم القول) أنهم كانوا بآيات الله لا يؤمنون:

- **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (82) النمل**

وتوقفنا في نهاية الجزء السابق عند طرح التساؤلات التالية:

- ما هي تلك الدابة؟
- من أين جاءت تلك الدابة؟
- وأين ذهبت تلك الدابة؟

لذا سنحاول في هذا الجزء الخوض في ماهية تلك الدابة، سائلين الله أن يأذن لنا الإحاطة بشيء من علمه، وأن يعلمنا الحق الذي يجب أن نقوله فلا نفتري عليه الكذب. وفي الوقت ذاته لابد من إعادة جوهر منهجيتنا الذي ترتكز عليه فكرتنا القديمة الجديدة المتمثلة بأن ما نقدمه في هذه السطور لا يعدو أكثر من خيالنا البشري الزائف بما نظن أنه موجود في كتاب الله، فهو غير ملزم لأحد أن يأخذ به ما لم يجد فيه من الوجاهة ما يستدعي الأخذ منه، لذا فإن كل الأفكار التي طرحت سابقاً، والتي ستطرح لاحقاً بحول الله وتوفيقه، ليست أكثر من تصوراتنا البشرية القابلة للأخذ والرد، فنأخذ منها ما يصدّقه كتاب الله، وندع (لا بل) ولنلقي بالباقي الذي لا نجد أن الدليل عليه قطعي من كتاب الله في سلة المهملات.

أما بعد

افتراء من عند أنفسنا: سننطلق بداية من الافتراض النظري التالي: لقد كانت دابة الأرض التي أكلت منسأة سليمان هي نفسها الناقة التي أرسلها الله إلى ثمود (قوم صالح)

الدليل

نحن نفتري الظن أن واحدة من الإشارات القرآنية التي تدعم زعمنا هذا ربما يمكن استنباطها من الآية الكريمة التالية:

- **وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (59) الإسراء**

إن أبسط ما يمكن أن نسلط عليه الضوء في هذا السياق القرآني هو الخبر الرباني بأن الناقة التي أرسلها الله إلى ثمود كانت ناقة مبصرة (وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً)، فما الذي يجب أن نفهمه من هذه الحقيقة القرآنية؟ أو ما معنى أن تكون الناقة مبصرة؟ وهل يسعفنا مثل هذا الظن في فهم ماهية تلك الناقة؟

افتراء مهم جداً وخطير جداً: مادام أن تلك الناقة كانت مبصرة فيستحيل إذاً أن تكون من الأنعام.

ولكن لماذا؟

جواب: جاء في كتاب الله بخصوص الأنعام الحقيقة القرآنية التي تشير إليها الآيات الكريمة التالية:

- **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179) الأعراف**
- **أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (44) الفرقان**

نتيجة: الأنعام كائنات لا تفقه ولا تبصر ولا تسمع (وإن كان لها قلوب وأعين وآذان)

فالأنعام (وهي الإبل والبقر والماعز والضأن فقط) كائنات مذلّلة لا تستطيع أن تميّز بقلبها ولا بأعينها ولا بآذانها، فحتى وإن كانت ترى، فهي ترى كل ما هو موجود أمامها ويكأنه شيئاً واحدا، فهناك فرق بين أن ترى من جهة وأن تبصر من جهة أخرى، فالرؤية لا تعني بالضرورة الإبصار، فكم من الناس راءوا (ويرون) آيات الله بأم أعينهم ولكنهم لا يستطيعون أن يبصروها (أي أن يميزوها عن غيرها). لذا نحن نفتري الظن أن البقر مثلاً لا يستطيع أن يميز بين شخص يقدّم له الطعام وآخر يحمل له السكين ليذبحه بها. ولا يستطيع الإبل أن يميز بين زيد أو عمر، وكذلك الحال بالنسبة للماعز وللضأن. لذا مهما بلغت قدرة الناس على ترويض تلك الكائنات بالتعليم، فلا يستطيعون فعل ذلك مع الإبل والبقر والماعز والضأن على وجه التحديد، ولكنهم ربما يستطيعون (وقد نجحوا فعلاً) أن يفعلوا ذلك مع القطط والكلاب وحتى الأسود والفيلة وذلك لأن هذه الكائنات ليست من فصيلة الأنعام وإنما من فصيلة الدواب التي هي أصلاً أمم أمثالنا لأنها تعقل وتسمع وتبصر

- **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (38) الأنعام**

نتيجة مفتراة: لما كانت الناقة التي أرسلها الله إلى ثمود ناقة مبصرة فإن الاعتقاد عندنا أميل إلى الظن بأنها من فصيلة الدواب وليست من فصيلة الأنعام.

إن طرحنا هذا يثير سيلاً من التساؤلات التي لابد من التعرض لها أولاً قبل المضي قدماً في النقاش الرئيس حول الدابة التي أكلت منسأة سليمان:

- ما هي تلك الناقة التي أرسلها الله إلى ثمود؟
- من أين جاءت تلك الناقة؟

- لماذا أرسل الله تلك الناقة إلى ثمود؟
- ماذا حل بتلك الناقة؟
- الخ

ما هي تلك الناقة المبصرة التي أرسلها الله إلى ثمود؟

جواب: إنها "ناقة الله"، أليس كذلك؟

- **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًاۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) الأعراف**
- **وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (64) هود**
- **فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (13) الشمس**

وهنا نتوقف لنطرح سؤالا جريئا جداً وهو: لم هي "نَاقَةُ اللَّهِ"؟ كيف بالله أن "يكون له" ناقة؟ من أين جاءت تلك الناقة حتى أصبحت نَاقَةَ اللَّهِ؟ لم لم يتخذ الله مما يخلق ما يشاء؟

ألم ينكر الله عليهم أن ينسبوا له الولد؟

- **أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (151) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (152) الصافات**
- **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (111) الإسراء**
- **تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) مريم**
- **الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (2) الفرقان**
- **لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُۚ سُبْحَانَهُۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (4) الزمر**

السؤال الاستفزازي: كيف بالله الذي ينكر عليهم أن ينسبوا له الولد يقبل أن ينسب لنفسه ناقة لتصبح " نَاقَةَ اللَّهِ"؟ فهل نسب الله لنفسه شيئاً غير تلك الناقة؟

رأينا: لا نظن أن الله قد نسب لنفسه إلا صفات لخلقه (أي صفة يتصف بها عباده كـ عبد الله ورسول الله، وهكذا). ولكن هل هناك شيء محدد بذاته (وليس صفة) نسبه الله لنفسه؟

جواب: إنها الناقة، والناقة فقط.

سؤال: فلم إذاً ينسب الله لنفسه تلك الناقة على نحو (نَاقَةُ اللَّهِ)؟

رأينا: لابد أن لهذه الناقة شأن عظيم يتطلب البحث والتنقيب، لذا نسأل الله أن ينفذ قوله بمشيئته وإرادته لنا الإحاطة بشيء من علمه لا ينبغي لأحد غيرنا إنه هو السميع العليم.

أما بعد،

من أين جاءت تلك الناقة حتى أصبحت ناقة الله على وجه التحديد؟

رأينا: نحن نحمل العقيدة التي مفادها أن كل ما في الكون هو خلق من خلق الله، لذا يستطيع الله أن يتخذ مما يخلق ما يشاء، فلو أراد الله أن يتخذ لنفسه ولداً لاتخذ مما يخلق ما يشاء، ولو أراد أن يتخذ ناقة لاتخذ مما يشاء، ولو أراد أن يتخذ عجلاً لاتخذ مما يشاء، وهكذا. وبناءً على ذلك يمكن أن نقدم الافتراء التالي:

يستحيل أن يتخذ الله لنفسه من تلقاء نفسه شيئاً مم خلق هو بنفسه، فالله لا يتخذ شيئاً لنفسه.

- **لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (4) الزمر**

فمن أين إذاً جاءت تلك الناقة حتى أصبحت ناقة الله؟

افتراء خطير خطير خطير: لابد أن تلك الناقة قد قدّمت لله من غيره، فتقبلها الله، لأن الله الذي لا يتخذ يتقبل.

منطقنا: نحن نفتري الظن أن الله الذي خلق كل شيء لم يتخذ مما خلق شيئاً بحد ذاته ليكون خاصاً به، ولكننا نظن أن هناك من قام بتقديم شيء لله فتقبله الله منه، فأصبح ذلك الشيء خاصاً بالله، فالله الذي لم يتخذ ولداً تقبل مريم من أمها التي نذرتها له:

- **إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37) آل عمران**

فلقد علا شأن مريم لأن الله تقبلها، فأنبتها نباتاً حسناً، وكفّلها زكريا، ونفخ فيها من روحه، فكانت صدّيقة، وكانت هي فقط المؤهلة لحمل المسيح عيسى بن مريم كآية من الله للناس جميعاً.

نتيجة مفتراة: نحن نفتري الظن أن الله لم يتخذ الناقة وإنما تقبل الناقة.

فما الفرق؟

لمّا كانت الناقة خلق من خلق الله فهو إذاً لن يتخذها من تلقاء نفسه من دون خلقه، ولكن لما كانت الناقة قد قدّمت لله "كهدية" (إن صح القول) من قبل شخص متق لله (كما فعلت امرأت عمران مثلاً)، فقد تقبلها ربها ممن قدّمها له. وعندما يُقدَّم شيء كـ "هدية لله" فإنها بالمنطق الديني وباللفظ القرآني تصبح – حسب ظننا- "قرباناً"، وبهذا ربما لنصل إلى ذروة افتراءاتنا بالقول: لقد كانت الناقة عبارة عن قربان قدّم لله، فتقبله الله ممن قدّمه، فأصبحت منذ تلك اللحظة "ناقة الله".

فمن الذي قدم الناقة قرباناً لله؟

للإجابة على هذا السؤال لابد من التأكيد بأن الناقة التي أرسلها الله إلى ثمود كانت موجودة قبل أن يتم إرسالها، والدليل على ذلك – حسب ظننا- موجود في الآية الكريمة التالية:

- **إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (27) القمر**

فنحن نظن أنه حتى يتم إرسال شيء ما إلى مكان ما، فلابد أن يكون ذلك الشيء موجوداً قبل أن تتم عملية الإرسال؛ فعندما يرسل الله أحد رسله إلى أقوامهم يكون ذلك الرسول موجودا قبل لحظة إرساله، وعندما ترسل هدية إلى شخص، فلا تتم عملية الإرسال إلا بعد أن تتوافر تلك الهدية، وهكذا، لذا نحن نظن أنه لما كانت تلك الناقة قد أرسلت إلى ثمود إرسالاً (إِنَّا مُرْسِلُو)، فلابد أنها موجودة قبل عملية الإرسال، فأين يا ترى كانت موجودة.

ثانياً، عندما نخبر بالدليل القاطع من كتاب الله أن تلك الناقة كانت مبصرة فهذا يعني أن إبصارها لم يحدث على انقطاع (إي في فترة زمنية محددة وكفى)، بل كان إبصارها على الدوام بدليل أن اللفظ جاء (كما يرغب أهل اللغة أن يصفوه) على صيغة اسم الفاعل "مُبْصِرَةً:"

- **وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (59) الإسراء**

فلو جاء اللفظ على صيغة الفعل "أبصرت أو تبصر ونحوهما"، لربما فهمنا أن ذلك الإبصار كان محدداً بزمن معين، ولكن لما جاء اللفظ على نحو أنها مُبْصِرَةً، فهذا يعني أن إبصارها كان على الدوام.

ثالثاً، لما جاء لفظ الناقة بصيغة المعرّف بال التعريف (أو ما يرغب أهل اللغة بتسميته بال العهدية)، ربما يحق لنا أن نستنبط أن الناقة هي ناقة معروفة للمخاطِب والمخاطَب:

- **فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77) الأعراف**
- **وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (59)الإسراء**
- **إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (27) القمر**

ولم ترد إطلاقاً في كتاب الله على صيغة التنكير أي على نحو "ناقة"، لأنها لو وردت على ذلك النحو، لربما صح لنا أن نزعم أن الله قد بعث ناقة من بين عدد كبير منها، ولكن اللفظ القرآني يشير إلى أنها ناقة محددة معهودة للمخاطِب وللمخاطَب.

نتائج مفترة

يمكننا أن نخرج من طرحنا السابق بالنتائج التالية حول ماهية الناقة:
لم تكن تلك الناقة من الأنعام لأنها كانت مبصرة
تلك الناقة كانت موجودة من ذي قبل حتى تم إرسالها

تلك الناقة لم يتخذها الله مما خلق لأن الله يقدر أن يتخذ ما يشاء من خلقه
تلك الناقة تقبلها الله تقبلاً ممن قدمها له فصارت ناقة الله
تلك الناقة لا مثيل لها لأنها ناقة محددة بذاتها بدليل أنها "الناقة"

من أين جاءت تلك الناقة؟

افتراء من عند أنفسنا: نحن نفتري الظن أن هذا السؤال "الضال المضل بحد ذاته" يعيدنا على الفور إلى قصة بداية الخلق، لنستذكرها من أولها إلى آخرها باحثين عن من قدّم قرباناً لله فتقبله الله منه، ولابد لنا أن نبحث في الزمن الذي سبق ثمود (قوم صالح)، فالناقة التي أرسلت إلى ثمود لابد – حسب زعمنا – أن تكون موجودة قبل أن يتم إرسالها إلى أولئك القوم، وهذا يدعونا إلى النبش في الزمن البعيد عن تلك الناقة التي قدّمت لله من بعض خلقه فتقبلها الله منهم.

جواب: ربما لن نجد عناءً كبيراً في أن نتذكر قصة ابني آدم (إسرائيل وادريس) اللذان لجاءا إلى فض الخلاف بينهما بتقديم القربان (للتفصيل انظر مقالتنا تحت عنوان لماذا قدّم نبي الله لوط بناته بدلاً من ضيوفه؟"):

- **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) المائدة**

لعل الفكر الإسلامي عندما تصدى لشرح هذه الآية الكريمة لم يتعرض بالتفصيل إلى السؤال الذي لابد من إثارته حول هذه الآية الكريمة وهو: ماذا كانت ماهية ذلك القربان الذي قدّمه ابني آدم بالحق؟

رأينا: نحن نظن أن ذلك القربان كان عبارة عن ناقة

الدليل

لابد من الإشارة أولاً إلى أن القربان يجب أن يكون شيئاً مادّياً ملموساً، فيمكن أن يكون آلهة:

- **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (27) فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (28) الأحقاف**

ولأن ذلك القربان يكون شيئاً مادياً ملموساً، فيمكن أن تأكله النار:

- **الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (183) آل عمران**

ولو تدبرنا هذه الآية الكريمة الأخيرة جيداً لوجدنا أنها تؤكد أن القوم يطلبون رسولاً يقدم لهم قرباناً تأكله النار (إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ)، وهنا يأتي الرد الإلهي بأن ذلك قد حصل فعلاً (قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ ،(فالآية الكريمة تؤكد بأن تقديم القربان للنار التي تأكله قد جاء فعلاً، فمتى - يا ترى- حصل ذلك؟ أي متى حصلت القصة التي جاءهم فيها رسولاً من ربهم وكان آية نبوته قرباناً تأكله النار؟

إن هذا السؤال يعيدنا مرة أخرى إلى قصة ابني آدم، اللذين قربا قرباناً واحدا، فتقبل الله من أحدهم ولم يتقبل من الآخر:

- وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) المائدة

وهنا يجب التأكيد على أنهما قربا قرباناً واحداً، فتكون الصورة –في مخيلتنا- على نحو أحد السيناريوهين التاليين:

⇐ يقدم أحد ابني آدم القربان فيتقبل الله منه ويقوم الآخر بتقديم نفس القربان في وقت آخر فلا يتقبل الله منه

⇐ يقدم أحد ابني آدم قربانا فيتقبل الله منه ويقوم الآخر بتقديم قرباناً من نفس الصنف في نفس الوقت فلا يتقبل الله منه

ولعل هذا التصور يثير على الفور التساؤل التالي: كيف كانت ماهية التقبل؟ أي ماذا حصل عندما تقبل الله من أحدهم؟ وما الذي حصل عندما لم يتقبل الله من الآخر؟ أو ماذا حصل للقربان في الحالتين؟ وبكلمات أكثر دقة ربما نسأل: كيف كانت آلية التقبل الإلهي للقربان؟

رأينا: لابد للقربان من أن تأكله النار:

- الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (183) آل عمران

نعم، ذلك هو في ظننا ما حصل للقربان الذي تقبله الله، فنحن نفتري الظن أنه حتى يتم قبول القربان فلابد من أن يأخذه من كان القربان قد قدّم له، ولمّا كان القربان قد قدّم لله، فلابد أن الله –نحن نزعم الظن- قد أخذ ذلك القربان فكانت تلك العلامة الدالة التي لا جدال فيها أن الله قد تقبل ذلك القربان، ولنحاول تبسيط الفكرة بالمثال التالي (ولله المثل الأعلى):

لو قمت بتقديم هدية لشخص، فكيف تعرف أن ذلك الشخص قد تقبل هديتك؟

جواب: لابد أن يأخذها وتصبح ملكاً له

افتراء من عند أنفسنا: نحن نفتري الظن أن الله عندما تقبل القربان من ولد آدم الذي قُتِل فيما بعد أخذ ذلك القربان لنفسه، وكانت ماهية ذلك الأخذ بالنار، ونحن نتصور المشهد في مخيلتنا الزائفة على النحو التالي:

يقوم ولدا آدم بتقديم قربان (من نفس الصنف) في نفس الوقت في مكان ما، ويكون ذلك القربان مقدّما لله، ويكون ذلك من أجل فض خلاف نشب بينهما، ولا يختلفان في أن صاحب الحق هو من يتقبل الله قربانه، وما هي إلا لحظات حتى تأتي النار المقدسة فتلتهم قربان أحدهما وتترك قربان الآخر على حاله، فلا يختلف الأخوان في من تقبل الله منه، بل يتوعد الذي لم يتقبل الله منه أخاه بالقتل، فتطوع له نفسه قتل أخيه فيقتله:

- وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30) المائدة

ومنذ تلك اللحظة أصبح ذلك القربان الذي قدّم لله خالصاً له (أي ملكاً خاصاً لله) لا يستطيع الآخرون النيل منه.

قصة النار

لعل القارئ الكريم يحاول أن يتقبل مثل هذه الفكرة فتصعب عليه لغرابتها، فتثور لديه تساؤلات كثيرة نذكر منها مثلاً: لماذا النار؟ وأين الدليل أن النار هي من أخذت ذلك القربان؟ وكيف نفترض أنها النار المقدسة؟

جواب: لا شك لدينا أن للنار قدسية خاصة، فإبليس يتكبر على آدم لأن مادة خلقه من نار:

- **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (12) الأعراف**
- **قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (76) ص**

ولا شك أن أمما كثيرة قدّست النار لدرجة الإشراك والعبودية لها. فمن أين - يا ترى- جاءت مثل هذه القدسية للنار؟ وهل يوجد في ديننا مكانة خاصة للنار؟

رأينا: نحن نظن أن السياق القرآني التالي ربما يسعفنا في فهم مصدر القدسية التي أفضاها الكثيرون على النار:

- **إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (7) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (8) النمل**

فها هو موسى يأنس من جانب الطور ناراً، فيذهب إليها تاركاً أهله وحدهم، متعللاً بواحد من سببين:

⇐ أن يأتيهم منها بخبر (أو أن يجد على النار هدى)

⇐ أن يأتيهم بشهاب قبس لعلهم يصطلون

وما أن يصل إلى النار حتى يجد أن الله هو من يكلمه تكليماً:

- **فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (31) القصص**

فيطلب من موسى أن يلقي ما في يمينه، فأين يا ترى ألقى موسى ما في يمينه (أي العصا)؟

رأينا: لعل جل الفكر الإسلامي السائد يظن أن موسى قد ألقى ما في يمينه (العصا) على الأرض، ونحن نستميح السادة العلماء العذر لنخالفهم الرأي ظانين أن موسى قد ألقى عصاه (ما في يمينه) في النار وليس على الأرض، فنحن نتصور المشهد على النحو التالي:

يطلب الله من موسى تعليلا عن ما في يمينه:

- **وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ**

وبعد أن يقدم موسى ذلك التعليل:

- **قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ**

يطلب الله منه أن يلقيها:

- **قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ**

فما يكون من موسى إلا أن يلقي بتلك العصا – حسب زعمنا- في النار، فتدب الحياة في تلك العصا

- **فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ**

ونحن نظن أن الدليل على إلقاء العصا في النار ربما يمكن استنباطه من السياق القرآني التالي:

- **وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (10) النمل**
- **وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (31) القصص**

فلماذا يا ترى – نحن نسأل- ولى موسى مدبراً ولم يعقب وهو في حضرة الذات الإلهية؟ فما الذي أخاف موسى؟ وهل يمكن أن يخاف موسى (المعروف بجرأته وشدّته) من أفعى أو ثعبان؟ ثم الأهم من ذلك هنا هو لم تحولت العصا كَأَنَّهَا جَانٌّ؟ لم لم تكن كأنها أسد (دابة) أو كأنها طير؟ فما المسوغ أن تكون "جان" على وجه التحديد؟

رأينا: لقد تشكلت عصا موسى على شكل جان لأنها خرجت من النار التي ألقيت فيها، فعندما ألقى موسى عصاه بأمر من ربه في تلك النار، أخذت تهتز وكأنها جان، فكانت على شكل الجان الناري الأمر الذي – برأينا- أخاف موسى فعلاً حينئذ حتى اضطر أن يولي مدبراً ولم يعقب وإن كان في صحبة الوجود الإلهي، ويمكن تصور هذا الفهم لو نحن جلبنا السياق القرآني التالي الذي يؤكد أن الجان مخلوقات نارية:

- **وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (27) الحجر**

فالجان- ذلك الكائن المخلوق من نار- عندما يهتز، فإن اهتزازه يكون له طابع وشكل يختلف عن اهتزاز غيره، ويمكن لك أن تتصور شكل تلك العصا وهي تخرج من النار ملتهبة وتهتز اهتزاز الجان.

ثانيا، دعنا نستذكر أن الله طلب من موسى أن يأخذ تلك العصا وهي تهتز وكأنها جان، فمن أين أُمِر موسى أن يأخذ تلك العصا؟ وما الذي حدث عندما أخذ تلك العصا؟

رأينا: لقد أقدم موسى على أخذ تلك العصا من تلك النار (أو على الأقل وهي ملتهبة)، وربما من أجل ذلك أصبحت يد موسى – نحن نفتري الظن- بيضاء للناظرين، فلقد اكتسبت يد موسى النورانية من تلك النار مصاحبة للوجود الإلهي، لماذا؟

- **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35) النور**

ولا ننسى كذلك أن فكرة الإلقاء في النار هي فكرة متكررة في السياق القرآني:

- إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40) فصلت
- تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8) الملك

نتيجة مفتراة: نحن نفتري الظن أن النار كانت على الدوام مصاحبة للوجود الإلهي، والنار المصاحبة للذات الإلهية ليست هي النار التي توقد بالنار، ولكنها النور الذي لا يحتاج إلى نار لتوقده، فلقد اتقدت عصا موسى فأصبحت تهتز كأنها جان بسبب تلك النار، واتقدت يد موسى فأصبحت بيضاء للناظرين بسبب تلك النار، وأصبح ذلك القربان الذي قدمه ابن آدم (وتقبله ربه منه) متقداً وكأنه نور (ولو لم يمسسه نار).

لنصل إلى الافتراء التالي: لقد صار القربان الذي قدّمه ابن آدم وتقبله ربه منه مبصراً – في رأينا- بسبب اكتسابه تلك الخاصية من النار المقدسة التي التهمته، لذا عندما أرسل الله ذلك القربان إلى الناس مرة أخرى، جاء ذلك القربان (الذي نظن أنه ناقة) على شكل ناقة مبصرة بسبب ما اكتسبت من خاصية النور من تلك النار المصاحبة للتواجد الإلهي.

- وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (59) الإسراء

رسول الله وناقة الله

عند استعراضنا للآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن الناقة استوقفنا اللفظ بأن رسول ثمود جاء على صيغة "رسول الله"، ولما كانت عقيدتنا الراسخة تتمثل بأن لا شيء جاء في كتاب الله مصادفة، انطلق صاحبي في صناعة الادّكار علي يبحث عن عبارة "رسول الله" على وجه التحديد في كتاب الله كله، فأجائني بالخبر التالي: لم يرد اللفظ "رسول الله" إلا عن صالح "رسول الله إلى ثمود":

- فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (13) الشمس

وعن موسى:

- وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5) الصف

وعن عيسى بن مريم:

- وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (6)الصف
- وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) النساء

- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) النساء

وعن محمد:

- قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (158) الأعراف
- وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ۚ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (61) التوبة
- فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (81) التوبة
- مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (120) التوبة
- لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21) الأحزاب
- مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (40) الأحزاب
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا (53)الأحزاب
- مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29) الفتح
- إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (3) الحجرات
- وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7) الحجرات
- إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1) المنافقون

- **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (5) المنافقون**
- **هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (7) المنافقون**

وعندها حاولنا طرح التساؤل التالي: لم جاء اللفظ خاصاً بهؤلاء الرسل (صالح، موسى، عيسى ومحمد) فقط على نحو "رسول الله"؟ ولم لم يأتي هذا اللفظ مع إبراهيم أو مع نوح أو مع لوط وغيرهم؟

وبعد جدال طويل خرجنا بافتراءين خطيرين: أولهما، أن هؤلاء الرسل لم تكن لهم ذرية من الذكور ترثهم كما حصل في حالة إبراهيم أو داوود أو زكريا مثلاً. وثانيهما أن ما تركه هؤلاء من ورثة النبوة بقيت علامة بارزة لا تنقضي على مر الزمان، فلقد جاء موسى بالتوراة وهي لازالت متوافرة كآية بينة للناس كافة وكذلك كان الإنجيل الذي آتاه الله لعيسى بن مريم، وأنزل الله القرآن مهيمناً عليهم جميعاً؟

السؤال: إن صحّ منطقنا هذا، فما الذي يكون قد تركه صالح وراءه من إرث النبوة فلم ينقضي مع مرور الزمن حتى استحق أن يكون رسول الله مصاحباً لموسى وعيسى ومحمد؟

رأينا: إنها الناقة. نعم، ذلك هو ظننا، إن "ناقة الله" التي كانت علامة فارقة ومميزة لرسالة صالح لازالت موجودة بيننا لا يمكن أن تزول على مر الزمان، فهي "ناقة الله"، فأين هي تلك الناقة؟

أين الناقة؟

ما الذي حصل للناقة؟ ولماذا بعث الله الناقة إلى ثمود؟

للإجابة على مثل هذا السؤال لابد من التعريج أولاً على قصة ثمود، فلربما نفهم بعض التفاصيل التي ستسعفنا إن صحت في فهم السياق العام للأحداث، وبالتالي ربطها مع بعضها البعض، لنخرج بتصور جديد قد يكون منافساً لما ألفه الناس من أفهام عن أسلافهم.

قصة ثمود

لا شك لدينا أن القرآن الكريم يصور تلك القصة بالتفصيل المطلوب، وكل ما نحن مطالبين به هو محاولة الخوض في تفاصيل تلك القصة، لنقدم للقارئ تصورنا الخيالي لتلك الحادثة العظيمة التي كانت حدثاً مفصلياً في تاريخ البشرية.

أولاً، يصور القرآن الكريم أن رسالة صالح إلى القوم كانت على الفور سبباً في انقسام القوم إلى فريقين متخاصمين:

- **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (45) النمل**

وعلى الرغم من الحجة الواضحة والجهد الصادق الذي يقدمه هذا النبي الكريم لقومه إلا أن القوم ينكرون عليه عمله هذا:

- **قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (46) قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (47) النمل**

وهنا تبدأ المحاولة الأولى لإثارة الفتنة في القوم ويكون ذلك عن طريق المفسدين في المدينة (أي البلطجية بلغة المصريين أو الشبيحة بلغة السوريين أو الزعران بلغة الأردنيين والفلسطينيين):

- وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (48) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (49) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50) النمل

وهنا نتوقف لنحاول أن نفهم هذه الجزئية لما سيترتب عليها من فائدة في فهم القصة الكلية للحدث، فنحن نتصور الموقف على النحو التالي: ما أن ينقسم القوم إلى فريقين متخاصمين (وليس إلى فريقين أحدهما مؤمن والآخر كافر) كان أحد الفريقين يدعم فكرة التخلص من صالح ومن معه:

- قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (47) النمل

بينما كان الفريق الآخر (ربما مدفوعا بالحمية والعصبية أو لأي سبب آخر) لا يؤيد هذا الرأي، ويصر على أن صالح من المرجوين بينهم، ولكنهم في شك من دعوته:

- وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (61) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (62) هود

وهنا ينتهز التسعة رهط (البلطجية الشبيحة الزعران) المفسدون في الأرض آنذاك تلك الحادثة لإثارة الفتنة في البلد بأكملها، فيدبروا الأمر على النحو التالي:

- وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (48) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (49) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50) القصص

فالتبييت – في رأينا- هو تدبير الأمر ليلاً:

- وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) الفرقان

ويكون ذلك بالمكيدة على غير الظاهر في أحد البيوت سراً كما في الآية الكريمة التالية:

- وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ۖ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (81) النساء

وتكون السرية التامة هي أهم ميزات ذلك الحدث:

- يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (108) النساء

فيكون ذلك هو المكر الذي قاموا به:

- قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (49) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50) النمل

ولكن الله لم يكن ليترك رسوله فريسة سهلة لهؤلاء المفسدين في الأرض، فكان مكر الله حاصل وهم لا يشعرون.

سؤال: كيف حاولوا أولئك الرهط تنفيذ مكرهم بصالح وأهله؟

لو تدبرنا السياق القرآني جيداً لربما خلصنا إلى نتيجة مفادها أن هؤلاء التسعة رهط هم من دبروا المكر بصالح وأهله ولكنهم ربما لم يكونوا هم المنفذون له، وهذا واضح من السياق القرآني نفسه:

- **قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (49) النمل**

فهم يريدون إيقاع المكر بصالح وأهله ولكن دون أن يكونوا هم شاهدين على الحدث بأم أعينهم حتى تكون الحجة لهم بالبراءة من تهمة الإيقاع بصالح وأهله، وحتى يبرروا موقفهم أمام ولي صالح متى ما حاول الأخذ بالثأر ممن مكر به (ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ)، ويكون ذلك من باب الصدق فعلاً (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ). فهم إذاً لا ينوون تنفيذ مكرهم بأيديهم (أو على الأقل بأهل صالح). لأن ولي صالح ما كان سيسمح بأن يستباح دم صالح وأهله رخيصاً على أيدي القوم. وهذا يدلنا على أن صالح لم يكن له والد يدافع عنه، ولكن كان هناك ولي له يحميه ممن يعتدي عليه، فالولي هو من يتولى الحماية، وليس أدل على ذلك من الله نفسه الذي هو ولي الصالحين:

- **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (257) البقرة**

- **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۖ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(282) البقرة**

ولكن الولاية لا تكون فقط للمؤمنين، فقد تكون لغير المؤمن وقد تكون للشيطان نفسه:

- **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (257) البقرة**

- **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (175) آل عمران**

فكان ظن القوم أن ولي صالح ربما يقتص ممن قتله إن هو اكتشف أمرهم:

- **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا (33) الإسراء**

لذا نحن نتصور أن هؤلاء النفر ربما قاموا باستئجار من ينفذ مكرهم بصالح وأهله (أو على الأقل بأهل صالح) نيابة عنهم، أو ربما أنهم قد خططوا الأمر على نحو أن يقع المكر بصالح وأهله دون حضورهم حتى لا يشهدوا الحدث بأم أعينهم، ليكون ذلك حجتهم قوية لتبرئتهم من الجريمة أمام ولي صالح:

- **قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (49) النمل**

فكيف تم تنفيذ الأمر؟

نحن نفتري الظن أنه بإمكاننا أن نستنبط الصورة من السياق القرآني التالي:

- **فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (29) القمر**

فلقد قاموا بالمناداة على صاحبهم، فمن هو صاحبهم ذاك الذي نادوه؟

رأينا: إنه صالح لأن صاحب القوم في السياق القرآني هو رسولهم الذي أرسل إليهم:

- **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (184) الأعراف**
- **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (46) سبأ**
- **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (2) النجم**
- **وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (22) التكوير**

ربما نستطع أن نستنبط من السياقات القرآنية هذه أن صاحب القوم هو رسولهم الذي أرسل إليهم، لذا، نحن نتخيل أن أولئك الرهط قاموا بمناداة صالح إلى مكان معين حتى يتم تنفيذ المكر به، وتم ترتيب الأمر على أن يتم المكر بأهله في مكان آخر، حيث لا يكون هؤلاء الرهط حاضرين هناك بأنفسهم، ليكون كما ذكرنا آنفاً دليلاً على تبرئتهم من المكر بأهل صالح الذين سيتولى ولي صالح الدفاع عنهم (وربما الأخذ بثأرهم ممن اعتدى عليهم). فلقد دبر الرهط المكر على نحو أن يكونوا متواجدين في مكان فيه من الشهود ما يثبتون أنهم صادقون بأن أيديهم لم تقترف جريمة المكر بأهله، فلا شك أنه ما أن تقع جريمة في بلد ما حتى تكون الشكوك تحول في بداية الأمر حول المفسدين في الأرض (البلطجية الشبيحة الزعران).

نتيجة: لو دققنا في السياق القرآني لوجدنا أن المناداة على صالح قد تمت من قبل مجموعة بدليل ضمير الجمع مع فعل المناداة.

- **فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (29) القمر**

ولكن لو تقدمنا في السياق القرآني نفسه لوجدنا أن صالح هو من قام بفعل التعاطي وهو من عقر (انظر لحركة الضمائر في الآية الكريمة):

- **فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (29) القمر**

فكيف تعاطى صالح؟ وكيف عقر؟

لا شك أن صالحاً بتأييد من ربه استطاع أن ينفذ من تلك المكيدة، فالتسعة رهط الذين مكروا بصالح لم يكونوا حاضرين في المشهد، لذا لابد أن صالحاً أخذ وتعاطى مع من كان ينوي القيام بالفعل، فما معنى أن يتعاطى؟

نحن نظن أن فعل التعاطي يدل على المشاركة والتفاعل، لذا لابد أن صالحاً قد قام بفعل فيه مشاركة وتفاعل مع من أراد تنفيذ المكر فيه. ولربما يمكن تخيل المشهد على النحو التالي:

يستأجر الرهط من يقوم بتنفيذ الفعل نيابة عنهم، ولا يكونوا حاضرين وقت تنفيذ الفعل ليشهدوا ذلك بأم أعينهم، فما يكون من صالح إلا أن يتعاطى (أي "يعقد صفقة") مع من جاء لينفذ المكر به، وذلك بإعطائه ما يمكن أن يرده عن قتله، فلا شك أن الرهط قد استأجروا "القاتل" بالمال أو بأي وسيلة مغرية له، وربما يكون صالح قد قدم له ما يثنيه عن النيل منه ، فيكون بذلك قد "تعاطى" ما يمكن أن يغري الماكر بالعدول عن الظفر منه، وربما حصل ذلك شريطة أن لا يبقى صالح متواجداً في المكان حتى يثبت القاتل لمن استأجره بأنه قد قام بتنفيذ مهمته بكل دقة وإتقان، وهنا يقوم صالح بفعل "العقر":

- **فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (29) القمر**

فكيف عقر صالح؟

لقد تعرضنا إلى قضية العقر ومشتقاتها (العقور والعاقر) في أكثر من مقالة سابقة خاصة عند الحديث عن امرأة زكريا، ولا نجد ضيراً أن نعيد جزءً من النقاش هنا لتسليط الضوء مرة أخرى على معنى المفردة قيد الدراسة.

أما بعد،

ترد لفظة عاقر على لسان نبي الله زكريا ثلاث مرات في كتاب الله:

- **قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (40) آل عمران**
- **وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (5) مريم**
- **قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8) مريم**

وغالباً ما درج الفكر الديني السائد على الاعتقاد بأن نبي الله زكريا يصف امرأته أنها عاقر لأنها لا تنجب وقد تساءلنا حينئذ عن كيفية معرفة نبي الله زكريا بأن مشكلة عدم الإنجاب تقع على عاتق امرأته وليس بسببه هو شخصياً، وطرحنا التساؤل التالي: إذا كان فعلاً يعتقد أن المشكلة في زوجته، فلم لم يقم بالزواج من غيرها لتتحصل له الذرية مادام أن رغبته في الذرية ملحّة كما تظهرها السياقات القرآنية الكريمة؟

وخلصنا إلى الافتراض بأنه من المستحيل أن يقوم نبي الله زكريا باتهام امرأته بمثل هذه التهمة الكبيرة إن لم يكن على يقين منها، فنحن لا نفترض أن فحوصات الحمل والإنجاب كانت متوافرة زمن ذلك النبي الكريم، لذا ظننا أن المشكلة تكمن في فهمنا لمفردة "عاقر" التي وردت على لسان هذا النبي الكريم ليصف امرأته آنذاك، وزعمنا القول أنه من المستحيل أن تكون لفظة "عاقرا" تحمل معنى المرأة التي لا تنجب الولد كما فهم سادتنا أهل العلم والدراية، وذلك بدليل أن عدم الإنجاب ورد في كتاب الله بصيغة "عقيم"، وكان ذلك على لسان امرأة إبراهيم:

- فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (29) الذاريات

الفرق بين العاقر والعقيم

إن هذا الظن يدعونا إلى ضرورة التمييز بين أن تكون المرأة عاقر من جهة (كامرأة زكريا) وأن تكون عقيم (كامرأة إبراهيم). فما هي المرأة العاقر؟ وما هي المرأة العقيم؟

رأينا: نحن نظن أن مفردة "عقيم" هي التي تحمل معنى عدم الإنجاب بدليل قوله تعالى:

- أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50) الشورى

لذا يبقى السؤال قيد البحث مطروحا وهو: ما معنى العاقر؟

لو استعرضنا السياقات القرآنية التي تتحدث عن الجذر "عقر" لوجدنا أنفسنا نقرأ آيات الله الكريمة التي تتحدث عن ناقة الله التي أرسلها إلى ثمود (قوم صالح):

- فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77) الأعراف
- فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (65) هود
- فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (157) الشعراء
- فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ (29) القمر
- فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (14) الشمس

فالقوم هم من قاموا بعقر الناقة حتى كانت الناقة قد "عقرت"، لذا فهي "عاقر"، فكيف عقر القوم الناقة؟ وكيف أصبحت الناقة عاقر؟ وما علاقة ذلك بقصة زكريا؟ وما هو الرابط بين قصة امرأة زكريا وناقة الله إلى ثمود؟

رأينا: نحن نفهم أن الله قد أمر القوم بأن لا يمسوا الناقة بسوء، فما يكون منهم إلا أن يعقروها، لذا يمكننا أن نستنبط أن العقور هو المس بالسوء، ولكن ما هو السوء الذي مسوها به؟

رأينا: يستحيل أن يكون القوم قد ذبحوا الناقة لأن مفردة الذبح وردت في كتاب الله خاصة عند الحديث عن فرعون يذبح أبناء بني إسرائيل:

- وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (49) البقرة
- وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (6) إبراهيم
- إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) القصص

ووردت عند الحديث عن ذبح البقرة:

- وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةًۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) البقرة
- قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71) البقرة

ووردت عند الحديث عن الذبح على النصب:

- حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًاۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (3) المائدة

وجاءت عند الحديث عن سليمان وهو يتوعد الهدهد بالذبح:

- لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (21) النمل

وجاءت كذلك عند الحديث عن رؤيا إبراهيم بأنه يذبح ابنه:

- فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) الصافات

ولا نظن أيضاً بأن القوم قد قتلوا الناقة لأن مفردة القتل قد وردت كثيراً خاصة عند الحديث عن قصة قتل الأخ أخاه :

- فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30) المائدة

فكيف إذاً عقر القوم الناقة؟

نحن نظن أنهم ما فعلوا أكثر من إبعادها من الديار، فالقوم كانوا مأمورين بقسمة الماء، أليس كذلك؟

- وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ (28) القمر

فكانت الناقة تشرب (لنقل) طيلة أيام الأسبوع وكان القوم يشربون في يوم واحد فقط:

- قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (155) الشعراء

فلو دققنا جيداً في هذا النص نفسه لوجدنا أن قسمة الماء كانت تتم على نحو أن تشرب الناقة متى تريد، فشربها ليس محدد بزمن (لَّهَا شِرْبٌ)، ولكن شرب القوم كان محددا بزمن يوم معين (شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ)، وقد أمر الله القوم أن يذروا الناقة تأكل في أرض الله كما تشاء، فلا يمسوها بسوء:

- وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًاۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) الأعراف

- وَيَا قَوْمِ هَـٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (64) هود

نتيجة: لقد جاء الأمر الإلهي للقوم على نحو أن تشرب الناقة وأن تأكل كما تشاء فلا يمسوها بسوء، ولمّا كنا نؤمن إيماناً مطلقاً بأن الناقة كانت فتنة للقوم.

- إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (27) القمر

كان الهدف هو أن يميز الله الخبيث من الطيب، فلم تستطع الغالبية العظمى من القوم تحمل تلك الفتنة، فما صبروا على وجود الناقة والتعايش معها بهذه الطريقة، ولمّا كانت تلك الناقة مبصرة، ولما كانت تلك الناقة هي "ناقة الله"، لم يستطيع القوم أن يذبحوها أو أن يقتلوها، وجل ما فعلوا هو أنهم منعوها عن المكوث في الديار.

نتيجة مفتراة: العاقر هي التي تخرج من ديارها

عودة على بدء

لما كانت امرأة زكريا عاقر، فهي إذا كانت متواجدة خارج بيتها، أي لقد كانت شاردة من بيت زوجها (أو حردانة بمنطق نساء قومي). وكان هذا هو سبب استغراب زكريا من الله أن يبشره بيحيى، فقال مستغرباً:

- قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8) مريم

لذا جاء الخطاب الرباني في موقع آخر من كتابه الكريم ليؤكد حدوث الصلح بين زكريا وزوجته التي تمكث الآن خارج بيته:

- فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (90) الأنبياء

فكيف أصلح الله لزكريا زوجته؟

لو تفقدنا السياقات القرآنية التي تتحدث عن الصلح بين الزوجين لوجدنا على الفور قول الحق:

- وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (228) البقرة
- وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (35) النساء

لقد أراد زكريا (وهو البعل) أن يتمتع بحقه في رد امرأته إلى بيته (وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا)، فوجدها راغبة في الإصلاح بعد أن بعث حكماً من أهله وحكماً من أهلها (فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا)، ولما كانت إرادة الإصلاح متوافرة عند الطرفين، كان التوفيق من الله على الفور حاصلا (إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا). فما عادت تلك المرأة عاقراً بعد اليوم، فجاء اللفظ عنها للمرة الأولى تحت لفظ "زوجه" بعد أن كان اللفظ قبل هذه اللحظة يأتي على الدوام على صيغة "امرأته". لقد أصبحت زوجة له بعد أن كانت مجرد امرأة له (للتفصيل انظر مقالتنا تحت عنوان: ماذا ستفعل النساء في الجنة؟)

عودة على بدء

بعد أن أدرك صالح مؤامرة التسعة رهط (البلطجية الشبيحة الزعران)، وربما بعد أن أبرم صفقة مع من استأجروه للنيل منه، ما كان منه إلا أن عقر:

- **فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ (29) القمر**

فيكون صالح قد خرج من بين القوم بعد أن أنجاه الله منهم:

- **فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (66) هود**

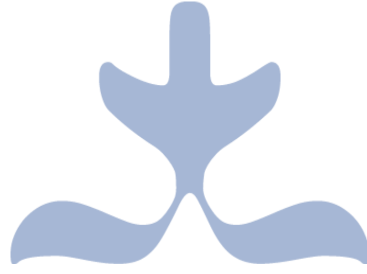
نتيجة مفتراة: بعد أن عقر القوم الناقة (أي أجبروها على الخروج من المكان)، دبر تسعة رهط في المدينة (البلطجية الشبيحة الزعران) المكيدة لصالح، فما كان من صالح إلا أن يتعاطى (أي يتحايل على مكيدتهم إن صح القول) بأن عقر من المنطقة حتى جاء وعد الله، ولم يكن ذلك أكثر من فترة زمنية محددة لا تتجاوز ثلاثة أيام.

- **فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (65) هود**

افتراء خطير جداً جداً: نحن نظن أن من عقر لا يغيب طويلاً، فامرأة زكريا كانت عاقر لأنها بعد أن خرجت فترة من الزمن عادت إلى بيت زوجها مرة أخرى، وكذلك بعد أن عقر صالح لابد أنه عاد إلى المكان ليطلع على ما حل به.

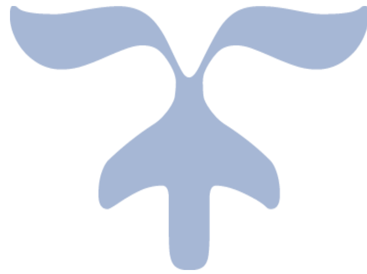
- **فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (79) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (51) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (52) وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (53) الأعراف**

ويبقى السؤال الأكثر إثارة هو: بعد أن عقرت ناقة الله، متى ستعود؟



مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ

الباب الرابع: الجسد



الباب الرابع: الجسد

افتراءات سابقة:

افتراءات زعمناها في الأجزاء السابقة من هذا الكتاب:

⇐ الدابة التي أكلت منسأة سليمان هي ناقة الله التي بعثها إلى ثمود "قوم صالح"
⇐ ناقة الله إلى ثمود لم تكن من فصيلة الأنعام لأنها كانت مبصرة، والأنعام بطبعها لا تبصر وإن كانت ترى
⇐ صارت تلك الناقة "ناقة الله" على وجه التحديد لأنّ الله – نحن نفتري القول- تقبلها عندما قدمت قرباناً له، فالله لا يتخذ ولكنه يقبل.
⇐ كان ابن آدم المقتول (نبي الله إدريس) من قبل أخيه القاتل (إسرائيل) هو من قدّم تلك الناقة قرباناً لله لفض خلاف بينه وبين أخيه (للتفصيل انظر مقالتنا لماذا قدّم نبي الله لوط بناته بدلاً من ضيوفه؟)
⇐ تقبل الله ذلك القربان (الناقة) وذلك بأن أكلته النار المقدسة، فالقربان تأكله النار، فصارت "ناقة الله"
⇐ بعث الله تلك الناقة إلى ثمود كآية، فلم يتمكن قوم صالح أن يذبحوا الناقة أو أن يقتلوها وجل ما فعلوا هو أنهم مسّوها بسوء عندما عقروها
⇐ زعمنا أن "العقر" هو الخروج من المكان لفترة محددة ثم العودة إلى نفس المكان مرة أخرى
⇐ كان لابد للناقة المبصرة التي عقرت أن تعود إلى الديار ولو بعد حين
⇐ بقيت ناقة الله إلى ثمود تأكل في أرض الله لأنها لم تقتل ولم تذبح ولكنها عقرت
⇐ بعد أن بعث الله تلك الناقة كآية لقوم صالح، أصبح صالح "رسول الله"، فتشارك في تلك الصفة مع موسى وعيسى ومحمد فقط، وذلك لظننا أن ورثة هؤلاء الأنبياء والرسل على وجه التحديد هي كلمة الله (وسنتحدث عن هذا بشيء من التفصيل بعد حين بحول الله وتوفيقه)، فكانت كلمة الله باقية لا تفنى.
⇐ لما مرت الناقة بمنسأة سليمان التي كانت هي أصلاً عصا موسى قامت بأكلها، فأنهت بذلك عهداً من الملك لن يؤتى لأحد من بعد سليمان
⇐ نتيجة: لقد أكلت "ناقة الله" عصا موسى، لأن عصا موسى التي اهتزت كأنها جان بعد أن ألقاها موسى في النار بأمر رباني ما كانت لتنتهي دون قوة أكبر منها
⇐ ربما يرشدنا مثل هذا الزعم للتفكر بالسبب الذي من أجله أقدم موسى على حرق عجل السامري بالنار (وهو ما سنعود إلى الحديث عنه –إن أذن الله لنا الإحاطة بشيء من علمه- في المقالات الخاصة بقصة موسى بحول الله وتوفيقه)

أما بعد،

انصبّ جل النقاش السابق حول الظن المفترى بأن ذهاب ملك سليمان كان مقترناً بأكل الدابة لمنسأته، وزعمنا أن في ذهاب تلك المنسأة ذهب جزء كبير من الملك الذي لا يمكن أن يعود – نحن نفتري القول- إلا بعودة تلك المنسأة، وربما يثبت مثل هذا الظن ما تؤكده الأحداث التي تلت على الفور موت سليمان وذهاب منسأته: فما الذي حصل للقوم بعد موت سليمان؟

- **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14) سبأ**

هذه هي الآية 14 من سورة سبأ، ولو دققنا فيها ملياً لوجدناها تصور لنا أن موت سليمان كان مصاحباً ومتزامناً مع ذهاب المنسأة بالأكل من قبل الدابة، ثم تأتي الآيات التي تليها على الفور ليتبين لنا ما حل بسبأ (المملكة التي حكمتها امرأة كانت قد ظلمت نفسها قبل أن تسلم مع سليمان لله رب العالمين)

- لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (17) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (18) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (20) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (21) سبأ

فالجن (ومنهم الشياطين) التي حُكِمت بمنسأة سليمان ما أن تبينت أن سليمان قد مات حتى انتشروا في الأرض يعيثون فساداً فيها، ولو دققنا في السياق القرآني نفسه لوجدنا أن الشياطين لم يكونوا منضوين تحت حكم سليمان طواعية، فلقد كانوا في العذاب المهين:

- فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14) سبأ

فلقد كان سليمان يذيقهم (بإذن من ربه) من أصناف العذاب إن هم زاغوا عن أمره بتلك المنسأة:

- وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) سبأ

سؤال: كيف كان سليمان يذيقهم من عذاب السعير؟

رأينا: نحن نظن أن من معاني السعير هي أداة التعذيب مصداقاً لقوله تعالى:

- إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (4) الإنسان

فالسلاسل والأغلال والسعير هي أدوات التعذيب، لذا نحن نفتري الظن أن سليمان كان يذيق من يزغ عن أمره من الجن بمنسأته التي كانت سعيراً عليهم، لعلمنا من السياقات القرآنية أن الجن يعذبون بالسعير حتى في نار جهنم:

- وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (21) لقمان

- وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12)سبإ

- إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (6) فاطر

- وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (5) الملك

نتيجة مفتراة: لقد كانت المنسأة هي سعيراً ينزل على من يزغ عن أمر سليمان من الجان، وبذهاب تلك المنسأة ذهب ذلك الجزء من الملك، لذا نحن نفتري القول إنه لم يعد بعد موت سليمان هناك من الناس من يستطيع أن يذيق الجان من عذاب السعير.

فلقد كانت تلك المنسأة – حسب زعمنا- تشغل حيزاً كبيراً من ملك سليمان ولكنها بكل تأكيد لم تكن تمثل كل ملكه، فلقد كان ملك سليمان يشمل الجن والإنس والطير:

- **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) النمل**

فما أن مات سليمان حتى كانت الجن أول الهاربين من ملك سليمان:

- **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14) النمل**

فأخذوا يعيثون فساداً في مملكة سليمان، وما أن اتبعهم نفر من الإنس حتى كانت النتيجة أن بدل الله سبأ جنتيهم بجنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل:

- **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (17) سبأ**

ملك سليمان

افتراء من عند أنفسنا: لقد استجاب الله دعاء سليمان بأن لا يكون لأحد من بعده ملكاً كملك سليمان بأن ذهبت تلك المنسأة التي من خلالها يمكن السيطرة على الجان، فما عاد ممكناً إخضاعهم لحكم الناس، ولو تأملنا السياق القرآني جيداً لوجدنا أن دعاء سليمان ربه كان على نحو أن لا يهب الله لأحد من بعده ملكاً كملك سليمان، الأمر الذي يرشدنا إلى نقطتين جوهريتين في النقاش وهما:

⇐ أن طلب سليمان كان يخص ملك من سيأتي بعده، فهو لم يطلب ملكاً أعظم من ملك من سبقه، ولكنه يسأل الله أن لا يكون هناك ملك كملكه فيمن يأتي من بعده، حتى وإن كان ولد سليمان نفسه (وإن كنا نظن أن سليمان لم يرزق بالولد). فنحن نظن أن ذا القرنين مثلاً قد أوتي ملكاً ربما كان أعظم من ملك سليمان (انظر مقالاتنا السابقة: جدلية المجاز والحقيقة في القرآن ومصادر التشريع في الإسلام)، ولكن أصبح من المتعذر على أحد من بعد سليمان أن يحصل على مثل ملكه، الأمر الذي سيدعونا لاحقاً أن نناقش عن السبب الذي دفع بسليمان أن يطلب من ربه مثل هذا الطلب.

⇐ لما كانت المنسأة تمثل جزءاً من ملك سليمان وليس ملك سليمان كله، لم يأتِ ملك سليمان دفعة واحدة، وهذا يدعونا إلى أن نتذكر الذي حصل قبيل دعوة سليمان ربه أن يهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده.

- **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (35) ص**

فلقد كان ملك سليمان حتى اللحظة غير مكتمل بدليل أنه دعا الله أن يهب له ملكاً لا يكون لأحد من بعده بعد تلك الحادثة حيث يجد سليمان جسداً وقد ألقي على كرسيه، فكيف حصل ذلك؟

رأينا: نحن نظن أن الذي دفع بسليمان أن يدعو ربه أن يهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده هو حادثة ذلك الجسد الذي وجده سليمان وقد ألقي على كرسيه إلقاء، ولكن كيف؟

تساؤلات

- ما هو ذلك الجسد الذي وجده سليمان على كرسيه؟
- متى ألقي ذلك الجسد على كرسي سليمان؟
- من أين جاء ذلك الجسد؟
- من الذي ألقى بذلك الجسد على كرسي سليمان؟
- لماذا ألقى بذلك الجسد على كرسي سليمان؟
- لماذا كانت ردة فعل سليمان على تلك الحادثة أن يدعو ربه أن يهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده؟
- هل كان في ذلك أنانية فردية من قبل سليمان؟
- الخ

نحن نظن أن الإجابة على هذه التساؤلات ستسعفنا في وضع إطار أشمل لقصة نبي الله سليمان مع تلك المنسأة.

دعاء: لذا فالله نسأل أن يصدر قوله لينفذ مشيئته وإرادته لنا الإحاطة بشيء من علمه لا ينبغي لأحد غيرنا، إنه هو السميع المجيب

أما بعد،

نحن نتخيل الموقف على النحو التالي: يُحْدِثُ سليمانُ أمراً يستوجب حصول الفتنة له

- **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) ص**

نحن نفهم من هذه الآية الكريمة أن في إلقاء الجسد على كرسي سليمان شيء من الفتنة له، حتى ظن سليمان نفسه أنه قد فتن، فما الذي فعله سليمان حتى استحق أن يفتن، ثم ينيب؟

رأينا: نحن نظن أن فتنة سليمان جاءت بسبب ما فعل سليمان نفسه كما تصوره الآيات الكريمة التالية حيث وردت الآية التي تتحدث عن فتنة سليمان السابقة:

- **إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (31) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (32) رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (33) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) ص**

إن إمعان التفكر في هذه الآيات والحاجة إلى ربطها مع بعضها البعض يعطينا الإشارة القاطعة عن وجود رابط بين حادثة عرض الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ على سليمان مع فتنته بإلقاء الجسد على كرسيه، ولكن كيف يمكن ربط تلك الأحداث مع بعضها البعض؟

رأينا: بداية لابد من الخروج من عنق الزجاجة التي وضعنا فيها جراء تأويلات الروايات الإسرائيلية والنقل الذي لم ينضب منها من قبل من ظنوا أنهم يفسرون القرآن العظيم. لذا نحن لا نتردد لحظة واحدة (كما نفعل على الدوام) في رد بضاعتهم إليهم ومحاولة الخوض في تفاصيل الأحداث كما يصورها القرآن الكريم نفسه.

لذا فالله نسأل أن يهدينا إلى قول الحق الذي يريد فلا نفتري عليه الكذب إنه هو السميع المجيب.

أما بعد،
نحن نظن أن تلك الحادثة حصلت في غطاء الليل، فاللفظ القرآني يدل أن ذلك قد حصل بالعشي:

- **إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (31) ص**

فما هو العشي؟
جواب: العشي ليس وقت الإبكار:

- **قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةًۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (41) آل عمران**
- **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (55) غافر**

والعشي ليس وقت الغداة:

- **وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (52) الأنعام**
- **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28) الكهف**

والعشي ليس وقت الإشراق:

- **إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18) ص**

السؤال: فما هو ذلك الوقت يا ترى؟

نتيجة: لابد لأي تفسير لهذه الآيات الكريمة أن يأخذ بالحسبان أن العرض تم في وقت العشي

ثانياً: يتم في ذلك الوقت (العشي) عرض على سليمان، فتعرض عليه الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ، فما هي الصافنات الجياد؟
رأينا: ليس لذلك علاقة بالخيل إطلاقاً لأننا نظن أنه من قبيل المحال أن يتم عرض الخيل في وقت العشي، فالليل قد أسدل ستاره، والخيل قد سكنت اسطبلاتها، والجند في راحة، فما هي يا ترى الصافنات الجياد التي عرضت في العشي؟
رأينا: لا شك لدينا أن الحديث يخص التأنيث، فسليمان هو الرجل، وما عرض عليه (بغض النظر عن جنسه) هو من المؤنث، ويؤكد ظننا هذا ردة فعل سليمان الأولى

- **فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (32) رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (33) ص**

فهناك من توارت في الحجاب، وهناك من طلب سليمان أن يردوها عليه، فما هي تلك الكينونة؟
رأينا: لو تتبعنا السياق القرآني لوجدنا أن العرض تم لمجموعة، ولكن التي توارت في الحجاب كانت واحدة فقط، وكذلك طلب سليمان أن يردوا عليه واحدة فقط:

- **إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (31) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (32) رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (33) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34)ص**

نتيجة مفتراة: لقد كان العرض لمجموعة، وكان يتم بطريقة بسيطة تتمثل – نحن نتخيل- بأن تعرض على سليمان واحدة تلو الأخرى، وكانت تتوارى في الحجاب بطريقة فردية (واحدة في كل مرة).

فما هي تلك الكينونة؟
رأينا: لو تدبرنا السياق القرآني جيداً لوجدنا أن رائحة النساء تفوح منه، فالخبر جاء عن الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ، ولو تركنا أفهام آبائنا وأجدادنا، وانطلقنا نبحث في النص القرآني عن الصافنات الجياد لربما استطعنا بحول الله وتوفيقه أن نفهم من تكون، فلا شك عندنا أن مفردة الجياد مأخوذة من الجيد، وها هي امرأة أبي لهب يشد جيدها بحبل من مسد:

- **فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (5) المسد**

فمن - يا ترى- تكون صاحبة جيد، ويمكن أن تعرض على رجل وقت العشي؟
رأينا: لو تأملنا السياق القرآني جيداً لوجدنا أن هناك "موارأة" وهناك "حجاب" أيضاً، ولوجدنا أن الموارأة كانت تتم وراء الحجاب، فما معنى توارت؟ ولم الحجاب؟ ومن يمكن أن يتوارى وراء حجاب؟
افتراء من عند أنفسنا: نحن نظن أن مفردة "توارت" تعني الذهاب وراء حاجز يحجب رؤية من يكون خلفه عن الآخرين:

- **يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (59) النحل**

فالذي يحاول أن يتوارى من القوم هو من يضع نفسه وراء ستار (أي حاجز) يمكن أن يجعله غير مرئي من قبل الآخرين.
ونحن نفتري الظن أن "الحجاب" هو ما يمكن أن يفصل بين طرفين:
فالله نفسه لا يمكن أن يكلم بشراً إلا من وراء حجاب:

- **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (51) الشورى**

وها هو الحجاب يفصل بين أصحاب الجنة وأصحاب النار:

- **وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (44) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا**

عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (45) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (46) الأعراف

والله قد جعل حجاباً مستوراً بين نبيه وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة متى ما قرأ القرآن:

- وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا (45) الإسراء

لاحظ الفرق بين "الحجاب" من جهة و"الحجاب المستور" من جهة أخرى، فالحجاب هو الحاجز المادي الذي يمكن رؤيته بالعين، ولكن الحجاب المستور هو الحجاب الذي قد ستر فلا يمكن رؤيته بالعين، فالكفار لا يرون الحجاب الذي أسدل بينهم وبين نبي الله ولكنهم يشعرون به. فالله وإن جعل ذلك الحجاب قائماً فعلاً بين نبيه وبين الذين لا يؤمنون إلا أنه في الوقت ذاته قد ستره (أي ستر الحجاب).

وها هم أنفسهم يؤكدون وجود هذا الحجاب بين الطرفين:

- وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (5) فصلت

وها هي مريم تتخذ من دون قومها حجاباً يسترها عنهم:

- فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) مريم

وها هي الدعوة قائمة لكل المسلمين أن يسألوا نساء النبي من وراء حجاب:

- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا (53) الأحزاب

السؤال: من تكون – يا ترى- تلك التي توارت (ذهبت وراء) في الحجاب (الحاجز) عند سليمان؟

- فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (32) ص

افتراء من عند أنفسنا: نحن نفتري الظن أن من توارت في الحجاب عند سليمان كانت امرأة، وأن الذي عرض على سليمان وقت العشي كانت مجموعة من النساء اللواتي تجهزن لفراش سليمان. وما أن انغمس سليمان في تلبية شهواته حتى أدرك أن "حب الخير" ذاك قد شغله عن ذكر ربه. وبكلمات أكثر دقة لقد نسي سليمان ذكر ربه بسبب ما وجد نفسه فيه من تلبية غريزة حب الخير "معاشرة النساء"، فالنسيان هو سبب الانشغال عن ذكر الرب، فهذا صاحب يوسف في السجن ينسيه الشيطان أن يذكر خبر يوسف إلى ربه:

- وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (42) يوسف

والإنسان مطالب على الدوام أن يذكر ربه إذا ما حصل النسيان:

- إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا (24) الكهف

نتيجة مفتراة: نحن نفتري الظن أن سليمان قد أنساه الشيطان ذكر ربه، ولكن يجب التأكيد أن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن سليمان كان قد أعرض عن ذكر ربه، لأنه لو أعرض عن ذكر ربه، ما كان الله يكلأه بالليل والنهار، لأن من يعرض عن ذكر ربه لن يجد الله يكلؤه :

- قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ (42) الأنبياء

ولربما نزل عليه العذاب بدلاً من الفتنة:

- لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (17) الجن

نتيجة مفتراة: ينسى سليمان (وإن لم يعرض عن) ذكر ربه عندما انغمس في تلبية شهوته في معاشرة النساء، فما أن ينسى حتى يتذكر ربه، فيظن أنه قد فتن، وفعلاً تحصل الفتنة لسليمان بإلقاء الجسد على كرسيه:

- وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) ص

ولو حاولنا أن نربط بين فتنة سليمان وفتنة والده داوود لربما استطعنا أن نخرج باستنباطات تساعدنا في فهم الحدث كما حصل:

- وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24) ص

فلقد حصلت الفتنة للوالد داوود وللولد سليمان، ولكن المتدبر في دقة النص القرآني يجد أن ردة فعل كل واحد منهما كانت مختلفة بعض الشيء، ففي حين أن داوود "فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ"، كانت ردة فعل سليمان على النحو التالي "ثُمَّ أَنَابَ" فقط:

- ... وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24) ص
- وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) ص

الاستنباطات:

⇐ كلاهما أناب
⇐ داوود فقط هو من استغفر
⇐ داوود فقط هو من خر راكعاً
⇐ حصلت إنابة داوود على الفور بدليل حرف العطف "ف" وحرف العطف "و"
⇐ تأخرت إنابة سليمان بدليل حرف العطف "ثم"

السؤال: متى حصلت فتنة سليمان؟ ومتى حصلت إنابته؟ ولماذا لم يستغفر سليمان ربه على الفور كما فعل والده داوود يوم ظن أن الله قد فتنه؟ ولماذا لم يخر سليمان راكعاً كما فعل والده داوود؟

نحن نظن أن الإجابة على هذه التساؤلات ربما يمكن لنا أن نستنبطها من السياق القرآني التالي:

- وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ

النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (21) النمل

فكيف يمكن أن نفهم النص؟

لنحاول أن نسقط على هذه الآيات الكريمة تصورنا لما حصل على أرض الواقع خطوة خطوة:

أولاً، يقضي الله بالموت على داوود فتتحصل الوراثة لسليمان بالملك، فيجمع سليمان (الملك الشاب الجديد) الناس، ويقوم خطيباً فيهم بلهجة لا تخلو من عنصر الافتخار (أو لربما الزهو بالنفس):

- **وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) النمل**

ثانياً، ما يكون من سليمان (الملك الشاب) بعد ذلك إلا أن يستعرض قوته العسكرية، ربما ليظهر ما يملك من عناصر القوة في ملكه:

- **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) النمل**

وهذا الاستعراض العسكري ربما يكون من أول ما يقوم فيه كل من يؤول إليه الملك.

ثالثاً، لكن كل ذلك لم يكن ليرضي طموح الملك الشاب، فيسير بجنده باحثاً عن توسعة لملكه، فيأتي على واد النمل:

- **حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) النمل**

فما أن سمع سليمان تلك النملة بما حباه الله فيه من العلم حتى ينفجر بالضحك:

- **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) النمل**

وأظن أن سليمان قد انفجر بالضحك بسبب طريقة قول تلك النملة "فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا"، فقول النملة هو من سبب الضحك عند سليمان لأن الأمر لا يدعو إلى الضحك أصلاً، وربما كان يكفي سليمان أن يبتسم فقط، ولا أظن أن سليمان كان يمكن أن يضحك من الآخرين إن لم يكن هناك سبب يدعو إلى الضحك. ولكننا نظن أن سليمان قد انفجر بالضحك لما سمع من قولها، وذلك لأن تلك النملة – في رأينا- لم تكن تتكلم بطريقة طبيعية كباقي النمل، فكلامها كان – في ظننا- يشوبه شيء من اللكنة التي تسبب الضحك لمن يسمعه، تماماً كما يحصل لنا البشر عندما نسمع من كان في لسانه شيء من اللكنة، كأن يلفظ حرف السين شيناً (فيقول شيف بدلاً من سيف) أو كمن يبدل الراء باللام (كأن يقول ولد بدلاً من ورد)، وهكذا

المهم بالموضوع بالنسبة لنا هو أن الزهو بالنفس لازالت صفة ملازمة لسليمان، والأهم من ذلك هو لزوم ملاحظة الحالة النفسية لسليمان في تلك اللحظة: فسليمان يتبسم ويضحك، فهو إذاً في حالة من السعادة، أليس كذلك؟ ولكن انظر - عزيزي القارئ- ماذا حصل لسليمان في الآية التي تلي مباشرة ضحك سليمان ذاك في واد النمل:

- **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (21) النمل**

فما الذي حصل يا ترى حتى يخرج سليمان غاضباً متهدداً أحد جنده (الهدهد) بالعذاب الشديد أو حتى بالقتل إن هو لم يبرر له سبب غيابه بعد أن كان للتو متبسماً ضاحكاً؟ وهل - يا ترى- اقترف ذلك الطير من الذنب ما يبرر إيقاع العذاب الشديد به أو حتى قتله؟ ولنفترض أنه قد غاب عن طابور سليمان العسكري، فهل هذا ذنب يستحق عليه ذلك الطير مثل ذلك العقاب الكبير؟

رأينا: كلا وألف كلا، نحن لا نعدم الإيمان بأن ذلك الطير قد ارتكب من الذنب ما يجعله يستحق مثل تلك العقوبة، وإلا لما خرج سليمان متوعداً له بالعذاب الشديد أو حتى بالقتل، ولا أخال أن سليمان يمكن أن يظلم الآخرين بأن يوقع عليهم عقوبة أشد مما يجب. فلابد – نحن نظن- أن يكون قد حصل أمر جلل دفع بسليمان أن يخرج غاضباً متوعداً بعد أن كان يتبسّم ضاحكاً قبل قليل.

السؤال: ما الذي فعله ذلك الطير (الهدهد) حتى استحق هذه العقوبة في نظر سليمان؟

رأينا: للأمر علاقة بفتنة سليمان، ولكن كيف؟

افتراء من عند أنفسنا خطير جداً: يسير سليمان بجنده باحثاً عن توسعة لملكه وهو لازال حديث عهد به، يصل إلى واد النمل، يسمع تلك النملة تصيح بإخوتها بأن يدخلوا مساكنهم حتى يمر سليمان بجنده بلهجة لا تخلو من اللكنة فيها، فينفجر سليمان ضاحكاً من قولها، وما يكون منه إلا أن يأمر جنده بالتوقف حتى تدخل النمل جميعاً إلى مساكنهم، ولما كان المكان هو عبارة عن واد، فإن عبور جند سليمان يصبح صعباً مع دخول النمل مساكنهم في نفس الوقت بعض الشي، لذا نحن نتخيل الموقف على نحو أن يأمر سليمان جنده بالتوقف، وربما بالمبيت في ذلك المكان حتى تحصل عملية دخول النمل في مساكنهم، ويتأكد سليمان أن عبور جنده الواد لن يسبب الأذى للنمل، وفي تلك الليلة وفي ذلك الوادي – نحن نفتري الظن- تعرض على سليمان الصافنات الجياد، ليختار منهن من يجب أن تتوارى في الحجاب ليعاشرها سليمان في تلك الليلة، وما هي إلا لحظات حتى يدرك سليمان ما ارتكب من الذنب، بأن نسي ذكر ربه بسبب حب ذلك الخير. فلا يستغفر ربه على الفور ولا يخر راكعاً كما فعل والده داوود عندما حصلت له الفتنة، ولكنه يتابع التلذذ بالنساء، وذلك عن طريق المسح بالسوق والأعناق:

- **رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (33) ص**

السؤال: كيف طفق سليمان مسحاً بالسوق والأعناق وهو الذي ما فتيء يتذكر أنه قد "أحب حب الخير عن ذكر ربه" وهو من طلب أن ترد عليه من توارت في الحجاب؟

- **رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (33) ص**

وبكلمات أخرى، كيف نفهم أن سليمان يطلب أن ترد عليه من توارت في الحجاب، وما أن ترد عليه حتى يطفق مسحاً بالسوق والأعناق؟ وما هي السوق وما هي الأعناق التي طفق سليمان مسحاً بها أصلاً؟

رأينا: لا شك أن الأعناق هي آخر الرقبة من جهة الجسد وليس من جهة الرأس:

- إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12) الأنفال

أما السوق (ومشتقاته)، فهو – برأينا- ذو علاقة بالحركة:

- وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا (86) مريم
- أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (27) السجدة
- يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ (6) الأنفال
- يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42) القلم
- وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) القيامة
- إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (30) القيامة

وأظن أنه ما يستند عليه الشي ليثبته على الأرض كما في حالة الزرع الذي يستوي على سوقه:

- مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29) الفتح

وهو ما كشفت عنه ملكة سبأ يوم أن رأت صرح سليمان:

- قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44) النمل

ولو تدبرنا ما فعل سليمان لوجدنا أنه قد طفق مسحاً بالسوق والأعناق، فكيف طفق سليمان عليهما مسحاً؟

لا شك عندنا أن "الطفق" هو الشروع في عمل الشيء على عجل، بالضبط كما فعل آدم وزوجه لحظة أن بدت لهما سوءاتهما:

- فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (22) الأعراف
- فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (121) طه

وحتى يتم "المسح" فلابد أن تستخدم اليد، فكيف تتم عملية المسح على الرأس في حالة الوضوء؟

- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (43) النساء

- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (6) المائدة

نتيجة مفتراة: يصور المشهد وجود الأعناق و وجود الساق، كما يصور حصول عملية المسح باليد على هذه الأجزاء من الجسم، وإن صحت افتراءاتنا هذه، فإننا نظن أن سليمان قد انغمس في معاشرة النساء ولم يستغفر ربه مباشرة ولم يخر راكعاً مباشرة بعد أن ظن أنه قد أحب "حب الخير" عن ذكر ربه، وما أن ينهي سليمان انشغاله بملذاته هناك في خلوته ويعود إلى كرسيه (مكان حكمه) حتى يجد أن المكان قد شغل بذلك الجسد الذي ألقي عليه:

- وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) ص

فلا يستغفر ربه في الحال ولا يخر ساجداً كما فعل والده داوود عندما ظن أنه قد فتن:

- قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24) ص

وجل ما فعل سليمان هو أنه أخر إنابته بدليل وجود حرف الجر ثم كما ذكرنا سابقاً:

- وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) ص

فماذا فعل سليمان عندما وجد الجسد على كرسيه؟ ولماذا تأخر في الإنابة؟

رأينا: إن هذا السؤال يعيدنا فوراً إلى السبب الذي نظن أن سليمان قد خرج من أجله ليتفقد الطير وليتوعد الهدهد بالذبح أو بالعذاب الشديد. ولكن كيف حصل ذلك؟

للإجابة على هذا السؤال لابد من طرح سؤال آخر وهو: لماذا خرج سليمان ليتفقد الطير على وجه الخصوص؟ ألم يكن جند سليمان يتكون من الجن والإنس والطير؟ لم خرج ليتفقد الطير ولم يخرج ليتفقد الإنس أو الجن؟ ولم سأل عن الهدهد؟ ولم لم يسأل عن غيره؟

جواب: ربما يظن البعض أن سؤال سليمان عن الهدهد جاء بسبب أنه لم يره في الطابور التفقدي، ولكن إن صح هذا القول، فلم يتبع سؤاله عن الطير بعبارة "أم كان من الغائبين"؟

- وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) النمل

إن أبسط ما يمكن أن نستنبطه من استخدام سليمان لتلك العبارة (أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) هو معرفته المسبقة بوجود جزء من الجيش في الغائبين، ولا أظن أن سليمان سيخرج بجنده ويصل إلى واد النمل ولا يكون قد بعث من كتائب الاستطلاع من يأتيه بالأخبار، لذا لا يكون الهدهد فقط هو من غاب عن حضور طابور سليمان التفقدي، فلقد كان جزء من جيشه في الغائبين، فسليمان يعرف مسبقاً أن جزءاً من الطير قد تم إرساله في مقدمة الجيش لاستطلاع الأخبار، ولو دققنا أكثر فيما فعل الهدهد لربما تأكدت لدينا الفكرة أن سليمان قد خرج أصلاً باحثاً عن الهدهد على وجه الخصوص، فهو يسأل عنه بغض النظر عن وجوده سواء كان بين

الحاضرين أم كان بين الغائبين، فمشكلة سليمان مع الهدهد لا تكمن في حضور الهدهد أو عدم حضوره الطابور التفقدي لأن مثل تلك الجريمة (إن كانت ترقى لمستوى أن تكون جريمة) لا تستدعي كل ذلك الغضب من سليمان ولا تستدعي مثل تلك العقوبة القاسية، لذا كانت ردة فعل الهدهد غاية في الذكاء، فلم يقترب كثيراً من سليمان، وبقي على مسافة منه (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ)، وحاول على الفور أن يتحدث بإسهاب عن نفسه وعن مكان تواجده قبل هذه اللحظة:

- **فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) النمل**

ولم يتوقف عند ذلك، بل عمد أيضاً أن يبيّن لسليمان أنه كائن لا يقل في إيمانه شأناً عن إيمان غيره من جند سليمان المؤمنين، فأخذ يخطب بسليمان وجنده:

- **إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) النمل**
- **وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) النمل**
- **أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26) النمل**

السؤال: ألم يبرر الهدهد إذاً مكان تواجده؟ ألا يشفع كل ذلك له؟ ولكن هل أسكت ذلك غضب سليمان؟

جواب: لو تدبرنا ردة فعل سليمان على خطاب الهدهد لوجدنا أن الشك الذي وقع في قلب سليمان حول ما فعل الهدهد لم تزيله تلك الحجة تماماً، فجاء رده على النحو التالي:

- **قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) النمل**

إن أبسط ما يمكن أن نستنبطه من ردة فعل سليمان هذه على خطاب الهدهد ذاك هو أن غضب سليمان كان عظيماً وخاصاً بالهدهد على وجه التحديد، فسليمان لم يصدق تماماً ما قاله الهدهد، ولكنه في الوقت ذاته لا يستطيع أن يكذبه، فأبقى الأمر معلقاً إلى حين آخر (قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)، ولكن لماذا؟

افتراء من عند أنفسنا: سليمان يعود إلى كرسيه بعد أن تلذّذ بمعاشرة النساء على عجل (فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ)، فيجد أن الكرسي مشغولاً بجسد وقد ألقي عليه إلقاء (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا)، فلم يستغفر ربه في الحال ولم يخر راكعاً وتأخر في الإنابة (ثُمَّ أَنَابَ) وتثور ثائرته لظنه أن ملكه في خطر. فنحن نكاد نجزم أن أكثر ما يمكن أن يثير حنق الملك (أي ملك) هو شعوره بأن هناك تهديداً لملكه، فالذي أغضب سليمان أشد الغضب هو وجود دليل عنده على أن "شخصاً ما" قد استطاع أن يصل إلى كرسيه واستطاع أن يلقي عليه هذا الجسد، ولتبسيط الفكرة دعنا نتخيل ملكاً عادياً يدخل أكثر مكان خاص به، ليجد أن هناك اختراق له، ألا تثور ثائرته ليعرف من هو ذلك الشخص الذي استطاع أن ينفذ إلى مكان حكمه ليهدده. ثم ألا يحق له أن يجمع المسؤولين عن مراقبة المكان وإيقاع أقصى العقوبة بهم إن هم قصروا في واجبهم؟ لذا نحن نفتري الظن أن سليمان قد ظن بأن ذلك الفشل الاستخباراتي (إن جاز التعبير) كان بسبب الهدهد، فإما أن يكون الهدهد هو نفسه من هدد ملك سليمان بإلقاء الجسد عليه أو أن يكون الهدهد قد فشل في مهمة سلامة كرسي سليمان من أن يلقى عليه شيء، ولكن أين الدليل؟

رأينا: نحن نظن أن الدليل على ذلك موجود في الآية الكريمة نفسها التي تتحدث عن فتنة سليمان:

- وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) ص

إن المدقق في السياق القرآني لا يجد عناء كبيراً بأن يدرك ان ذلك الجسد الذي وجده سليمان على كرسيه قد جاء بطريق الإلقاء، دقق عزيزي القارئ جيداً بمفردات الآية نفسها:

- وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) ص

فالجسد لم يوضع وضعاً مثلاً، ولكنه ألقي على الكرسي إلقاء، ونحن نظن أن الإلقاء لا يتم إلا من أعلى إلى أسفل، فنحن لم ننس بعد قصة إلقاء عصا موسى وحبال السحرة:

- فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (107) الأعراف
- قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (115) الأعراف
- وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (120) الأعراف
- وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (145) الأعراف

ولا ننسى كيف يمكن للشياطين أن تلقي:

- وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (52) الحج
- لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (53) الحج

ولا ننسى أن الهدهد نفسه قد قام بإلقاء كتاب سليمان إلى ملكة سبأ إلقاءً:

- قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) النمل

وهي الطريقة نفسها التي يصورها القرآن الكريم لدخول الكافرين النار:

- أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24) ق
- الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (26) ق
- تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8) الملك

وهكذا فعل القوم بإبراهيم عندما أرادوا أن يحرقوه:

- قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (97) الصافات

نتيجة: لقد أدرك سليمان عندما رأى الجسد متواجد على كرسيه أنه قد جاء بطريقة الإلقاء، عندها طار ذهنه ليتفكر بمن يمكن أن يقوم بفعلة كهذه، أو من هو المسؤول عن حراسة الكرسي من أن يلقى عليه شيء، ولما كان علم سليمان حتى الساعة منحصراً بجنده من الجن والإنس والطير، لم يكن ليتردد في فهم الأمر على النحو

التالي: لا يمكن أن يكون من فعل ذلك من الجن أو من الإنس، ولابد أن يكون من الطير، لذا خرج على الفور متفقداً الطير على وجه الخصوص من دون جنده كلهم:

- وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) النمل

ولا أظن أن الملك في حالة خيانة عظمى كهذه يمكن أن يحاكم الجندي العادي، بل لابد أن يخاطب قائد الجند. لذا طار ذهنه على الفور ليظن أن الذي فعل مثل هذه الفعلة أو المسؤول عنها هو طير غير عادي، وربما ظن أيضاً أن من قام بفعلة كهذه ربما لن يكون من الحاضرين، لذا كان طلب سليمان هو إحضاره فوراً بغض النظر عن مكان تواجده، ولما كان الهدهد غير متواجد أمام بصره في تلك الساعة ظن أن ذلك الطير هو من فعل مثل هذه الفعلة الشنيعة، فكان العقاب هو العذاب الشديد أو الذبح أو أن يأتي سليمان بسلطان مبين:

- لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (21) النمل

ولما جاء الهدهد وبرر لسليمان سبب غيابه، لم يسكت ذلك غضب سليمان، فأجل البت في القضية حتى ثبوت الدليل لديه:

- قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) النمل

وأوكل إليه مهمة تخلو من فعل الإلقاء ذاته:

- اذْهَب بِّكِتَابِي هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) النمل

إن عدم اقتناع سليمان التام بحجة الهدهد وانتظاره الخبر اليقين على صدق دعواه وطلبه الذهاب إلى ذلك المكان والقيام بعملية الإلقاء ربما تشير مجتمعة إلى أن سليمان يتوعد الهدهد على النحو التالي:

أنا أعلم أنك أنت من قمت بفعل إلقاء الجسد على الكرسي، فغيرك من الجن والإنس لا يستطيع ذلك، وإن لم تصدق حجتك أيها الهدهد (وكنت من الكاذبين)، فأنت تعلم علم اليقين عاقبة فعلتك تلك: إنها الذبح

استراحة قصيرة ثم نعود

فما يكون من الهدهد إلا أن يفعل ما أمره قائده، ولكن لم الهدهد؟ وما هو الهدهد أصلاً؟

رأينا: ما كان يستطيع الهدهد أن يخالف أمر سليمان، خصوصاً إذا ما عرفنا أن وظيفة الهدهد هي أصلاً نقل الرسائل، فنحن نفتري الظن أن كلمة الهدهد تعني الذاهب العائد، فهي تتألف من مقطعين هما (هد—هد)، ف "هد" الأولى تعني الذي يذهب في طريق ما و"هد" الثانية تعني الذي يعود بنفس الطريق التي سلكها في ذهابه الدليل

نحن نظن أن الجذر الثنائي "هد" له علاقة بأفعال الهداية (هدى، يهتدي، اهدي، اهدن، ونحوها)، ومنها اشتق حسب اعتقادنا كلمة "يهود". ولكن كيف؟

ها هم بنو إسرائيل يتيهون في الأرض أربعين سنة بعد أن خالفوا أمر نبيهم موسى وأخيه هارون، فرفضوا دخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم:

- قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24) المائدة
- قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (25) المائدة

فما تكون النتيجة غير أن يحرم الله عليهم تلك الأرض أربعين سنة فيتيهون في الأرض:

- قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26) المائدة

ولكنهم يعودون إلى ربهم بعد أن كانوا قد انحرفوا عن الطريق، فيقولون بألسنتهم أنهم قد "هادوا":

- وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156) الأعراف

فلو استثنينا الضمير المتصل "نا" من مفردة " هُدْنَا"، لوجدنا أنها تعود إلى الجذر "هد"، مفردة يهود تعني في ظننا العائدون أو التائبون (إي الراجعون إلى الطريق نفسها بعد أن تاهوا)، فهم قد تاهوا في الأرض أربعين سنة ولكنهم تنبهوا أخيراً إلى سوء ما فعلوا فاتخذوا قرارهم بالعودة إلى الله، فسلكوا طريق العودة، فكانوا يهودا.

ويؤكد مثل هذا الظن ما قاله موسى عندما توجه تلقاء مدين، فحتى لا يخطئ الظن موسى طلب من ربه أن يهديه سواء السبيل:

- وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (22) القصص

وها هم القوم يطلبون من داوود أن يهديهم إلى سواء الصراط:

- إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22)ص

ونحن جميعاً نطلب من ربنا أن يدلنا على الطريق الصحيح حتى لا نضل:

- اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) الفاتحة

عودة على بدء

يذهب من يعرف الطريق إلى مملكة سبأ ليلقي عليهم كتاب من سليمان، فتقرأه ملكتهم على القوم ليكون مفاده أن الكتاب قد جاءها بطريقة الإلقاء، وأن فحواه على النحو التالي:

- قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (30) النمل

وعندها تبدأ قصة سليمان مع الملكة التي سنتناولها في الجزء القادم من المقالة بحول الله وتوفيقه، حيث سنتطرق للحديث عن كيف استجابت الملكة وقومها لدعوة سليمان، وكيف تم إحضار عرشها بأسرع من خطف البصر، ولماذا دخلت صرح سليمان، ولماذا كشفت عن ساقيها عندما دخلت الصرح، وما هو أصلاً صرح سليمان وكيف يختلف عن كرسيه، الخ.

ولكن قبل ذلك لابد من العودة إلى مشكلة فتنة سليمان، وقصة الجسد الذي ألقي على كرسيه، فنحن نتخيل أن افتراءاتنا السابقة ربما ترشدنا لفهم تلك الجزئية بطريقة أكثر دقة وتميزاً مما عهدنا في الكتب الصفراء التي امتلئت بقصص بني إسرائيل المكذوبة.

لذا الله أسأل أن ينفذ قوله بمشيئته وإرادته لي الإحاطة بشي من علمه لا ينبغي لأحد غيري إنه هو السميع المجيب.

أما بعد،

عندما أيقن سليمان من صدق ما قاله الهدهد، وأن الهدهد لا علاقة له بإلقاء ذلك الجسد على كرسيه، وإنما هي فتنة من الله، عندها فقط أيقن سليمان بأن ملكه لم يكتمل بعد كما كان يظن يوم أن حشر الناس في بداية تسلمه للسلطة وقام بهم خطيباً ينبههم إلى عظمة ذلك الملك، لقد وصل سليمان إلى قناعة مفادها أن ملكة يمكن أن يخترق، وها هو يخترق من أعلى (إلقاء)، فعندها أناب إلى ربه، ودعا ربه دعوته الشهيرة بأن لا يهب لأحد من بعده ملكاً كملكه، فجاءت الاستجابة الربانية على النحو التالي:

- **فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36) ص**
- **وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (37) ص**
- **وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (38) ص**

السؤال: لماذا سخر الله لسليمان بعد تلك الفتنة وبعد ذلك الدعاء هؤلاء: الريح، الشياطين، وآخرين مقرنين في الأصفاد؟

الريح: لأنها تهوي

- **حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (31) الحج**

السؤال: هل هي الريح التي هوت بذلك الجسد في ذلك المكان السحيق، فلا ننسى أن سليمان كان لا يزال في واد النمل؟

الشياطين: تتنزل وتتلو

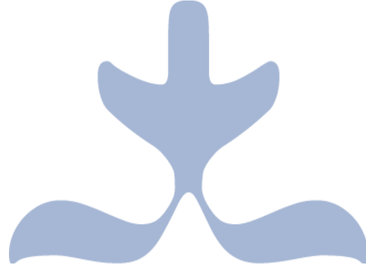
- **وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (210)**
- **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102) البقرة**

السؤال: أم هم الشياطين الذين تنزلوا بذلك الجسد، وتلوه على ملك سليمان؟

المقرنين في الأصفاد: أم هل هم المقرنين في الأصفاد الذي قاموا بتلك الفعلة؟ ومن هم أصلاً المقرنين في الأصفاد أصلاً؟

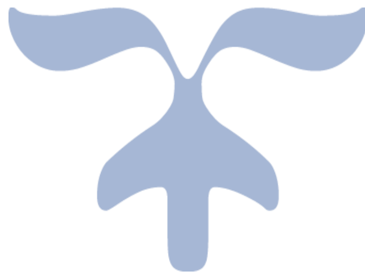
هذا ما سنتابع الحديث عنه في الجزء القادم بحول الله وتوفيقه.

نسأل الله أن نكون ممن يقولون الحق فلا يفترون عليه الكذب إنه هو السميع المجيب.



مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ

الباب الخامس: الإنابة



الباب الخامس: الإنابة

تحدّثنا في الجزء السابق من هذه المقالة عن الفتنة التي حصلت لسليمان وهو لا زال موجوداً في واد النمل، وكان جل افتراءنا يدور حول تقديم سليمان لحب الخير "مداعبة النساء" – كما زعمنا- على ذكر ربه، فلقد اشتغل سليمان بحب الخير في وقت كان مخصصاً أصلاً للتسبيح كما ورثه عن والده داوود، وهو وقت العشي:

- **اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18)ص**

افتراء من عند أنفسنا: لمّا كان وقت العشي هو وقت تسبيح في شريعة الوالد داوود، كان الأولى بسليمان إذاً أن يحافظ على تلك الشريعة، فيخصص ذلك الوقت للتسبيح (الذكر) كما كان يفعل والده داوود، ولكنه في ليلة محددة بذاتها آثر "حب الخير" (عرض الصافنات الجياد) عن ذكر ربه (التسبيح):

- **وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (30) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (31) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (32) رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (33) ص**

وزعمنا أن ذلك حصل يوم أن أراح سليمان جنده في واد النمل ليتم للنمل دخول مساكنهم بعد أن سمع شكوى واحدة من النمل:

- **حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19)النمل**

كما زعمنا أيضاً أن حب مداعبة النساء "الصافنات الجياد" عن ذكر ربه "التسبيح" في وقت العشي كانت هي فتنة سليمان التي وقع فيها، وكان عاقبة تلك الفتنة أن ألقي على كرسيه جسداً:

- **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) ص**

وكان جل النقاش في الجزء السابق منصباً على قصة ذلك الجسد الذي ألقي على كرسي سليمان وطبيعة ردة فعل سليمان على تلك الحادثة يوم أن وجد الجسد ملقي على كرسيه، وحاولنا ربط فتنة سليمان بفتنة والده داوود علنا نفهم سبب تأخر سليمان في الإنابة إلى ربه "ثُمَّ أَنَابَ"، وزعمنا أن هناك فروقات واضحة بين ردة فعل كل منهما على فتنته، فبالرغم أن الفتنة حصلت للوالد داوود وللولد سليمان، لكنّ المتدبر للنص في السياقين القرآنيين - لا شك- سيخرج باستنباطات ذات دلالة، أهمها في نظرنا حتى الساعة هي: في حين أن داوود" فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ"، كانت ردة فعل سليمان على النحو التالي "ثُمَّ أَنَابَ" فقط:

- **... وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24)ص**
- **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34)ص**

وحاولنا في سابقا التركيز على الاستنباطات التالية:

⇐ كلاهما أناب

⇐ داوود فقط هو من استغفر ربه في الحال (**فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ**)

⇐ داوود فقط هو من خرّ راكعاً على الفور (**فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ**)
⇐ داوود هو من أناب على الفور بدليل حرف العطف "ف" وحرف العطف "و" (**فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ**)
⇐ تأخرت إنابة سليمان بدليل حرف العطف "ثم" (**ثُمَّ أَنَابَ**)

السؤال: لماذا تأخر سليمان في الإنابة إلى ربه بالرغم من حصول الفتنة له؟

افتراء من عند أنفسنا: نحن نظن أن تأخر إنابة سليمان ربما يرد إلى زهو سليمان (الملك الجديد) بنفسه، ونحن نفتري القول هنا أن هذا الزهو بالنفس عائد إلى طبيعة الفرق بين داوود من جهة وولده سليمان من جهة أخرى، ونظن أن الفرق ربما تعود جذوره إلى تلك الحادثة التي حصلت مع سليمان عندما كان والده داوود لازال على قيد الحياة: إنها حادثة الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم:

- **وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) الأنبياء**

فعندما حصلت تلك الحادثة كان سليمان لازال شاباً صغيراً، وكان الله قد آتى سليمان كما والده داوود علماً وحكما " وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا"، ولكن بالرغم من صغر سنّه إلا أن هذا الشاب هو فقط من فهمه الله الحادثة (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ)، ولكن كيف؟

جواب: على الرغم أن كلاهما (داوود وسليمان) قد أوتيا علماً وحكماً (وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا)، إلا أن فهم الحادثة لم يتأتى إلا لسليمان (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ)، لذا أخذ سليمان منذ تلك الحادثة – نحن نفتري القول- يعتمد بشكل كبير على الفهم، فما أن حصلت الفتنة له عندما عرضت عليه الصافنات الجياد، ووجد الجسد ملقى على كرسيه، حتى أخذ الملك الشاب يحاول فهم المشكلة لوحده، تاركاً بعض الشيء جانب العلم والحكمة، وكان هذا في ظننا سبب تأخر سليمان في الإنابة، وربما هو السبب الذي لم يدفع بسليمان أن يستغفر ربه على الفور أو أن يخر راكعاً كما فعل والده داوود الذي ما كان ليتأخر لحظة واحدة في الاستغفار والركوع والإنابة عندما ظن أنه قد فتن:

- **...وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (24) ص**

ونحن نظن أن السبب في ذلك ربما يعود إلى اعتماد داوود في الدرجة الأولى على العلم والحكم، ولكن لمّا كان سليمان يعتمد على الفهم (بالإضافة إلى العلم والحكم)، أخذ قسطاً من الزمن يقلّب الأمور في ذهنه ظاناً أنه سيخرج باستنباطات صحيحة حول تلك الحادثة من تلقاء نفسه، وما هي إلا لحظات قليلة حتى يتعلم سليمان درساً (من الهدهد) الذي أفهمه أن فهمه قد لا يسعفه على الدوام، لذا لمّا اكتشف سليمان خطأه (بعد فترة من الزمن) عاد على الفور لينيب إلى ربه، ولكن ذلك أخذ منه قسطاً من الزمن بدليل وجود حرف الجر "ثم" في النص القرآني:

- **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) ص**

الإنابة

السؤال: ما معنى الإنابة؟ وكيف أناب سليمان ووالده داوود من قبله؟ وما الفرق بين الإنابة والاستغفار؟

جواب: لابد من وجود فرق بين الاستغفار من جهة والإنابة من جهة أخرى بدليل أن داوود قام بالفعلين معاً:

- **وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24) ص**

فلو كان الاستغفار يشمل الإنابة، ولو كانت الإنابة تشمل الاستغفار، لما- نحن نزعم القول- ورد اللفظان معاً في حادثة داوود، ولكن لما قام داوود بفعل الاستغفار، وقام بفعل الإنابة بعد ذلك، وجاء الخرور راكعاً ليفصل بينهما (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ)، ربما حقّ لنا أن نتساءل عن الفرق بين هذه الأفعال، فما الذي فعله داوود عندما قام بكل واحدة منها:

⇐ الاستغفار (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ)
⇐ الخرور راكعاً (وَخَرَّ رَاكِعًا)
⇐ الإنابة (وَأَنَابَ)

الاستغفار

لنبدأ النقاش بالاستغفار محاولين تقديم الاستنباطات التالية

⇐ الاستغفار هو قول:

- **سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (11) الفتح**

⇐ الاستغفار يمكن أن يكون من شخص آخر:

- **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159) آل عمران**
- **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (64) النساء**
- **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (12) الحجرات**
- **قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (97) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (98) يوسف**
- **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7) غافر**
- **تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ۚ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (5) الشورى**

⇐ الاستغفار يجوز لشخص مؤمن ولكن لا يجوز لشخص كفر بالله:

- **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (19) محمد**

- وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (5) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (6) المنافقون
- وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (114) التوبة

⇐ الاستغفار يتطلب أيضاً التوبة التي قد تسبقه وقد تلحق به:

- أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (74) المائدة
- وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (52) هود

⇐ ارتبط الاستغفار بزمن محدد وهو وقت الأسحار:

- الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (16) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (17) آل عمران
- إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (16) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18) الذاريات

⇐ الاستغفار سبب في تجنب العقوبة:

- وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33) الأنفال

⇐ الاستغفار سبب في جلب الخير:

- فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (12) نوح

الخرور راكعاً

فبالإضافة إلى الاستغفار، فقد خر داوود راكعاً، فهو لم يكتفي – نحن نزعم القول- بفعل كلامي (الاستغفار)، ولكنّه أقدم على القيام بفعل عملي وهو الخرور راكعاً، فلماذا خر داوود راكعاً؟ وما معنى أن يخر راكعاً؟ ولِم لَم يأت النص القرآني على نحو أنه خر ساجداً كما فعل إخوة يوسف مثلاً؟

- وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100) يوسف

فمن عادة الناس أن يخروا لربهم سجداً، أليس كذلك؟

- إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (15) السجدة

السؤال: لم إذن خر داوود راكعاً؟ ولم لم يخر ساجداً؟

رأينا: نحن نقدم الافتراءات التالية:

⇐ ربما يتحصل الخرور ساجداً (أو السجود) لغير الله كما فعل الملائكة مع آدم:

- **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) البقرة**

⇐ وكما فعل إخوة يوسف:

- **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100) يوسف**

⇐ الخرور ساجداً ربما يحصل في أي مكان، فإخوة يوسف خروا له سجداً في بلاطه

⇐ الخرور ساجداً لا يشترط فيه الطهارة، فلا أظن أن إخوة يوسف كانوا جميعا على طهارة لحظة أن خروا ليوسف سجدا، من يدري!!!

⇐ الخرور ساجداً لا يتحدد بوقت محدد، فلا أظن أن إخوة يوسف انتظروا حصول وقت محدد لكي يخروا لأخيهم فيه سجدا، من يدري!!!

⇐ السجود يمكن أن يتحصل لغير البشر كما في حالة النجم والشجر:

- **وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) الرحمن**

⇐ السجود لا يتطلب بالضرورة تولية الوجه شطر جهة محددة، فعادة ما يخر الساجد جهة المسجود له حيثما كان.

⇐ لكن بالمقابل

⇐ الخرور راكعاً لا يتم إلا لله الواحد الأحد، فلم نجد مثالاً واحد يدل على أن الخرور راكعاً يتم لغير الله

⇐ الخرور راكعاً فعل محصور على البشر، فلم نجد مثالاً واحداً يدل على أن الكائنات الأخرى تخر راكعة

⇐ الخرور راكعاً مرتبط بالطهارة، فلقد كان داوود متواجداً في المحراب عندما حصلت له الفتنة، لذا لا بد أنه كان على طهارة وهو في ذلك المكان

⇐ الخرور راكعا ربما يتحدد بمكان معين، فلو كان داوود خارج المحراب لربما – نحن نزعم القول- "خر ساجداً" كما فعل إخوة يوسف، ولكن وجود داوود في المحراب يتطلب الركوع، وذلك لأن السجود في رأينا يمكن أن يتم في أي مكان ولكن الركوع –نحن نفتري الظن- لا يحدث إلا في المسجد وذلك لوجود شرط الطهارة فيه، فها هي مريم تؤمر أن تقوم بالأفعال التالية:

- **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43) آل عمران**

فمريم تستطيع أن تسجد لوحدها متى شاءت، ولكنها أمرت أن تركع مع الراكعين، فركوع الإنسان مع الراكعين وهو في حالة طهارة يشير إلى أنه قد سجد(ركع) لله وحده. وهكذا فعل داوود وهو متواجد في المحراب:

- **وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ**

بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (24) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (25) ص

⇐ الخ

الإنـابـة

عندما دخل القوم على داوود وهو متواجد في المحراب، وظن داوود أن الفتنة قد وقعت له، ما تردد لحظة واحدة بفعل الاستغفار والخرور راكعاً لربه وهو في المحراب، ليعبر عن توبته إلى ربه، ولكنه لم يتوقف عند ذلك، بل زاد على ذلك بفعل الإنابة:

- ... وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24) ص

ولكن سليمان – بالمقابل- لم يقم بفعل الاستغفار ولم يخر راكعاً، ولكنه قام بفعل الإنابة فقط، أليس كذلك؟

- وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) ص

فما معنى أن ينيب الإنسان إلى ربه؟

رأينا: نحن نقدم الاستنباطات المفتراة من عند أنفسنا التالية فيما يخص فعل الإنابة:

سيجد من ينيب إلى الله الهداية حاصلة له من الله:

- وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِۦۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (27) الرعد

- شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (13) الشورى

نحن مأمورون أن نتبع من ينيب إلى الله حتى وإن كان ذلك على حساب عدم طاعة الوالدين:

- وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15) لقمان

اقترنت الإنابة باجتناب الطاغوت واتباع أحسن القول:

- وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (18) الزمر

عدم الإنابة ربما تكون سبباً في وقوع العقاب:

- قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55) الزمر

الإنابة عادة ما تحصل من المجادل:

- فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (74) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (75) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (76) هود

اقترنت الإنابة بالتقوى وبإقامة الصلاة:

- فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) الروم

الإنابة تحصل عند وقوع الضر، وتكون متبوعة بالإخلاص حتى وإن كان لفترة محددة:

- وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (33) الروم
- وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8) الزمر

تتم الإنابة بعد أن يرجع الإنسان ليتأمل نعم الله عليه، فتكون الإنابة مقترنة بالتذكر:

- هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (13) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (14) غافر
- أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ۗ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (8) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (9) وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (11) سبأ
- أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (6) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (8) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (9) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (10) رِزْقًا لِلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ (11) ق

لمّا كانت الإنابة محلها القلب، فإن الله يعطي من ينيب أكثر مما هو متوقع، فالمنيب يكافأ بالمزيد

- هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (32) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (33) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (34) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (35) ق

نتيجة مفتراة: ربما يحصل للإنسان ضر (قد يكون) بسبب النسيان، فيتذكر ربه، ويأخذ بتدبر آياته، فلا يصر المؤمن على ذنبه، وما يكون منه إلا أن يتبع أحسن القول، ويترك الجدل، فيجتنب الطاغوت، ويرضى صادقاً بالحق، ويترك ما كان عليه من الخطأ، لظنه أنه هو سبب الضر الذي وقع فيه، عندها تحصل الإنابة.

وهذا يدعونا إلى تقديم الافتراء التالي:

عندما يترك الإنسان ما كان سبباً في وقوعه في الضلالة، فإن الله متى ما تقبل من العبد إنابته فإنه سيكافئه بالمزيد

فما الذي حصل مع داوود؟

- فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (25) يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26) ص

وما الذي حصل مع سليمان؟

- قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (35) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (37) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (38) هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39) وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (40) ص

ففي كلا الحالتين كان هناك زلفى وحسن مآب (وهو ما سنتعرض له بحول الله وتوفيقه في مرات قادمة)، لكننا سنركز هنا على جزئية واحدة وهي:

لقد حصلت فتنة داوود في قضية الحكم في الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم، فكان الكرم الإلهي يتمثل في أنه لم يحرم داوود من ذلك بعد أن أناب، فتابع داوود مهمته الموكلة إليه في الحكم بين الناس بالحق:

- فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (25) يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26) ص

منطقنا المفترى: ولما كانت فتنة سليمان قد جاءت بسبب النساء "حب الخير" من الصافنات الجياد، جاء الكرم الإلهي على سليمان أنه لم يحرمه من ذلك، بل زاد عطاءه له على النحو التالي:

- هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39) ص

السؤال: لماذا تفضل الله على سليمان (على وجه الخصوص) بأن يمْنن أو أن يمسك بغير حساب؟

افتراء من عند أنفسنا: لقد أنعم الله على سليمان أن يمْنن أو أن يمسك بغير حساب وذلك بسبب إنابته بعد الفتنة التي وقع فيها بسبب "حبه للخير من الصافنات الجياد عن ذكر ربه"، ولا يذكر القرآن الكريم أن مثل هذا العطاء قد تحصّل لشخص آخر غير سليمان، فما معنى أن يمْنن سليمان أو أن يمسك؟

رأينا: نحن نفتري الظن أن الرخصة جاءت لسليمان بعد إنابته على نحو أن يعاشر النساء (فَامْنُنْ) أو أن يترك ذلك (أَمْسِكْ) بناء على رغبة سليمان نفسه وذلك بغير حساب (بِغَيْرِ حِسَابٍ).

استراحة قصيرة:

أمْنن أم أمسك بغير حساب: مقابلة بين محمد وسليمان

جاء الأمر الرباني لمحمد بأن لا يكثر من أن يمْنن بينما كان العطاء الرباني على سليمان متمثلاً بأن يمْنن بغير حساب كما يظهر في التقابل من السياقين القرآنيين التاليين كما نفهمه نحن:

محمد: **وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (6) المدثر**

سليمان: **هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39) ص**

السؤال: لماذا؟

تعرضنا أكثر من مرة لتحليل مفردة "تَمْنُنْ" في السياق القرآني الذي جاء موجهاً إلى النبي محمد:

- **وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6) المدثر**

فحاولنا أن نسأل عن معنى مفردة " تَمْنُنْ" في هذه الآية الكريمة، حيث تجرأنا (ربما بقليل من الوقاحة) أن نضرب بأقوال من سبقونا عرض الحائط، فرفضنا جملة وتفصيلاً ما جاء في تفسير ابن كثير من أقوال المفسرين لهذه الآية الكريمة التي كانت على النحو التالي:

قال ابن عباس لا تعط العطية تلتمس أكثر منها وكذا قال عكرمة ومجاهد وعطاء وطاوس وأبو الأحوص وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم وروي عن ابن مسعود أنه قرأ " ولا تمنن أن تستكثر " وقال الحسن البصري لا تمنن بعملك على ربك تستكثره وكذا قال الربيع بن أنس واختاره ابن جرير وقال خصيف عن مجاهد في قوله تعالى " ولا تمنن تستكثر " قال لا تضعف أن تستكثر من الخير قال تمنن في كلام العرب تضعف وقال ابن زيد : لا تمنن بالنبوة على الناس تستكثرهم بها تأخذ عليه عوضا من الدنيا فهذه أربعة أقوال والأظهر القول الأول والله أعلم.

وظننا أن الغلط الذي وقع فيه من سبقونا إلى العلم من أهل الدراية والحجة قد نجم عن إسقاطهم لمعرفتهم السابقة عن المفردة نفسها على ما في كتاب الله، فلمّا كان السادة العلماء يعلموا أن مفردة "تَمْنُنْ" مشتقة من المنّة، تحصّل لهم الفهم أن النهي هنا جاء للنبي صلى الله عليه وسلم عن المنّة أيّاً كان نوعها كما ظهرت في شروحاتهم.

وبعد زعمنا أننا تدبرنا آيات الكتاب الكريم خرجنا بالاستنباط المفترى التالي: إن مفردة "تَمْنُنْ" مرتبطة بمجالين من المعاني، وهما:

⇐ المنّة: وهي التفضل بإعطاء الآخرين ثم التشهير بالأعطية (وهو ما ذهب إليه معظم المفسرون للنص القرآني)، وربما تصدق الآية الكريمة التالية ظننا هذا:

- **يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (17) الحجرات**

⇐ المنيّ، وهو إنزال ماء الشهوة عند الرجل أو صبه في رحم المرأة، كما في السياق القرآني التالي:

- **أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (58) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (59) الواقعة**

وقدمنا الافتراء التالي: إن المقصود بالآية الكريمة في قوله تعالى "وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ" هو النهي ليس عن الإكثار في التفضل بالأعطية على الآخرين (المنّة) وهو ما ذهب إليه معظم (إن لم يكن جميع) المفسرين للنص القرآني، ولكنّه النهي للنبي محمد عن الإكثار من صب المني في أرحام النساء (إي إنزال المنيّ بالشهوة)، فالله –حسب فهمنا- يطلب من النبي عدم الإكثار من الجماع الذي من خلاله يتم صب المني في رحم المرأة.

الدليل

⇐ أولاً، جاء دليلنا الأول من ربط المفردة نفسها بمفردات الآية التي وردت فيها، ولكن كيف؟

يتطلب تحليل المفردة على المستوى المحلي إثارة العلاقات بين مفردات الآية الكريمة بعضها مع بعض، فنحن نظن أن معنى المفردة الواحدة لا يتأتى من معناها المتعارف عليه بين الناس فقط، وإنما لابد من ربطها بالسياق الذي وردت فيه، فالمفردة (أي مفردة) تكسب معناها من علاقاتها مع المفردات الأخرى في جميع السياقات التي وردت فيها (للتفصيل في هذا الموضوع انظر مقالتنا تحت عنوان والله من ورائهم محيط)، فعند البحث عن معنى مفردة مثل "تمنن" لا بد من ربطها أولاً مع مفردات الآية نفسها، ونعيدها هنا لإمعان النظر في الآية الكريمة من هذا الجانب:

- **وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6) المدثر**

وهنا نثير التساؤل البسيط التالي: ما علاقة "تمنن " بـ "تستكثر"؟
جواب: إنّ أبسط ما يمكن أن نستنتجه هو النهي عن الإكثار من "تمنن" بغض النظر عن معناها، أليس كذلك؟ فالله ينهى النبي عن الإكثار من ذلك الشيء (تَمْنُنْ)، فهل يعقل إذاً أن ينهى الله النبي عن الإكثار من المنّة؟ فإن كان كذلك، فلا بأس إذاً بالقليل منها، فهل كان النبي يَمُن على أحد بشيء ولو كان بأقل القليل؟ أو هل كان يمنن بعمله على ربه فيستكثره (كما ظن بعض المفسرين)؟ إن مراد قولنا هنا هو أن النهي عن المنّة لا يمكن أن يكون بعدم الإكثار منها، بل بالنهي عنها كلياً، فلا قليلها جائز ولا كثيرها ممكن، ولنتخيل ذلك بحق النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي يفهم قوله تعالى:

- **قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًىۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263) البقرة**

إنّ نهي النبي عن الإكثار من المنة فيه اتهام مبطن للنبي بمثل هذا السلوك الذي لا يصح أن يكون من أخلاق المؤمنين ناهيك عن أخلاق النبوة.
ولا يجب أن نغفل كذلك أن المنّة (حسب سياقات القرآن نفسه) ليست من حق البشر على الإطلاق، بل هي من حق رب البشر فقط، مصداقاً لقوله تعالى:

- **يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواۖ قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (17) الحجرات**

إن مثل هذا الفهم يدعونا إلى النظر في احتمالية أن يكون المعنى الآخر "إنزال ماء الرجل بالشهوة في رحم النساء" هو المقصود في الآية الكريمة التي نحن بصدد تبيان بعض معانيها، فالله سبحانه ينهى النبي عن الإكثار من المعاشرة التي من خلالها يخرج ماء الشهوة.

⇐ ثانياً، جاء دليلنا الثاني من ربط الآية التي وردت فيها تلك المفردة مع الآيات السابقة واللاحقة لها، ولكن كيف؟

فحتى يتأكد المعنى الذي ذهبنا إليه لا بد من وجود الروابط التي تدعمه في السياق القرآني نفسه، وهنا ندعو القارئ إلى ربط هذا الاستنتاج (أي المعنى الجديد الذي تحصّل لنا عند ربط مفردات الآية نفسها بعضها مع بعض) مع ما سيتحصل لنا من معاني أخرى عند ربط مفردات الآية قيد الدراسة مع مفردات الآيات المجاورة لها في السياق نفسه، وهنا نورد الآية الكريمة في سياقها الأوسع لنتدبرها من هذا المنظور:

- **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1)**
- **قُمْ فَأَنْذِرْ (2)**
- **وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3)**
- **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4)**
- **وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5)**
- **وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6)**
- **وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7) المدثر**

وهنا نبادر القارئ الكريم بالتساؤل التالي: إن صح ما قاله السادة العلماء في معنى تمنن (أي المنّة)، فما علاقة ذلك بالآيات السابقة واللاحقة للآية التي وردت فيها تلك المفردة؟
فلعل القارئ العادي (لربما حتى غير المتدبر) يدرك المعنى الكلي لتلك الآيات التي تتحدث في مجملها عن دعوة الله لنبيه بتبليغ الرسالة، فالخطاب موجها أولاً وقبل كل شيء للمدثر، أليس كذلك؟ والسادة العلماء أنفسهم لا يشكون قيد أنملة أنّ هذه الآيات كانت من أوائل ما نزل على النبي بعد العلق في مجمل أقوال العلماء، وهي –لا شك- دعوة للنبي للنهوض من فراشه للقيام بواجبات الدعوة، أليس كذلك؟
فالدعوة جاءت للنبي على النحو التالي: النهوض من الفراش لتبليغ الرسالة:

- **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1)**
- **قُمْ فَأَنْذِرْ (2)**

وتكبير ربه:

- **وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3)**

وتطهير ثيابه:

- **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4)**

وهجر الرجز:

- **وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5)**

ومن ثم عدم الإكثار من "تمنن":

- **وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6)**

وأخيراً الصبر على ذلك كله:

- **وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7)**

وهنا نسأل عن علاقة "المنّة على الناس" (كما ظن علماؤنا الأجلاء) بمجمل هذه المعاني، أي هل يستقيم معنى "المنّة على الناس" مع النهوض من الفراش وتكبير الرب وتطهير الثياب، الخ؟ وما دخل طهارة الثياب بـ "المنّة على الناس"؟ كلا وألف كلا، إن ذلك يجعل النص القرآني ليس أكثر من مفردات متناثرة لا علاقة لها ببعضها البعض.
والآن لنتصور المعنى الآخر في هذا السياق وهو النهي عن الإكثار من "إنزال ما الشهوة في رحم النساء" (كما نظن نحن)، فنحن نعلم أن الرجل النائم (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) يقوم من فراشة، فيذكر - أولاً وقبل كل شيء- الله بالتكبير والحمد (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)، ثم تطهير ثيابه والاغتسال من الجنابة (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ).
لاحظ عزيزي القارئ أن من أبجديات عقيدتنا هو الاغتسال لإسقاط الحدث الأكبر والأصغر عند الدخول في الإسلام.
وقد جاء النهي للنبي عن الإكثار من الجماع – في رأينا- للسببين رئيسيين على الأقل:

⇐ نحن نعلم القوة الجنسية التي كان يتمتع بها النبي، ولا أخال أنني بحاجة أن أورد الأحاديث بهذا الصدد، فالسادة العلماء على دراية كافية بهذا الأمر

⇐ أن من أعباء القيام بالدعوة هو التضحية ببعض نِعَم الحياة، فالله لم ينه النبي عن الجماع، ولكنّه طلب من نبيّه التقليل منه، لهذا جاءت الدعوة من الله لنبيه في السياق القرآني نفسه مباشرة بعد الآية

التي ورد فيها ذكر مفردة "ولا تمنن" على النحو التالي:

- **وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7) المدثر**

إن مراد القول إن علاقة المفردة نفسها مع مفردات السياق نفسه (في الآية نفسها والآيات السابقة واللاحقة لها) تؤكد معنى مغاير لما فهمه العلماء من الكلمة عندما أسقطوا المعنى المألوف لديهم لمفردة "تمنن" على السياق القرآني دون الأخذ بالحسبان الموضع الذي وردت به الآية الكريمة.

⇐ ثالثاً، جاء دليلنا الثالث من ربط ما تحصل لنا من استنباطات حول هذه الآيات الكريمة التي جاءت في سورة المدثر مع كل السياقات القرآنية التي تتحدث عن المنة ومشتقاتها والمني ومشتقاته في القرآن كله، ولكن كيف؟

وهنا تبرز أهمية استدعاء السياقات القرآنية الأخرى التي لها ارتباط بمفردة تمنن حتى وإن كانت في غير السياق نفسه، وهذا السلوك نابع من العقيدة الجماعية التي مرادها أنّ القرآن الكريم كتلة واحدة يستحيل أن ينقض بعضه بعضا.

إن استدعاء السياقات الأخرى يتطلب وجود رابط بين تلك السياقات، أي إحالة النص قيد الدراسة إلى نص آخر، وهكذا، فعندما نجد مفردة يصعب استنباط معناها من السياق الواحد نفسه، يصبح لزاماً إحالتها إلى سياقات أخرى، ومن ثم ربط ما يتحصل من استنتاجات من السياقات المختلفة مع بعضها البعض (للتدليل على قوة هذا الرابط في التحليل ندعو القارئ الكريم إلى مراجعة مقالاتنا تحت عنوان كم لبث نوح في قومه؟ وجدلية عذاب القبر).

وعند استدعاء السياقات القرآنية حول المنة والمني من القرآن كله، خرجنا بالاستنباطات المفتراة من عند أنفسنا:

⇐ أولاً، نحن نظن أن المنة لا تكون إلا لله فقط، وهنا ندعو القارئ إلى تفقد جميع سياقات القرآن الكريم التي يرد فيها لفظ المنة ومشتقاته، قال – تعالى-:

- **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (164) آل عمران**
- **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (94) النساء**
- **وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (53) الأنعام**
- **قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90) يوسف**
- **قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (11) إبراهيم**
- **قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ (36) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ (37) طه**

- وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82) القصص
- وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (114) الصافات
- قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (26) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (27) الطور

تشير هذه السياقات جميعاً إلى حقيقة صارخة يصعب المجادلة فيها وهي أنّ المنّة من حق الله وحده، ولا يجوز لبشر (حتى وإن كان نبياً مرسلا) أن يحوز ولو على القليل منها، لهذا جاء الردع من الله للناس كافة بعدم المنة إطلاقاً، قال تعالى:

- يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (17) الحجرات

والمدقق في السياقات القرآنية هذه يجد السبب في ذلك واضح، وهو أن المنة فيها استعلاء على الآخرين، لذا جاءت جميع تلك السياقات متبوعة بحرف الجر "على"، ونحن نعلم أنّ العلو هو صفة خاصة بالله وحدة، فلا يحق للناس أن يعلو بعضهم على بعض.

في حين أنه لا يحق للبشر أن يعلو بعضهم على بعض يحق لهم أن يعلوا على ما دونهم من الخلائق، كالجن والدواب والأنعام وغيرها

⇐ ثانياً، نحن نفتري القول إن إنزال المني هي واحدة من صفات الناس:

- وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (45) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (47) النجم
- نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (57) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (58) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (59) الواقعة
- أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (39) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (40) القيامة

⇐ ثالثاً، نحن نظن أن المنة والمني مشتقتان من جذرين مختلفين وإن كان متشابهين، فما هو المصدر الذي اشتق منه كل واحد من هذه المعاني؟

رأينا: حيث إنني لا أرغب الدخول في جدلية اللغة، والتدليل على كلام الله بما قاله الآخرون، لكني أجلب انتباه القاري إلى صيغة الفعل المضارع الذي نحن بصدد تبيانه والخوض فيه كما ورد في كتاب الله نفسه (لا كما يظنه أهل اللغة)، فلقد جاء فعل المنة على النحو التالي:

- يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (17) الحجرات

وجاءت كذلك على نحو:

- مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46) النجم
- أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (58) الواقعة

- **أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ (37) الإنسان**

إنّ المدقق في صيغة الفعل المضارع يجد حقيقة صارخة وهي على النحو التالي:
جاءت "الميم" في الفعل المضارع لفعل المنّة الذي هو من حق الله وحده مضمومة في جميع السياقات القرآنية على نحو يَمُنُّونَ وتَمُنُّوا ويَمُنُّ، وجاءت "الميم" في الفعل المضارع لفعل "إنزال المني" الذي هو من صفات الناس ساكنة على نحو " تُمْنَىٰ" ويُمْنَىٰ .
وعند تدبر صيغ الفعل الأخرى كالفعل الماضي مثلاً نجد أنّ الميم في جميع صيغ الفعل الماضي لفعل المنة جاءت متحركة على نحو مَنَّ، لنخلص (حسب النص القرآني نفسه) إلى أن الفرق بين الفعلين هي حركة الميم، فإن كانت متحركة فهي مشتقة من المنّة التي هي من حق الله وحده، وإن كانت ساكنة فهي مشتقة من فعل المني الذي هو من فعل الناس، وبهذا الفهم نعود إلى الآية القرآنية التي بدأنا منها:

- **وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6) المدثر**

فعند مراقبة حركة الميم (لفعل " تَمْنُنْ" في هذه الآية الكريمة التي حاولنا دراستها هنا) نجد أنها ساكنة، الأمر الذي يدعم ما زعمنا في البداية أنه المعنى المقصود في هذا السياق القرآني، وهو عدم الإكثار من "صب المني في رحم المرأة".

عودة على بدء

لنحاول الآن ربط هذا الفهم بالمنة الإلهية على سليمان بعد أن أناب:

- **هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39) ص**

نتيجة مفتراة: نحن لا نظن أن الله قد أعطى سليمان الرخصة بأن يمن على الآخرين بالأعطية، فهذه لا تكون إطلاقاً من أخلاق الأنبياء، ولكن الظن أميل إلى الاعتقاد عندنا أن الله قد أعطى الرخصة لسليمان بإنزال ماء الشهوة في رحم النساء بغير حساب.

كما نظن أن التلازم بين مفردة "تمنن" من جهة ومفردة "أمسك" من جهة أخرى في الآية نفسها تدل على أن الحديث جاء خاصاً بالنساء:

- **هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39) ص**

فما معنى أمسك؟

جاء في كتاب الله الحديث عن الإمساك مصاحباً للنساء في مواقع كثيرة، قال تعالى:

- **الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (229)**

- وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231) البقرة
- وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (15) النساء
- وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (37) الأحزاب
- فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) الطلاق

افتراءات خطيرة جداً جداً: نسأل القارئ الكريم الذي لا يريد أن تتزعزع عقيدته الصحيحة التي ورثها عن آباءه وأجداده أن لا يتابع القراءة بعد هذه السطور، فنحن غير مسئولين عن ما ستؤول إليه القناعات بعد هذه الفقرة من الكتابة، لأننا نؤكد (كما فعلنا على الدوام) أن ما نقوله لا يعدو أكثر من افتراءات من عند أنفسنا، نطرحها للنقاش العلمي فقط وليس لإصدار الأحكام التشريعية والمواقف العقائدية.

لذا فالله أسأله جل وعلا أن يعلمنا قول الحق فلا نفتري عليه الكذب، وإن يغفر لنا ذنبنا إن نحن وقعنا فيه عن غير قصد، وأن لا يتوب علينا إن كان غرضنا الإساءة إلى عقائد الآخرين، وأسأله تعالى أن ينفذ قوله بمشيئته وإرادته لي على وجه الخصوص (دون قومي جميعاً) بالإحاطة بشيء من علمه لا ينبغي لأحد غيري إنه هو السميع العليم.

وهذه العقيدة نابعة من الاعتقاد اليقيني بأن العلم لا يتأتى بالأماني والظنون التي هي من عند أنفسنا، ولكن طريق العلم الوحيدة هي ما هو موجود في الكتاب الذي هو الحق من عند ربنا، لذا هناك - في رأينا- فرق كبير بين أن يتّبع الواحد منا أمانيه وظنونه، أو أن يبحث عن العلم في الكتاب بغض النظر عن ما ستؤول إليه الأمور في نهاية المطاف، فعقيدتنا لا ينبغي أن تكون على نحو ما قال نفر من الذين هادوا:

- مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ... (46) النساء

ولكن عقيدتنا هي بكل تأكيد ما كان يجب عليهم أن يقول بدلاً من ذلك، كما جاء في تكملة الآية الكريمة نفسها:

- **وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَـٰكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46) النساء**

ونحن نفتري الظن على الدوام أن أمتنا الإسلامية هي أمة إتبعت الأماني أكثر من اتباعهم العلم الموجود في الكتاب، فلقد وصفنا الله بأننا أمة أميّة:

- **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2) الجمعة**

ولما كنّا أمة أمية، كان إتباع الظن والأماني من الصفات المميزة لنا، فما معنى أن نكون أمة أمية؟ رأينا: لقد جاء الخطاب الإلهي عن بني إسرائيل على النحو التالي:

- **وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (78) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79) البقرة**

فصفات الأميين كما تصوّره الآية الكريمة أنهم:

⇐ **لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ**

⇐ **وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**

لذا تكون عاقبة من يفعل ذلك، ويكتب الكتاب بيده ثم يصور أمانيّه وظنونه التي هي بلا شك من عند نفسه على أنها من عند الله، ستكون عاقبته على النحو التالي:

- **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79) البقرة**

لذا لا بد لمن أراد أن يتبع الحق أن يبحث عنه في الكتاب نفسه، وأن لا يكون متبعاً لظنه راغباً بأماني نفسه، لأن دستوره الذي لا يجب أن يحيد عنه هو قول الحق:

- **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُواۚ وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (135) النساء**

وهذه العقيدة تدعونا إلى أن نتحدث عن ما حصل في قصة التزويج الإلهي للنبي محمد بزينب – موضوع حديثنا هنا- كما يصورها الكتاب نفسه، لا كما نظنها أو كما نتمناها؛ فالتمني والظن في طرف، بينما العلم والحق في الطرف الآخر، لذا نسأل الله تعالى أن يهدينا إلى العلم وإلى الحق الموجود في كتابه بغض النظر عن ما نظن ونتمنى من عند أنفسنا، ونسأل الله تعالى أن لا يجعل في أنفسنا حرج من أن نتقبل الحق مهما كان.

أما بعد

السؤال: لمّا كان الله قد منّ على سليمان بعطائه العظيم بأن يمنن أو يمسك بغير حساب كما في الآية التي ناقشناها سابقاً:

- **هَـٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39) ص**

فلم – نحن نسأل- منع الله محمدا عن الاستزادة من النساء كما جاء في قوله تعالى؟

- **لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا (52) الأحزاب**

فالآية الكريمة الموجهة للنبي محمد على وجه الخصوص تشير– بما لا يدع مجالاً للشك- أن الأمر الإلهي قد صدر بحق النبي محمد بأن لا يتزوج النساء ولا أن يتبدل بهن ولو أعجبه حسنهن، أليس كذلك؟

السؤال: لم صدر مثل هذا الأمر الرباني بحق محمد على وجه الخصوص؟

رأينا: أنا أعلم بأن للحديث عن النبي محمد (عليه أفضل وأتم الصلاة والسلام) طابعاً خاصاً، وقد لا يحتمل الكثيرون الكلام متى وصل إلى شخص النبي الكريم، وربما ستكون ردة فعلهم كبيرة، لذا سأحاول قدر المستطاع انتقاء الكلمات حتى لا نصيب أحدا بسبب كلامنا هذا بشيء من الحرج، والغاية المرجوة لا تعدو أكثر من مناقشة للآية الكريمة السابقة، ربما نصيب في رأينا وربما نخطئه، والقارئ الكريم مدعو أولاً وقبل كل شيء أن يراجع ما قاله الأقدمون بخصوص الآية الكريمة قبل أن يذهب بآرائنا بعيداً عن ما نحاول نحن أن نزعمه.

أما بعد،

بعد قراءة الآية الكريمة السابقة خرجنا بالاستنباطات المفتراة التالية التي هي من عند أنفسنا:

- ⇐ جاء النهي للنبي عن النساء (**لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ**)
- ⇐ جاء النهي للنبي عن النساء في وقت محدد من دعوته وحياته (**لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ**)
- ⇐ جاء النهي للنبي عن تبديل الزوجات بعد الآن، فلا يحق للنبي أن يبدل زوجاته بزوجات جديدات بعد الآن (**لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ**)
- ⇐ جاء النهي للنبي عن النساء في وقت محدد بغض النظر عن رغبة النبي في النساء (**لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ**)
- ⇐ جاء الاستثناء من ذلك خاصاً بما ملكت يمين النبي (**لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ**)
- ⇐ انتهت الآية الكريمة بتأكيد رقابة الله على كل شيء (**لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا**)

السؤال: لم صدر هذا الحكم الإلهي على نبيه في ذلك الوقت بالذات؟ ولم جاء القرار الإلهي على هذه الشاكلة؟

افتراء من عند أنفسنا: نحن نزعم الظن أن الإجابة على مثل هذا التساؤل يمكن استنباطها من الآية الكريمة التالية:

- **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (37) الأحزاب**

رأينا: نحن نزعم الظن أن هذه الآية الكريمة تشير إلى عدة قضايا، نذكر منها:

- ⇐ أن النبي قال للذي أنعم الله عليه وأنعم النبي نفسه عليه (**أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ**)
- ⇐ أن النبي في فترة زمنية معينة قد أخفى شيئاً في نفسه (**وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ**)
- ⇐ ما كان للنبي أن يخفي ذلك في نفسه لأن الله لا محالة مبديه (**وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ**)
- ⇐ كان سبب إخفاء النبي لذاك الشيء في نفسه هو خشيته للناس (**وَتَخْشَى النَّاسَ**)

⇐ كان على النبي أن لا يخشى الناس في ذلك الأمر وأن يقدم خشية الله على خشية الناس لأن الله أحق بالخشية من الناس (**وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ**)

فتسوقنا هذه القضايا مجتمعة إلى طرح السؤال التالي: ما الذي أخفاه النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام في نفسه حتى تدخّل الله بنفسه ليبديه؟

افتراء من عند أنفسنا: نحن نزعم الظن أن النبي محمد قد أخفى في نفسه كلمة واحدة ما كان يجب عليه أن يخفيها، فأنزل الله قرآناً يتلى ليبدي ما أخفى نبيه في نفسه. وقبل أن نتابع الحديث حول هذا الموضوع، لابد من أن نبوح برأينا بأن هذه الآية الكريمة قد تكون من أعظم الأدلة على صدق رسالة محمد، لأنه لو كان محمد يأتي بالقرآن من تلقاء نفسه لما جاء بمثل هذه الآية الكريمة التي تنتقده أشد انتقاد، لا بل وتبدي ما كان يحاول أن يخفيه في نفسه، إن أبسط ما يمكن أن ترشدنا إليه هذه الآية الكريمة هو أن محمداً ما كان يستطيع أن يتقول على ربه بعض الأقاويل.

"سنحاول في مقالة قادمة بحول الله وتوفيقه التفريق بين أن يقول الإنسان شيئاً وأن يخفي ذلك الشيء وتبعات كل من هذين الموقفين على العقيدة. "

لأن الله لا محالة مبدياً ما يخفي محمد في صدره. فالمتدبر للنص القرآني يجد أن الحديث قد جرى بين محمد وزيد على انفراد، ولم يطّلع الناس عليه، وما كان محمد سيبوح به ليحدث الناس بما جرى بينه وبين زيد، وما كان زيد سيحدث الناس بما جرى بينه وبين محمد ليحدث الناس فيه، لذا كان من الممكن أن تبقى القصة برمتها طي الكتمان، ولكن لمّا كان الله هو الرقيب بنفسه على كل شيء، ما كان يسمح بأن لا ينكشف ما أخفى محمد في نفسه حتى لو لم يطلع الناس بأنفسهم عليه، لذا لابد من مراقبة الآية الكريمة نفسها وكيف أنها تنهي الحديث بإثبات الرقابة لله على كل شيء:

- **لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا (52) الأحزاب**

افتراء من عند أنفسنا: لقد أخفى محمد في نفسه كلمة واحدة لم يكن الناس ليطلعوا عليها لولا أن الله هو من أبداها لهم.

السؤال: كيف أخفى محمد –كما تزعم- كلمة واحدة في نفسه؟ وما هي تلك الكلمة التي أخفاها محمد في نفسه؟ وهل يتطلب إخفاء كلمة واحدة مثل هذا الانتقاد الإلهي الشديد لنبيه الكريم؟

افتراء من عند أنفسنا: نحن نظن أن الكلمة التي أخفاها محمد في نفسه هي كلمة "بمعروف"

الدليل

رأينا: نحن نظن أن القاعدة الإلهية الخاصة بإمساك النساء هي على النحو التالي:

- **الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (229) البقرة**

- **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231) البقرة**

- **فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) الطلاق**

لذا، نحن نفتري القول أنه عندما طلب محمد من زيد أن يمسك عليه زينب جاء كلامه كما يصوره القرآن الكريم على النحو التالي:

- **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ...**

وكان الأولى بمحمد الذي لا شك يعرف أن السنة الإلهية تتمثل بأن الإمساك يجب أن يكون بالمعروف، كان الأولى به – نحن نزعم الظن- أن يقول لزيد:

أمسك عليك زوجك بالمعروف

أو – بالمقابل- كان الأولى بمحمد أن يقول لزيد (إن علم أن الحياة بين زيد وزينب قد أصبحت محالة بالمعروف) أن يفارقها بالمعروف:

- **فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) الطلاق**

النتيجة المفتراة: نحن نفتري الظن أن محمد قد وجد نفسه في موقف كان يجب أن يتصرف بواحدة من طريقتين وهما:

أن يقول لزيد أن يمسك عليه زوجه بالمعروف

أو أن يقول لزيد أن يفارق زوجه بالمعروف

ولكن الذي فعله النبي محمد كان قوله لزيد أن يمسك عليه زوجه وكفى:

- **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ...**

فكانت المشكلة تكمن – في رأينا- بأن محمد لم يبد كلمة المعروف عندما طلب من زيد أن يمسك عليه زوجه.

السؤال: لكن لماذا؟ وما الفرق بين الإمساك من جهة والإمساك بالمعروف من جهة أخرى؟

رأينا: الإمساك بالمعروف يتطلب حصول المعاشرة الزوجية بالجماع، أما الإمساك لوحده فلا يتطلب ذلك، ولننظر إلى الدقة المتناهية في النص القرآني في قوله تعالى:

- **وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (15) النساء**

فعندما يتم إمساك المرأة التي تأتي بالفاحشة في البيت فإن ذلك يحدث – على ما أظن- دون حصول المعاشرة الزوجية بالجماع، فلا أخال أن رجلاً يمسك زوجته في بيته بسبب فاحشة أحدثتها يقوم بعد ذلك بعملية الجماع معها. لذا جاء قول الحق في الآية الكريمة بأن يمسكوهن في البيوت " فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ ": ولم يأتي على نحو:

فامسكوهن بالمعروف في البيوت

فالمرأة التي تمسك في البيت بسبب الفاحشة يتم تقديم المأكل والمشرب والمبيت لها (مقومات الحياة الضرورية)، ولكن لا يتم معاشرتها بالجماع، وقد نهى الله الرجال جميعاً عن إمساك النساء ضرارا:

- **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231) البقرة**

فمن أمسك بالمرأة بغير معروف، فقد أمسكها إذاً ضراراً وقد اعتدى على حقوقها (وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا)، وهو بذلك يظلم نفسه (**وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**)

افتراء من عند أنفسنا: إنْ صحّ استنباطنا هذا، فإننا نتصور ما قام به محمد وأخفاه في نفسه على النحو التالي: تحدث مشكلة بين زيد وزينب بسبب عدم رغبة زينب بالزواج من زيد ورغبتها بالزواج بمحمد، يقع في نفس النبي النبأ اليقين أن زينب لا محالة ستصبح زوجة له (فالله هو من سيزوجها إياه).

وهنا لابد من التفريق بين النكاح من جهة والزواج من جهة أخرى، لأن النكاح – في ظننا- هو عمل ينفذه البشر، بينما الزواج فهو فعل يحدثه الله نفسه، فالرجال هم من يقومون بفعل نكاح النساء:

- **وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (221) البقرة**
- **فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (230) البقرة**
- **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (232) البقرة**
- **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (3) النساء**
- **وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (22) النساء**
- **وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (25) النساء**
- **وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۖ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (127) النساء**
- **الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (3) النور**

- وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32) النور
- قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27) القصص
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (49) الأحزاب
- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا(50) الأحزاب
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا (53) الأحزاب
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (10) الممتحنة

ولكن لو نظرنا إلى آيات الزواج لوجدنا أنها تشير في مجملها إلى أن ذلك ليس من صنيع البشر بل هو فعل رباني:

- وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (37) الأحزاب
- خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (6) الزمر
- أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50) الشورى
- كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (54) الدخان
- وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (49) الذاريات
- مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (20) الطور
- وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (45) النجم
- فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (39) القيامة

- وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7) التكوير

للتفصيل انظر مقالتنا تحت عنوان ثلاثية المرأة

وفي الوقت ذاته تقع الخشية في نفس محمد من كلام الناس (بأن محمد يتزوج من زوجة أدعيائه)، يحاول محمد أن يتجنب مثل هذا الموقف "المحرج" فيقوم بمحاولته الأخيرة في الإصلاح بين زيد وزينب، فيأتي حديثه موجها لزيد على النحو التالي:

- وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ

ويكأن محمد إذاً يقول لزيد – حسب ظننا طبعاً- بأن يدع زينب في عصمته كزوجة) أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ)، ولكن لا تعاشرها معاشرة الزوج لزوجته بالفراش (أي بالمعروف).

ولا ننسى أن زيد قد لجأ إلى النبي محمد ليحدثه بأمر علاقته بزينب، ولا شك لدينا أن الحديث بينهما (مادام أن محمد هو بمنزلة الوالد لزيد) قد وصل إلى أدق الخصوصيات، فلا أظن أن زيداً يمكن أن يخفي شيئاً عن محمد، وهنا – نحن نفتري الظن- يسكت النبي محمد على ما في نفسه، غير راغب في الوقت نفسه عن قبول زينب كزوجة له، فإرادة النبي بنكاح زينب لم ينفيها النص القرآني، ولو شئت فاقرأ قول الحق:

- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (50) الأحزاب

فالرجل لا يمكن أن ينكح المرأة إذا لم تتوافر عنده الإرادة بذلك. ولا يبوح بشيء من ذلك، حتى يحصل الطلاق بين زيد وزينب، وحتى يحدث التزويج الإلهي له بزينب. انظر تتمة الآية الكريمة قيد البحث نفسها:

- وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (37) الأحزاب

فخلال الفترة الزمنية التي وقعت فيها تلك المشكلة بين زيد وزينب، وحتى حصول التزويج الإلهي لمحمد بزينب، "لم ينيب" النبي محمد – نحن نزعم- مما قال لزيد وأخفاه في نفسه بأن النساء تُمْسَك بالمعروف أو تُسرَّح بالمعروف:

- فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ

عودة على بدء

عند مقارنة ما بدر من نفس محمد في حادثة النساء هذه (قصة زينب) مع ما بدر من سليمان في حادثة النساء تلك (الصافنات الجياد)، نجد أن الرد الإلهي جاء متعاكساً تماماً، ففي حين أن الله قد منّ على سليمان بأن يمنن أو أن يمسك كما يشاء وبغير حساب:

- هَـٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39) ص

جاء العقاب الرباني لمحمد على نحو المنع عن التزوج بالنساء أو تبديلهن بعد هذه المرة (أي الزواج بزينب).

- **لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا (52) الأحزاب**

سؤال: لماذا استمرت مشكلة تطليق زيد لزينب فترة من الزمن؟ ولماذا تأخر التزويج الإلهي لمحمد بزينب بعض الشيء؟

رأينا: في ضوء تخريصاتنا السابقة، فإننا نزعم أن السبب كان انتظاراً إلهياً لمحمد بأن ينيب كما فعل سليمان، فلو قام محمد بالإنابة، أي ربما بالكف عن النساء تماماً، والعودة إلى السنة الإلهية بأن يتراجع عن كلامه ويعود ليقول لزيد بأن عليه أن يمسك عليه زوجه بالمعروف، فلو حصل كل ذلك، لربما – نحن نفتري القول- جاء الرد الإلهي لمحمد مطابقاً للرد الإلهي الذي جاء لسليمان بأن يمنن أو أن يمسك بغير حساب.

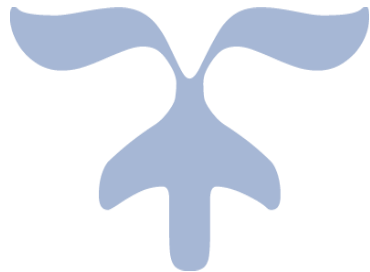
وللحديث بقية بحول الله وتوفيقه،

فالله أسأل أن يأذن لي الإحاطة بشيء من علمه، إنه هو السميع المجيب.



مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ

الباب السادس: النمل



الباب السادس: النـمـل

حاولنا في الجزء السابق التفريق بين ثلاث مفردات قرآنية هي الإنابة، والاستغفار، والخرور راكعاً، وكان القصد مدفوعاً بالرغبة المرجوة أن نفهم من خلال ذلك سبب تأخر سليمان في الإنابة بعد أن حصلت له الفتنة ووجد الجسد ملقىً على كرسيّه، وقادنا الحديث عندئذ إلى تقديم الافتراء الذي مفاده أن فتنة سليمان كان سببها حبه للخير من الصافنات الجياد (أي مداعبة النساء) عن ذكر ربه (أي التسبيح) في وقت العشي الذي كان من المفترض أن يخصصه سليمان للتسبيح كما كانت شريعة والده داوود من قبله، وكان همنا هو إثبات أنه لمّا أناب سليمان من فتنته تلك، جاءه الكرم الإلهي على نحو أن يمْنن أو أن يمسك بغير حساب، فخضنا في معنى الآية الكريمة (**هَـٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**)، وحاولنا عقد مقارنة بين ما حصل لسليمان بعد إنابته تلك مع ما تحصّل لمحمد بعد حادثة التزويج الإلهي له بزينب كما جاء في الآية الكريمة (**لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا**).

وقد توقفنا في الجزء السابق عند هذه الأعطية الربانية الكريمة لسليمان بأن يمْنن أو أن يمسك بغير حساب، وزعمنا الظن أن كل ذلك حصل في واد النمل عندما أوقف سليمان جيشه بأكمله من الجن والإنس والطير ليتيح المجال للنمل بأن يدخلوا مساكنهم حتى لا يحطمنهم سليمان وجنوده.

وسنرى لاحقاً أن دخول النمل مساكنهم كانت علامة على استسلام النمل لسليمان وجنوده لأن سليمان كان أصلاً قاصداً واد النمل في حملته العسكرية تلك.

وحيث وجد الجسد ملقىً على كرسيه، فحاول أن يفهم كيفية وصول الجسد إلى كرسيه بنفسه، فأخطأ سليمان الاستنتاج – نحن نفتري القول- عندما ظن أن الهدهد هو من قام بفعل الإلقاء (أو أنه قد قصّر في مهمته في حراسة الكرسي من أعلى)، فخرج باحثاً عنه، مهدداً له بالذبح أو متوعداً إياه بالعقاب الشديد، ولمّا استطاع الهدهد أن يقدّم لسليمان الدليل على أنه لم يكن موجوداً في المكان كله لحظة أن ألقي الجسد على كرسيه، فهو كان يستطلع خبر ملكة سبأ، أسكت ذلك غضب سليمان من الهدهد بعض الشيء، ولكنه أرسله في مهمة إلقاء رسالته إلى تلك الملكة، طالباً فيها أن تأتيه وقومها مسلمين قبل أن يأتيهم سليمان بجنود لا قبل لهم بها.

ولمّا كان الحديث عن قصة سليمان لم يصل إلى نهايته بعد، ظننا أن التساؤلات التالية ستكون محور نقاش في الأجزاء القادمة من مقالتنا هذه:

- ⇐ ما هو النمل؟ ولم النمل؟ وما هي تلك النملة التي تحدثت باسم جنسها؟ وأين هو واد النمل ذاك؟ وكيف هي مساكن النمل؟ وكيف دخل النمل إلى مساكنهم؟ الخ؟
- ⇐ ما هو الهدهد؟ وكيف أوصل الهدهد الرسالة للملكة؟ كيف عاد بالرد؟ الخ؟
- ⇐ من هي تلك الملكة؟ وأين هي مملكتها؟ ولماذا كانت امرأة هي التي تحكمهم؟ لم لم يكن الذي يحكمهم رجل منهم؟ ولم استجابت لطلب سليمان؟ وما هي الهدية التي أرسلتها لسليمان؟ لماذا ردّ سليمان هديتها إليها؟
- ⇐ كيف تم إحضار عرشها إلى سليمان؟ ولماذا العرش؟ وما هو العرش الذي أحضر؟ ومن الذي أحضره؟ وما هو عفريت الجن الذي تبرع بإحضار العرش لسليمان قبل أن يقوم من مقامه؟ ومن هو "الذي عنده علم من الكتاب" الذي كان حاضراً في ملأ سليمان؟ وكيف استطاع أن يحضر العرش قبل أن يرتد لسليمان طرفه؟

⇐ كيف تعرفت المرأة الملكة على عرشها؟
⇐ لماذا أُمرت أن تدخل الصرح؟ وما هو ذلك الصرح؟
⇐ لماذا كشفت عن ساقيها عندما رأت الصرح؟
⇐ الخ.

وسنتابع في هذا الجزء الحديث عن قصة سليمان مع النمل فقط، مبرزين التساؤلات التالية:
⇐ ما هو النمل؟ ولم النمل؟ وما هي تلك النملة التي تحدثت باسم جنسها؟ وأين هو واد النمل ذاك؟ وكيف هي مساكن النمل؟ وكيف دخل النمل إلى مساكنهم؟ ولم ذهب سليمان إلى واد النمل أصلاً؟ وهل فعلا دخل سليمان وجنوده واد النمل؟ الخ؟

دعاء: اللهم رب أنفذ قولك بمشيئتك وإرادتك لي الإحاطة بشيء من علمك لا ينبغي لأحد غيري إنك أنت العلي العظيم، وأسألك ربي أن تؤتيني كفلين من رحمتك وأن تجعل لي نورا أمشي به وأن تغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم

أما بعد،

النمل

ربما يثور الاستغراب لدى الكثيرين إن نحن طرحنا التساؤل البسيط التالي:
ما هو النمل؟ أو ما معنى مفردة النمل التي وردت في كتاب الله؟ وهل هي فعلاً تلك الحشرة التي نعرفها؟

للتفصيل حول النمل انظر ما جاء في الويكيبيديا حول هذا الكائن:
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D9%85%D9%84

ولكننا نستطيع بحول الله وتوفيقه أن نلقي بظلال الشك على كل ما جاء به المفسرون حول هذه القصة القرآنية عن النمل عندما نطرح التساؤلات التالية:

⇐ أولاً، ألم يُعلَّمْ سليمان منطق الطير (**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ**)؟ فكيف إذاً بسليمان الذي كان قد عُلِّمَ منطق الطير يتخاطب الآن مع حشرة تزحف على الأرض؟ أي كيف يمكن أن يستقيم المعنى عندنا إن نحن فهمنا أن سليمان قد تعلم منطق الطير وها هو يفهم خطاب حشرة تزحف على الأرض؟

رأينا: ربما لا يستقيم المعنى عندنا إلا بواحدة من طريقتين:

- أن يكون سليمان قد تعلم منطق تلك النملة التي هي ليست من الطير الذي تعلم منطقه
- أو أن تكون تلك الحشرة (التي نعرفها على أنها هي النمل) من فصيلة الطير الذي تعلم سليمان منطقه

⇐ ثانياً، ألم يكن الحوار قد جرى في واد النمل (**حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**)؟ فكيف نفهم أن لذاك النمل واد خاص به،

ونحن نعلم أن النمل الذي نعرفه منتشر في كافة أرجاء المعمورة؟ فكيف إذاً بذاك الواد يكون هو "واد النمل" على وجه التحديد؟

⇐ ثالثاً، ألم يجري الحوار في واد النمل؟ ألم تطلب النملة من رفيقاتها أن يدخلوا مساكنهم؟ فإذا كان النمل قد دخل مساكنه التي – ظن علماؤنا- أنها في باطن الأرض، ألن يسبب مرور سليمان وجنوده في ذلك الوادي فوق مساكنهم (حسب فهمهم بالطبع) تدميراً أشد مما لو بقوا متواجدين فوق الأرض؟ فأين كانت مساكن النمل التي دخلوها؟ وكيف تجاوز سليمان وجنوده (إن كانوا قد فعلوا أصلاً) ذلك الوادي دون أن يسببوا أذى لجموع النمل فيه؟

⇐ رابعاً، ألم تكن النملة تخشى من التحطيم من قبل سليمان وجنوده (الإنس والجن والطير)؟ فكيف يمكن أن يشترك جنود سليمان كلهم في تدمير النمل في ذاك الواد إن كان هو النمل الذي نعرفه؟ ألا يجب علينا أن نفهم كيف يمكن أن يشارك الطير (مادام أنه جزء من جنود سليمان) في تدمير النمل؟ أليس حريّ بنا أن نفهم كيف يمكن أن يشارك الجن في ذلك؟ إنّ جل الصورة التي رسمتها لنا التفسيرات القديمة هي صورة مشاركة الإنس فقط في التحطيم. ولو كان الأمر على تلك الشاكلة، لربما حصل التحطيم لذاك النمل من قبل الإنس حتى بعد أن تدخل إلى مساكنها (هذا إن كانت مساكنها موجودة في باطن الأرض كما صورته التفسيرات القديمة)، وهل يمكن أن يكون المسكن أصلاً في باطن الأرض؟ وما الفرق إذاً بين المسكن والبيت؟ فلم كان للنمل مساكن ولم لم يكن لها بيوت كالنحل أو كالعنكبوت مثلاً؟

رأينا: نحن نظن أن رأي من سبقونا هو رأي مغلوط بكل تأكيد، لا يرقى أن يكون أكثر من إتباع للظن والأماني، وتنقصه الحجة الدامغة المستنبطة من الكتاب نفسه. ونحن نفتري الظن أن شواهد القرآن نفسه ربما تبطل (حسب زعمنا) ما ذهبت إليه هذه الأمة الأميّة قروناً من الزمن. لذا لابد من إعادة النبش في مفردات الآية الكريمة، علّنا نستطيع – بحول الله وتوفيقه- أن نرسم صورة أكثر وضوحاً للمشهد كما يصوره القص القرآني نفسه، مؤكدين في الوقت ذاته على إتباعنا منهج أهل العلم، ولا نحمل من منهج الأمة الأميّة إلا الاعتقاد اليقيني بأن نسلم لربنا:

- **فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِۦ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْۦ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْاۖوَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُۗوَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (20) آل عمران**

محاولين (ما استطعنا إلى ذلك سبيلا) أن نترك الأماني والظنون التي قد لا تسمن ولا تغني من جوع:

- **وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (78) البقرة**

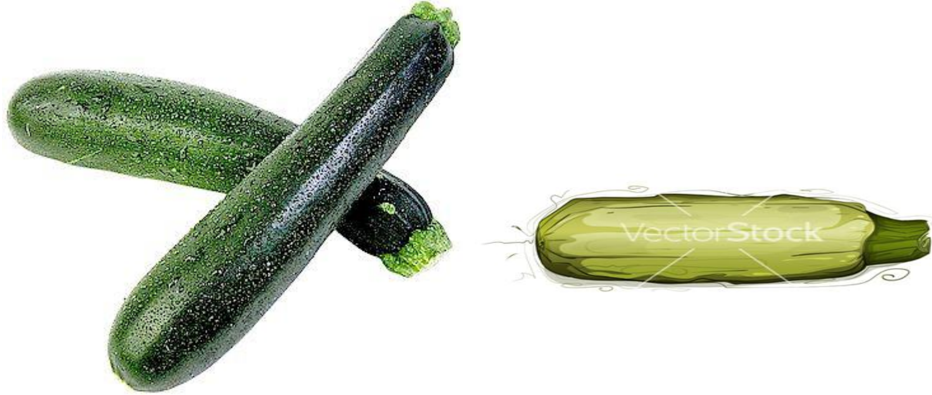
استراحة قصيرة

نجد لزاماً هنا التأكيد على فكرة حاولنا تمريرها مرات ومرات، ألا وهي ظننا بأن من الخطأ الجسيم أن نسقط فهمنا الشعبي على ما في كتاب الله، فلقد كانت الطّامة الكبرى – في رأينا- عند علمائنا من أهل العلم والدراية تتمثل في أنهم لم يحاولوا تهذيب معرفتهم بالحجة من الكتاب، فلقد أسقطوا الأفهام الشعبية على النص القرآني دون تمحيص للمعلومة ودون تهذيب لمعرفتهم، فخرجوا بتفسيرات أشد ما تكون غرابة، وأسهل ما تكون للدحض والتبطيل. وسأحاول في عجالة أن أقدم مثالاً غالباً ما تغنى به أهل العلم والدراية وخاصة

المروجون منهم لنظريات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، والمثال الذي أقدمه يثير سؤالاً بسيطاً حول ما جاء في واحدة من الآيات الكريمة التالية التي تتحدث عن قصة سيدنا يونس (صاحب الحوت):

- **فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (145) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (146) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (147) الصافات**

فعندما تصدى أهل للعلم للحديث عن شجرة اليقطين التي أنبتها الله على يونس، ذهبت جل تفسيراتهم إلى ذلك النوع من النباتات الذي يعرفونه هم أنفسهم باسم اليقطين، وما يعرف باللسان الإنجليزي بمسميات مثل Zucchini (courgette أو marrow (squash كما في الشكل التالي:



وذهب بعضهم إلى أن تلك النبتة من اليقطين هي من الأنواع التالية (pumkin):



أما استغرابنا فيأتي من الحقيقة التالية: كيف يمكن لتلك الأنواع من النباتات أن تكون شجرة؟ والأهم من ذلك كيف يمكن أن تكون شجرة يستظل الرجل بظلها؟ فالقرآن الكريم يثبت أن الله قد أنبت تلك الشجرة عليه:

- **وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (146) الصافات**

فدلوني (بالله عليكم) كيف يمكن أن تكون تلك شجرة قد نبتت على الرجل؟ هل يمكن لتلك الأنواع من النباتات أن تنمو لدرجة أن تكون بحجم شجرة يستظل بظلها رجل؟ من يدري!!!

وربما تكون الصورة على نحو أن تلك النبتة قد التفت حول جسمه حتى غطته بالكلية، فلا ننسى أن آدم وزوجه طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، فمفردة "عليه" وعليهما تستدعي جلب سياقات قرآنية

عديدة لفهم ماهية العلو هنا. وهذا ما سنتحدث عنه بحول الله وتوفيقه في مرات قادمة منفصلة إن أذن الله لنا بشيء من علمه.

رأينا: لابد قبل أن نغوص في الاعجازات العلمية، وقبل أن نقع فيما قد لا يحمد عقباه لاحقاً، لابد أن نهذب ما تحصل لنا من معرفة بعلم اليقطين الذي نعرفه بعرضها على كتاب الله، فيحق لنا أن نتساءل أولاً وقبل كل شيء: هل فعلاً أن شجرة اليقطين التي أنبتها الله على صاحب الحوت بعد أن نبذ بالعراء من بطن الحوت هل فعلاً هي نفسها اليقطين الذي نعرفه في مطابخ أمهاتنا وزوجاتنا؟! أم أن للنص القرآني خصوصية لا يجب أن نتعدى عليها بالظن والأماني؟ والسؤال الأكبر الذي يجب على أهل العلم أن يحسموا أمرهم فيه هو: هل نسقط معرفتنا البشرية على النص القرآني؟ أم هل علينا أن نهذب معرفتنا بالعلم الموجود في النص القرآني؟ هل نصدر نحن معرفتنا الحياتية بحِلوها ومرِّها، بصحيحها وخطئها، إلى النص القرآني دون تمحيص أو تدقيق؟ أم هل يجب علينا أن نهذب معرفتنا تلك بما في القرآن من علم وفير صحيح؟

رأينا: لمّا كان موقفنا العقائدي يتمثل في أننا لا نصدّر المعرفة إلى النص القرآني بل نستورد العلم منه، كان لزاماً علينا أن نسأل: ما معنى مفردة النمل التي وردت في قصة نبي الله سليمان؟ هل هي النمل الذي نعرفه من كلام جداتنا؟ أم هل هو شيء ربما يكون مختلفاً عن ما ألفنا للكلمة من معنى في كلام أهل العربية؟

أما بعد

السؤال: ما هو النمل؟

رأينا (1): ربما يكون النمل نوع من الطير؟

منطقنا المفترى: مادام أن سليمان قد عُلِّم منطق الطير، فهو إذن يستطيع أن يفهم وربما يخاطب الطير، ولمّا كان سليمان قد سمع قول تلك النملة وفهمه، فلابد إذن أنه قد فهم قول من تعلم منطقه. فيستحيل أن تعلم أنت منطق الإنجليز فتفهم خطاب الروس، أو أن تتعلم منطق أهل الصين لتفهم ما يقوله الأرجنتينيون أو البرازيليون؟ ولا ننسى أن سليمان قد تبسم ضاحكاً من قولها، فكيف ولماذا تبسم من قولها؟

ما هو منطق النمل؟

إن هذا النوع من التحريف (أو التخريف) الذي هو من عند أنفسنا يدعونا على الفور للتدبر بمعنى المنطق، لنسأل: ما هو المنطق؟

رأينا: غالباً ما تبادر لذهن القارئ للنص القرآني أن المنطق هو اللغة نفسها، فسليمان عندما تعلم منطق الطير، فهو إذن قد تعلم لغتها، أليس كذلك؟

السؤال: ما علاقة المنطق باللغة؟ هل فعلاً المنطق هو اللغة نفسها؟ وإن كان كذلك، فلم لم يتخاطب سليمان مع تلك النملة التي تحدثت بالنيابة عن زميلاتها؟ ولِم تخاطب سليمان من بعد ذلك مع الهدهد؟ وكيف يمكن أن يختلف منطق النملة عن منطق الهدهد؟ إن جل الذي حصل بين سليمان وتلك النملة هو أن الرجل قد سمع قولها ففهمه:

- **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) النمل**

ولكن المتدبر للسياقات القرآنية الخاصة بسليمان يجد أن سليمان لم يجري حديثاً معها كما فعل عندما خاطب الهدهد، أليس كذلك؟

السؤال: لماذا لم يجري سليمان حديثاً (بالأخذ والرد) مع تلك النملة؟

رأينا: كان سليمان يفهم منطقها لكنها (أي النملة) لم تكن تفهم منطقه. ولكن لماذا؟

رأينا: تحدثنا في مقالة سابقة لنا تحت عنوان "علم اللغة" عن هذه الجزئية، ولا نجد ضيراً في إعادة صياغة بعض الأفكار التي وردت هناك لتخدم غرضنا هنا في هذه المقالة التي تتحدث عن قصة سليمان مع تلك النملة.

فلقد ورد في القرآن الكريم في أكثر من موضع الحديث عن "اللغة"، فجاء ذكر اللغة في القرآن الكريم – نحن نفتري الظن- بمفردة "لسان" وهو ما يستخدمه أهل اللغة الإنجليزية بـ "Mother tongue":

- وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (78) آل عمران
- مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (46) النساء
- وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (4) إبراهيم
- وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ الْنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ (62) النحل
- وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (103) النحل
- وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ (116) النحل
- وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50) مريم
- فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا (97) مريم
- وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (27) طه
- إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15) النور
- يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) النور
- وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (13) الشعراء
- وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (84) الشعراء
- بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (195) الشعراء
- وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (34) القصص
- وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ (22) الروم

- فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (58) الدخان
- وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ (12) الأحقاف
- سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (11) الفتح
- إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (2) الممتحنة
- لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19) القيامة
- أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10) البلد

نتيجة مفتراة: اللسان كينونة خاصة بالبشر، فتدبر الآيات الكريمة السابقة التي جاء فيها ذكر اللسان يدلّنا على أنّ الحديث كان خاصاً بنا نحن البشر، ولم يشمل الكائنات الأخرى كالجن أو الطير مثلاً.

⇐ ثانياً، جاء الحديث عن اللغة كذلك بذكر الأسماء "Naming Theory":

- "وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (31) البقرة
- قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (33) البقرة
- قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (71) الأعراف
- مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (40) يوسف
- إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى (23) النجم

⇐ ثالثاً، جاءت اللغة بمعنى النطق (والمنطق):

- قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (63) الأنبياء
- ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ (65) الأنبياء

- وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (62) المؤمنون
- وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) النمل
- وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ (85) النمل
- مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (92) الصافات
- وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21) فصلت
- هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (29) الجاثية
- فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (23) الذاريات
- وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) النجم
- هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (35) المرسلات

واختص الله سبحانه اللغة العربية بالذكر في أكثر من موضع:

- إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) يوسف
- وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (37) الرعد
- وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (103) النحل
- وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113)
- نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (195) الشعراء
- قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (28) الزمر
- كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) فصلت
- وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (44) فصلت
- وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (7) الشورى

- وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (3) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (4) الزخرف
- وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ (12) الأحقاف

نتيجة مفتراة: نحن نفتري الظن أن هذه المفردات (اللسان والنطق والأسماء) وإن دلت جميعها على اللغة لا تعني الشيء نفسه.

فلكل منها مدلولاته التي لا تتطابق تماما مع الأخرى، فهي مفردات متشابهة لكنها بكل تأكيد ليست متطابقة، لذا نحن نبحث عن الاختلاف بينها، وحتى يتبين القارئ وجاهة ما نقول ندعوه إلى تدبر الآيات الكريمة التي تتحدث عن النطق مثلاً ليجد أن جميعها تتحدث عن ما يسميه البعض "بالجمادات" "والحيوانات" كأصنام قوم إبراهيم، والكتاب، والطير، والجلود، وهكذا، ولكنها تتحدث عن البشر في حالات قليلة جداً، وهي:

- فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (23) الذاريات
- وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) النجم
- هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (35) المرسلات

وتساؤلنا البسيط هو: لماذا؟ ما الذي يجمع بين هذه الآيات التي تتحدث عن البشر وتلك التي تتحدث عن غير البشر حتى يستخدم لفظ "النطق" على وجه التحديد؟ نقول أنّ المتفحص لهذه الآيات يدرك أنّ الذي "ينطق" لا شك يقول الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة. فالكتاب ينطق بالحق، ونبينا لا ينطق عن الهوى، ولو تحدثت أصنام قوم إبراهيم لنطقت بالحق كما ستنطق جلودهم يوم أنْ يأذن الله لها:

- وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21) فصلت

  وهم لا يستطيعون النطق لأنهم لا يستطيعون قول الحق، فمن لا يقول الحق لا يستطيع النطق:

- وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ (85) النمل
- مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (92) الصافات

نتيجة مفتراة (1): نحن نفتري الظن أن الذي ينطق لا يحتاج إلى لسان، فالكتاب الذي ينطق عليهم، وجلودهم التي نطقت لتشهد عليهم، ليس لها لسان لتستخدمه حتى تقوم بفعل النطق.

نتيجة مفتراة (2): أما الذي ينطق وعنده لسان، فلا يمكن أن يستخدم لسانه ليفتري الكذب، فرسولنا – لا شك- لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

نتيجة مفتراة (3): نحن نعتقد أن اللسان هو سبب المشكلة، فلو تدبرنا الآيات الكريمة التي يرد فيها ذكر اللسان، لربما وجدنا أن اللسان هو من يحاول تزيف الحقائق.

ففريق منهم قد يلوون ألسنتهم بالكتاب كذباً:

- وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (78) آل عمران
- مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (46) النساء

ولا شك أن اللسان هو القادر على وصف الكذب:

- وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ الْنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ (62) النحل
- وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ (116) النحل
- إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15) النور

وقد خاف موسى أن يكذبه القوم بما ينطق لسانه، فطلب من الله أن يؤيده بمن هو أفصح منه لساناً:

- وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (34) القصص

فالقول باللسان ربما يغطي على ما في القلب:

- سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (11) الفتح
- إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (2) الممتحنة

وقد طلب إبراهيم من ربه أن يجعل له لسان صدق:

- وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (84) الشعراء

فتحصل له ولذريته من بعده ما طلبه من ربه:

- وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50) مريم

نتيجة مفتراة: اللسان هو اللغة التي يمكن أن ينطق بها لسان الشخص ليقول الحق أو ربما ليقول الكذب. وكان اختلاف الألسنة آية من آيات الله:

- **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ (22) الروم**

فكيف تختلف ألسنتنا؟ هل اللسان الذي يوجد داخل فم الإنسان يختلف من قوم إلى قوم؟
رأينا: نحن نفتري الظن أن اللسان هو اللغة، وليس العضلة التي توجد داخل الفم. فتلك العضلة – كما أعضاء النطق الأخرى كالشفتين والأسنان والحنجرة- جميعها تساهم في النطق، ولتقريب الصورة فإننا نقول إن العين هي العضلة التي تقوم بعملية الرؤيا، وكذلك هو اللسان فهو العضلة التي تقوم بعملية الكلام.
فكل ما له لسان – نحن نفتري القول- ربما يقول الحق وربما يقول بلسانه ما ليس في قلبه (الكذب).

عودة على بدء

والآن لننظر إلى ما قاله سليمان للهدهد عندما جاءه بالنبأ اليقين من سبأ:

- **قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) النمل**

نتيجة مفتراة: لما كان الهدهد – حسب رأي سليمان- ربما يقول الحقيقة وربما لا يقول الحقيقة، فإننا نستنتج أن للهدهد لسان (لغة)، فتخاطب سليمان مع الهدهد بتلك اللغة، فكان الخطاب بينهما على نحو أخذ ورد (بالقول ورد القول)، فتلك هي اللغة (اللسان). فذلك الهدهد هو أمة مثلنا، لذا تمكن سليمان من فهم خطابه والحديث معه بالقول ورد القول:

- **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (38) الأنعام**

ولكن الحال بالنسبة للنمل، فقد كان – حسب ظننا - مختلفا بعض الشيء، فلم يجري بين سليمان وذلك النمل الخطاب بالأخذ والرد، وجل ما كان من أمر سليمان هو أنه فهم ما قالت النملة، فتبسم ضاحكاً من قولها، ولكنه لم يتخاطب معها، وذلك لأنها قالت بأفواهها ولم تنطق بلسانها (فليس لها لغة وإن كان لها منطق):

- **حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) النمل**

نتيجة مفتراة: في الوقت الذي فهم سليمان قول تلك النملة (منطقها)، لم تكن تلك النملة لتفهم خطاب سليمان لو أنه خاطبها (لأن ليس لها لسان: لغة). وجل ما فعل سليمان أنه تبسم ضاحكاً من قولها، ولكنه لم يتخاطب معها كما فعل في حالة الهدهد.

- **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) النمل**

وذلك لأن تلك النملة هي من النوع الذي تقول بأفواهها (منطق)، وليس لها لسان (لغة). ولا ننسى كذلك أن تلك النملة قد خاطبت كل النمل المتواجد في وادي النمل، فسمع صوتها، ولم يتوقف صوتها عند ذلك الحد، بل تعدى صوتها إلى ما هو أبعد من واد النمل حتى وصل سليمان نفسه الذي لم يكن قد دخل واد النمل بعد، فكيف اسمعت صوتها للجميع لو لم يكن صوتها مرتفع جداً.

نتيجة مفتراة: تلك النملة هي من الكائنات ذات الأفواه (التي تقول بأفواهها وليس بلسانها)، فهي من الكائنات التي لها منطق ولكنها ليست أمة مثلنا مادام أن ليس لها لسان (لغة). وهي من النوع الذي يصدر أصواتاً عالية جداً لدرجة أن يسمعها من هو خارج الواد.

سؤال: لماذا لم يكن ذلك النمل جزء من جيش سليمان؟
جواب: لما كان ذلك النمل لا يفهم خطاب سليمان، لم يلبي نداء الحشر الذي أطلقه سليمان في البداية:

- **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) النمل**

تخيلات من عند أنفسنا: نحن نتخيل أن الذي حصل هو على النحو التالي: يطلق سليمان دعوته للجميع بأن يحشروا له طواعية أو كرها ليكونوا جزءاً من جيشه، فلا يفهم النمل دعوة سليمان تلك، فيتخلف عن الحضور، وربما يؤكد ظننا هذا إن نحن استطعنا الإجابة على التساؤل التالي: ما الذي أتى بسليمان وجنوده أصلاً إلى واد النمل؟

جواب مفترى: ربما ظن الكثيرون أن مجيء سليمان إلى واد النمل كان عارضاً في طريقه إلى سبأ، ولكننا نود أن نجلب انتباه القارئ إلى جزئية ربما تكون غاية في الأهمية وهي أن مجيء سليمان إلى واد النمل كان مقصوداً لذاته، وما جاءت قصة ملكة سبأ إلا على سبيل المصادفة. فسليمان قد خرج بجيشه – في رأينا- قاصداً واد النمل، ولنقرأ النص القرآني بشيء من التدبر:

- **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) النمل**

ونحن نرى الدليل على زعمنا هذا متوافر في مفردتين وردتا في النص القرآني نفسه وهما: وَحُشِرَ وأَتَوْا، ولكن كيف؟

الحشر

⇐ الحشر للجميع، فمتى حصل حشر كان المقصود مجيء الكل:

- **وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ۚ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (203) البقرة**
- **وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (158) آل عمران**

- لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (172) النساء
- وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (22) الأنعام
- وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ۚ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (38) الأنعام
- وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (128) الأنعام
- وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (47) الكهف

⇐ يكون الحشر طواعية أو كرهاً: فها هم الكفار يحشرون على وجوههم، ولا أظن أن من حشر على وجهه قد جاء طواعية وهو يعلم إلى أين سيكون مصيره:

- الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (34) الفرقان

⇐ يكون الحشر لتصفية الحسابات:

- قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ (126) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ (127) طه

⇐ وكما أن الحشر يكون في نهاية الأمر لله، فإنه يكون في الدنيا للناس، فهذا فرعون يرسل (يبعث) في المدائن حاشرين بكل سحار عليم:

- قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (111) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (112) الأعراف
- قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (37) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (38) الشعراء
- فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) الشعراء

فلماذا حشر لسليمان جنوده؟ وما الدافع أن يحشر لسليمان جنوده؟

رأينا: لمّا كان جنود سليمان قد حشروا له، فلابد أن الدعوة قد انطلقت للجميع بأن يأتوه طواعية أو كرهاً، لذا نحن نفتري الظن أنه عندما لم يجد سليمان أن النمل قد لبى دعوته بالحشر ليصبح جزءاً من جنوده، ذهب هو بجنوده قاصداً واديهم، ظاناً أنهم لم يلبوا نداء الحشر الذي أطلقه وكأنهم قد تعالوا عليه وخرجوا عن ملكه، ولما كان هذا هو ظن سليمان (كما نتخيله بالطبع)، خرج بجنوده جميعاً قاصداً واد النمل ليلقنهم الدرس الذي لابد لهم أن يتعلموه وهو أن لا أحد يستطيع الخروج على سليمان. ولكن كانت المفاجأة لسليمان أنه ما أن وصل واديهم حتى أدرك أن ذلك النمل لم يكن من النوع الذي يمكن أن يفهم دعوة سليمان (لسان سليمان) بالحشر، ووجد سليمان أن ذلك النمل لا يستطيع أن ينضوي تحت حكمه، ليس خروجاً على أمره،

وإنما لأنه لم يفهم لسان (لغة) سليمان، فذاك نوع خاص من الكائنات لا تستطيع الانضواء تحت حكمه لأنها ببساطة ليست أمم أمثالنا مادام أنه يمكن أن تنطق (تقول) ولكنها لا تستطيع أن تخاطب غيرها.
أما الدليل على أن ذلك النوع من الطير لم يكن ليتخلف عن أمر سليمان لو أنه فهم منطقه، وأنه لم يخرج عن أمر سليمان هو ردة فعله الأولى عندما رأى جنود سليمان:

- **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) النمل**

السؤال: لماذا طلبت تلك النملة من النمل كافة في ذلك الوادي أن يدخلوا مساكنهم حتى لا يحطمنهم سليمان وجنوده؟
رأينا: إن دخول أحد أطراف الحرب (خاصة المُحَارَب) إلى مساكنهم يعني بكل تأكيد الاستسلام للمحارب، فمن أحس بأن البأس لا محالة نازل به، ستكون ردة فعله أن يركض ليدخل في مسكنه:

- **فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (12) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (13) الأنبياء**

فلقد فهم سليمان من ردة فعل النمل تلك (الركض إلى مساكنهم خوفاً من بأس سليمان) أنهم قوم لم يخرجوا عن دعوته ولكنهم فقط لم يفهموها، لذا جاء تبسم سليمان من قولها، ولكنه لم يتخاطب معها:

- **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) النمل**

نتيجة مفتراة: لقد أطلق سليمان دعوته أن يحشر إليه جنوده من الجن والإنس والطير، فحضر الجميع، وغاب النمل، فتوجه سليمان بجنوده قاصداً واد النمل ليطلع على سبب غيابهم، وليحضرهم كراهية إن هم رفضوا أن يأتوه طواعية.

فلا ننسى أن من كان في جند سليمان لم يكن جميعهم راغبين بالحضور، وليس أدل على ذلك مما فعل الجن لحظة أن علموا خبر موت سليمان:

- **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14) سبأ**

وما أن وصل سليمان إلى واد النمل حتى وجد أن ذلك النمل قد غاب عن الحضور إلى سليمان لينضوي تحت لوائه ليس خروجاً عن أمره ولكن لأنه من النوع الذي لم يفهم دعوة سليمان في الأساس، فهو نوع من الكائنات الحية التي لم تكن من الأنواع الثلاثة النقية كالإنس أو الجن أو الطير التي سارعت لتلبية نداء سليمان طواعية أو كرهاً. وكان هذا – في رأينا- سبباً أن ينفجر سليمان بالضحك من قولها:

- **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) النمل**

نعم، نحن نفتري أن تلك النملة قد سببت لسليمان الضحك لأنه علم أنها ليست من الكائنات التي لها لسان، لتقول به الحق أو لتكذب به، كما الحال بالنسبة للطير أو للجن التي هي مخلوقات مكلفة مثلا.

أَتَوْا

أما دليلنا الثاني على أن سليمان قد ذهب قاصداً واد النمل فيأتي من مفردة " أَتَوْا:"

- **حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) النمل**

فنحن نفهم من السياقات القرآنية العديدة أن الإتيان لا يكون إلا إلى مكان مقصود لذاته ومصداق ذلك ما نجد في الآيات الكريمة التالية:

- **فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) مريم**
- **أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (70) التوبة**
- **فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) يوسف**
- **وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (41) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (42) الذاريات**
- **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (189) البقرة**
- **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (223) البقرة**
- **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) الأعراف**
- **وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (49) النور**
- **وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (40) الفرقان**

نتيجة مفتراة: لما كان سليمان قد أتى بجنوده إلى الواد النمل، فهو إذاً كان قاصداً الذهاب إلى ذلك المكان بحد ذاته.

تساؤلات: فما هو النمل؟ وأين يوجد ذلك النوع من الكائنات؟
رأينا: لا نظن أن ذلك النوع من الكائنات يمكن أن يكون موجوداً في كل مكان، وإلا لمّا كان له واد خاص به، فوجود واد لذلك الكائن يدل على أن حياته مرتبطة بظروف ذلك الوادي.
سؤال: كيف يعيش ذلك الكائن؟
رأينا: أنه يعيش في جماعات، فتلك النملة قد خاطبت زميلاتها محذرة إياهن من بأس قد أحست به؟

سؤال: أين يعيش ذلك الكائن؟
رأينا: هو كائن يعيش في مساكن، بدليل أن النملة طلبت من زميلاتها أن يدخلوا مساكنهم؟

المسكن

- وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) النمل

كيف استطاع النمل تجنب الهلاك من قبل سليمان وجنوده؟
جواب: إن دخول المسكن كما ذكرنا سابقاً هو إشارة بالإحساس بالبأس القادم:

- فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (12) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (13) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (14) فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (15) الأنبياء

نتيجة مفتراة: لقد كان دخول النمل مساكنهم استسلاماً لسليمان وجنوده، فلم يقع عليه التحطيم.

ولكن ما معنى التحطيم؟

- حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) النمل

نحن نفتري الظن أن طلب النملة من زميلاتها أن يدخلوا مساكنهم يدلنا على أنها كائنات مهددة بالزوال، فالأقوام التي كانت تسكن المساكن هي أقوام أبيدت بأكملها.
نحن نظن أن هناك فرق كبير بين المساكن في الدنيا والمساكن في الآخرة، فالله تعالى قد وصف مساكن الآخرة على أنها مساكن طيبة:

- وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72) التوبة
- يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) الصف

وتوعد الله من يركن إلى مساكن الدنيا بأن يأتيه بأمر من عنده:

- قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24) التوبة
- وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (45) إبراهيم

- أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ (128) طه
- لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (13) الأنبياء
- وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (58) القصص
- وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (38) العنكبوت
- أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (26) السجدة
- تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (25) الأحقاف

نتيجة مفتراة: مادام أن تلك الكائنات قد اتخذت لنفسها مساكن، فلا شك أن الدمار قد حل بها ولو بعد حين، أي لقد انقرضت ليس على يد سليمان وجنوده، وإنما تلك سنة كونية تصورها الآيات الكريمة، فما من أمة اتخذت مساكن لها حتى فنيت تلك الأمم وبقيت مساكنهم شاهدة على وجودهم القديم.

ولو حاولنا التمييز بين المساكن والبيوت، لوجدنا أن العنكبوت قد اتخذت بيتاً:

- مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) العنكبوت

وكذلك النحل:

- وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) النحل

ولو كان النمل الذي تحدثت عنه قصة سليمان هو النمل (الحشرة) التي نعلم لأمرت تلك النملة شقيقاتها بأن يدخلوا بيوتهم (وليس مساكنهم). فنحن نفهم أن المسكن لا يكون على سبيل الدوام، ومن هنا ربما جاء الحديث على أن الأزواج يسكنون إلى من أزواجهم، فالعلاقة بينهما لابد أنها إلى زوال مهما استمرت. فهي استمرارية محتومة بنهاية مؤكدة. (للتفصيل حول الفرق بين المسكن والبيت أنظر مقالتنا تحت عنوان لماذا قدّم نبي الله لوط بناته بدلاً من ضيوفه؟)

⇐ ثانياً، مادام أن تلك الكائنات كانت تعيش في مساكن، فإن ذلك يشير بما لا يدع مجالاً للشك أن مساكنهم ترى بالعين:

- تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (25) الأحقاف

نتيجة: يستحيل – نحن نفتري الظن- أن تكون مساكن تلك النمل باطن الأرض (كما ظن معظم من سبقونا)، لأنه لابد للمساكن أن ترى.

⇐ ثالثاً، لقد كان خوف تلك النملة من سليمان وجنوده، أليس كذلك؟

- **حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) النمل**

لذا، نحن نفتري الظن أن تلك النملة كانت على علم أن جنود سليمان جميعاً سيشاركون في تحطيمهم، فالخطاب كان خاصاً بسليمان وجنوده، أليس كذلك؟

- **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) النمل**

ولما كانت النملة تخشى من سليمان وجنوده، لذا فهي تعتقد أن جنود سليمان سيشاركون جميعاً في تحطيمها وأخواتها من النمل، فيكون السؤال على النحو التالي: كيف يمكن أن يشترك جنود سليمان من الجن والإنس والطير في تحطيم تلك النملة وأخواتها في واد النمل.

رأينا

⇐ الإنس سيحطم من تلك الكائنات ما يمشي على الأرض لأن الإنس لا يستطيع أن يصل إلا لما هو موجود على الأرض.

⇐ والطير سيحطم من تلك الكائنات ما يطير في جو السماء

⇐ أما الجن فسيحطم منها ما يقفز بين السماء والأرض، لأن الجن يهتز اهتزازاً بما يشبه حركة عصا موسى:

- **وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (31)**

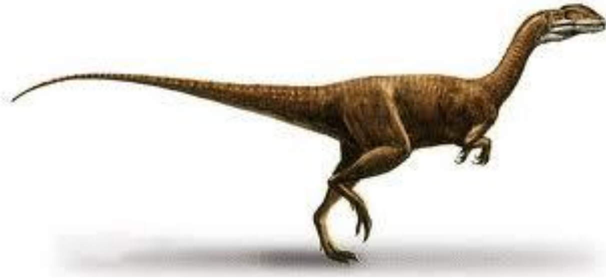
نتيجة مفتراة يصعب تصديقها: النمل هو كائنات زاحفة قافزة طائرة، تتواجد في بيئة جغرافية محددة (تقطن مساكن لها)، تخشى على نفسها هلاك جنسها، ذات أفواه، تصدر أصوات مرتفعة جداً.

فما هي؟

جواب مفترى: هي كائنات تشبه ما هو موجود في الصور التالية:



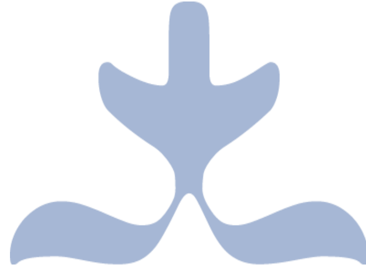






وللحديث بقية بحول الله وتوفيقه.

فالله أسأل أن يأذن لي الإحاطة بشيء من علمه لا ينبغي لأحد غيري، إنه هو السميع المجيب.



مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ
الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ

الباب السابع العرش



الباب السابع: العـرش

الافتراءات السابقة

⇐ سليمان يوجه الدعوة (بالإرسال والبعث) أن يحشر له جنوده من الجن والإنس والطير
⇐ يلبي الجميع الدعوة باستثناء النمل
⇐ يظن سليمان أن النمل لم ينظم إلى جنود سليمان خروجاً عليه
⇐ يتوجه سليمان بجنوده آتياً (الذهاب قاصداً) واد النمل ليضمهم إلى ملكة كرها بعد أن رفضوا (حسب ظنه) الانضمام طواعية
⇐ ما أن تحس نملة ببأس سليمان قادم إليهم حتى تطلق نداء إلى رفيقاتها بالدخول في مساكنهم استسلاماً لسليمان وجنوده
⇐ يفهم سليمان منطق تلك النملة، فينفجر بالضحك من قولها (منطقها) لكنه لا يخاطبها لأنه يعلم أن ليس لتلك النملة لسان (لغة). فهي ليست أمم أمثالنا كالطير الذي يطير بجناحيه
⇐ النمل (كالكتاب وكالجلود وكالأيدي وكالأرجل) يمكن أن ينطق ولكنه لا يفهم منطق الآخرين
⇐ يعلم سليمان أن النمل لم يفهم دعوته بالحشر إليه
⇐ يعلم سليمان أن ذلك النمل لا يمكن أن يكون جزءاً من جنوده لأنه ليس أمة مثلنا
⇐ يقضي سليمان ليلته قريباً من واد النمل (فهو لم يدخله أصلاً)، فيحتفل بالنصر بأن تعرض عليه الصافنات الجياد
⇐ تشغله مداعبة النساء في تلك الليلة عن ذكر ربه (التسبيح) وقت العشاء
⇐ تقع الفتنة لسليمان بأن يتم إلقاء جسد على كرسيه
⇐ يحاول سليمان أن يفهم ما حصل من تلقاء نفسه، فيظن أن ذلك كان بسبب الهدهد
⇐ يخرج باحثاً عن الهدهد متوعداً إياه بالذبح أو بالعذاب الشديد
⇐ يقدم الهدهد لسليمان الحجة الدامغة أنه لم يكن متواجداً في المنطقة لحظة أن ألقي الجسد على كرسيه
⇐ يفحم الهدهد سليمان بالحجة، فيسكت غضبه بعض الشيء، ولكنه يرسله بكتاب منه إلى تلك المرأة في سبأ يدعوهم فيه أن يأتوه مسلمين قبل أن يأتيهم بجنود لا قبل لهم بها
⇐ يذهب الهدهد فيلقي الرسالة إليهم، وهناك تبدأ قصة سليمان مع تلك المرأة التي كانت تملكهم (بالمناسبة، هي لم تكن ملكة ولكنها كانت تملكهم)

وكنا قد وعدنا القارئ الكريم أن نتابع النقاش حول قصة سليمان مبرزين التساؤلات التالية:

- ما هو الهدهد؟ وكيف أوصل الهدهد الرسالة لتلك المرأة وقومها؟ كيف عاد بالرد؟ الخ؟
- من هي تلك المرأة؟ وأين هي ديارها (سبأ)؟ ولماذا كانت امرأة هي التي تملكهم؟ لم لم يكن الذي يملكهم رجل منهم؟ ولم استجابت لطلب سليمان؟ وما هي الهدية التي أرسلتها لسليمان؟ لماذا ردّ سليمان هديتها إليها؟

- كيف تم إحضار عرشها إلى سليمان؟ ولماذا العرش؟ وما هو العرش الذي أحضر؟ ومن الذي أحضره؟ وما هو عفريت الجن الذي تبرع بإحضار العرش لسليمان قبل أن يقوم من مقامه؟ ومن هو "الذي عنده "علم من الكتاب" الذي كان حاضراً في ملأ سليمان؟ وكيف استطاع أن يحضر العرش قبل أن يرتد لسليمان طرفه؟
- كيف تعرفت المرأة على عرشها؟
- لماذا أُمرت أن تدخل الصرح؟ وما هو ذلك الصرح؟
- لماذا كشفت عن ساقيها عندما رأت الصرح؟
- الخ.

دعاء: اللهم رب أنفذ قولك بمشيئتك وإرادتك لي الإحاطة بشيء من علمك لا ينبغي لأحد غيري إنك أنت العلي العظيم، وأسألك ربي أن تؤتيني كفلين من رحمتك وأن تجعل لي نورا أمشي به وأن تغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم

أما بعد،

الهدهد

تعرضنا تحت عنوان استراحة قصيرة في باب الجسد إلى تعريف الهدهد، وافترينا الظن أن وظيفة الهدهد الرئيسة كانت تكمن في نقل الرسائل من سليمان إلى الآخرين (الإرسال والبعث)، فلقد وجه سليمان دعوته بالحشر:

- **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) النمل**

ونحن نفهم أنه عندما يقوم إنسان بتوجيه دعوة بالحشر فإن ذلك يكون باستخدام آلية معينة، فموسى يطلب من فرعون أن يكون حشر الناس ضحى:

- **قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59) طه**

فهذا فرعون يحشر الناس أولاً ثم يقوم خطيباً بهم منادياً:

- **فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (23) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (23) النازعات**

فلا شك أن هناك من قام بنقل تلك الدعوة (دعوة فرعون) إلى الآخرين. فالحشر يتم بـ الإرسال:

- **قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (111) الأعراف**
- **فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) الشعراء**

أو بـ الابتعاث:

- **قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36) الشعراء**

فافترينا القول إن الهدهد هو من أوكلت له تلك المهمة، زاعمين الظن أن مفردة الهدهد نفسها تعني الذاهب العائد، وكان زعمنا ذاك مبنيا على ملاحظة أن مفردة الهدهد تتألف من مقطعين هما (هد—هد)، ف "هد" الأولى تعني الذي يذهب في طريق ما و"هد" الثانية تعني الذي يعود بنفس الطريق التي سلكها في ذهابه، وقد حاولنا تسويق زعمنا ذاك بالمنطق المفترى التالي:

إنّ الجذر الثنائي "هد" الذي تتألف منه مفردة الهدهد له علاقة بأفعال الهداية (هدى، يهتدي، اهدي، اهدن، ونحوها)، واشتقت منه مفردات عديدة ذات صلة بالموضوع نذكر منها على سبيل المثال مفردة "اليهود"، ولكن كيف؟

جواب: ها هم نفر من بني إسرائيل يتيهون في الأرض أربعين سنة بعد أن خالفوا أمر نبيهم موسى وأخيه هارون، فرفضوا دخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم:

- **قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24) المائدة**

- **قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (25) المائدة**

فما تكون النتيجة غير أن يُحرِّم الله عليهم تلك الأرض المقدسة التي كتب الله لهم أربعين سنة فيتيهون في الأرض:

- **قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26) المائدة**

ولكنهم يعودون إلى ربهم بعد أن كانوا قد انحرفوا عن الطريق، فيقولون بألسنتهم أنهم قد "هادوا"، ومنذ تلك اللحظة أصبح ذلك النفر "التائب العائد" من بني إسرائيل يعرفون باسم "اليهود":

- **وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156) الأعراف**

فلو استثنينا الضمير المتصل "نا" من مفردة " هُدْنَا"، لوجدنا أنها تعود إلى الجذر "هد"، فمفردة يهود تعني (في ظننا) العائدون أو التائبون (أي الراجعون إلى الطريق نفسها بعد أن تاهوا)، فهم قد تاهوا في الأرض أربعين سنة، ولكنهم تنبهوا بعد حين (أربعين سنة) إلى سوء ما فعلوا، فاتخذوا قرارهم بالعودة إلى الله، فسلكوا طريق العودة، فكانوا يهودا.

وربما يؤكد ظننا هذا ما قاله موسى نفسه عندما توجه تلقاء مدين، فحتى لا يخطئ طريقه إن هو اعتمد على ظن من عند نفسه طلب موسى من ربه أن يهديه سواء السبيل:

- **وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (22) القصص**

وها هم القوم يطلبون من داوود أن يهديهم إلى سواء الصراط:

- **إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) ص**

ونحن جميعاً نطلب من ربنا أن يدلنا على الطريق الصحيح حتى لا نضل طريقنا إليه:

- اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) الفاتحة

(دعاء: اللهم رب إني شئت أن اتخذ إليك سبيلاً فاهدني إلى صراطك المستقيم لأقول عليك الحق، وأعوذ بك ربي أن يقعد لي إبليس صراطك المستقيم فأكون ممن يفترون عليك الكذب)

نتيجة مفتراة: لقد بعث سليمان بالهدهد لينقل دعوته إلى واد النمل وإلى غيرهم بأن يأتوه مسلمين، فتأخر الهدهد في العودة إلى سليمان. وما أن دخل سليمان إلى المكان الذي كان يتواجد فيه كرسيه خلال فترة غياب الهدهد حتى وجد جسداً ملقىً عليه، فتثور ثائرته، ظاناً (بعد تمحيص الأمر باعتماده على قدرته في الفهم) أن الهدهد كان طرفاً في المؤامرة التي ربما ظن أنها كانت تحاك ضده، فخرج باحثاً عن الهدهد، متوعداً إياه بالذبح أو بالعذاب الشديد. ولكنّ فطنة الهدهد تبقيه بعيداً عن متناول يد سليمان في ساعة غضبه.

فيحط بعيداً عنه بعض الشيء:

- فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) النمل

ويوجه إليه الخطاب التالي على الفور:

- إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ (26) قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) النمل

ونستطيع من خلال هذا السياق القرآني العظيم أن نخرج بالاستنباط البسيط التالي: لم يمكث الهدهد عن سليمان مسافة بعيدة، وكأنها مسافة يمكن أن يرى المتخاطبون بعضهم البعض، بدليل مفردة "غَيْرَ بَعِيدٍ"، فعندما تزلف الجنة غير بعيد، فإن الناظر إليها يمكن أن يراها، حتى وإن لم تكن في متناول يده بعد:

- وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (31) ق

ولم يستمر "بقاء الهدهد غير بعيد عن سليمان" فترة طويلة من الزمن بدليل مفردة " فَمَكَثَ"، فمن يمكث في مكان ما لا يمكن أن يكون ذلك طويلاً، فهذا موسى يطلب من أهله أن يمكثوا حتى يعود إليهم بعد أن يستطلع الخبر عند النار التي آنسها من جانب الطور:

- إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10) طه

- فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29) القصص

انظر الفرق بين "مكث" و "لبث"، ففي حين أن بقاء موسى بعيداً عن أهله كان مكوثاً، كان بقاء نوح في قومه لبوثاً:

- وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (14) العنكبوت

وهذا ما كان من أهل الكهف أيضاً:

- وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (25) الكهف

لتدقيق أكثر في الفروقات بين مكث من جهة ولبث من جهة أخرى، يرجى مراجعة ما جاء في مقالتنا تحت عنوان "كم لبث نوح في قومه؟"

فلا أتخيل أن موسى قد ترك أهله ومكث في ذلك المكان (عند النار) فترة طويلة من الزمن. والله قد فَرَقَ القرآن ليقرأه رسوله على الناس على مُكْثٍ:

- وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا (106) الإسراء

وما هي إلا لحظات حتى يستطيع الهدهد أن يثير حفيظة سليمان بحب المعرفة (أو ما يحب أن يسميه بعض علماء التربية بالقلق المعرفي)، ويكون ذلك بتحدي العلم الذي عند سليمان قائلاً:

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ

ويزيده رغبة في حب المعرفة عندما يحدد له أن ما جاء به هو نبأ وأنه من سبأ:

وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ

سؤال: فما هو النبأ؟

رأينا: نحن نزعم الظن أن النبأ هو الخبر غير المحسوب مسبقاً (أي غير متوقع) والذي لا يخلو من عنصر المفاجأة، لا يستطيع الإنسان الوصول إليه من تلقاء نفسه، ولابد أن ينقل إليه من طرف آخر.

الدليل

عادة ما يكون النبأ غير معلوم لدى مجموع القوم كأنباء الغيب مثلاً:

- تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49) هود

ولمّا كان الملائكة لا علم لهم بعلم الأسماء، عجزوا أن ينبئوا الله بها:

- وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) البقرة

نتيجة: أنا لا أستطيع أن أنبئك بشيء ما لم يكن عندي علمه.

وكان أول ما فعل آدم بعد أن علّمه الله الأسماء كلها أنه أنبأ الملائكة بما ليس لهم به علم من ذي قبل:

- قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (33) البقرة

نتيجة: استطاع آدم أن ينبئ الملائكة بأسمائهم لأن علم الأسماء قد تحصل له من الله مباشرة من ذي قبل.

نتيجة مفتراة: النبأ لا يكون معلوم ولابد من طرف آخر ليخبر به الآخرين عندما يتحصل للمنبئ العلم بالنبأ.

فما كان محمد ولا قومه على علم بأنباء القرى (الرسل والأقوام) التي قصهم الله عليه، ولكن الله هو من قص على نبيه أنبائها:

- تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (101) الأعراف
- ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (100) هود
- وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (120) هود

والله نفسه هو من أنبأ نبيه بالأخبار الصحيحة:

- يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (94) التوبة

وقد كان يوسف ينبئ صاحبي سجنه ما سيأتيهما من طعام قبل أن يأتيهما:

- قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) يوسف

ومما لا شك فيه أن من عميت عليه الأنباء لا يسأل عنها:

- فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (66) القصص

ولكن من أراد الأنباء، فلا شك سيبحث عنها:

- يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواۖ وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْۖ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (20) الأحزاب

وقد طلب الله منا أن ندقق بصحة النبأ إن جاء به أحد إلينا:

- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6) الحجرات

لاحظ كيف عندما لم يتحقق بعض الصحابة من نبأ حادثة الإفك كيف تم وصفهم في كتاب الله:

- إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15) النور

فالذي لا يتبين النبأ الذي وصله ويتلقاه بألسنة الآخرين فيحدّث به غيره بغير علم، فإنه يقوم بشيء وإن كان في حسبانه هو هين إلا أنه عند الله عظيم.

دعاء: فالله أسأل أن لا يعفو عن من ينبئ عنا شيئاً عن غير علم.

ولا يصبح الخبر الذي لازال طي الكتمان نبأ إلا لحظة أن يتم البوح به:

- وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (3) التحريم

فالإنسان تبقى أخباره مجتمعة طي الكتمان حتى ينبأ بها كلها دفعة واحدة:

- يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (13) القيامة

نتيجة مفتراة: النبأ لا يكون معلوم عند الآخرين، ولكن لابد للنبأ من أن يبين في نهاية المطاف، وذلك لأن له مستقر:

- لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (67) الأنعام
- وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (88)ص

وأكاد أزعم أن مفردة "النبات" تحوي في ثناياها "النبأ". فالنبات يبقى متخفيا تحت التراب، "فذاك حديث قد أُسِر به إلى الأرض"، وما أن تخرج الأرض ما أسر فيها حتى تبدأ تنبئ بما كان مختبئا في باطنها:

- وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِۖ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (58) الأعراف

- وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (17) نوح
- لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (15) النبأ

فتكون الصورة على نحو أن ما هو موجود في باطن الأرض (لا يعلمه الآخرون) خبر غير موجود في حسبان الآخرين، وما أن تبدأ الأرض بإخراج "نباتها" حتى تبدأ تحدث أخبارها، فهي إذاً تنبئ عما فيها. فتكون عملية خروج تلك الأخبار هي بمثابة أنباء للآخرين عما كان مختبئا في باطن الأرض، وكذلك هي عملية خروج البشر من باطن الأرض يوم يبدءون بالخروج من التراب، وربما يكون ذلك هو النبأ العظيم الذي كانون عنه يتساءلون:

- عَمَّ يَتَسَاءلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6) النبأ

نبأ الهدهد إلى سليمان

يقدّم الهدهد نبأ يقيناً إلى سليمان:

- فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) النمل

فاليقين هو عكس الظن:

- وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) النساء

فالهدهد يؤكد لسليمان بأن ما جاءه به من نبأ هو نبأ يقين وليس إتباعا للظن. فيكون ذلك النبأ الدليل المادي الملموس على براءته من حادثة الجسد، فسليمان لم يكن عنده خبر ملكة سبأ وقومها أصلاً (وربما لم يرسل إليها من قبل بدليل أنه ما أن علم بها حتى بعث الهدهد نفسه برسالة إليهم)، ولم يكن ذلك النبأ يشكل أصلاً واحدة من الخيارات التي ربما دارت في ذهنه في ذلك الوقت كسبب لتأخر الهدهد، فيصبح ذلك بالنسبة له نبأ، أي خبراً تكشف له عندما لم يكن ذلك "الخبر الجديد" أصلاً في حسبانه.

وحتى لا يظن سليمان أن تأخره كان مقصوداً، يسوق الهدهد له سبب تأخره بأنه لم يأته فقط بالنبأ ولكنه قام بمراقبة تلك المرأة وقومها فترة من الزمن حتى علم أنهم قوم قد ابتعدوا عن جادة الصواب عندما سجدوا للشمس من دون الله:

- إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ (26) النمل

ويثير الهدهد حفيظة سليمان عندما يذكر له أن تلك المرأة قد

⇐ أوتيت من كل شيء
⇐ لها عرش عظيم

- إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) النمل

فها هو الهدهد يتحدى سليمان بما وجده من أمر تلك المرأة في جانبين وهما:

⇐ أنها قد أوتيت من كل شيء

⇐ أن لها عرشاً عظيما

فما هي الرسالة التي يود الهدهد أن يوصلها إلى سليمان من خلال ذلك؟

رأينا: نحن نفتري الظن أن الهدهد يريد أن يقول لسليمان أن تلك المرأة عندها من أسباب القوة ما ينقصك أنت يا سليمان، ولكن كيف؟

دعنا لا ننسى أولاً أن سليمان قد أكد أنه قد أوتي من كل شيء عندما ورث والده داوود:

- وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) النمل

ويكأن الهدهد إذن يقول لسليمان: صحيح أنك قد أوتيت من كل شي (**وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ**) ولكن هذه المرأة قد أوتيت من كل شي أيضاً (**وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**)، فأنت وهي متساوون في ذلك، ولكنها تزيد عليك بأن لها عرش عظيم (**وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**). وسنرى لاحقاً أن مثل هذا الظن ربما يقدم لنا إجابة عن السؤال التالي: لم طلب سليمان من الملأ أن يحضروا له عرشها على وجه التحديد؟ لم لم يطلب منهم أن يحضروا له شيئاً آخر غير العرش؟

رأينا: سليمان كان له كرسي ولكن لا يذكر القرآن الكريم أن لسليمان عرش. لذا سنرى لاحقاً أن سليمان قد طلب إحضار شيء لم يكن عنده أصلاً.

ولكن لمّا كان سليمان يعلم أن للهدهد لسان (لغة) لم يستبعد احتمالية الكذب، فما كان منه إلا أن حمّله رسالة منه إلى تلك الملكة، متوعداً إياه بالعذاب الشديد إن لم يكن نبأه الذي جاء به صحيحاً:

- قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَب بِّكِتَابِي هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) النمل

ولكننا نظن أن سليمان قد كان أكثر اهتماماً بأمر المرأة الآن من انشغاله بالهدهد نفسه وبحادثة الجسد الذي ألقي على كرسيه، فهو يريد أن يعرف سر تلك المرأة، وكيف أوتيت من كل شيء. والأهم من ذلك هو أن يتحصل على عرشها.

ولو تدبرنا النص القرآني حول من أوتي من كل شي فلا نجد أن ذلك قد تحصل إلا لثلاثة نفر وهم:

⇐ ذو القرنين:

- إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84) الكهف

⇐ سليمان (ووالده داوود)

- وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) النمل

⇐ وهذه المرأة

- إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) النمل

فما معنى أن تكون تلك المرأة قد أوتيت من كل شيء؟

رأينا: لما كانت تلك المرأة قد أوتيت من كل شيء، فهذا ينقلنا على الفور للإجابة على التساؤل التالي: لم كانت تلك المرأة هي من تحكم تلك المملكة؟

جواب: لو تدبرنا ردة فعل الملأ من قومها لوجدنا أن إطاعتهم لها كانت غير مشروطة لأنهم ببساطة لا يستطيعون الخروج عن أمرها:

- **قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) النمل**

فبالرغم أن القوم – كما يقولون- هم أولو قوة وأولو بأس شديد إلا أنهم يأتمرون بأمر تلك المرأة دون أدنى تردد، فيكون السؤال الآن على النحو التالي: لم يأتمر رجال أولو قوة وأولو بأس شديد بأمر امرأة طاعة تكاد تكون عمياء؟

رأينا: لسببين

⇐ تلك المرأة كانت صاحبة علم وبالتالي هي صاحبة رأي سديد (وهو ما سنركز عليه بعد قليل بحول الله وتوفيقه، لنرى كيف تحصلت تلك المرأة على ذلك العلم)

⇐ أن تلك المرأة كان لديها من أسباب القوة ما يفوق ما عند الرجال أولي القوة وأولي البأس من قومها:

- **قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) النمل**

فبالرغم من أنهم أولو قوة وأولو بأس شديد إلا أنهم يرجعون الأمر برمته إليها لتقرر هي ما ترى (**فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ**)، فيطلبوا منها أن تنظر ما تأمر، لينفذوا أمرها دون تردد. ولا يذكر القرآن الكريم أن أولئك الملأ على قوتهم وبأسهم الشديد قد عارضوها في شيء، حتى بعد أن أسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

البـأس

سؤال: فما هو البأس؟ لم نعت القوم أنفسهم بأنهم أولوا بأس شديد بعد أن وصفوا أنفسهم بأنهم أولوا قوة (**قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ**)؟ فما الفرق بين القوة والبأس؟

افتراء من عند أنفسنا: القوة لا علاقة لها بالأشياء المادية كالجسد والأسلحة، قال تعالى:

- **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60) الأنفال**

فالقوة المادية مفهومة من عبارة "**رِبَاطِ الْخَيْلِ**"، ولكن ما هي القوة أصلاً التي جاءت منفصلة عن رباط الخيل، فالله يطلب منا أن نعد لأعدائنا شيئين اثنين مما نستطيع وهما:

⇐ القوة (**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**)

⇐ رباط الخيل (**وَمِنْ رِبَاطِ**)

فما هي القوة التي أمرنا الله أن نعدها؟

رأينا: القوة هي الثبات على المبدأ:

- **يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12) مريم**
- **وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (145) الأعراف**

فإذا كانت القوة تعني القوة المادية فقط (الجسمية والسلاح)، فكيف سيستطيع يحيى أن يوفر ذلك وهو لا زال صبياً؟ وكيف سيأخذ موسى الألواح بقوة؟ من يدري!!!

ولكن هذا يعني أنه لابد من التمييز بين القوة والأخذ بقوة، وسنتحدث عن ذلك بتفصيل أكبر في كتب قادمة إن أذن الله لنا بشيء من علمه.

سؤال: فما هو البأس إذاً؟

رأينا: نحن نظن أن البأس هو في الأساس صفة لله، فجاء بصيغة المفرد:

- يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29) غافر

وقد وصف الله به نفسه ومن يقوم بتنفيذ أمره، فجاء بصيغة الجمع:

- فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (43) الأنعام
- سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148) الأنعام
- وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (4) الأعراف
- فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (5) الأعراف
- أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (97) الأعراف
- أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (98) الأعراف
- حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110) يوسف
- فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (12) الأنبياء
- فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (84) غافر
- فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (85) غافر

ولكن القرآن الكريم يثبت أن البأس الشديد قد يتحصل للناس أيضاً:

- فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (5) الإسراء
- قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (16) الفتح
- لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (14) الحشر

ونحن نفتري الظن أن البأس الشديد مصدره الحديد:

- لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25) الحديد

افتراء من عند أنفسنا: نحن نزعم الظن أن القوم كانوا أولو بأس شديد لما كان يملكوه من الحديد (الأسلحة)، ولكن بالرغم من ذلك إلا أن تلك الملكة كانت تملك ما يجعل أولئك الرجال لا يخرجون عن سيطرتها قيد أنملة، لا بل ويرجعون الأمر برمته إليها لتنظر فيه. فما هو الذي كانت تملكه تلك المرأة حتى قدّمت لها الطاعة غير المشروطة ممن يملك البأس الشديد من الرجال؟

رأينا: إنه العلم، لقد تحصّل لتلك المرأة من العلم ما تخضع به رقاب الرجال أولي القوة وأولي البأس الشديد. فما هو مصدر علمها؟ وهل كانت تلك المرأة تملك أصلاً علماً كما نزعم؟ وما هو الدليل على ذلك؟

جواب: نعم، كان لتلك المرأة علم بدليل أن سليمان قد أكد لها ذلك:

- فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42) النمل

فهذه الآية الكريمة تشير بما لا يدع مجالاً للشك أن لتلك المرأة علم وإن كان سليمان (ووالده داوود بالتأكيد) قد سبقها إلى ذلك.

السؤال: من أين جاء مصدر علمها؟

رأينا: نحن نفتري الظن أن مصدر علم تلك المرأة قد جاء في مفردة واحدة وهي "نظر" ومشتقاتها مثل "فَانظُرِي" و "فَنَاظِرَةٌ":

- قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) النمل
- وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) النمل

السؤال: ما معنى ذلك؟ أي كيف كانت تلك المرأة تنظر؟ وأين كانت تنظر؟ ولم كانت تنظر؟

غالباً ما خلط أهل العلم بين فعلين مشتقان من هذا الجذر (ن ظ ر)، ونحن ندعو إلى ضرورة التفريق بين مفردتين مشتقتان من هذا الجذر وهما:

⇐ انظِر (بكسر الظاء): وتحمل معنى التأخير إلى أجل:

- قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) ص

⇐ انظُر (بضم الظاء) وهي التي تعني المراقبة بالعين:

- قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) آل عمران

⇐ أما اسم الفاعل (كما يحب أهل اللغة أن يصفوه) منهما فهو ناظر في الحالتين:

- قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) البقرة
- وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (108) الأعراف
- وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (16) الحجر
- وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33) الشعراء
- وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) النمل

- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا (53) الأحزاب
- وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23) القيامة

⇐ واسم المفعول هو "منظر" (منظرين)"

- قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (15) الأعراف
- مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ (8) الحجر
- قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (37) الحجر
- قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (80)ص
- فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ (29) الدخان

افتراء من عند أنفسنا: نحن نفتري الظن أن القوم طلبوا من تلك المرأة أن تقوم بفعل النظر:

وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ

الذي نزعم أنه الرؤية بالعين، فلقد كانت تلك المرأة تقوم بذلك الفعل لترى بأم عينها ما لا يستطيع الرجال من قومها الذين هم أصلاً أولوا قوة وأولوا بأس شديد أن يروه هم بأم أعينهم، ولندقق بالسياقات القرآنية التي جاء فيها فعل النظر "انظر" أولاً:

⇐ انظر (بضم الظاء) تعني الرؤيا والمراقبة بالعين:

- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104) البقرة
- أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259) البقرة
- قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) آل عمران
- مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46) النساء
- انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا (50) النساء

- مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (75) المائدة
- قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (11) الأنعام
- انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24) الأنعام
- قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (46) الأنعام
- قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (65) الأنعام
- وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (99) الأنعام
- وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (84) الأعراف
- وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (86) الأعراف
- ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (103) الأعراف
- وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143) الأعراف
- بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (39) يونس
- فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (37) يونس
- قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (101) يونس
- وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (36) النحل
- انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21) الإسراء

- انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (48) الإسراء
- قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97) طه
- انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (9) الفرقان
- وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14) النمل
- اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) النمل
- قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) النمل
- فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (51) النمل
- قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (69) النمل
- فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (40) القصص
- قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20) العنكبوت
- قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ (42) الروم
- فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (50) الروم
- فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (73) الصافات
- فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) الصافات
- فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (25) الزخرف
- يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13) الحديد

افتراء من عند أنفسنا: نحن نظن أن فعل النظر يتطلب استخدام العين (الرؤية)، فهذا موسى يطلب من السامري أن يرى بأم عينه ما سيحل بإلهه (العجل):

- قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97) طه

كما يتطلب فعل "انظر" أيضاً القيام بالتدبر والتفكر، فهذا إبراهيم يطلب من ابنه أن يتدبر الأمر الذي يعرضه عليه (الذبح) ليحسم أمره فيه:

- **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) الصافات**

نتيجة: نحن نفتري الظن أن تلك المرأة كانت تستخدم النظر (الرؤية) والتدبر في فعل النظر، فهي تنظر فترى شيئاً بأم عينها، ولكنها لا تتوقف عند ذلك بل تقوم بتدبره بفطنتها وحكمتها.

ومن هنا جاء قول قومها لها على النحو التالي:

- **قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) النمل**

ولكن عندما تحدثت عن النظر من تلقاء نفسها جاء قولها على صيغة "ناظرة" (ما يحب أهل اللغة أن يسموه بصيغة اسم الفاعل):

- **وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) النمل**

ونحن نفتري الظن أن المرأة ستقوم بثلاث أشياء متتابعة وهي:

⇐ النظر لترى بأم عينها
⇐ تدبر الأمر بعد أن تراه (رؤية عينية مباشرة أو رؤية عينية تصورية، وهذا ما سنتحدث عنه لاحقاً)
⇐ الانتظار لترى ما ستؤول إليه الأمور

الدليل

لو تدبرنا القص القرآني في سياقه الأوسع لربما استطعنا أن نجلب الدليل على زعمنا هذا:

- **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) النمل**

إن المتدبر لهذا السياق القرآني يجد شيئاً ربما يكون غاية في الغرابة وهو رد المرأة على اقتراح الملأ من قومها:

- **قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (34) النمل**

لا ننسى أن سليمان هو من آلت إليه الأمور من بعد والده داوود الذي بدوره آلت إليه الأمور من طالوت الذي بعثه الله ملكاً:

- **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (20) المائدة**

الأمر الذي يثير التساؤلات التالية:

⇐ كيف عرفت المرأة بما يفعله الملوك؟ وما هو مصدر المعلومات لديها؟
⇐ لم لم يكن الملأ من قومها على علم بذلك؟

⇐ كيف تدبرت المرأة الأمر فاتخذت القرار بإرسال الهدية؟ ألا يدل ذلك على الحكمة ورجاحة العقل عندها؟

⇐ والأهم من ذلك كله هو: ألم يكن أمر المرأة أصلاً غير معلوم عند سليمان نفسه حتى جاءه الهدهد بنبإها؟ فكيف إذاً وصل خبر سليمان إليها؟ ففي حين أن سليمان لم يكن على علم بها، كانت هي على علم به، لا بل وبخبر ما يفعل الملوك عندما يدخلوا كل قرية؟

افتراء خطير جداً جداً جداً: لقد كانت المرأة على علم بكل ما كان الملوك يفعلوه، لأنها – نحن نزعم القول- كانت مراقبة لهم في كل تحركاتهم.

فكيف كانت تفعل ذلك؟

رأينا: لأنها كانت تنظر، فترى، فتتدبر، وذلك هو مصدر علمها ورمز قوتها وسلطتها على قومها. ولكن كيف؟

جواب: للإجابة على هذا السؤال نحن نرى لزوم النبش في سؤال آخر ربما توصلنا الإجابة عليه إلى مبتغانا هنا، والسؤال الجديد هو: أين كانت تلك المرأة تنظر؟

جواب مفترى: في العرش

افتراء من عند أنفسنا: إن العرش الذي كانت تملكه هو – في رأينا- ما كان يمكّنها من أن تنظر فيه لترى ما يدور من حولها، وهو ما لم يكن عند سليمان نفسه. وربما يفسر لنا هذا الزعم لاحقاً لم طلب سليمان أن يحضر عرش تلك المرأة إليه على وجه التحديد.

الدليل

يثبت القرآن الكريم أن العرش هو كينونة متصلة بالذات الإلهية، فالله هو رب العرش العظيم:

- **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (129) التوبة**
- **قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (87) المؤمنون**

ولكن المتدبر للنص القرآني الذي وردت فيه قصة تلك المرأة على لسان الهدهد يجد في السياق نفسه أن العرش العظيم هو أصلاً لله (**اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**)، ولكن الملفت للانتباه أيضاً أن السياق القرآني نفسه يثبت أن لتلك المرأة عرش عظيم (**وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**):

- **إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ (26) النمل**

رأينا: في حين أن الله هو رب **الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** (بصيغة المعرفة الذي لا يساويه عرش آخر) كان لتلك المرأة **عَرْشٌ عَظِيمٌ** (بصيغة التنكير الذي من الممكن أن يكون هناك عرش غيره مواز له).

فما هو العرش؟ ولم كان لتلك المرأة عرش عظيم؟

رأينا: غالباً ما ظن الناس أن لكل ملك عرش، فنقول كلا، فليس لكل ملك عرش. فسليمان نفسه لم يكن له عرش، ولا يذكر القرآن الكريم أن ملك مصر زمن نبي الله يوسف قد كان له عرش، ويثبت القرآن الكريم أن يوسف نفسه كان له عرش.

وسنرى لاحقاً بحول الله وتوفيقه (إن أذن الله لنا بشيء من علمه) أن ذلك كان هو مصدر علم يوسف الذي كان من خلاله يعلم تأويل الرؤيا.

- **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100) يوسف**

وهذه الملاحظة تقودنا إلى طرح الافتراءات التالية التي هي بلا شك من عند أنفسنا:

⇐ افتراء (1): نحن نفتري الظن أن سليمان (وجنوده من الجن والإنس) لم يكونوا على علم بخبر تلك المرأة وقومها لأن سليمان لم يكن له عرش، وقد علمت هي بخبر سليمان (لا بل وكل الملوك) بسبب ذلك العرش الذي كان لها، فكانت تتابع أخبارهم مباشرة (دون أن يعلموا هم بخبرها):

- **قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةًۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (34) النمل**

نحن نفتري الظن أن وجود عبارة "كذلك يفعلون" في هذا السياق القرآني يدل على أنها لم تكن حاضرة على الحدث فيزيائياً (أي جسدياً)، فهي تصور لهم المشهد الذي يجري بعيداً عنها تصويرا. ولننظر إلى ذلك في السياق القرآني التالي:

- **قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (74) قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (75) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (76) الشعراء**

فأنت لم تكن حاضراً جسدياً على ما كان يفعل آباؤك (خاصة الأقدمون منهم) ولكن تستطيع أن تتخيل المشهد وإن لم تكن حاضراً عليه.

فلم يكن سليمان يعلم خبرها حتى جاءه الهدهد بنبإها.

⇐ افتراء (2): نحن نفتري الظن أيضاً أن الهدهد قد وصل إلى خبر تلك الملكة وقومها بطريق الصدفة، فهو يقول لسليمان أنه قد وجد تلك المرأة وقومها:

- **إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) النمل**

فمفردة "وجدت" التي استخدمها الهدهد ليصور لسليمان كيفية عثوره على تلك الملكة تدل على أن الأمر لم يكن بتخطيط منه، فمن وجد شيئاً لا يكون هو من خطط له ليكون على تلك الشاكلة التي يجدها عليه، فهذا موسى مثلاً يجد امرأتين عند ماء مدين، ولكنّ ذلك الحدث لم يكن بأي شكل من الأشكال بتدبير من موسى:

- وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) القصص

إن هذا السياق القرآني يدلنا على أن موسى وجد أمة من الناس يسقون أولاً (**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ**) ثم ما لبث بعد ذلك أن وجد المرأتين تذودان من دون القوم (**وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ**). فهو لم يعثر على الامرأتين أولاً ولكنه عثر عليهما بعد أن كان قد عثر على أمة من الناس قبل ذلك. ففعل "وَجَدَ" قد جاء في النص القرآني مرتين. ولو كانا الحدثين حصلا معا لجاء النص القرآني على النحو التالي: ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ومن دونهم امرأتين تذودان (أي لحذف فعل وجد الثاني)

ولا أظن أن موسى كان يعلم ما سيحصل له عندما دخل المدينة على حين غفلة من أهلها لأنه بكل بساطة لم يكن هو من خطط له:

- وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (15) القصص

وها هم إخوة يوسف يجدون بضاعتهم في متاعهم ولم يكونوا على علم بذلك من قبل:

- وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ۖ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (65) يوسف

لذا نحن نتجرأ أن نزعم أن موسى وفتاه قد عثرا على الرجل الذي كانا يبحثان عنه مصادفة بعد أن كانوا قد أضاعوه عند الصخرة:

- فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (65) يوسف

(وسنتحدث بحول الله وتوفيقه عن هذه القصة بتفصيل في مقالة منفصلة بحول الله وتوفيقه، فنسأل الله أن يأذن لنا بشيء من علمه إنه هو السميع العليم)

وها هو موسى يصاحب الرجل ويجدا معاً الجدار دون تخطيط مسبق منهما:

- فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77) الكهف

وها هو ذو القرنين لم يكن على علم بما سيلاقي في كل محطة ينزل بها، لذا فهو يجد:

- حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (86) الكهف
- حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (90) الكهف
- حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93) الكهف

وهكذا هي الحال بالنسبة لكل من يجد شيئاً:

- وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (89) النساء

- وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (44) الأعراف
- فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (5) التوبة
- قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (24) الزخرف

إن عثور الهدهد على تلك المرأة وقومها بطريق المصادفة "وجد" يثير عندنا تساؤلات عديدة منها:

⇐ كيف استطاعت تلك المرأة أن تبقى بعيدة عن علم سليمان نفسه؟
⇐ كيف استطاعت أن تبقى بعيدة عن متناول جن سليمان؟
⇐ لم استطاع الهدهد على وجه التحديد أن يصل إليها؟

ولنبدأ بالتساؤل الأول: كيف استطاعت تلك الملكة أن تبقى بمنأى عن علم سليمان فلا يحيط بها خبرا إلا بعد أن ينبئه الهدهد الذي وجدهم بطريقة عرضية؟

افتراء من عند أنفسنا: نحن نرى أن سر ذلك كان يكمن في أن لها عرش عظيم، وهذا يدفعنا إلى تقديم الافتراء الثالث الخطير جداً وهو:

⇐ افتراء (3) لم يكن قوم تلك المرأة (وهم أولو قوة وأولو بأس شديد) يستطيعون الوصول إلى عرشها، فعرشها كان في مكان لا يصله غيرها، فذاك ببساطة علم خاص بها (**وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**). فالعرش لها ولا دخل لقومها (ولا لغيرهم) به شيئا.

الدليل

لو تدبرنا النص القرآني الذي جاء على لسان الهدهد لوجدنا أن فعل "وجد" الذي ذكره الهدهد قد جاء مرتين، مرة يتحدث عن تلك المرأة وعرشها في الآية 23 من السياق القرآني:

- إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) النمل

ومرة أخرى يتحدث عنها بصحبة قومها وهم يسجدون للشمس من دون الله في الآية التي تليها مباشرة (24) من السياق نفسه:

- وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) النمل

افتراء من عند أنفسنا: لما كان الهدهد قد وجدها مرتين، فنحن نتخيل ما راءه الهدهد على النحو التالي: يجد الهدهد المرأة في مكان ما وقد أوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم (**إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**)، فلا ينفك عن مراقبتها شيئاً من الوقت حتى يجدها مرة أخرى مع قومها في مكان آخر تقوم بصحبتهم بفعل السجود للشمس من دون الله (**وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ**). لذا نحن نفتري الظن أن ذلك العرش كان من أسرار قوة وسلطة وعلم تلك المرأة حيث يشهد لها سليمان نفسه بالعلم عندما جاءت إليه:

- فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42) النمل

كما يعلم سليمان أن من له عرش عظيم كهذا لابد أن يكون صاحب علم، ولابد أن يكون ممن يقوم بفعل السجود:

- **قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) الإسراء**

ولكن المفارقة العجيبة تكمن في أن سليمان يؤكد لنفسه ولوالده (وربما لطالوت من قبلها: أي للملوك) أنهما كان أصحاب علم من قبلها وكانوا يقومون بفعل السجود مثلها، ولكن الفرق بينهما أن سليمان والملوك من قبله كانوا مسلمين (**وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ**)، ولكنها هي وقومها لم يكونوا مسلمين، لذا ما أن أسلمت مع سليمان لله رب العالمين حتى اعترفت بظلمها لنفسها:

- **قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44) النمل**

(وسنرى لاحقاً بحول الله وتوفيقه تبعات هذا الفهم على قضية كشف المرأة عن ساقها لاحقاً عندما رأت الصرح)

أما دليلنا الثاني على أن عرش تلك المرأة كان منفصلاً عن قومها، فيأتي من طريقة نقل الهدهد رسالة سليمان إليها، ولكن كيف؟

السؤال: كيف قام الهدهد بنقل الرسالة؟

جواب: بطريقة الإلقاء (**فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ**)

سؤال: وكيف وصلت الرسالة إلى الملكة؟

جواب: بطريقة الإلقاء (**قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ**)

مفارقة عجيبة: سليمان يطلب من الهدهد أن يلقي الرسالة إليهم (أي إلى القوم: **فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ**)، فما يكون من الهدهد إلا أن يقوم بإلقاء الرسالة فتقع في يد الملكة نفسها بدليل أن الملكة قد خاطبت قومها بأن الرسالة قد وقعت فعلاً في يدها، فجاء الخطاب بصيغة (**أُلْقِيَ إِلَيَّ**):

- **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) النمل**

وهي من ستقوم بقراءة الرسالة بنفسها على الملأ من قومها:

- **إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) النمل**

السؤال: كيف استطاع الهدهد أن يفعل ذلك؟

الجواب: إنه الإلقاء، ولكن كيف؟

الإلقاء

إن أشهر حادثة تصور لنا عملية الإلقاء هو ما حصل مع موسى منذ أن ألقته أمه في التابوت وفي اليم إلى أن ألقي السحرة ساجدين مروراً بإلقاء السحرة حبالهم وعصيهم وإلقاء موسى عصاه لتلقف ما كانوا يأفكون وأخيراً إلقاء موسى الألواح يوم أن عاد من لقاء ربه:

- **أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (39) طه**

- **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) القصص**

- فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (107) الأعراف
- وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (120) الأعراف
- قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87) طه
- فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (80) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (81) يونس
- قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (43) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (44) فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (45) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (46) الشعراء
- قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (115) قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (116) ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (117) الأعراف
- قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (66) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (69) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ (70) طه

ولا شك عندنا أن فعل الإلقاء لا تنقصه الدقة (لا بل المهارة) في التنفيذ، فهذا موسى يلقي الألواح فلا تتكسر:

- وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (150) الأعراف

والدليل على أن الألواح لم تتكسر بسبب الإلقاء يأتي من أن موسى يأخذ تلك الألواح نفسها بعد أن سكت عنه الغضب:

- وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (154) الأعراف

ولا شك أن عملية إلقاء الكافرين في جهنم تكون عملية محسوبة النتائج:

- وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (13) الفرقان
- إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40) فصلت
- أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24) ق

- الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (26) ق
- تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8) الملك
- إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (7) الملك
- ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (39) الإسراء
- قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (97) الصافات

وها هو الله نفسه من يلقي الرعب في قلوب الذين كفروا:

- إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12) الأنفال

وها هم القوم يشيدوا البنيان الذي سيتم من فوقه إبراهيم ليستقر في سواء الجحيم الذي أعدوه له:

- قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (97) الصافات

(للتفصيل انظر سلسلة مقالاتنا تحت عنوان: لماذا قدّم نبي الله لوط بناته بدلاً من ضيوفه؟)
والله قد ألقى وأمر الملائكة أن تلقي في الأرض رواسي، فجاء الخطاب أحيانا بصيغة المفرد:

- وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (15) النحل
- خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وأنزلنا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (10) لقمان

وجاء أحياناً أخرى بصيغة الجمع:

- وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (19) الحجر
- وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7) ق

وقد حصل فعل الإلقاء على كرسي سليمان، فلا شك أن من قام بفعل الإلقاء كان من المهارة لدرجة أن يسقط الجسد على الكرسي نفسه.

- وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) ص

وها هو فرعون يطلب أن يلقى على من يتحدى ملكه أسورة من ذهب:

- فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (53) الزخرف

وها هو الشيطان يلقي في أمنية كل رسول ونبي قبل محمد:

- وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (52) الحج

ستشكل هذه الآية الكريمة محور الحديث عن قضية الناسخ والمنسوخ التي سادت في الفكر الديني قروناً من الزمن، لنفند من خلالها إلى أن جلّ (إن لم يكن كل) ما ذهب إليه الفكر الديني السائد في هذه القضية التي تعد من ركائز العقيدة يمكن دحضه بسهولة بافتراءات من عند أنفسنا، لنثبت شيئاً واحداً وهو أن ليس هناك من آيات الكتاب الحكيم ما تم نسخه (بالمفهوم الدارج عند أهل العلم والدراية).

لذا فالله أسأل أن يؤتيني (وصاحبي علي إن شاء) علماً من لدنه لا ينبغي لأحد غيرنا، إنه هو السميع المجيب.

وأخيراً يثبت الله أن السمع يمكن أن يتم إلقاءه، فكيف يكون ذلك؟

- إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (37) ق

كما أن الفن في الإلقاء لن ينقص من سيلقي أعذاره يوم القيامة لكن ذلك لن يشفع له:

- وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (15) القيامة

رأينا: لا شك أن المهارة في التقاط آيات الكتاب الحكيم تتطلب من الشخص أن يلقي السمع إليها، ولا شك أن تقديم الأعذار تتطلب مهارة لا ينقصها الإتقان منقطع النظير لتكون مقنعة (وسنتحدث بحول الله وتوفيقه عن هذه القضية إن أذن الله لنا بشيء من علمه في مقالات لاحقة)

وكما أن هناك من "ألقى"، هناك من "أُلقي إليه":

وربما منه جاءت ألفاظ مثل تلقى يتلقى، الخ:

- فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) البقرة
- وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (6) النمل
- إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) ق
- إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15) النور
- أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (75) الفرقان
- إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (90) النساء
- الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ۚ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28) النحل
- وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (87) النحل

- وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (86) النحل
- ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44) آل عمران
- يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (223) الشعراء
- تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (44) الأحزاب
- فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (77) التوبة
- قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) النمل

فالمرأة تقول بملء فيها أن الكتاب قد ألقي إليها، وتخرج إلى قومها لتحدثهم بمضمون ذلك الكتاب، فالسؤال الذي نطرحه هو كيف استطاع الهدهد أن يلقي كتاب سليمان إليها من دون قومها؟

رأينا: نحن نظن أن الهدهد قد ذهب بكتاب سليمان مباشرة إلى المكان الذي وجد فيه المرأة لها عرش عظيم فألقى إليها الكتاب هناك، ولم يذهب إلى المكان الذي كانت تسجد وقومها فيه للشمس من دون الله. لذا نحن نقدم الافتراء التالي:

كان لتلك المرأة مكان خاص لا يستطيع الآخرون التواجد فيه حيث كان هناك عرشها العظيم الذي راءه الهدهد بأم عينه فحدّث سليمان به، وكان ذلك العرش هو الوسيلة التي تمكن المرأة من أن تملك الرجال أولي القوة وأولي البأس الشديد فتدبر أمرهم تدبيراً رشيداً، فلا يستطيع أحد منهم أن يخرج عن أمرها. وهنا يجب التوقف عند جزئية غاية في الدقة في السياق القرآني نفسه يخص مفردة "تَمْلِكُهُمْ"

- إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) النمل

فغالباً ما ظن أهل العلم والدراية (كما تظهر في مؤلفاتهم) أن تلك المرأة كانت ملكة، فينعتوها بتلك الصفة، فنرد بالقول إن القرآن الكريم لم يثبت لها هذه الصفة (أي أنها ملكة) ولكنه أثبت أن تلك المرأة كانت تملكهم، فما الفرق؟

رأينا: إنّ هناك فرق بين الملك والمالك. فالمرأة كانت مالكة لهم ولكنها لم تكن ملكة عليهم، وشتان بين هذا وذاك، فها هم الملأ من بني إسرائيل يطلبون ملكاً ليكون عليهم ولكنهم لا يطلبون شخصاً ليملكهم:

- أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247) البقرة

- وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (248) البقرة

وكان زمن يوسف ملك على مصر ولكنه لم يكن يملك مصر:

- وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43) يوسف

- وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (50) يوسف

- وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54) يوسف

- قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (72) يوسف

- فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (76) يوسف

وقد أوتي يوسف نفسه الملك، فكان ملكاً (وسنرى لاحقاً أن هذا كان سبباً في عرشه):

- رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101) يوسف

وتحصل الملك أيضاً لسليمان ولوالده داوود من قبله:

- وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (20) ص

- قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (35)ص

ولا ننسى قصة الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا:

- أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79) الكهف

الملك: هو صاحب القرار لكنه لا يملك ملكية خاصة، فملكيته عامة لا تخوّله الوصول إلى الخصوصيات، أما المالك بالمقابل فهو صاحب الملكية الخاصة التي تمكنه من الوصول إلى الخصوصيات، وليس أدل على ذلك من ملك اليمين:

- وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (3) النساء

- وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ۚ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (24) النساء

- وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (25)النساء
- وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (36) النساء
- وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (71) النحل
- إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) المؤمنون
- وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31) النور
- وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (33) النور
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (58) النور
- ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (28) الروم
- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (50) الأحزاب

- لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا (52) الأحزاب
- لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ۗ وَاتَّقِينَ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (55) الأحزاب
- إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30) المعارج

وهذا موسى يؤكد أنه يملك نفسه وأخاه هارون فقط:

- قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (25) المائدة

والخصوصية في الملكية واضحة في قصة المفاتيح:

- لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (61) النور

وحتى تملك الشيء لابد أن يذلّل لك كالأنعام مثلاً:

- أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (71) يس

لذا نحن نظن أنه بالإضافة إلى أن الله هو ملك يوم الدين، لكنه أيضاً هو مالك يوم الدين:

- مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) الفاتحة

وربما بهذا يمكننا أن نفهم كيف أن الله هو مالك الملك:

- قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) آل عمران

ويصدق ظننا هذا ما جاء في قوله تعالى يصف ذلك اليوم:

- يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (16) غافر

عودة على بدء: لقد كانت تلك المرأة تملك قومها لأنها كانت تستطيع الوصول إلى خصوصياتهم، ولكن كيف كانت تستطيع ذلك؟

إن هذا الزعم يعيدنا على الفور للحديث عن ماهية ذلك العرش، لنطرح السؤال التالي: ما هو العرش؟

أما بعد:

تعرضنا في مقالة سابقة لنا تحت عنوان "معنى حرف الجر على في العربية" إلى هذه الجزئية، وسنحاول في هذا الجزء من هذه المقالة مراجعة ما افتريناه هناك لنبني عليه ما تحصل لنا من علم جديد (وإن كان هو أيضاً مفترى)، إلا أننا لا نعدم الرجاء من الله وحده أن يؤتينا من لدنه علماً فنتبع فيه الحق ولا نفتري عليه الكذب إنه هو السميع المجيب.

أما بعد:

العرش

قدمنا الزعم في تلك المقالة أن ورود عبارة تتحدث عن استوى الرحمن على العرش سبع مرات في كتابه الكريم لها دلالاتها التي يجب أن لا تخفى على أحد. فلقد جاءت تلك العبارة في ست مواضع من كتاب الله متلازمة مع حرف الانتقال "ثم":

- **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54) الأعراف**
- **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (3) يونس**
- **اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2) الرعد**
- **الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (59) الفرقان**
- **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (4) السجدة**
- **هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4) الحديد**

وجاءت في الموطن السابع خالية من حرف الجر "ثم" كما في الآية الكريمة التالية:

- **الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ (5) طه**

وكان الزعم الذي قدمناه آنذاك هو: أن انتقال العرش حصل من سماء إلى سماء حتى انتهى عند السماء السابعة، فكان ظننا هو أنه عندما اكتمل استواء الرحمن على العرش في السماء السابعة (أي في آخر مرحلة من مراحل الاستواء) جاء قوله على هذا النحو:

- **الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ (5) طه**

بينما كان الاستواء قبل ذلك يكون على نحو:

ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ

وحاولنا النبش في مفردات الآية الكريمة التالية التي تشير إلى أن العرش قبل ذلك كان متواجداً على الماء:

- **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7) هود**

فالعرش كان – نحن نفتري القول- على الماء لحظة أن خلق الله السموات والأرض، وتشير الآية الكريمة أن الرحمن لم يكن مستوياً عليه، وما حصل الاستواء إلا بعد أن خلق الله السموات السبع

ومن الأرض مثلهن بدلالة ورود كلمة "ثم" التي تفيد الانتقال، ونعيد الآيات الكريمة هنا مرة أخرى لتأكيد الفكرة نفسها:

- **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54) الأعراف**
- **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (3) يونس**
- **اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2) الرعد**
- **الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (59) الفرقان**
- **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (4) السجدة**
- **هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4) الحديد**

وحاولنا حينئذ التفريق بين استواء الرحمن على العرش واستواء الرحمن إلى السماء كما في الآيات الكريمة التالية:

- **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (29) البقرة**
- **ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (12) فصلت**

فيرد الاستواء إلى السماء في الكتاب العزيز مرتين فقط (بينما ورد الاستواء على العرش بالمقابل سبع مرات)، ونحن نفهم من هذه السياقات القرآنية أن الاستواء إلى السماء حصل مرتين، وهنا يجب التمييز بين الاستواء إلى السماء يوم أن كانت كتلة واحدة:

ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ،

والاستواء إلى السماء لحظة أن قضاهن الله سبع سموات:

ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ

فحصل ذلك في يومين (**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**)، ونحن نستطيع تصور المشهد على النحو التالي:

كان العرش بداية على الماء ولكن لما استوى الله إلى السماء وقضاهن سبع سموات كان لزاماً انتقال العرش انتقالاً تدريجيا، فانتقل أولاً إلى السماء الأولى واستوى الرحمن عليه " ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ"، ثم إلى الثانية "ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ"، فالثالثة "ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ"، فالرابعة "ثُمَّ

اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ"، فالخامسة "ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ"، فالسادسة "ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ"، إلى أن وصل إلى السماء السابعة فكانت الصورة على نحو "الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ".

لقد كان استواء الرحمن على العرش يحدث في كل مرة ينتقل العرش من سماء إلى السماء التالية وذلك لضرورة تثبيت العرش (للتفصيل انظر سلسلة مقالاتنا تحت عنوان: معنى حرف الجر على في العربية)

افتراء من عند أنفسنا: كان العرش على الماء ولم يكن مستوياً (مستقراً) وذلك لأن الرحمن لم يكن قد استواء عليه بعد، ولما انتقل العرش إلى السماء الأولى كان استواء الرحمن عليه ضرورة لتثبيته (أي في حالة الاستقرار والثبات في تلك اللحظة)، وحصل ذلك في السماء الثانية والثالثة حتى السماء السابعة، وقد يرد البعض بالقول: لم لم يحصل كل ذلك دفعة واحدة؟ لم جاء تدريجياً على هذا النحو؟ فنرد عليه بالقول إن الإجابة على مثل هذا التساؤل موجودة في الآية التي تليها مباشرة، وكل ما هو مطلوب هو إمعان التفكير بمفردات الآية جيداً، وربط الآيات مع بعضها البعض، فلنقدم الآيتين معاً مرة أخرى ونتأملهما جيداً:

- **ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (12) فصلت**

لقد كان انتقال العرش انتقالاً تدريجياً من سماء إلى سماء ليتم وحي الله في كل سماء أمرها. فما فائدة العرش إن لم يكن لتلك الغاية؟

وعند التدقيق في السياقات القرآنية المرتبطة بهذا الموضوع نجد لزاماً التعرض للآية الكريمة التالية، ومن ثم ربطها بقضية استواء الرحمن على العرش، قال تعالى:

- **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (11) الطلاق**

فالآية الكريمة تشير إلى أن الله قد خلق سبع سموات (ومن الأرض مثلهن) وكان هناك عرش واحد فقط، وقد حاولنا أن نبين أن العرش قد انتقل انتقالاً تدريجياً من سماء إلى أخرى حتى بلغ السماء السابعة، ولكن الآية السابقة تثير تساؤلاً جديداً وهو أن الله (كما خلق سبع سموات) خلق من الأرض مثلهن، فأين إذا تلك "الأراضين" (إن صح القول وإن كنت على يقين أنه لا يصح) السبعة؟

نحن نظن أن كلمة "سماء" هي كلمة تدل على المفرد وتجمع على "سموات"، ولكن كلمة "أرض" هي كلمة تدل على المفرد وعلى الجمع معاً. ولكن لماذا؟

رأينا: لا يتم الجمع (أو الطرح) إلا من الأشياء المتطابقة، فأنت لا تستطيع أن تجمع البرتقال مع التفاح حتى وإن تشابها في الشكل، ولا تستطيع أن تطرح الموز من الخيار وذلك لأنهما ببساطة مختلفان. لذا فقد افترينا في مقالة سابقة لنا تحت عنوان كم لبث نوح في قومه استحالة أن يكون نوح قد لبث (950) كما ظن معظم أهل العلم والدراية وذلك لأن طرفي المعادلة في الآية الكريمة مختلفان:

- **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ(14) العنكبوت**

فيستحيل أن نطرح العام من السنة مادام أنهما (بمنطق علم الرياضيات متغيران مختلفان: س - ص)، فالجمع (أو الطرح) يتم من نفس الصنف مادام أنهما متطابقان، ولما كانت السموات متطابقة (سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا) كان جمع مفردة سماء أمراً ممكناً، ليصبح هناك:

سماء1 + سماء2 + سماء3 + سماء4 + سماء5 + سماء6 + سماء7 = سبع سموات

إن المتتبع لقصة انتقال العرش من سماء إلى سماء واستواء الرحمن على العرش في كل سماء لكي يوحي في كل سماء أمرها (وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) يبين لنا أن كل سماء كان لها أرضها الخاصة بها، فالسماء الدنيا لها أرضها، والسماء الثانية لها أرضها، وهكذا. وهذا الكلام يمكن فهمه من قوله تعالى:

- **فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (12) فصلت**

وربط ما تتضمنه هذه الآية الكريمة مع ما صرحت به الآية السابقة في قوله تعالى:

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ

فالسماء الدنيا قد زينت بمصابيح وحفظا، لذا فقد أوحى الله في كل سماء أمرها، وهذا ربما يجيب على احتمالية وجود كائنات غيرنا في هذا الكون، ولكننا نزعم أنه إن صح هذا الاعتقاد فسيكون ذلك ليس ضمن نطاق سمائنا الدنيا (لأن السماء الدنيا لها أرض واحدة، والقارئ مدعو لمراجعة جميع الآيات التي تتحدث عن الحياة الدنيا)، ولكن قد يكون ضمن نطاق السماء الثانية والثالثة وهكذا (للتفصيل حول هذا الموضوع انظر فهمنا لقصة يأجوج ومأجوج الذي قدمناه ضمن مقالة لنا تحت عنوان "مصادر التشريع في الإسلام").

إن هذا الفهم المفترى من عند أنفسنا يدعونا إلى إعادة النظر بما في أذهاننا من تصور لماهية تلك السموات السبع، فغالباً ما ظن الناس أن تلك السموات السبع متواجدة فوق بعضها البعض مستندين في ذلك على أفهامهم للآيات الكريمة التالية:

- **الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (3) الملك**

- **أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (15) نوح**

ونحن نستميح أهل العلم والدراية العذر أن نخالفهم الرأي بأن مفردة "طباقاً" ربما لا تعني الفوقية (أي واحدة فوق الأخرى)، ونفتري الظن أن المفردة تدل على التطابق (أي identical باللسان الأعجمي)، فالسموات في مخيلتنا هي عبارة عن سبع سموات متجاورة متطابقة، وهذا سيفسر لنا بحول الله وتوفيقه سبب أن يكون حملة العرش ثمانية على وجه التحديد (وليس سبعة أو تسعة مثلاً):

- **وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (17) الحاقة**

كما سنتحدث عن كيفية تصورنا لذاك العرش في ضوء الآيات الكريمة التالية:

- **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7) غافر**

- **وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (75) الزمر**

ولكن حتى نفهم ذلك ونستطيع تصور المشهد لابد لنا أن نغوص بمفردة العرش نفسها لنطرح التساؤلين التاليين:

1. ما هو العرش؟
2. لم العرش؟

افتراء من عند أنفسنا: العرش هو "مكان الحكم"، وربما يفسر هذا الظن حتمية نزوله في يوم الحساب الأكبر:

- **وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (75) الزمر**
- **وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (16) وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (17) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (18) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) الحاقة**

تساعدنا السياقات القرآنية المتنوعة في تجلية مشهد استواء الرحمن على العرش كما تصورها آيات الكتاب الكريم. فلقد وردت هذه المفردة ومشتقاتها في أكثر من موطن من كتاب الله، فوردت عند الحديث عن بلقيس (كما يحب أن يسميها أهل الرواية وأهل الدراية ومن جمع بينهما، ونزار قباني):

- **قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) النمل**
- **قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41) النمل**
- **فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42) النمل**

ووردت كذلك عند الحديث عن يوسف:

- **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100) يوسف**

وهنا نجد لزاماً إثارة التساؤل التالي: لم ورد ذكر العرش عند الحديث عن يوسف وتلك المرأة (على وجه التحديد)؟ ولم لم يرد ذكر العرش عند الحديث عن فرعون مثلاً؟ ألم يكن فرعون ملك مصر؟ ألم تتكرر قصة فرعون عشرات المرات في القرآن؟ لِمَ لَمْ يتحدث الله عن "عرش فرعون" مثلاً؟!

الجواب: لأننا نزعم أن فرعون لم يكن له عرش

- ولكن كيف ذلك؟ ألم يكن هو حاكم مصر وسيدها والرب المطاع فيها؟ فلم لا يكون له عرش؟

جواب: ذلك يتطلب منا فهم معنى مفردة العرش كما تجليها السياقات القرآنية.

سمات العرش

⇐ أولاً، غالباً ما وقع في قلب العامة (مدفوعين بآراء أهل العلم) أن العرش هو صفة ملازمة للملوك، فمن كان ملكاً (هم يظنون) يكون له عرش بينما من لم يكن ملكاً فليس له عرش، لذا فإن الله قد ذكر في كتابه الكريم أنه هو رب العرش:

- **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (129) التوبة**
- **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22) الأنبياء**
- **قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) المؤمنون**
- **فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116) المؤمنون**
- **اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ (26) النمل**
- **سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (82) الزخرف**
- **رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (15) غافر**
- **ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (15) البروج**

فالله هو ذو العرش لأنه - ببساطة- هو الملك:

- **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (107) البقرة**
- **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (189) آل عمران**

فبالرغم أنها سبع سموات إلا أن لله عرش واحد:

- **قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) المؤمنون**

لاحظ كيف نعت الله العرش بأنه عظيم ولم يكن ذلك للسموات وللأرض فلله عرش واحد (**الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**) وذلك بسبب عدم وجود الشريك له في الملك:

- **الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (2) الفرقان**

فمتى أصبح هناك شريك في الملك، لن يكون هناك عرش:

- **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22) الأنبياء**

والسبب كما تصوره الآية الكريمة نفسها هو الفساد، فمتى أصبح هناك أكثر من عرش، ظهر الفساد:

- **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22) الأنبياء**

وهذا يعيدنا بالضبط إلى النقطة التي انطلقنا منها وهي سبب ورود العرش عند الحديث عن قصة يوسف عندما رفع أبويه على العرش، وكذلك عند الحديث عن ملكة سبأ على وجه التحديد، فنحن نظن أن واحد من الأسباب ربما يعود إلى عدم وجود الفساد في حالة يوسف وفي حالة ملكة سبأ،

لأن من أساسيات وجود العرش هو العدل، فمتى عمّ العدل أصبح هناك حاكم واحد وانتفت الدعوة إلى الانقسام.

فلو تدبّرنا قصة ملكة سبأ لوجدنا أنها كانت تملكهم وما خرج أحد منهم عن أمرها، فكان شعبها شعباً موحداً، فشاورتهم بالأمر:

- **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (32) النمل**

فردوا عليها بالمشورة والنصح، ولكنهم لم يعدموا في الوقت ذاته القول إن الأمر منوط بها كصاحبة للعرش، فأمرها مطاع:

- **قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) النمل**

فاتخذت هي القرار الذي ظنته مناسباً، فما ثاروا ولا انتفضوا ضد قرارها:

- **قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) النمل**

والمتتبع لأمر مصر في زمن يوسف النبي يجد أن العدل كان يعمّ الأرض، فقد بدأ العدل في تلك البلاد ينتشر منذ أيام حكم الملك الذي سبق يوسف، وليس أدل على عدل ذلك الملك مما فعل يوم انتهى إليه خبر ما فعلت النسوة بيوسف، وكيف عامل يوسف بعد ذلك بكل ما يتطلبه العدل الحقيقي بالرغم أن يوسف كان غريبا عن أرض مصر، والأهم من ذلك فإن سيرة الرجل تبين أن مملكته كانت موحدة غير منقسمة، فهو الحاكم المطاع، وقد كان ذلك بسبب عدل الرجل، فمشورته للملأ كانت جلية حتى في أقل الأمور أهمية، فها هو يشاركهم حتى أحلامه:

- **وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43) يوسف**

ولكن بالرغم من كل ذلك لا يذكر القرآن الكريم أن لذلك الملك عرش وهو الذي ما أنفك يطلب النصح والمشورة من ملأه. فطلب الفتوى من الملأ (وهم حاشية) كان من أهم ميزات ملك مصر (وإن لم يكن صاحب عرش) (كما كان سمة بارزة في حكم تلك المرأة من سبأ وهي صاحبة عرش عظيم)، لذا لا نستغرب كثيراً عندما نجد أن الله نفسه يتحدث عن ملئه:

- **وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (7) لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (8) الصافات**
- **مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (69) ص**

ولكن يجب التنبيه إلى أن من ميزات العرش كذلك أن يكون الملأ (حاشية السلطان) ممن يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فصحيح أن فرعون كان له ملأ، إلا أنهم كانوا سبباً رئيسياً في هلاكه، فبدل أن ينصحوه، كانوا يؤولون له الأمور على غير حقيقتها حتى أهلكوه وهلكوا معه، فهم من حثّ فرعون على التصدي لموسى:

- **وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (127) الأعراف**

وهم أصلاً من تآمروا على موسى حتى دون علم فرعون نفسه:

- **وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20) القصص**

فالمدقق في هذه الآية الكريمة يجد أن الملأ هم من كانوا يأتمرون بموسى ليتخلصوا منه، فحتى لو كان فرعون على استعداد لقبول موسى (ودعوته)، ما كان ملأ فرعون سيتركونه وشأنه، فالرجل الذي جاء محذراً موسى بيّن له أن كل ذلك يحصل بسبب الملأ (وليس بسبب فرعون نفسه):

- **وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20) القصص**

وهذا يدلّنا على أن فرعون لم يكن بدراية بكل ما كان يحصل في قصره، فكيف به سيكون صاحب عرش ما دام أنه على غير دراية كافية بكل ما يحصل في بلاطه؟ فالملك صاحب العرش لا بد أن يكون مسيطراً تماماً على عرشه، وإلاّ لأصبح العرش في مهب الريح، يتلاعب به الملأ حتى يكونوا سبباً رئيسياً في زواله (وهذه لا شك دعوة لكل ملوك الأرض ليفهموا أن عرشهم لن يدوم إلا أن يكونوا هم من يملكوه وأن لا تكون حاشيتهم من أمثال ملأ فرعون).

وربما لهذا السبب – نحن نزعم الظن- لا نجد أن ملك مصر زمن يوسف (بالرغم من عدله) لم يكن صاحب عرش، وذلك لأن كثير من الأمور – في رأينا- كانت تحدث في مملكته على غير علم منه، وليس أدل على ذلك مما فعلت النسوة بيوسف، وبالمؤامرة التي سجن يوسف بسببها ظلماً وعدوانا.

نتيجة مفتراة: لكي يكون هناك عرش لابد من توافر السيطرة المطلقة لصاحب العرش على ملكه فلا يجري فيه شيء دون علم منه بكل ما يحصل.

وهذه النقطة غاية في الأهمية لنفهم ماهية العرش، وسمات حكم من كان له عرش كملكة سبأ هذه التي نتحدث عنها هنا وكحالة يوسف يوم أن أصبح عزيز مصر ورفع أبويه على العرش، والأهم من ذلك كله كيفية تحكم (مراقبة) الإله الواحد الأحد، رب العرش العظيم، بالكون كله.

ولكن يبقى السؤال قائماً، ما هو العرش؟

تسلّط الآية الكريمة التالية الضوء على ما يمكن أن نتخيله فيما يخص كينونة العرش:

- **وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) النحل**

فالعرش هو بناء لا يكون جزءاً من الطبيعة، وإنما بناء مستحدث يمكن أن يتغير ويتشكل بطرق مختلفة، فيمكن للناس أن يعرشوا أبنيتهم بالطريقة التي يريدونها، ويمكن كذلك أن يبلى وينتهي كما تصوره الآيات الكريمة التالية:

- **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۖ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259) البقرة**

- **فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (45) الحج**
- **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (137) الأعراف**

افتراء من عند أنفسنا: العرش بناء مرتفع، يمكن أن يرفع من مواد مختلفة في الأساس، فليس بالضرورة أن تكون العروش مصنوعة من نفس المادة الخام التي يمكن أن تبنى منها البيوت، فالجنات (المزارع) يمكن أن تكون معروشة وغير معروشة كما تصورها الآيات الكريمة التالية:

- **وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (141) الأنعام**
- **وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42) الكهف**

وليس أدل على زعمنا بأن العرش عبارة عن شيء مرتفع من أن يوسف نفسه قام برفع أبويه على العرش:

- **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100) يوسف**

ولو دققنا النظر في الآيات الكريمة التي تتحدث عن الجنات لوجدنا أن تلك الجنات المعروشات وغير المعروشات هي جنات من أعناب على وجه الخصوص، ولنعيد الآية مرة أخرى ونتأملها من هذا الجانب:

- **وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ ... (141) الأنعام**

فالآية تبين أن هناك جنات معروشات وغير معروشات من جهة وهناك النخل والزرع والزيتون والرمان، فالله لم يقل إنه أنشأ لنا جنات معروشات وغير معروشات من النخل والزرع والزيتون والرمان، ولكنه فصل بين الجنات المعروشات وغير المعروشات (من جهة) والنخل والزرع بشتى أنواعه (**مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ**) والزيتون والرمان (من جهة أخرى)، فتلك لا تعرش (أي لا ترفع على قواعد كما ترفع الأبنية)، ولو تدبرنا قصة الرجلين اللذين جعل الله لأحدهما جنتين لوجدنا أن الحديث عن الأعناب جاء منفصلاً عن الحديث عن النخل مثلاً:

- **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32) الكهف**

ولكن ما الذي حصل عندما أعرض ذلك الرجل ولم ينسب ذلك الفضل إلى الله، جاء العقاب الرباني على الجنتين على النحو التالي:

- وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42) الكهف

ولو تدبرنا معظم السياقات القرآنية لوجدنا الحديث عن الجنات تخص شجر الأعناب والنخيل، ولكن عندما نتحدث عن المعروش منها نجد الحديث قد انحصر على الأعناب فقط، وهنا نطلب من القارئ تخيل كيف يمكن أن يكون شجر الأعناب معروشاً.

إن الجواب بسيط جداً يتمثل في تخيّل شجرة العنب محمولة على قواعد ثابتة بالأرض ليتدلى الثمر، فتكون قطوفها دانية:

- فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) القيامة

وربما يفسر مثل هذا الفهم كيفية نزول العرش يوم الحساب، والملائكة تحمله:

- وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (16) وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (17) القيامة

فعرش الرحمن هو بناء رباني مرفوع على ثمانية قواعد تشبه صورته صورة جنات الأعناب المعروشة (أي المرفوعة على القواعد)، وهنا يتبادر للذهن سؤال مفاده: لم ثمانية؟

رأينا: لأن هناك سبع سموات، ولكن كيف؟

افتراء من عند أنفسنا: لو كان هناك سماء واحدة وعرش واحد لكان العرش يحمله اثنان (ولله المثل الأعلى لنتخيل العرش على شكل الطاولة المحمولة على رجلين اثنتين)، ولو كان هناك سماء أخرى متواجدة إلى جانب السماء الأولى لأصبح من يحمل العرش ثلاثة (فلا ننسى أنه عرش واحد، لذا لا نتحدث عن عرش لكل سماء)، ولو زدنا سماء ثالثة لاحتجنا لرابع ليحمل الرجل الجديدة للعرش، فكلما زادت سماء جديدة زادت رجل جديدة للعرش حتى يبقى عرش واحد وإن تعددت السموات، وهكذا حتى نصل السماء السابعة عندها يكون عدد من يحمل العرش 8 (أي عدد السموات+1، وذلك لأننا احتجنا إلى رجلين ليحمل العرش عليهما في السماء الأولى واحتجنا بعد ذلك إلى رجل واحدة مع كل سماء جديدة ليبقى العرش واحدا)، فهي في نهاية المطاف سبع سموات بعرش واحد (وهو بلا شك العرش العظيم). لكن كيف يمكن لنا أن نتصوره؟

جواب: تتكرر صورة الملائكة وهم يحملون شيئاً ما في واحدة من قصص بني إسرائيل، ولنتفقد القصة من الجوانب التي ذكرناها سابقاً جميعاً:

- أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (248) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ

مُلَاقُو اللَّهِ كَم مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ(250) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) البقرة

ولو تفقدنا القصة جيداً، لوجدنا أن القوم يطلبون ملكاً، فيبعث الله لهم طالوت ملكا، ويكون هناك دليل (آية) على ملكه، وكان ذلك الدليل عبارة عن التابوت الذي تحمله الملائكة، فكيف يمكن أن نتصور ذلك التابوت الذي تحمله الملائكة؟

إن صورة حمل الملائكة شيئا ما قد وردت في هاتين الحالتين في كتاب الله:

⇐ صورة الملائكة تحمل عرش الملك يوم القيامة ليتم الفصل والقضاء بين الناس بالعدل

⇐ صورة الملائكة تحمل التابوت لطالوت ملكاً ليقيم العدل بعد ما أصاب القوم من ظلم

ربما تبين لنا هذه الصور كيفية حمل الملائكة لعرش ربنا يوم الحساب، فلو دققنا في مجمل الآيات لوجدنا أن رب العرش الكريم سيكون خارج نطاق العرش:

- **وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (16) وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (17) الحاقة**

فالملك إذن قائم على أرجائها، وهو غير محمول على العرش، لأنه سيأتي بنفسه تصحبه الملائكة، ومن غير المتصور أن يأتي رب العرش العظيم محمولاً:

- **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (210) البقرة**

- **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًاۗ قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (158) الأنعام**

- **كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (21) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (22) الفجر**

إذن، لنتصور المشهد على النحو التالي:

ينفخ في الصور النفخة الأولى فيصعق من في السموات والأرض إلا من شاء الله:

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُۖ

ينفخ فيه أخرى فيقوم الجميع إلى ربهم:

ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ

تنشق السماء، فإذا بالملك على أرجائها، ويحمل ثمانية من الملائكة عرش الرحمن ليقضى بين الناس بالحق

- **وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (16) وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (17) القيامة**

فيأتي ربك والملائكة تكون حاضرة صفاً صفاً

- **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (22) الفجر**

للحديث عن معنى "صفاً صفاً" انظر سلسلة مقالاتنا تحت عنوان "كيف تم خلق عيسى بن مريم؟

تشرق الأرض بنور ربها، فيوضع الكتاب ويتم حضور النبيين والشهداء:

- **وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (69) الزمر**

فتكون الأرض قبضته والسموات مطويات بيمينه:

- **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (67) الزمر**

لتبين حقيقة الفصل بين الذات الإلهية من جهة والسموات والأرض من جهة أخرى والعرش من جهة ثالثة، وهو ما يدعم موقفنا الذي ذكرناه سابقاً وهو الفصل بين الوجود الفيزيائي للذات الإلهية من جهة وجميع خلقه من جهة أخرى.

ولو أمعنا التفكر في مفردات الآية الكريمة جيداً لوجدنا أن الله سبحانه في تلك اللحظة سيطوي السموات بيمينه (**وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**) وتكون عملية طي السموات مشابهة لطي السجل للكتب:

- **يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (104) الأنبياء**

وربما يؤكد ظننا هذا ما ذهبنا إليه سابقاً أن السموات قطع متطابقة متجاورة سيتم طيّها كما يتم طي السجل للكتب.

ولكن قبل أن ننفلت من عقال التفكير المحكوم بالنص لابد لنا أن نعاود الحديث عن كيفية الاستواء على العرش لنثير التساؤل التالي: كيف يستوي الإله على العرش مادام أنه منفصل عنه؟

تطرقنا في مقالتنا تلك إلى معنى حرف الجر "على" وزعمنا الظن أن المفردة تفيد النظرة المسيطرة المتحكمة، فمن على شيئاً فهو ينظر إليه بطريقة تمكّنه من السيطرة عليه بالرؤيا: لذا نحن نفتري أن استواء الرحمن على العرش جاء بعد أن خلق السموات السبع (ومن الأرض مثلهن) ليسيطر بالرؤيا المتحكمة على كل ما في الكون، فلا تغيب عنه مثقال ذرة من خردل، وما تسقط من ورقة إلا ويعلمها:

- **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (47) الأنبياء**

- **يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (16) لقمان**

- **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (59) الأنعام**

فكيف يتم ذلك للرحمن؟

جواب: نحن نفتري القول أن كل ذلك يتم من خلال العرش، فنحن نزعم الظن أن الإله يسيطر على الكون كله فلا يغيب عنه شيء وإن كان مثقال ذرة من خردل بسبب وجود "العرش العظيم"، وذلك لأن العرش (ولله المثل الأعلى) وهو بمثابة شاشة السيطرة والمراقبة التي يتم لصاحبه من خلاله أن يسيطر على مملكته، ونحن نزعم القول أنه بمقدار العرش تكون السيطرة، لذا لمّا كان الله هو رب "العرش العظيم"، كان هو المسيطر المطلق على كل ما في السموات والأرض، فلا يغيب عنه شيء مهما صغر أو عظم، ولكن لمّا كان عرش تلك المرأة بحجمها، كانت تسيطر على جزء محدد من الأرض، فهي تستطيع أن تراقب من خلال عرشها ما يدور حولها من أحداث. ولو تتبعنا قصة تلك المرأة لوجدنا أن الأحداث كانت تجري بأسرع من وقتها الطبيعي:

- **وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ(39) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (43) النمل**

لاحظ أن قدومها إلى سليمان حصل قبل أن ترجع الهدية مرة أخرى إلى ديار قومها، ولاحظ كيف كانت تتسارع الأحداث بطريقة لا تدل على أن الأمور كانت تسير بالطريقة التقليدية التي عهدناها (وهذا ما سنتحدث عنه في الجزء القادم بحول الله وتوفيقه، فنحن نفتري الظن أن المرأة قد علمت أن سليمان قد رد هديتها قبل أن تصل الهدية إليها.

(دعاء: فالله أسأل أن يصطفيني بعلم من لدنه أعظم من علم تلك المرأة لا ينبغي لأحد غيري إنه هو السميع المجيب).

ولكن قبل أن نقفل هذا الجزء لابد التأكيد على جزئية مهمة جداً أثرناها سابقاً وربما سنحتاج إليها في الأجزاء القادمة والمتمثلة بالافتراء التالي: العرش هو صفة من يملك لا صفة الملوك. فلو تدبرنا القص القرآني لتلك الحادثة كما جاء على لسان الهدهد لوجدنا أن الهدهد يثبت أن المرأة كانت تملك قومها ولم يذكر الهدهد أنها كانت ملكة (كما تبادر لأذهان أهل العلم والعامة من بعدهم)، ولكن عندما تحدثت تلك المرأة عن سليمان ومن قبله نعتتهم بصفة الملوك:

- **قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (34) النمل**

فما الفرق بين الملك من جهة والمالك (من يملك) من جهة أخرى؟
جواب: إن من يملك الشيء يستطيع أن يراقبه فيدخل في خصوصياته (كما زعمنا سابقاً)، ولكن الملك قد لا يستطيع القيام بذلك لأن ملكيته عامة وليست خاصة.

(دعاء: اللهم أسألك أن تنفذ قولك بمشيئتك وإرادتك لي بأن يكون لي عرش أعظم من عرش تلك المرأة، فلقد تحصل لها ذلك العرش وهي لا تؤمن بك وتسجد لغيرك، وأنا أسألك أن تؤتيني ذلك العرش وأنا لا أترك السجود لك وحدك، وكنت مسلما).

وكذلك كان عرش يوسف يمكّنه من جزء محدد من العلم، فها هو يشير إلى تأويل رؤياه لأبيه بعد أن رفعه على العرش:

- **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100) يوسف**

السؤال: إلى ماذا كان يشير يوسف لوالده يعقوب وهو مرفوع على العرش عندما استخدم اسم الإشارة هذا (**وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ**)؟

افتراء من عند أنفسنا: لقد أشار يوسف إلى مكان محدد على تلك الطاولة (العرش) الذي رفع أبويه عليها ليري أباه يعقوب على وجه التحديد تأويل الرؤيا كما تظهر على عرش يوسف). فذلك هو علم يوسف:

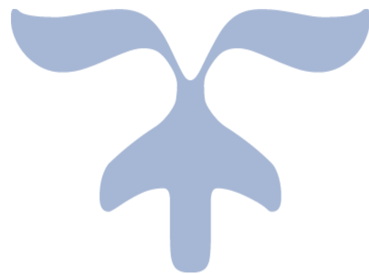
- **وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6) يوسف**

هذا والله أعلم.



مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ

الباب الثامن: أن أعمل صالحا ترضاه



الباب الثامن: أن أعمل صالحاً ترضاه

نناقش في هذا الجزء جزءاً جزءاً مما قاله سليمان كما جاء في الآية الكريمة التالية:

- **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) النمل**

لنتناول محورين من النقاش كما تجليهما الأسئلة في كل محور وهما على النحو التالي:

⇐ ما هو العمل الصالح الذي يرضاه الله؟ وهل هناك عمل صالح لا يرضاه الله؟ ألا يرضى الله بكل الأعمال التي يعملها الإنسان إن كانت صالحة؟

⇐ لماذا يطلب سليمان من ربه أن يدخله في عباده الصالحين مادام أنه سيعمل صالحاً يرضاه الله؟ لماذا جاء طلب العمل الصالح الذي يرضاه الله (**وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ**) منفصلاً عن طلب الدخول في عباد الله الصالحين (**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**)؟ ألا يكون من يعمل عملاً صالحاً داخلاً تلقائياً في عباد الله الصالحين؟

افتراء من عند أنفسنا (1): الله لا يرضى كل الأعمال الصالحة، فقد يكون هناك عمل صالح لا يرضاه الله.

افتراء من عند أنفسنا (2): العمل الصالح قد لا يدخل الإنسان في عباد الله الصالحين

)دعاء: أسأل الله أن يؤتيني رحمة من عنده وأن يعلمني من لدنه علماً إنه هو السميع العليم، وأسأله تعالى أن لا يعفو عمن يجتزئ من هذه النصوص شيئاً دون إذن مسبق منا، وأسأله أن لا يغفر لمن ينقل منها شيئاً قاصداً الإساءة)

أما بعد؟

في إطار محاولتنا الإجابة على تساؤلاتنا الرئيسية التي طرحناه في الأعلى وجدنا أن الضرورة تستدعي منّا التعريج على أسئلة فرعية ربما تكون ذات علاقة وثيقة بالإجابة التي نحاول تقديمها هنا.

سؤال فرعي: كم كان يبلغ سليمان من العمر عندما كان في واد النمل (عندما جاءه الهدهد بنبأ من سبأ)؟

جواب: أربعين سنة

سؤال فرعي: هل كان لسليمان ذرية حينئذ؟

جواب: لا، لم يكن له ذرية

الدليل

عندما كان سليمان في واد النمل وخرجت تلك النملة لتحذر صاحباتها من الخطر القادم (انظر هذه المقالة تحت باب النمل وباب العرش)، ما كان من سليمان إلا أن يتبسّم ضاحكا من قولها، متلفظاً بما صدّق الحق من قوله كما جاء في الآية الكريمة التالي:

- **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) النمل**

وعند تفقدنا للآية الكريمة خرجنا بالاستنباط التالي: سليمان يطلب من ربه أن يوزِعَه للقيام بثلاثة، ألا وهي:

⇐ **أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ**

⇐ **وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ**

⇐ **وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**

والآن دعنا نحاول أن نربط ما جاء في هذه الآية الكريمة على لسان سليمان مع ما جاء في آية كريمة أخرى تتحدث عن ما يتوجب على كل إنسان (وليس فقط سليمان) مؤمن بربه أن يفعل إذا ما بلغ سن الأربعين، علّنا نستطيع الخروج باستنباطات تخص سليمان على وجه التحديد:

- **وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15) الأحقاف**

لقد دفعنا التطابق العجيب في اللفظ بين الآيتين الكريمتين السابقتين (النمل 19 والأحقاف 15) دفعنا إلى تقديم الاستنباطات التالية:

⇐ لا شك أن سليمان قد بلغ أشده وبلغ من العمر أربعين سنة حتى توجه إلى ربه بهذا الدعاء، فهذا الدعاء هو ببساطة دعاء من بلغ أشده وبلغ أربعين سنة (**حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ** ...)

⇐ لا شك عندنا أيضاً أن الذرية لم تكن قد تحصلت لسليمان بعد، ولكن لماذا؟

جواب: لو تدبرنا آية شكر الله على النعم عند ذلك العمر (أي عندما يبلغ الإنسان أشده ويبلغ أربعين سنة) نجد أن الإنسان المؤمن في ذلك العمر يطلب من ربه أن يوزعه لكي يقوم بما هو آت:

⇐ **أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ**

⇐ **وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ**

⇐ **وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي**

فالدعاء في ذلك السن لا يتوقف إذن عند الدعاء للوالدين، ولكنه يمتد أيضاً ليشمل الذرية (**وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي**)، ولكن الملفت للانتباه في حالة دعاء سليمان هو أن سليمان قد طلب اثنتين من هذه الثلاثة وترك واحدة، فهو قد طلب الدعاء للوالدين والعمل الصالح الذي يرضاه ربه (**أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ**)وتوقف عن الدعاء بصلاح الذرية، واستبدلها بطلب الدخول في رحمة الله في عباده الصالحين (**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**):

- **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) النمل**

نتيجة مفتراة: نحن نفتري القول إن الذرية لم تكن قد تحصلت لسليمان بعد وقد بلغ أشده وبلغ أربعين سنة، لأنه ببساطة لو كان لسليمان ذرية في ذلك السن عندما توجه إلى ربه بذلك الدعاء لطلب – نحن نظن- صلاح الذرية، لأن ذلك هو دعاء كل مؤمن يبلغ أشده ويصل من العمر أربعين سنة.

- **وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ**

وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15) الأحقاف

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: كان سليمان في تلك اللحظة قد بلغ أربعين سنة ولم يكن قد تحصلت له الذرية بعد

سؤال: دعنا نصدقك ولو قليلاً – يقول صاحبنا- ولكن لماذا طلب سليمان الدخول في عباد الله الصالحين؟ ومن هم عباد الله الصالحين؟ ألم يكن سليمان في ذلك الوقت ضمن قائمة عباد الله الصالحين؟ ثم الأهم من ذلك كله هو: كيف يطلب سليمان من ربه أن يوزعه أن يعمل صالحاً في البداية ثم يطلب من ربه أن يدخله في عباد الله الصالحين في نهاية دعاءه؟

- **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) النمل**

السؤال: فما الفرق بين أن يعمل الإنسان صالحاً يرضاه ربه وأن يدخله ربه في عباده الصالحين؟ ألن يكن من يعمل صالحاً داخلاً تلقائياً في عباد الله الصالحين؟ وألن يكن من هو من عباد الله الصالحين قد عمل صالحاً أصلاً؟

جواب: للإجابة على هذه التساؤلات، لابد من معرفة من هم عباد الله الصالحين حتى طلب سليمان من ربه أن يدخله فيهم في ذلك المقام على وجه التحديد، ومن ثم محاولة تفريق ذلك عن "من يعمل صالحاً". وهذا ينقلنا فوراً للحديث عن الصلاح كما تصوره آيات الكتاب الكريم.

الصلاح

رأينا: بعد تفقد الآيات الكريمة التي تتحدث عن عباد الله الصالحين بصيغة (مِنَ الصَّالِحِينَ) على وجه التحديد، وجدنا – مفترين الظن من عند أنفسنا- أن تلك القائمة تشمل الأنبياء والرسل فقط. فالقائمة تشمل إبراهيم عليه السلام:

- **وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) البقرة**

- **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (121) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (122) النحل**

وقد دعا إبراهيم ربه أن يهب له من الصالحين:

- **رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) الصافات**

فكانت ذريته (إسحق ويعقوب):

- **وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (27) العنكبوت**

مفارقة عجيبة جداً: إن تدبر هذه الآية الكريمة تدلّ أن الذي كان من الصالحين هو إبراهيم نفسه وليس إسحق ويعقوب، أليس كذلك؟ فالآية تذكر في بدايتها إسحق ويعقوب على أنهما هبة

من الله لإبراهيم ولكنها تختم بالحديث عن شخص واحد (وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) وليس عن شخصين، ولكن تأتي المفارقة الأعجب أن الآية التالية تتحدث عن إسحق على أنه من الصالحين:

- **وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (112) الصافات**

السؤال: ماذا عن يعقوب؟ ألم يكن يعقوب من الصالحين؟ لقد تفقدنا القرآن فلم نجد أنه يذكر أن يعقوب كان من الصالحين، وإنْ أحدٌ دلنا على آية في كتاب الله تثبت أن يعقوب كان من الصالحين، فسنكون له من الشاكرين. فلم - يا ترى- لا يذكر القرآن الكريم أن يعقوب كان من الصالحين كوالده إسحق وكجده إبراهيم؟ ولو حفرنا في النص أكثر لبان لنا أن يوسف أيضاً لم يذكر بنص القرآن على أنه "من الصالحين". فهل فعلاً لم يكونا (يعقوب وولده يوسف) من الصالحين؟ من يدري!!!

رأينا: لخطورة هذه المعلومة وما سيترتب عليها من عقائد جمّة، فإننا سنحاول بحول الله وتوفيقه أن نتعرض لها بالتفصيل لاحقاً، ولكن نظن أن الضرورة تستدعي أن يبدأ القارئ الكريم مراجعة ما جاء في سلسلة مقالاتنا تحت عنوان: ماذا كتب في الزبور؟ ليتجهز أن يسمع افتراءات نظن أنه لم يسبقنا إليها أحد من أهل الدراية وأهل الرواية ومن جمع بينهما.

(دعاء: واللهَ أسأل أن يؤتيني من لدنه علماً لا ينبغي لأحد غيري إنه هو السميع المجيب)

وعند متابعتنا التنقيب على من هم ضمن هذه القائمة (**مِّنَ الصَّالِحِينَ**)، وجدنا أنه قد جاء ذكر إسماعيل (الابن الآخر لإبراهيم) على أنه من الصالحين يصحبه في ذلك إدريس وذو الكفل:

- **وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (85) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ (86) الأنبياء**

وكان لوط (وهو الذي هاجر مع إبراهيم) من الصالحين أيضاً:

- **وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (74) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) الأنبياء**

وكان يحيى من الصالحين:

- **فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (39) آل عمران**

بعد أن كان والده زكريا من ذي قبل من الصالحين يصحبه في ذلك عيسى وإلياس (بالإضافة إلى ولده يحيى بالطبع):

- **وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (85) الأنعام**

ويتأكد وجود عيسى في قائمة الذين هم من الصالحين في آية منفصلة:

- **وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) آل عمران**

وكان شعيب من الصالحين أيضاً:

- **قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27) القصص**

وكان صاحب الحوت من الصالحين:

- **لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (49) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (50) القلم**

سؤال: هل ذكر القرآن الكريم أن أناس عاديين (غير الأنبياء والرسل) كانوا ضمن قائمة من هم "مِنَ الصَّالِحِينَ"؟

جواب: لا، لا يذكر.

سؤال: لماذا؟

رأينا: لمحاولة الوصول إلى إجابة على هذا السؤال، نحن نرى أنه لابد من تعريف من الذين يمكن أن يوضعوا في قائمة من هم "من الصالحين". أي، ما هي مواصفاتهم؟

جواب: نحن نظن أن الإجابة متوافرة في الآية الكريمة التالية:

- **يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) آل عمران**

فالصالحون إذن هم – حسب الآية الكريمة نفسها- من يقومون بالأعمال التالية:

⇐ **يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**
⇐ **وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**
⇐ **وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**
⇐ **وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**

ولعظم هذه الأعمال وجسامتها، والتي قد لا يستطيع القيام بها إلا نفر قليل من الناس، نجد أن كذب المنافق بائن بينونة كبرى عندما يدركه الموت وفي يوم القيامة عندما يطلب من ربه العودة ليكون من الصالحين:

- **وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (10) المنافقون**
- **وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) التوبة**

ولكن الله (الأعلم بحالهم) يفضح كذب دعواهم في الآية الكريمة التالية:

- **بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (28) الأنعام**

سؤال: فماذا عن الناس العاديين (غير المنافقين) والذين هم ليسوا من الأنبياء والرسل؟ لم لا يوضعون ضمن هذه القائمة؟ وأين يمكن أن يوضعوا؟

رأينا: لكي يكون شخص ما في هذه القائمة فلابد أن يقوم بتلك الأعمال الأربعة التي ذكرتها الآية الكريمة السابقة التي تعرف الصالحين مجتمعة، ونعيدها مرة أخرى هنا لتأكيد المعلومة:

⇐ **يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**
⇐ **وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**
⇐ **وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**
⇐ **وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**

ولو تدبرنا الآية الكريمة في سياقها الأوسع لوجدنا أن الحديث لا يقتصر على أمة محمد لأن الآية جاءت في سياق الحديث عن بني إسرائيل:

- **لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) آل عمران**

ولو أضفنا ما جاء في هذه الآية السابقة إلى شروط الصالحين (وإن كنت أظن أن ما جاء في الآية الثانية غير معطوف على ما جاء في الآية الأولى وذلك بسبب عدم وجود حرف العطف "و" في بداية الآية الثانية ليتم عطف ما جاء فيها على ما جاء في الآية التي سبقتها) لأصبحت القائمة على النحو التالي:

⇐ **أُمَّةٌ قَائِمَةٌ**
⇐ **يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ**
⇐ **وَهُمْ يَسْجُدُونَ**
⇐ **يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**
⇐ **وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**
⇐ **وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**
⇐ **وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**

ولمّا كان من الصعب أن يقوم الإنسان العادي بهذه الأعمال كلّها مجتمعة، أصبح من الصعب- نحن نظن- أن يكون ضمن قائمة من هم "**مِنَ الصَّالِحِينَ**". ولكن لمّا كان من الممكن أن يقوم بجزء من هذه الأعمال، أصبح من الممكن – في نظرنا- أن يوضع في قائمة جديدة، يمكن أن نسميها قائمة "من يعمل صالحاً":

- **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) البقرة**
- **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (69) المائدة**

انظر إلى الحركة الإعرابية لمفردة "الصابئون والصابئين" في الآيتين الكريمتين، ففي حين أن المفردة جاءت منصوبة في الآية الأولى "وَالصَّابِئِينَ" جاءت المفردة نفسها منصوبة في الآية الثانية (وَالصَّابِئُونَ). وسنتعرض لهذه الجزئية في مقالة خاصة بحول الله وتوفيقه.

- **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97) النحل**
- **وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88) الكهف**
- **إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (60) مريم**
- **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (82) طه**
- **لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100) المؤمنون**

- وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (71) الفرقان
- فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) النمل
- فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (67) القصص
- وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80) القصص
- مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (44) الروم
- وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (12) السجدة
- وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (31) الأحزاب
- وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (37) سبإ
- وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (37) فاطر
- مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَاۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (40) غافر
- وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33) فصلت
- مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (46) فصلت
- مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (15) الجاثية
- وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًاۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًاۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًاۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15) الأحقاف
- يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (9) التغابن

- رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (11) الطلاق

نتيجة مفتراة: من عمل أمور الصلاح مجتمعة فهو "من الصالحين"، ولكن من عمل واحدة منها، فهو قد "عمل صالحاً"

ملاحظة مهمة: المنافقون يطلبون العودة ليكونوا من الصالحين (أي ليقوموا بالأعمال السابقة مجتمعة):

- وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (10) المنافقون
- وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) التوبة

أما الكافرون الظالمون والمجرمون، فيطلبون العودة ليعملوا صالحاً فقط:

- وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (36) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (37) فاطر
- وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (12) السجدة

فنحن نظن أن هناك حتى اللحظة قائمتين:

⇐ من هم من الصالحين

⇐ من يعمل صالحاً

وعند الخوض أكثر في التفاصيل وجدنا أن القرآن الكريم يتحدث عن قائمة ثالثة وردت في آيات كريمة عديدة، وهي

⇐ من يعمل الصالحات

فالشخص الواحد يمكن أن يعمل أكثر من عمل صالح واحد، فبعضهم قد يعمل اثنتين أو ثلاثة أو ربما الأربعة (ولكن على انقطاع)، عندها يكون – نحن نفتري الظن- ضمن القائمة الثالثة وهي "من يعمل الصالحات":

- وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25) البقرة
- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (82) البقرة

- **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (277) البقرة**

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: هناك ثلاث قوائم لمن يعمل الصلاح:

أن يكون من الصالحين (يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَـٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ)

أن يكون ممن يعمل صالح (كأن يعمل واحدة من أعمال الصلاح هذه: وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

أن يكون ممن يعمل الصالحات (كأن يعمل أكثر من واحدة من هذه الأعمال: وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)

السؤال: في أي من هذه القوائم طلب سليمان الدخول؟

رأينا: لازالت محاور النقاش حول سليمان مفتوحة على مصراعيها لأن سليمان – نحن نزعم القول- قد طلب من ربه أن يدخله في عباده الصالحين، أي في القائمة الأولى (**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**)، وذلك لظننا أن النبوة لم تكن قد تحصلت لسليمان بعد؟ فصحيح أن سليمان كان قد ورث والده داوود:

- **وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) النمل**

فكان بذلك ملكاً، وطلب تعزيز ذلك الملك بعد حادثة الفتنة:

- **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (35) ص**

ولكن حتى يصبح الشخص نبياً "من الصالحين"، فلابد من أن يأذن الله له بذلك، لذا نحن نفتري القول إن سليمان قد طلب الدخول في عباد الله الصالحين لتتحقق له النبوة بإذن من ربه بعد أن تحقق له الملك من وراثة والده داوود. فبالرغم أنه قد أوتي حكماً وعلماً حتى لحظة تواجده في واد النمل:

- **فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) الأنبياء**

إلا أن النبوة لم تكن قد تحصلت له بعد. فهناك فرق بين أن يؤتى الإنسان حكماً وعلماً وأن يصبح نبياً فيدخل في عباد الله الصالحين. فهذا موسى مثلاً يؤتيه الله حكماً وعلماً فيدخل المدينة على حين غفلة من أهله فيقتل رجلاً ويهم بقتل الآخر:

- **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (15) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (16) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (17) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ۚ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (18) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (19) القصص**

ولكن الرسالة تأتيه بعد العودة من أرض مدين بعد لقاءه ربه في الواد المقدس:

- **وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ (11) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (12) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ (13) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (14) قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (15) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) الشعراء**

وهذا هي المرأة تهم بيوسف ويهم بها بعد أن كان قد بلغ أشده وآتاه الله حكماً وعلماً:

- **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22) وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24) يوسف**

نتيجة مفتراة: هناك فرق بين أن يؤتى الإنسان حكماً وعلماً أو أن يؤتى النبوة والرسالة.

(دعاء: اللهم رب أسألك أن تؤتيني حكماً وعلماً إنك أنت الحكيم العليم)

فسليمان كان قد أوتي حكماً وعلماً من ذي قبل وها هو الآن في واد النمل يطلب من ربه أن يدخله في عباده الصالحين (**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**)، ولكن لو تدبرنا طلب سليمان بشيء من الدقة لوجدنا أنه كان قد طلب من ربه قبل ذلك أن يوزعه ليعمل صالحاً يرضاه الله (**وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**)، وذلك طلب لا يدخله – نحن نزعم القول- في القائمتين المتبقيتين. ولكن لماذا؟

مفارقة عجيبة جداً: سليمان لم يطلب من ربه أن يعمل الصالحات، فهو لا يدخل في تلك القائمة التي تشمل الذين يعملون الصالحات، وهو لم يطلب كذلك من ربه أن يعمل صالحاً، فهو لا يدخل في تلك القائمة أيضاً، ولو تأملنا طلب سليمان جيداً لوجدنا أن المفارقة العجيبة تكمن في قول سليمان أنه يطلب من الله أن يوزعه ليعمل صالحاً يرضاه:

- **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) النمل**

فما هو العمل الصالح الذي يرضاه الله؟ وهل هناك عمل صالح يمكن أن لا يرضاه الله؟ من يدري!!!

لذا نحن نرى الضرورة تستدعي أن نضيف قائمة رابعة للصلاح وهي:

⇐ أن يعمل الإنسان صالحاً يرضاه ربه (**وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ**)، ولكن كيف هو العمل الصالح الذي يرضاه الله؟ وماذا يمكن أن نفهم من طلب سليمان هذا على وجه التحديد؟

للوصول إلى أفهام لمثل هذه التساؤلات التي نظن أنها تحتاج إلى تحري الدقة في اللفظ عند قراءة النص، فلابد من الخروج من قوالب عقائد الوجبات السريعة الجاهزة. التي أدخلت كل شيء بكل لشيء لمجرد وجود شبهة تشابه بين المفَسَّر والمفَسَّر به، ف "السنة" هي "عام" و "العام" هو "سنة"، و"جاء" تعني "أتى" و "أتى" تعني "جاء"، وهكذا. وهو ما نظن أنه بلاء عظيم لا يستخدمه إلا من كان منهجهم (عن قصد أو عن غير قصد) هو إطفاء نور الله بأفواههم. ولما كانت حجتنا أن الله لا محالة متم نوره، لذا سنحاول الخوض في أدق التفاصيل لمحاولة بيان الفروقات مهما صغرت أو عظمت، موقنين أن ذلك نور لابد أن يتمه الله شاء من شاء وغضب من غضب. فاللفظ القرآني- في عقيدتنا- دقيق مقصود لذاته، فيستحيل أن تسدّ لفظة مكان أخرى مهما كانت المسوغات والحجج. ولكن لما كنّا لا نستطيع أن نخرج عن نطاق الاجتهاد البشري للوصول إلى الحقيقة المطلقة، فإن أفهامنا تبقى (مهما شطت) لا تتجاوز أن تكون أكثر من افتراءات من عند أنفسنا ما لم يثبتها الدليل من الكتاب، وإن كنا في الوقت ذاته نظن أن افتراءاتنا هذه (على علاّتها) تبقى أكثر دقة وتميزاً عن كل ما هو مألوف من موروثات أهل الرواية وأهل الدراية ومن جمع بينهما.

(دعاء: فالله أسأل أن يهديني سبيله فلا أفتري عليه الكذب، وأن يعلمني الحق فلا أقول عليه غيره، إنه هو السميع المجيب)

أما بعد،

افتراءات من عند أنفسنا

نتيجة (1): لو تدبرنا الآية الكريمة التالية لوجدنا الفصل واضحاً بين عمل الصالحات من جهة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من جهة أخرى، والتي جاءت جميعها منفصلة عن الإيمان:

- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (277) البقرة

مما يدفعنا لتقديم الافتراء الخطير التالي: لا دخل للصلاح بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، لأن الصلاح يشمل – كما افترينا سابقاً- أربعة فقط وهي:

⇐ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
⇐ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
⇐ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ
⇐ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

نتيجة (2): كما أن هناك فصل بين عمل الصلاح وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة كما بينت الآية السابقة، هناك أيضاً فصل بين الإيمان من جهة وعمل الصالحات من جهة أخرى، وسنرى لاحقاً أن الترابط بين الإيمان وعمل الصالحات ورد في آيات كثيرة من كتاب الله:

- وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (57) آل عمران

وهذا يدفعنا إلى تقديم الافتراء بأننا نحن البشر على أربعة أصناف:

⇐ مؤمن لا يعمل الصالحات
⇐ مؤمن يعمل الصالحات
⇐ غير مؤمن يعمل الصالحات
⇐ غير مؤمن ولا يعمل الصالحات

ولو تدبرنا الآية الكريمة التالية، لوجدنا أن الصلاح لا يقتصر على الرجال، وإنما تطول النساء قسطاً منه:

- الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (34) النساء

نتيجة (3): تشير الآية الكريمة إلى أن صلاح النساء يشمل أمرين اثنين:

⇐ قَانِتَاتٌ
⇐ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ

قال تعالى:

- وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (31) الأحزاب

نتيجة (4): والعمل الصالح لا يقتصر على الرجال والنساء، ولكنه يتعداهما ليشمل الذكور والإناث جميعا، فيمكن أن يقوم به الذكور ويمكن أن تقوم به الإناث (لذا فهو غير محدد بسن معين مادام أن الآية تتحدث عن الذكور والإناث)

- وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَـٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (124) النساء
- مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97) النحل

مفارقة عجيبة: ولو راقبنا الضمير الذي يلحق بهذه العبارة في الآيات السابقة، لوجدنا العجب العجاب في أن الإيمان جاء مقترن بضمير المذكر "وَهُوَ" ليخص الذكور دون الإناث، فدقق – عزيزي القارئ- بضمير المذكر " وَهُوَ " في الآيات الكريمة نفسها التي تتحدث عن عمل الصالحات من قبل الذكور والإناث:

- وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَـٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (124) النساء
- مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97) النحل

نتيجة مفتراة خطيرة جداً جداً: العمل الصالح يطلب من الذكر والأنثى على حد سواء ولكن العمل الصالح المرتبط بالإيمان يطلب من الذكر على وجه التحديد.

(وسيكون لمثل هذا الزعم تبعات جمّة على العقائد. للتفصيل في هذه القضية انظر مقالاتنا تحت عنوان: ثلاثية المرأة، وماذا ستفعل النساء في الجنة؟ وذلك لضرورة التمييز بين مفردات مثل رجل، امرأة، نساء، ذكر، أنثى، الخ. وتبعات ذلك الفهم على العقائد)

نتيجة: تؤكد آيات كريمة كثيرة في كتاب الله الكريم على المصاحبة بين الذين آمنوا من جهة والذين عملوا الصالحات من جهة أخرى، ليشكلا (الإيمان وعمل الصالحات) معاً سبباً كافياً لدخول الجنة:

- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًاۖ لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (57) النساء

- **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (122) النساء**
- **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97) النحل**
- **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (173) النساء**
- **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (9) المائدة**

ولو أمعنا التفكر في الآيات الكريمة التي تتحدث عن الصلاح لوجدنا أنه غير محصور بأمة الإسلام:

- **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (69) المائدة**

نتيجة: العمل الصالح غير محدد بطائفة دينية معينة، فكل أتباع الديانات (على اختلاف عقائدهم) يمكن أن يعملوا صالحاً.

- **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (69) المائدة**

ويعيدنا هذا الظن إلى ما جاء في مقالتنا تحت عنوان "ماذا كتب في الزبور؟" بأن الصلاح وحده سبباً كافياً في وراثة الأرض:

- **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105) الأنبياء**

فالإيمان – في ظننا- ليس سبباً كافياً بحد ذاته لوراثة الأرض. فالأرض يمكن أن يرثها المؤمن كما يمكن أن يرثها غير المؤمن ولكن الصلاح هو العامل الفصل. ولكن ما هي الأرض التي يرثها فقط عباد الله الصالحون؟

افتراء من عند أنفسنا خطير جداً جداً: إنها الأرض المقدسة التي كتب الله، فتلك الأرض هي ميزان عباد الله الصالحين في الدنيا، فلا يمكن أن يسيطر على تلك الأرض (أي وراثتها) إلا من هم أهل صلاح في الدنيا (بغض النظر عن عقيدتهم)، لذا سنتجرأ هنا على البوح بالعقيدة الخطيرة التالية:

بعيداً عن وازع الإيمان، فإني أظن أننا نحن (وأخص العرب ومن نسمي أنفسنا بالمسلمين على وجه الأرض) لسنا عباد الله الصالحين. لأن عقيدتنا تتمثل فيه أنه لو كنا عباد الله الصالحين (ومن أصدق من الله قيلاً)، لكنا نحن من يرث تلك الأرض. لذا انتقلت وراثة الأرض (المقدسة) إلى اليهود في هذا الزمن لأنهم – ببساطة- هم عباد الله الصالحين

لاحظ هنا أن كلمة عباد يجب أن تفهم في سياقها القرآني، فحتى إبليس عندما كفر بربه بقي من عباد الله فخاطب ربه بصيغة أنه ربه:

- **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) الحجر**

لذا لا يجب أن نخلط مفردة عباد الله مع مفردة مثل المؤمنين أو المسلمين أو أهل الكتاب، الخ. لأن الجميع بغض النظر عن عقيدتهم هم عباد الله وإن أبوا، وليس أدل على ذلك من عبودية إبليس لربه.

ولن تعود وراثة تلك الأرض لنا (نحن من نسمي أنفسنا بالمسلمين) إلا يوم أن نكون عباد الله الصالحين (وليس أحسن إيماناً). فالقدس (الأرض المقدسة) هي ميزان الأرض جميعاً.

انظر الفرق بين مفردة الأرض مقابل عبارة الأرض جميعاً كما ترد في الآية الكريمة التالية:

- **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (67)**

وقد كتب الله في الزبور من بعد الذكر سنته الكونية التي لا يمكن إلا أن تنفذ، والتي تتمثل – كما نفهمها- بأن القدس (الأرض) لن تكون وراثة لأمة ما، إلا أن تكون تلك الأمة هي أمة صالحة على وجه البسيطة. ومن ورث تلك الأرض (القدس) على صغر حجمها، فهو قد سيطر على الأرض جميعاَ، وتكون كلمته نافذة على الأرض جميعاَ. وما تحَكّم اليهود اليوم بالأرض جميعاً إلا لأنهم هم الذين يرثون في الوقت الراهن الأرض (القدس)، ولن يخسر اليهود تلك الأرض إلاّ أن ينتفي الصلاح عنهم، لترقى أمة أخرى بالصلاح، فيصبحوا هم عباد الله الصالحين الذين يستحقون وراثة الأرض:

- **ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (7) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (8) إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9) الأسراء**

وأحسب (محذراً الطرفين) أن علماء بني إسرائيل يدركون حقيقة تخريصاتنا هذه، لذا فهم لن يتنازلوا عن شبر واحد من القدس (مهما حاول بعض ساستهم التصريح بذلك)، وذلك لأن في تنازلهم عن جزء من تلك الأرض بداية انهيارهم وتفرقهم، ومن ثم فقدانهم القدرة على السيطرة ليس فقط على الأرض (القدس) وإنما على الأرض جميعاً. وأحسب أنه ما انهزم الصليبيون من هذه الأرض في العصور الوسطى إلى بعد أن خسروا القدس، فمن أبقى القدس (الأرض) في يده كتلة واحدة، بقيت كلمته غير متفرقة، وبقي صفهم كالبنيان المرصوص صفاً واحداً. ومن قسم القدس، انشق صفه. ومن أضاع القدس، ضاعت كلمته وضاعت أحقيته في وراثة الأرض. وأظن أن صلاح الدين كان يملك من الحكمة ما أرشده أن يتوجه إلى القدس أولاً، فما أن أخرج الصليبيين (بحول الله وتوفيقه) من القدس حتى انشق صفهم، وبات بأسهم بينهم شديد، كما هو حال الأمة العربية الإسلامية اليوم، فما انشقاق صفهم وتفرق كلمتهم إلا ردة فعل طبيعية لضياع وراثة الأرض (أي القدس).

(وسنتعرض لهذه العقيدة الخطيرة جداً بالتفصيل إن أذن الله لنا بشيء من علمه في جزء لاحق من سلسلة مقلاتنا القديمة تحت عنوان والعلماء هم الظالمون، ولكني أدعو القارئ الكريم بداية إلى مراجعة ما جاء في مقالاتنا تحت عنوان: أين كانت جنة آدم؟ أين حصلت مناداة الله نبيه

موسى؟ وماذا كتب في الزبور؟ وذلك لهدف التعرض للخلفية الفكرية العقائدية التي أوصلتنا إلى مثل هذه التخاريص التي أسأل الله أن يتم نوره فيها سواء كان ظننا صحيحاً أو كان خاطئا).

وربما من المفيد أن نشير هنا إلى ملاحظة هي – في نظرنا - غاية في الأهمية، تتمثل في أن عمل الصالحات المسبوق بالإيمان شرط أساسي لخلافة الأرض كما يمكن الاستنباط من الآية الكريمة التالية:

- **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55) النور**

وهنا يجب أن نتوقف لنلفت انتباه القارئ الكريم إلى الفرق بين خلافة الأرض كما جاء في هذه الآية الكريمة و "وراثة الأرض" كما جاء في الآية السابقة التي تحدثنا بها عن الأرض المقدسة:

- **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105) الأنبياء**

وبعد مقارنة ما جاء في آية الاستخلاف (النور 55) مع آية الوراثة (الأنبياء 105)، فإننا نتجرأ على تقديم الافتراء الخطير التالي:

في حين أن وراثة الأرض مرتبطة بالصلاح (**أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**)، فإن الاستخلاف في الأرض مرتبط ارتباطاً وثيقاً بعمل الصالحات المسبوق بالإيمان (**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ**)، فكانت تلك سنة الله في من سبق (**كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**)، وما أن تتم الخلافة لمن تاب وعمل صالحاً في الأرض حتى يأتي التمكين في الدين وتبديل الخوف أمناً (**وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**)، شريطة أن تستمر عبادة الله بلا إشراك (**يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**)، ولكن من كفر بعد ذلك يصبح من الفاسقين. فالفاسق إذاً هو من كفر بعد أن كان قد آمن وعمل صالحاً وبعد أن مكّن الله له الدين الذي ارتضى له، وبعد أن أبدله من بعد خوفه أمنا (**وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**)، وهذا الطرح يعيدنا على الفور إلى قصة إبليس الأولى لنجد أنه قد فسق عن أمر ربه:

- **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50) الكهف**

فكيف فسق إبليس عن أمر ربه؟

رأينا: نحن نفتري الظن أن إبليس كان قبل تلك الحادثة مؤمنا بربه، وكان يعمل الصالحات، وكانت له الخلافة، فمكّن الله له (وللجن) الدين الذي ارتضى لهم، وأبدلهم من بعد خوفهم آمناً، فعبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً، ولكن إبليس بعد كل ذلك وقع بفعل الكفر، وكان ذلك بدافع الاستكبار:

- **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) البقرة**
- **إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74)ص**

نتيجة مفتراة: ونحن نفتري القول إن المخلوق لا يكفر بعد أن يكون قد آمن بربه وعمل صالحاً، وبعد أن يكون الله قد استخلفه ومكّن له، إلا لسبب واحد وهو الاستكبار، فإبليس هو من

استكبر، وكان من الكافرين، وهو بالتالي من فسق عن أمر ربه. وكان العقاب الرباني على إبليس يقضي بطرده وإخراجه منها.

- **قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (18) الأعراف**

ويتكرر مثل هذا السيناريو مع بني إسرائيل، فلقد فسق القوم بعد أن مكّن الله لهم في الأرض واستخلفهم فيها:

وكان ذلك – في رأينا- السبب الذي أوقع نفر من بني إسرائيل (بعد أن كانوا مؤمنين يعملون الصالحات) في الفسق:

- **وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (163) الأعراف**

وعندما حصل الفسق من القوم بعد الاستخلاف والتمكين في الأرض كان العقاب لا محالة نازل، وحصل ذلك مع أقوام كثيرة، فكانت سنة الله الكونية على النحو التالي:

- **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (165) الأعراف**

نتيجة مفتراة: هناك من يرث الأرض وهناك من يستخلف في الأرض، ونحن نظن أن الوراثة نابعة من الملك واستمرار الذرية، والصلاح وحده هو شرط بقاءها وديمومتها، ولكن الاستخلاف في الأرض لا يأتي من الوراثة بل من الإيمان، والإيمان مع الصلاح هما شرط بقاءها وديمومتها. (للتفصيل انظر مقالاتنا تحت عنوان: هل فعلاً وسوس إبليس لآدم؟ وهل فعلاً كذب الشيطان على آدم؟)

ذلك من شأن الدنيا، فماذا عن الآخرة؟

نحن نظن أن دخول الجنة في الحياة الآخرة يتطلب الصلاح المسبوق بالإيمان، فلو تدبرنا آيات الكتاب لوجدنا –نحن نظن- أن الصلاح وحده (قد) لا يكفي، فلابد أن يصاحبه الإيمان لينتهي بالإنسان المطاف ليكون من أصحاب الجنة:

- **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (42) الأعراف**

- **إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (4) يونس**

- **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ) يونس**

- إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَـٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (11) هود
- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (23) هود
- الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (29) الرعد
- وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (23) إبراهيم
- إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9) الإسراء
- قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) الكهف
- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (30) الكهف

نتيجة مفتراة: ويمكن أن ينفصل الصلاح عن الإيمان، ولكنهما معاً سبب الجائزة في الآخرة:

- وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88) الكهف
- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (107) الكهف
- قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110) الكهف
- إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَـٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (60) مريم
- وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا (76) مريم
- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَـٰنُ وُدًّا (96) مريم
- وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (112) طه
- فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (94) الأنبياء
- إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (14) الحج

- إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (23) الحج
- فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (50) الحج
- الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (56) الحج
- إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (227) الشعراء
- فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (67) القصص
- وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80) القصص
- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (7) العنكبوت
- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (9) العنكبوت
- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (58) العنكبوت
- فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (15) الروم
- مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (44) الروم
- لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (45) الروم
- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (8) لقمان
- أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (19) السجدة
- لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4) سبإ
- الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (7) فاطر مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (40) غافر
- وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ (58) غافر
- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (8) فصلت

- وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33) فصلت
- مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (46) فصلت
- تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (22) الشورى
- ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (23) الشورى
- وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (26) الشورى
- مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (15) الجاثية
- أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21) الجاثية
- فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (30) الجاثية

وهما (أي الإيمان مع العمل الصالح) كذلك سبب في رفع الدرجات:

- وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (75) طه

والذي يتوب ويعمل الصالحات بعد التوبة (أي يعزز التوبة بالعمل الصالح) فإنه يتوب إلى الله متاباً:

- وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (71) الفرقان

نحن نظن أن فعل "يتوب" هو بفعل التوبة أما "متابا" فتكون بسبب العمل الصالح الذي يتبع تلك التوبة.

والتوبة المقرونة بالعمل الصالح هي كفيلة بتبديل السيئات حسنات، وهم من يكونوا من المفلحين:

- إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (70) الفرقان

ولا يمكن للأموال والأولاد أن تقربنا إلى الله زلفى إلا بوجود الإيمان والعمل الصالح معاً:

- وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (37) سبأ

والعمل الصالح المسبوق بالإيمان هو ما يمنع الإنسان من أن يبغي على غيره:

- قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (24) ص

ملاحظة مهمة: راقب التقابل في الآية الكريمة التالية:

- أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (28) ص

نتيجة مفتراة:

الذين آمنوا وعملوا الصالحات يقابلهم المفسدون في الأرض

المتقين يقابلهم الفجار

ملاحظة: راقب التقابل في الآية الكريمة التالية:

- أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21) الجاثية

الذين اجترحوا السيئات يقابلهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات

نتيجة: الذين اجترحوا السيئات هم –لا شك عندنا- مفسدون في الأرض.

جاء اللفظ " الذين آمنوا وعملوا الصالحات" في مواطن كثيرة غير محددٍ أمة بعينها:

- إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (12) محمد
- يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (9) التغابن
- إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (25) الإنشقاق
- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (11) البروج
- إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6) التين
- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (7) البينة
- إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3) العصر

- وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15) الأحقاف

وجاء مبرزاً فئة معينة بذاتها كحالة آل داوود مثلاً

- أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (11) سبإ

وجاء اللفظ في مواطن أخرى خاصاً بمحمد ومن معه:

- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2) محمد

- مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29) الفتح

- رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (11) الطلاق

ويمكن أن يخلط الإنسان منّا عملاً صالحا وآخر غير صالح، فليست كل أعمال الإنسان يمكن أن تكون صالحة:

- وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (102) التوبة

نتيجة: يمكن خلط العمل الصالح مع العمل السيئ.

عودة على بدء

تعيدنا هذه النتيجة على الفور إلى السؤال قيد البحث في هذا الجزء من المقالة وهو: ما هو العمل الصالح الذي يرضاه الله والذي طلبه سليمان في قوله:

- فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) النمل

لنفتري الظن بأنه في حين أن عكس العمل الصالح هو العمل السيئ (**خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا**)، فإن العمل الذي يكون الصالح الذي يرضاه ربنا هو شيء مختلف تماماً؟ وأن عكس العمل الصالح الذي يرضاه ربنا هو "عمل غير صالح لتكون الصورة على النحو التالي:

العمل	عكسه	الدليل
⇐ عمل صالح	عمل سيء	(خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا)
⇐ عمل صالح ترضاه	عمل غير صالح	

السؤال: ما هو العمل "غير الصالح"؟ وما الدليل على ذلك؟
جواب: انظر قوله تعالى في حق ابن نوح:

- **وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (45) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46) هود**

رأينا: ذلك ما نظن أنه "عمل غير صالح"، إنه عمل تكون نتيجته مثل ابن نوح (**إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**).

السؤال: لماذا طلب سليمان من ربه أن يوزعه ليعمل صالحاً يرضاه ربه ولم يكتفي بالقول بأن يعمل صالحاً وكفى؟
رأينا: لأن الله لم يرضى ولد نوح مادام أنه كان "عمل غير صالح".

نتيجة مفتراة: نحن نظن أن الحاجة تستدعي التمييز بين العمل الصالح من جهة والعمل الصالح الذي يرضاه ربنا من جهة أخرى، فالعمل الصالح الذي نعرف هو عمل لا شك سيجزي الله كل من يقوم به خيراً.

- **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97) النحل**

ولكن العمل الصالح الذي يرضاه الله هو – في رأينا- العمل الذي ينتج عنه الذرية، فإذا ما بلغ الإنسان من العمر أربعين سنة دعا ربه أن يوزعه أن يعمل "صالحاً يرضاه"، حتى لا تكون النتيجة "عمل غير صالح" كما كان حال ابن نوح. ويمكن أن يدعم مثل هذا الظن ما جاء في قوله تعالى:

- **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189) الأعراف**

فما هو – عزيزي القارئ- الصالح الذي دعوا ربهما أن يؤتيهما؟ أليست هي الذرية؟
ولكن ما الذي حصل بعد أن آتاهما الله صالحاً (أي تلك الذرية) كما تصوره الآية التي تليها مباشرة؟

- **فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ۚ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (190) الأعراف**

السؤال: هل رضي الله ذلك العمل الصالح الذي آتاهما؟
رأينا: كلا وألف كلا، وذلك هو – في رأينا- العمل الصالح الذي لا يرضاه الله.

نتيجة مفتراة: الإنسان يدعو ربه أن يعمل صالحاً يرضاه ربه عندما يبلغ سن الأربعين خصوصاً إذا ما كان مقدماً على زواج (معاشرة النساء)، وهذا – في ظننا- ما كان من أمر سليمان في واد لنمل.

- **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) النمل**

وهذا ما يجب أن يكون من أمر كل إنسان يطلب الذرية، أن يدعو ربه أن يوزعه ليعمل صالحاً يرضاه ربه، فجاء العمل الصالح الذي يرضاه الله مقترناً بصلاح الذرية:

- **وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15) الأحقاف**

فهو – في رأينا- العمل الذي يسبق حصول الذرية (إنه المعاشرة بين الرجل والمرأة). فيكون على النحو التالي:

⇐ عمل صالح يرضاه الله (معاشرة مشروعة وذرية طيبة)

⇐ عمل صالح لا يرضاه الله (معاشرة مشروعة وذرية غير طيبة)

⇐ عمل غير صالح (معاشرة غير مشروعة وذرية غير طيبة)

وربما يمكن أن يبرر مثل قولنا هذا سبب الفصل بين أن يعمل الإنسان صالحاً كما في الآيات الكريمة التالية:

- **فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (67) القصص**
- **فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (67) مريم**
- **وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (71) الفرقان**

وأن يعمل الإنسان عملاً صالحاً كما في الآيات الكريمة التالية:

- **إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (70) الفرقان**
- **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110) الكهف**

افتراء من عند أنفسنا: أن تعمل صالحاً شيء وأن تعمل عملاً صالحاً شيء آخر.

نتيجة مفتراة: ويمكن أن تكون الجائزة على الصلاح حاصلة في الدنيا كحالة والد الغلامين.

- **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (82) الكهف**

خلاصة

نحن نعتقد أن من كان "من الصالحين" فهو من أنبياء الله ورسله، فلا يذكر القرآن الكريم أن إنساناً قد استحق أن يكون "من الصالحين" إلا وكان من هؤلاء النفر المصفين الأخيار. أما الناس العاديين فيمكن أن يعملوا صالحاً ويمكن أن يعملوا الصالحات. ولكن بالإضافة إلى ذلك فهناك من يعمل صالحاً يرضاه الله كما جاء على لسان سليمان:

- **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) النمل**

فظننا ضرورة التمييز بين أن يطلب الإنسان من ربه أن يوزعه ليعمل صالحاً يرضاه ربه من جهة (**وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ**) وأن يطلب من ربه أن يدخله في عباده الصالحين من جهة أخرى (**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**)؟ لذا فقد افترينا القول إن سليمان يرث داوود ولم يكن قد أصبح نبياً بعد، فهو لم يكن قد دخل في عباد الله الصالحين بعد بدليل أنه هو نفسه من يطلب من الله أن يدخله فيهم في ذلك الموقف (**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**)، وكان قد بلغ أشده وبلغ من العمر أربعين سنة حينئذ، لكنه لم يكن قد رزق بالذرية بعد، فيطلب من ربه أن يوزعه ليعمل صالحاً يرضاه. فماذا عمل سليمان بعد ذلك؟

جواب: يحاول سليمان أن يقضي ليلته قريباً من واد النمل بعد أن علم أن النمل ليس أمة مثلنا، فليس لها لسان (لغة) كباقي من حشر عنده من جنده، فيشعر بنشوة الانتصار، ويكون راغباً في معاشرة النساء علّه يعمل صالحاً يرضاه الله، فهو يظن أن معاشرة النساء ستأتي له بالعمل الصالح، فلا تكون المحصلة كما كانت في حالة نوح من ذي قبل:

- **قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46) هود**

فنحن إذن نقدم الافتراء الخطير التالي: في حين أن ولد نوح لم يكن عملاً صالحاً (أي ليس من صلبه: انظر مقالتنا تحت عنوان: ثلاثية المرأة ،وسفينة نوح ونظرية تكوّن القارات)، فإن سليمان يطلب من ربه أن يوزعه ليعمل صالحاً يرضاه ربه.

- فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) النمل

لذا فإننا نظن أن سليمان قد طلب من ربه أن يوزِعه (بكسر الزاي)

انظر الفرق بين يوزِع (بكسر الزاي) حيث الخير:

- فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) النمل
- وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15) الحقاف

ويوزَع (بفتح الزاي) حيث المشقة والعذاب:

- وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) النمل
- وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (83) النمل
- وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (19) فصلت

في تلك الليلة ليعمل صالحاً (فيجامع النساء لينجب منهن عملاً صالحاً على عكس ابن نوح). ولكن لماذا؟

رأينا: ربما ظن سليمان أن الذرية (العمل الصالح) ستتحصل له هناك، فيلهو مع الصافنات الجياد عندما تعرض عليه في وقت العشي الذي كان من المفترض أن يخصّص للتسبيح، وهنا تقع المشكلة التي كانت - في نظرنا- على النحو التالي: كان من المفترض بسليمان أن يخصص وقت العشي للتسبيح، ولكن لمّا أحب سليمان حب الخير (معاشرة الصافنات الجياد) عن ذكر ربه (التسبيح في وقت العشي كما كانت شريعة والده داوود من قبله) وبدل أن يتوقف سليمان عن معاشرة النساء كلياً ليعود إلى التسبيح في الحال، يطلب منهم أن يردوها عليه ليطفق محاً بالسوق والأعناق:

- رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (33) ص

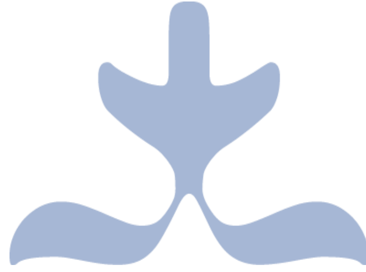
ولما كان جلّ ما فعل سليمان في مع تلك النسوة اللواتي عرضن عليه بالعشي)إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (هو أن يطفق مسحاً بالسوق والأعناق (ولم يقم بالعملية الجنسية كاملة أي العمل الصالح)، لم تتحصل له الذرية. وهناك – نحن نظن- تحصل له الفتنة بإلقاء الجسد على كرسيه، وما أن يخرج من ذلك الموقف حتى يجد أنه قد فُتِن، وكانت علامة فتنته ذلك الجسد الذي ألقي على كرسيه:

- وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) ص

فيخرج متهدداً الهدهد بالعذاب الشديد أو حتى بالذبح ربما – كما زعمنا – لأن سليمان ربط إلقاء الجسد بالهدهد، وحاولنا تمرير الافتراء الذي مفاده أن عملية وصول الجسد على الكرسي

كانت اختراقاً من الأعلى لملك سليمان، ولمّا كان جند سليمان هم الجن والإنس والطير، طار ذهن سليمان أن تلك الفعلة لا يقوم بها إلا الطير، وظن أن (1) الهدهد هو من قام بتلك الفعلة أو (2) ربما أن الهدهد لم يقم بواجبه في حراسة الكرسي من الأعلى، فأخذ يبحث عن الهدهد (كزعيم للطير) ليعاقبه على فعلته تلك، ولكن الهدهد عاد إلى سليمان بخبر يقين عن امرأة تملك قومها أولو القوة وأولو البأس الشديد، ولها عرش عظيم، فيخبر الهدهدُ سليمانَ أن تلك المرأة قد أوتيت من كل شي (كما الحال بالنسبة لسليمان)، ولكنها تزيد عنه بأن لها عرش عظيم.

فالله أسأل أن يؤتيني رحمة من عنده وعلماً من لدنه إنه قريب سميع مجيب الدعاء.



مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ

الباب التاسع

الهداية



الباب التاسع: الهـدايـة

خلصنا في الجزء السابق من هذه المقالة إلى الظن بأن العمل الصالح الذي يرضاه ربنا هو (إن صح القول) "صناعة" الذرية، فلقد دعا سليمان ربه أن يوزعه أن يعمل صالحاً يرضاه الله فلا تكون النتيجة "عمل غير صالح" كحال ابن نوح:

- **قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46) هود**

أو عمل صالح جعلا لله شركاء فيما آتاهما، كذرية أهل النفاق:

- **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ۚ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (190) الأعراف**

وكان زعمنا هذا مدفوعاً بالشك أن الإنسان عندما يتوجه بالدعاء إلى ربه ربما يكون مضطراً إلى ذلك، الأمر الذي يدفعنا إلى الافتراء بأن سليمان (ربما) كان عنده مشكلة "ما" في معاشرة النساء.

لذا نحن نزعم أن المنّة الإلهية على سليمان جاءت على نحو:

- **هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39) ص**

وخلصنا إلى القول في مقالتنا السابقة أن العمل الذي ينتج عنه الذرية على ثلاثة أصناف:

⇐ عمل صالح يرضاه الله (وهو ما يطلبه سليمان)
⇐ عمل صالح لا يرضاه الله (كحالة ذرية أهل النفاق)
⇐ عمل غير صالح (كحالة ولد نوح)

ولمّا كان هدف سليمان هو العمل الصالح الذي يرضاه الله، عرضت عليه بالعشي الصافنات الجياد (أي النساء) ليختار:

- **إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (31) ص**

فتوارت له في الحجاب تلك التي اختارها ليعمل معها العمل الصالح الذي يرضاه ربه:

- **فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (32) ص**

وحصل ذلك في وقت العشي، وهو الوقت الذي كان وقت تسبيح في شريعة والده داوود:

- **إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18) ص**

ولمّا تذكر سليمان أنه قد أحب حب الخير (مداعبة النساء) عن ذكر ربه (التسبيح في وقت العشي)، ما استطاع – نحن نفتري القول- القيام بفعل المباشرة (أي الجماع أو العمل الصالح الذي يرضاه ربه)، فطلب أن يردوا عليه من توارت منهن له في الحجاب:

- **فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (32) رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (33) ص**

وبدل أن يعاشر سليمان تلك المرأة التي كانت قد توارت له بالحجاب بالجماع ليعمل صالحاً يرضاه ربه، حصلت لسليمان – نحن نفتري القول- مشكلة "جنسية"، فكانت النتيجة أن طفق مسحاً بالسوق والأعناق فقط، ونحن نزعم القول إن السياقات القرآنية تصور عملية الطفق على أنها القيام بأمر فطري (أي دون تخطيط مسبق) نتيجة لمشكلة عظيمة قد وقعت، وليس أدل على ذلك مما حصل مع آدم وزوجه عندما بدت لهما سوءاتهما:

- **فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) الأعراف**
- **فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (121) ص**

ولمّا كان جلّ ما فعله سليمان لم يتجاوز "الطفق بالمسح"، ما تحصلت له – حسب افتراءاتنا السابقة – الذرية، وكانت تلك – في رأينا- سبب فتنته، وإلقاء الجسد على كرسيه:

- **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) ص**

فالفتنة – في رأينا- لا تكون إلا لحظة اتخاذ قرار بوجود خيارات، فكان لزاماً على سليمان أن يتوب على الفور، ولكن ما الذي حصل؟

فبدل أن يتوب سليمان على الفور كما فعل والده داوود عندما حصلت له الفتنة:

- **قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (24) ص**

تأخر في الإنابة:

- **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) ص**

افتراء من عند أنفسنا: لقد آثر سليمان أن يهب الله له الملك على أن يهب له الذرية، ونحن نتخيل أن فتنة سليمان كانت على النحو التالي: أن يعاشر النساء (ليعمل صالحاً يرضاه ربه) أو أن يحافظ على كرسيه (الذي يتهدده الخطر عندما ألقي عليه الجسد)، وهناك كانت الفتنة لتمييز ما في قلب سليمان، فالفتنة من الله – نحن نزعم القول- لا تحصل إلا لإخراج العلم من القلب، ولمّا حصلت الفتنة لسليمان وجد نفسه في مقام الاختيار: أن يعمل صالحاً يرضاه ربه أو أن يحافظ على كرسيه، فما كان من سليمان إلا أن آثر حب الملك على الذرية، فكانت الاستجابة الربانية على الفور على النحو التالي:

- **فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (37) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (38) هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (40) ص**

الدليل

غالباً ما كان دعاء الأنبياء أن يهب الله لهم الذرية الطيبة كما فعل إبراهيم مثلاً:

- وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (99) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) الصافات

وكما فعل زكريا:

- وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) مريم

ولا ننسى أن سليمان نفسه كان هبة من الله لداوود:

- وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (30) ص

ولو تفقدنا السياقات القرآنية الخاصة بـ "الهبة من الله" لوجدنا أنها تطلب للرحمة:

- رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (8) آل عمران
- وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50) مريم

أو للذرية:

- وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74) الفرقان
- لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (49) الشورى

فطلبها إبراهيم وتحصلت له:

- وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (99) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) الصافات
- وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ۖ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) الأنعام
- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39) إبراهيم
- فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) مريم
- وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72) الأنبياء
- وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (27) العنكبوت

وطلبها زكريا وتحصلت له:

- هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (38) آل عمران
- وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) مريم
- فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (90) الأنبياء

وتحصلت لمريم:

- **قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) مريم**

وتحصلت لأيوب:

- **وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (43) ص**

وتحصلت لداوود (والد سليمان)

- **وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (30) ص**

وكذلك تطلب "الهبة" من الله للحكم، فتحصل لإبراهيم وموسى:

- **رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83) الشعراء**
- **فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21) الشعراء**

وتطلب "الهبة" من الله للنبوّة، فتحصلت لموسى بأخيه هارون:

- **وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (53) مريم**

أو للملك:

- **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (35) ص**

وقد افترينا في سابقا أن هبة الذرية لا تكون إلا من قبل أناس لا يتم لهم الإنجاب بالطريقة الطبيعية التقليدية، فمن وجد نفسه غير قادر على الإنجاب بالطريقة الطبيعية، فهو يطلبها من الله "كهبة" فقط، فهناك فرق بين أن يؤتى الإنسان الشيء أو أن يحصل عليه كهبة، فاللذان كانا قادران على الحصول على الذرية بالطريقة الطبيعية دعوا الله أن يؤتيهما الذرية:

- **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ۚ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (190) الأعراف**

ولكن من لم يكن قادراً على الحصول عليها بالطريقة التقليدية فلابد أن يطلبها كهبة:

- **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74) الفرقان**

والذي كان قادراً على أن يحصل على الرحمة أو الذرية أو الحكم بالطريقة الطبيعية، فالله يؤتيها إياه:

- **فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65) الكهف**
- **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (84) الأنبياء**

راقب اللفظ في حالة أيوب، فمرة جاءت ذريته على صيغة هبة:

- **وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (43) ص**

ومرة أخرى على صيغة "يؤتى":

- **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (84) الأنبياء**

ونحن نظن أن الأمركان على نحو أن ذرية أيوب (قبل حصول المشكلة له) ربما كانت قد تحصلت له بالطريقة الطبيعية، فكانت على نحو "وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ"، أما ذريته التي حصل عليها بعد المشكلة "وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ" فقد تحصلت له بطريقة الهبة (وَوَهَبْنَا لَهُ)، لذا كانت تلك رحمة من الله على عبده أيوب.

- **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28) هود**
- **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22) يوسف**
- **وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (74) الأنبياء**
- **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (14) القصص**

ولكن الذي لا يستطيع الحصول عليها بالطريقة الطبيعية (أي آتَيْنَاهُ) فهو يطلبها بطريقة الهبة من الله (أي وَهَبْنَا)

(للتفصيل في موضوع الهبة انظر سلسلة مقالاتنا تحت عنوان: لماذا قدّم نبي الله لوط بناته بدلاً من ضيوفه؟)

افتراء خطير جداً من عند أنفسنا: وهنا نتجرأ على الظن بأنه ما أن بلغ سليمان سن الأربعين من العمر ولم تكن قد تحصلت له الذرية بعد (ربما لمشكلة جنسية كان يعاني منها) حتى أدرك أنه غير قادر على الإنجاب، ولمّا عرضت عليه بالعشي الصافنات الجياد، أدرك أنه غير قادر على المعاشرة الفعلية، فلم يلحق بمن توارت له بالحجاب ليعاشرها، فطلب أن يردوها عليه، واكتفى أن "يطفق مسحاً" فقط بالسوق والأعناق، فما الذي يمكن أن يفعله الرجل للمرأة إن لم يكن قادراً على المعاشرة الفعلية أكثر من المداعبة؟ من يدري!!!

وهذا الخيال المفترى الذي هو بلا شك من عند أنفسنا ربما يفسر لنا سبب أن يطلب سليمان من ربه أن يوزعه لـ "يعمل صالحاً"، وعدم طلبه من ربه أن يهب له الذرية مباشرة. فإبراهيم طلب من ربه هبة الذرية، وكذلك فعل زكريا. فالمدقق في السياق القرآني يجد أن مشكلة سليمان كانت – برأينا- في المعاشرة أولاً، لذا فهو يطلب من ربه أن يوزعه ليعمل صالحاً، فتجلت النعمة الإلهية عليه على النحو التالي:

- هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39)ص

وربما يكون ذلك قد حصل بعد أن حاول سليمان القيام بفعل المعاشرة ليلة أن عرضت عليه الصافنات الجياد، وعندما شعر أنه غير قادر على ذلك، حاول أن يتخلص من موقف الاختبار هذا عندما "أبدى الحجة" أن ذلك هو وقت العشي، فطلب أن يردوا عليه من توارت له منهن في الحجاب. وربما كان ذلك - في رأينا- نابعا من خشية عند سليمان أن ينكشف أمره، فيعلم من حوله أنه غير قادر على القيام بفعل الجماع. فكان سليمان في تلك اللحظة في ساعة اختبار حقيقي، فتوجه إلي ربه في تلك اللحظة بأن يوزعه أن يعمل صالحاً:

...وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ

فاستجاب الله دعاءه، بالكرم المطلق:

- هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39)ص

وإن صح منطقنا المحرّف هذا، فإن وضع سليمان كان يتطلب منه أن يطلب الذرية (إن هو شاءها) كهبة من الله، فلم يفعل.

وربما يكون الموقف على نحو أن سليمان قد "كابر" فلم يعترف بالمشكلة، فهو يعلم أنه غير قادر على الإنجاب بالطريقة الطبيعية (وإن كان قادراً على المعاشرة)، فكان عليه أن يطلب من الله الذرية كهبة كما فعل إبراهيم أو كما فعل زكريا، ولكنه عندما لم يفعل وظن أنه يستطيع القيام بذلك بالطريقة الطبيعية لم تتحصل له تلك الذرية.

وآثر أن يطلب من ربه أن يهب له الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده، ليتعزز عندنا حول قصة سليمان أمران اثنان وهما:

⇐ معرفة سليمان بمشكلته الجنسية، فطلب من ربه أن يوزعه ليعمل صالحاً

⇐ علم سليمان بأنه لن يكون له ولد فدعا الله أن يهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده

منطقنا: نحن نزعم القول إنه لو كان سليمان على علم بأنه ستتحصل له الذرية ولو بعد حين، لما طلب من ربه أن يمنع "مثل ملكه" على من بعده خاصة ذريته، أي لما "ظنّ" (إنْ صح القول) سليمان بذاك الملك على ذريته من بعده، لأن الإنسان مجبول على حب الخير لذريته ربما أكثر من حبها لنفسه.

(دعاء: أسأل الله أن يؤتيني وذريتي من لدنه علماً لا ينبغي لأحد غيرنا إنه هو السميع العليم)

وهنا يظهر السياق القرآني جليّاً أن سليمان لم يطلب من ربه أن يهب له الذرية (كما فعل إبراهيم مثلاً) ولم يطلب هبة النبوة كما طلبها موسى لأخيه هارون، وآثر أن يطلب من ربه فقط هبة الملك فقط:

- قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (35) ص

وهو الذي كان الله قد فهمه الأمور في صغره بعد أن كان الله قد آتاه حكماً وعلماً:

- فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) الأنبياء

نتائج مفتراة:

⇐ ربما كان حب سليمان للملك بعد وقوع الفتنة – في ظننا- سبباً في عدم حصوله على الذرية
⇐ ربما لم يكن سليمان قادراً على الحصول على الذرية بالطريقة الطبيعية (ربما لمشكلة "جنسية" عنده)، لذا طلب من ربه أن يمكّنه من أن يعمل صالحاً يرضاه (أي صناعة الذرية)
⇐ لمّا كان سليمان غير قادر على ذلك بالطريقة الطبيعية (أي بطريقة الإتيان: **آتَيْنَاهُ**)، كان عليه أن يطلبها هبة من الله (أي بطريقة الهبة: **وَوَهَبْنَا**)، فلم يفعل
⇐ بالمقابل، طلب سليمان من ربه أن يهبه الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده
⇐ لو كان سليمان يظن أنه قادر عل الإنجاب لما حرم ذريته من ملكه
⇐ نحن نتجرأ أيضاً على الافتراء الخطير التالي الذي لا شك يحتاج إلى أبحاث أكثر عمقاً وجدية لاستقصاء الحقيقة، وهو ظننا المكذوب بأن حب سليمان للملك ربما كان سبباً في عدم حصوله على النبّوة، فلقد توقف سليمان – في ظننا- عند مرحلة العلم والحكم (المصحوب بالفهم) وآثر الملك على كل ذلك.

أما بعد،

ولكن بالرغم من الفتنة، إلا أنّ سليمان قد أناب إلى ربه:

- وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (35) ص

ونحن نعتقد جازمين أن سليمان لم يتوقف عند التوبة بل وصل إلى مرحلة الهداية:

- وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (82) طه

الدليل

لو دققنا في السياقات القرآنية الخاصة بسليمان لوجدنا الرجل يخاطب ملأه بخصوص معاملتهم لتلك المرأة صاحبة العرش على النحو التالي:

- قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41) النمل

وهذا الخطاب يقودنا إلى إبداء الملاحظات التالية:

⇐ ملاحظة1: التوبة تسبق الإيمان والعمل الصالح كما يمكن أن نستنبط من الترتيب الوارد في الآيات الكريمة التالية:

- إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (70) الفرقان
- وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (82) طه

⇐ ملاحظة 2: ولكن الهداية تتبع الإيمان والعمل الصالح كما يمكن أن نستنبط من الآية الكريمة التالية:

- وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (82) طه

فيصبح هناك أربعة أعمال متسلسلة على النحو التالي:

⇐ التوبة (تَابَ)
⇐ الإيمان (وَآمَنَ)
⇐ العمل الصالح (وَعَمِلَ صَالِحًا)
⇐ الهداية (ثُمَّ اهْتَدَى)

ولو تفقدنا حرف العطف الذي يربط هذه الأفعال الأربعة معاً لوجدنا أن "الواو" يربط الثلاثة الأولى (**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا**)، ولكن حرف الجر "ثم" هو الذي يفصل الهداية عن كل ما سبق (**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**)، مما يدعونا أن نتجرأ أن نتقدم بالافتراء التالي: الإنسان قد يتوب ويؤمن ويعمل صالحاً ولكنه مع كل ذلك قد لا يكون اهتدى بعد، وربما يموت الإنسان المؤمن بعد أن كان قد تاب وعمل صالحاً، ولكنه مع كل ذلك لم يكن قد اهتدى. فالهداية – نحن نزعم القول- مرحلة متقدمة جداً لا يصل إليها كثير من الناس، ولكن أين الدليل على هذا الزعم الخطير جداً؟

الدليل 1: قصة إبراهيم

ربما لا يغفل الكثيرون عن تفاصيل قصة إبراهيم مع قومه، فهو قد توجه إلى ربه بقلب سليم، فيقلّب وجه في السماء باحثاً عن رب يعبده، وينتهي به البحث أن يوجه وجهه للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً:

- **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79) الأنعام**

ويقوم بعد ذلك بتجذيذ أصنام القوم بعد أن يقيم عليهم الحجة، فما يكون منهم إلا أن ينقلبوا على أعقابهم، ويقرروا أن يلقوه في النار، فيبنوا له بنياناً عظيماً ليلقوه في سواء الجحيم:

- **قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (97) الصافات**

فيقضي الله أمره للنار بأن تكون برداً وسلاماً على إبراهيم:

- **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (69) الأنبياء**

وما أن يخرج إبراهيم من تلك النار سليماً لا يضرّه شيء بأمر من الله حتى يتوجه بالخطاب التالي:

- **وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (99) الصافات**

السؤال: ألم يكن إبراهيم قد اهتدى بعد؟ فكيف به يقول إنه ذاهب إلى ربه سيهديه؟
رأينا: كلا، بالرغم من كل ما حصل مع إبراهيم حتى الساعة، إلا أننا نظن أنه لم يكن قد حصل على الهداية بعد، لذا فهو يشد الترحال إلى ربه (**إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي**) والسبب حتى يجد الهداية (**سَيَهْدِينِ**)، فإبراهيم بعد كل ما حصل له لم يكن قد اهتدى بعد، ولكن لماذا؟

الدليل 2: قصة موسى

ولو تدبرنا قصة موسى من هذه الجانب لوجدنا أن السيناريو نفسه يحصل مع هذا النبي الكريم أيضاً، فالله يؤتي موسى حكماً وعلماً وقد كان من المحسنين، فيدخل موسى المدينة على غفلة من أهلها، فيجد الرجلان يقتتلان، فيقوم موسى بوكز الذي هو من عدوه، فيقتله:

- **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (14) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (15) القصص**

ويهرب موسى إلى مدين، فيمكث هناك بضع سنين، يأجر شعيباً لقاء نكاحه إحدى ابنتيه، وما أن يقضي موسى الأجل حتى يسير بأهله قافلاً العودة إلى أرض مصر، وفي منتصف الطريق يأنس موسى من جانب الطور ناراً، فيحدّث أهله بالخطاب التالي:

- **إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10) طه**

السؤال: لماذا يطلب موسى الهداية عند النار؟ ألم يكن موسى قد اهتدى من قبل؟
رأينا: لا، لم يكن موسى قد اهتدى بعد. ولكن لماذا؟
رأينا: نحن نعتقد أن الهداية لا تأتي إلا من الله مباشرة أو من آيات الله (كالكتاب مثلاً). فلابد لمن يطلب الهداية أن يأخذها من الله مباشرة أو من آياته، صحيح أن إبراهيم قد تاب وآمن وربما يكون قد عمل صالحاً حتى اللحظة (وكذلك موسى)، لكنه بكل تأكيد لم يكن قد اهتدى بعد. وذلك لأن للهداية – نحن نفتري القول- مصادر محدده لا تُطلَب إلا من هذه المصادر فقط.

مصادر الهداية

لو دققنا في آيات الكتاب الكريم لوجدنا أن مصادر الهداية هي ثلاث مصادر فقط، وهي (1) الله و (2) آيات الله (الكتاب) و (3) الشيطان.

⇐ الله

- **قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) البقرة**

- **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120) البقرة**

- **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (143) البقرة**

- رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (8) آل عمران
- وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (73) آل عمران
- يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26) النساء
- وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (68) النساء
- يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (16) المائدة
- فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (175) النساء
- قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (71) الأنعام
- وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) الأنعام
- وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (87) الأنعام
- ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (88) الأنعام
- أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ (90) النعام
- فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (90) الأنعام
- فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (125) الأنعام
- وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (155) الأعراف

- كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (213) البقرة
- سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (142) البقرة
- وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (101) آل عمران
- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (9) يونس
- وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (25) يونس
- قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ۚ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (35) يونس
- يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (57) يونس
- وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (27) الرعد
- وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (31) الرعد
- وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (4) ابراهيم
- وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ (21) ابراهيم
- وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (36) النحل

- إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (37) النحل
- وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (93) النحل
- قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا (84) الإسراء
- وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا (94) الإسراء
- نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13) الكهف
- إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُۚ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا (24) الكهف
- وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (55) الكهف
- وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (57) الكهف
- أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَاۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (58) مريم
- وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًىۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا (76) مريم
- فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ (47) طه
- قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (50) طه
- ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (122) طه
- قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (123) طه
- وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (8) الحج
- وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ (16) الحج
- لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ (67) الحج

- اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35) النور
- لَّقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (46) النور
- قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) الشعراء
- الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) الشعراء
- هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (2) النمل
- أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63) النمل
- وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (22) القصص
- وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (37) القصص
- وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69) العنكبوت
- بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (29) الروم
- أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) لقمان
- مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (4) الأحزاب
- أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (8) فاطر
- وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (99) الصافات
- وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (118) الصافات
- أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (3) الزمر

- اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (23) الزمر
- شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (13) الشورى
- إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (27) الزخرف
- أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (23) الجاثية
- سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (5) محمد
- وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (17) محمد
- لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (2) الفتح
- وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (20)الفتح
- إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (23) النجم
- وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (31) المدثر
- إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3) الإنسان
- وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (3) الأعلى
- وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10) البلد
- إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (12) الليل
- وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (7) الضحى

⇐ آيات الله (الكتاب)

- ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) البقرة
- إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) البقرة
- شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185) البقرة
- نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (3) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (4) آل عمران
- هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (138) آل عمران
- إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44) المائدة
- وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (46) المائدة
- وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91) الأنعام
- ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (154) الأنعام
- أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (157) الأنعام
- وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52) الأعراف
- وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (154) الأعراف

- وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (203) الأعراف
- وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (64) النحل
- وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (89) النحل
- قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (102) النحل
- وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا.... (2) الإسراء
- إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9) الإسراء
- إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (96) آل عمران
- لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111) يوسف
- إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (76) وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (77) النمل
- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (43) القصص
- وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (6) سبإ
- قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (49) القصص
- إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (85) القصص
- تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (2) هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (3) لقمان
- أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (20) لقمان
- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (23) السجدة

- قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (32) سبإ
- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (53) هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (54) غافر
- وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (44) فصلت
- وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (52) الشورى
- قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (24) الزخرف
- هَٰذَا هُدًى ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ (11) الجاثية
- هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (20) الجاثية
- قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (30) الأحقاف
- هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (28) الفتح
- هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9) الصف
- قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2) الجن
- وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (13) الجن

⇐ الشيطان:

- كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (4) الحج

ولا شك –عندنا- أن الآيات إن كانت من عند غير الله لن تكون سبباً للهداية، كعجل السامري مثلاً:

- وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (148) الأعراف

والمفارقة العجيبة التي يجب التأكيد عليها هنا هي أن الناس ليسوا سبباً في الهداية، فالنبي نفسه لا يستطيع أن يهدي أحداً:

- لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (272) البقرة
- وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (35) الأنعام
- وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (43) يونس
- إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56) القصص

فلقد كَذَبَ فرعونُ عندما ظنّ أنه يهدي قومَه سبيلَ الرشاد:

- يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29) غافر

لأنه كان قد استخف قومه فأطاعوه:

- فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (54) الزخرف

ولكن محمداً أرسل بالهدى (أي جاء معه):

- هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33) التوبة
- هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (28) الفتح
- هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9) الصف

لذا فهو يدعو الناس إلى الهدى:

- وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ (193) الأعراف
- وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۖ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (198) الأعراف

ولا شك أن الهداية التي يستطيع الرسول القيام بها تقف عند حاجز الصراط المستقيم:

- وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (52) الشورى

والرسول لا يقوم بأكثر من دعوة الناس إلى صراط الله المستقيم:

- وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (73) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (74) المؤمنون
- وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (52) الشورى

ويتطلب ذلك من الإنسان أن يعتصم بالله:

- وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (101) آل عمران

وما أن يصل الإنسان بسبب هداية الرسول إلى ذلك الصراط المستقيم حتى يجد الشيطان قد قعد له هناك:

- قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) الأعراف

وفي تلك المرحلة يحتاج الإنسان منّا إلى من يهديه، فإما أن يطلب ذلك من ربه ومن آيات ربه:

- اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7) الفاتحة
- سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (142) البقرة
- كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (213) البقرة
- إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (51) آل عمران
- وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (101) آل عمران
- وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (68) النساء
- فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (175)النساء
- يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (16) المائدة
- وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِۗ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (39) الأنعام
- وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (87) الأنعام
- وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًاۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (126) الأنعام

- وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153) الأنعام
- قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) الأنعام
- وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (86) الأعراف
- وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (25) يونس
- إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (56) هود
- الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (1) ابراهيم
- قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (41) الحجر
- وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (76) النحل
- شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (121) النحل
- وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (36) مريم
- يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) مريم
- قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ (135)طه
- وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ (24) الحج
- وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (54) الحج
- وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (73) المؤمنون
- وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (74) المؤمنون
- لَّقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (46) النور
- وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (6) سبإ

- إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (4) يس
- وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (61) يس
- وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ (66) يس
- مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (23) الصافات
- وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (118) الصافات
- إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) ص
- وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (52) الشورى
- صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (53) الشورى
- فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (43) الزخرف
- وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (61) الزخرف
- إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (64) الزخرف
- لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (2) الفتح
- وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (20) الفتح
- أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (22) الملك

أو أن يطلب الهداية من الشيطان لتكون نهايته في نار جهنم:

- وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (3) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (4) الحج

وذلك لأن دعوة الشيطان- على غير دعوة الرسل- تكون دعوة إلى النار:

- وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (21) لقمان
- إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (25) محمد

من الذي لن يهديه الله؟

جواب: تصور الآيات الكريمة التالية من قضت مشيئة الله بأن لا يهديهم، وهم:

⇐ القوم الظالمين

- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
- كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258) البقرة
- وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (144) الأنعام
- أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (19) التوبة
- أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109) التوبة
- فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50) القصص
- قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) الأحقاف
- وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (7) الصف
- مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5) الجمعة
- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168) النساء

(دعاء: أعوذ بك رب أن أكون من القوم الظالمين، وأسألك ربي أن تهديني إليك صراطاً مستقيماً)

وهنا نجد الضرورة تستدعي أن نتذكر ما قالت المرأة بعد أن رأت الصرح:

- قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44) النمل
لنفتري الظن بأن الإنسان لن يصل إلى الهداية ما لم يعترف بأنه قد ظلم نفسه

(دعاء: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي واهدني صراطك المستقيم)

⇐ القوم الكافرين

- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264) البقرة
- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (137) النساء
- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168) النساء
- يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67) المائدة
- إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (37) التوبة
- ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (107) النحل

(دعاء: أعوذ بك رب أن أكون من القوم الكافرين، وأسألك ربي أن تهديني إليك صراطاً مستقيماً)

⇐ القوم الفاسقين

- ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (108) المائدة
- قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24) التوبة

- اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (80) التوبة
- وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5) الصف
- سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (6) المنافقون

(دعاء: أعوذ بك رب أن أكون من القوم الفاسقين، وأسألك ربي أن تهديني إليك صراطاً مستقيماً)

⇐ كيد الخائنين

- ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52) يوسف

(دعاء: أعوذ بك رب أن أكون من الخائنين، وأسألك ربي أن تهديني إليك صراطاً مستقيماً)

⇐ الذين لا يؤمنون بآيات الله

- إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104) النحل

(دعاء: أعوذ بك رب أن أكون من الذين لا يؤمنون بآياتك، وأسألك ربي أن تهديني إليك صراطاً مستقيماً)

⇐ من هو مسرف كذاب

- وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28) غافر

(دعاء: أعوذ بك رب أن أكون مسرفاً كذاباً، وأسألك ربي أن تهديني إليك صراطاً مستقيماً)

⇐ من هو مسرف كفّار

- أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (3) الزمر

(دعاء: أعوذ بك رب أن أكون مسرفاً كفاراً، وأسألك ربي أن تهديني إليك صراطاً مستقيماً)

⇐ من يضل

- إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (37) النحل

(دعاء: أعوذ بك رب أن أكون ممن يُضِلّ، وأسألك ربي أن تهديني إليك صراطاً مستقيماً)

وستكون نتيجة هؤلاء وخيمة:

- وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (115) النساء

والهدى قد يجيء:

- قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (32) سبأ

أو قد يجاء به:

- وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (37) القصص
- إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (85) القصص
- قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (24) الزخرف

والهدى يمكن أن يأتي منفصلاً عن دين الحق:

- هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (28) الفتح

ويمكن كذلك أن يفصل عن العلم وعن الكتاب المنير

- أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (20) لقمان

فالكتاب ليس هو الهدى ولكن هو الذي يهدى به:

- وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (52) الشورى

ولكن الذي أنزل إلى النبي من عند ربه هو بعين الذين أوتوا العلم الحق وهو نفسه الذي يهدي إلى صراط مستقيم. لاحظ أنه ليس هدى ولكنه وسيلة للهدى:

- وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (6) سبأ

ويصف القرآن الكريم الذين هم على هدى من ربهم على أنهم أناس يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوقنون بالآخرة:

- الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) لقمان

ويصور لنا القرآن الكريم أن الضلال المبين هو عكس الهدى:

- قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (24) سبأ

أما الملاحظة التي تطير لها الألباب فتتمثل في رأينا بأن الهدى (هدى الله على وجه التحديد) مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالكتاب المتشابه المثاني:

- اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (23) الزمر

وهذا يتطلب برأينا فهم ماهية ذلك الكتاب المتشابه المثاني الذي تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، وهو ما سنحاول أن نفرد له مقالات منفصلة (إن أذن الله لنا بشيء من علمه) بحول الله وتوفيقه.

(دعاء: اللهم رب علمني ما نزّلت أحسن الحديث كتاباً متشابها مثاني)

وهذا الكتاب لم يكن فقط خاصاً بنا، ولكن الله أنزله على موسى وورثه بنو إسرائيل

- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (53) هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (54)غافر

وسنحاول أن نبحث عن ذلك الكتب الذي هو هدى وذكرى لأولي الألباب، لذا فالله أسأل أن أكون من أولي الألباب ليكون ذلك الكتاب هدى لي.

وهنا يجب أن نلفت الانتباه إلى أن الناس هم أنفسهم أصحاب القرار في الهدى أو الضلالة:

- وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (17) فصلت
- وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (31) المدثر

والهدى يزاد على الهدى:

- وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (17) محمد

ولكن يجب الانتباه إلى ملاحظة غاية في الأهمية تتمثل بأن الهدى لا يكون بالأسماء التي سميناها نحن وآباؤنا اتباعا للظن وما تهوى الأنفس:

- إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (23) النجم

لذا، يصبح لزاماً أن نحاول ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً أن نتخلى عن الأسماء التي وصلتنا كموروث الآباء والأجداد والبحث بكل ما أوتينا من رغبة وعلم عن آيات الله التي تكون هي طريق الهدى:

- طس ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (1) هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (3) النمل

ولو حاولنا ربط ما جاء في هذه الآية الكريمة مع ما جاء في آية سابقة تخص الهداية لربما وصلنا إلى الطريق التي يجب أن نبحث فيها:

- اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (23) الزمر

افتراء خطير من عند أنفسنا: نحن نفتري القول إن الربط الحقيقي بين هاتين الآيتين الكريمتين سيفضي بنا في النهاية إلى علم لا حدود له.

فالله أسأل أن يأذن لي العلم بآيات الكتاب المتشابه المثاني التي هي هدى وبشرى للمؤمنين.

وتلك الآيات لا يستطيع الإنسان الوصول إليها إلا من خلال ما أرسل الله رسوله به:

- هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33) التوبة

- **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (28) الفتح**
- **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9) الصف**

فحتى الجنّ أدركت أن ما سمعته هو هدى:

- **وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (13) الجن**

ولكن يبقى السؤال الرئيس هو: كيف أدرك الجن أن ما سمعته هو هدى؟ هل يفهم الجن العربية؟ هل يتحدثون العربية؟ وما هي لغتهم؟

افتراء خطير جداً جداً من عند أنفسنا: يمكن لم يسمع آيات الله أن يعقلها وإن لم يكن يعرف العربية، وعدم معرفتنا بتلك الآيات تجعلنا كمن يمشي مكباً على وجهه على عكس من كان قد اهتدى وقد مشي على صراط مستقيم:

- **أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (22) الملك**

وهذا موضوع كبير وخطير جداً يحتاج إلى مقالات كثيرة منفصلة ومفصّلة، وهو ما حاولنا مراراً تمريره تحت مسمى "تفصيل الآيات":

- **وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52) الأعراف**
- **كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) فصلت**
- **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (44) فصلت**

فمن أوتي ذلك العلم فهو يستطيع أن يصل إلى آيات الله وإن لم يكن صاحب لسان عربي، لذا فالله أسأل أن يأذن لي بشيء من علمه لا ينبغي لأحد غيري إنه هو السميع المجيب. وأسأله تعالى أن يعلمني تفصيل الآيات إنه قريب مجيب الدعاء، وأسأله أن يتقبلني في من تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى).

سؤال: هل اهتدت تلك المرأة التي جاءت سليمان؟ فلقد أمر سليمان ملأه أن ينكّروا لتلك المرأة عرشها لينظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون:

- **قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41) النمل**

الجواب: نعم

سؤال: ما الدليل على أنها قد اهتدت؟

جواب: ما جاء في الآية الكريمة التالية:

- **فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (43) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ**

فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44) النمل

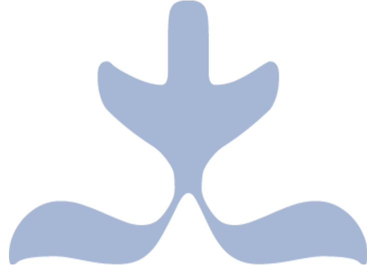
فلقد كان كفر قومها هو ما صدها عن الهداية قبل قدومها إلى سليمان، وكان ظلمها لنفسها هو ما جعلها تترد عندما قدمت إلى سليمان في بداية الأمر، ولكنها بعد أن تخلصت من كفر قومها وظلمها لنفسها وصلت – لا شك- إلى الهداية، بأن أسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

سؤال: كيف استطاعت تلك المرأة التخلص من كفر قومها ومن ظلمها لنفسها؟ لماذا تركت كل ذلك "الملك" الذي تحصل لها في قومها وأسلمت نفسها مع سليمان لله رب العالمين؟

جواب: نحن نظن أنه كشف الساق، أي عندما كشفت عن ساقيها.

سؤال: وكيف ذلك؟ ما علاقة كشف المرأة عن ساقيها بهدايتها.

هذا ما سنحاول النبش فيه في الجزء القادم من هذه المقالة بحول الله وتوفيقه



مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ

الباب العاشر الساق



الباب العاشر: الســاق

نناقش في هذا الباب شيئاً مما جاء في الآية الكريمة التالية حول قصة سليمان:

- **قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44) النمل**

لنطرح سؤالا رئيسياً واحداً، ألا وهو: لماذا كشفت تلك المرأة عن ساقيها عندما رأت الصرح؟

محاولين من خلال تقديم إجابتنا (التي نظن أنها ربما تكون صحيحة) على هذا السؤال أن ننجز هدفين كانا على الدوام غاية أبحاثنا المتصلة بلغة القرآن الكريم، والهدفان هما:

⇐ إلقاء ظلال الشك على تفسيرات من سبقنا من أهل الدراية وأهل الرواية ومن جمع بينهما، والقارئ الكريم مدعو إلى قراءة ما قاله من سبقنا منهم عن قصة كشف المرأة عن ساقيها، ليرى بأم عينه كيف تمت الإساءة (عن قصد أو عن غير قصد) إلى نبي كريم مثل سليمان، وكان ذلك - في ظننا- لأن أهل الدراية لم يُعمِلوا التفكير في ألفاظ القرآن جيداً حينما انقلبوا ليصبحوا أهل رواية أكثر منهم أهل دراية، وآثروا الانجرار وراء قصص يهود.

⇐ تقديم بديل للموروث العقائدي الذي نظن أنه قد شوّه مع تقادم الأيام، فاتحين (بمشيئة من الله وتوفيقه) الباب للنشء ليعيدوا طرح الموروث العقائدي كله للبحث والتنقيب من جديد.

ونترك للقارئ الكريم أن يأخذ مما نقول ما يظن أنه قد يرقى أن يكون علماً (إنْ كان فيه أصلاً شيء يرقى أن يكون كذلك)، ولا يتردد أن يلقي بما لا يصل إلى تلك المرتبة في سلة المهملات (recycle bin) على جهاز حاسوبه. فالأفهام لا تكون ملزِمةً إلاّ بالدليل القاطع، وبالحجة المستنبطة من مصادر المعلومة الموثوقة.

(دعاء: أسأل الله أن يؤتيني رحمة من عنده وأن يعلمني من لدنه علماً لا ينبغي لأحد غيري إنه هو السميع العليم، وأسأله تعالى أن لا يعفو عمن يجتزئ من هذه النصوص شيئاً دون إذن مسبق منا، وأسأله أن لا يعفو عن من ينقل منها شيئاً قاصداً الإساءة)

المبحث الرئيس

سنحاول في هذا الباب أن نقدم فهمنا لمعنى كشف الساق، مفترين الظن (بناءً على فهمنا المزعوم) أن كشف تلك المرأة عن ساقيها كان سبباً رئيسياً في هدايتها وإسلامها مع سليمان لله رب العالمين. ولكن كيف؟

أما بعد،

لإنجاز هذا الهدف، نجد لزاماً المرور بمرحلتين من العرض؛ نحاول في المرحلة الأولى تقديم الدليل الذي نظن أنه يدحض بالكلّية ما جاء في هذا الباب "كشف ساقيها" من أقوال

من سبقونا من أهل الدراية وأهل الرواية، ونحاول في المرحلة الثانية تقديم البديل الذي نظن أنه أكثر دقة وتميزاً، كما نفهمه نحن من سياقات الكتاب الكريم.

المرحلة الأولى: دحض الفكر القديم الذي لازال سائدا

حاولنا البحث في الأدب السابق عن ما قاله الأقدمون عن قضية كشف تلك المرأة لساقيها، فوجدنا أن معظم ما قالوا لا يخرج عن إطار ما جاء في أمهات كتب التفاسير، فالجميع يحاول صياغة القصة نفسها بمفرداته، التي لا تخلو من جسامة الألفاظ وإن لم ترق أفكارهم – في نظرنا- إلى مستوى مفرداتهم التي لا شك تصعب على العامة من مثلي. ولكي لا نسوق اتهاماتنا الباطلة بالحجة من عند أنفسنا فقط، فإننا ندعو القارئ الكريم إلى النظر أولاً بعين المتفحص لما جاء في تفسير ابن كثير مثلاً عن قضية كشف المرأة لساقيها:

وذلك أن سليمان عليه السلام أمر الشياطين فبنوا لها قصرا عظيما من قوارير أي من زجاج وأجرى تحته الماء فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه واختلفوا في السبب الذي دعا سليمان عليه السلام إلى اتخاذه فقيل إنه عزم على تزوجها واصطفائها لنفسه ذكر له جمالها وحسنها ولكن في ساقيها هلب عظيم ومؤخر أقدامها كمؤخر الدابة فساءه ذلك فاتخذ هذا ليعلم صحته أم لا؟ هكذا قول محمد بن كعب القرظي وغيره فلما دخلت وكشفت عن ساقيها رأى أحسن الناس ساقا وأحسنهم قدما لكن رأى على رجليها شعرا لأنها ملكة ليس لها زوج فأحب أن يذهب ذلك عنها فقيل له الموسى فقالت لا أستطيع ذلك وكره سليمان ذلك وقال للجن اصنعوا شيئا غير الموسى يذهب به هذا الشعر فصنعوا له النورة وكان أول من اتخذت له النورة قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي والسدي وابن جريج وغيرهم وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان ثم قال لها ادخلي الصرح ليريها ملكا هو أعز من ملكها.... انتهى الاقتباس

(ملاحظة: نحن من وضع الخطوط تحت المفردات التي لم نستطع فهمها بأنفسنا، فاستعنّا بأهل الرواية ليفسّروا لنا ما جاء في كلام أهل الدراية)

افتراءاتنا: بعد قراءتنا لهذا الكلام الذي جاء في تفسير ابن كثير، نحن نزعم القول إن هذا القول

- مأخوذ جلّه عن قصص بني إسرائيل
- لا يراعي مفردات النص القرآني نفسه
- فيه إساءة مباشرة لتلك المرأة
- فيه إساءة كبيرة لسليمان نفسه

الدليل

- أولاً، نحن نزعم الظن أن ما جاء في تفسير ابن كثير مأخوذ جلّه عن قصص بني إسرائيل، وربما لا يحتاج من أراد أن يتحقق من زعمنا هذا أن يبذل جهداً كبيراً ليثبت أن ما جاء في أمهات كتب التفاسير مثل تفسير ابن كثير هي أقوال في مجملها جاءت في قصص بني إسرائيل عن سليمان، والقارئ الكريم مدعو لمراجعة كتب وموروثات بني إسرائيل عن قصة سليمان ليرى

بأم عينه التطابق بين الرواية الإسلامية (كما تصورها كتب التفاسير الإسلامية) وروايات أهل الكتاب في هذا الجانب.

⇐ ثانياً، نحن نزعم الظن أن قولهم ذاك لم يراع اللفظ القرآني نفسه، فهم- في ظننا- قد أدخلوا في القصة شيئاً لا دليل عليه من كتاب الله، وحذفوا منها أشياء كثيرة يتناثر الدليل عليها وافراً في كتاب الله كله، وهذا ما سيشكل جل بحثنا عندما نحاول تقديم فهمنا للقصة نفسها بعد قليل بحول الله وتوفيقه.

⇐ ثالثاً: نحن نزعم الظن أيضاً أن في قولهم ذاك إساءة لتلك المرأة نفسها، فالذي حاول أن يصور ساقي المرأة على نحو "في ساقيها هلب عظيم ومؤخر أقدامها كمؤخر الدابة"، حتى وإن كان من باب الظن، فهو بلا شك لا يختلف – في نظرنا- كثيراً عن .... فدلّوني - بالله عليكم- هل هناك امرأة على وجه المعمورة يمكن أن تكشف عن ساقيها بين الناس وهي تعلم أن في ساقيها "هلب عظيم ومؤخر أقدامها كمؤخر الدابة"؟ من يدري!!!

أو هل هناك امرأة على وجه الأرض – دلوني بالله عليكم- يمكن أن تكشف بنفسها عن ساقيها بين الناس وهي تعلم أن الشعر يكسوهما؟! من يدري!!!

(سنناقش هذا الكلام لاحقاً بحول الله وتوفيقه)

⇐ رابعاً: وأخيراً نحن نزعم الظن أن في قولهم ذاك إساءة عظيمة لسليمان نفسه. فكيف - بالله عليكم- يحق لسليمان أن يقف مختبئاً في مكان ما لينظر فيرى ساقي امرأة هو ينوي –حسب قولهم- أن يتزوجها؟ فماذا نقول لشبابنا (الذكور) في جامعاتنا العتيدة وهم يسترقون النظر على سيقان فتيات جميلات، لا يكسوهما "هلب" ولا ...؟ لم لا ندعهم يتخذوا من سليمان قدوة لهم؟ وماذا لو تذرّع أحدهم بأنه "ينوي" أن يتزوج من يسترق النظر على سيقانها ليرى أنه لا يجد عليهما "هلب عظيم" وليتأكد أن "مؤخر أقدامها" ليس "كمؤخر الدابة"؟ من يدري!!!

المرحلة الثانية: تقديم فهمنا البديل

والحالة هذه، وجدنا أنه من واجبنا أن ننتصر للنص القرآني الذي نظن أنه قد حرّف عندما أدخل فيه ما لا يدعمه الدليل من كتاب الله نفسه، وأنه قد حذف منه ما يتناثر الدليل عليه وافراً في الكتاب، كما نحاول أن ندفع التهمة "المفتراة" عن سليمان أولا وعن تلك المرأة ثانياً، فلا نظن أن دين سليمان ولا خلقه يمكن أن يسمح له أن يسترق النظر بهذه الطريقة المريبة، ولا نظن أن تلك المرأة من "الغباء" أن تكشف بنفسها عن ساقيها وهي تعلم أن فيهما "هلب عظيم" أو أن مؤخر أقدامها يمكن أن تكون كمؤخر أقدام الدابة.

فدعنا نحاول أن نقدم بديلاً لهذا الموروث الهالك (بحول الله) الذي أهلك فكر الأمة قروناً من الزمن، وأظن أنه قد آن الأوان أن نهذّبه بالمعرفة المستنبطة من كتاب الله، فنصدق منه ما يصدّقه كتاب الله، ونلقي بما لا يصدقه الدليل من كتاب الله في سلة المهملات، فذاك هو مكانه الصحيح.

(والله أسأل أن يرزقنا الإخلاص في العلم والعمل، وأن يهدينا سواء السبيل، وأن يعلمنا الحق فلا نفتري عليه الكذب، وأسأله تعالى أن يجعل أجرنا من عنده، ونسأله تعالى أن نكون ممن لا يردون من غيره جزاء ولا شكورا)

أما بعد.
لنبدأ النقاش بطرح السؤال التالي: ما معنى مفردة الساق؟
جواب: نحن نظن أن الساق هو ذلك الجزء من الجسم الذي يظهر في الشكل التالي:



لذا نحن نظن أن المرأة قد كشفت عن ذلك الجزء من جسمها عندما رأت الصرح وحسبته لجة.

سؤال 2: كيف كشفت تلك المرأة عن ساقيها؟
جواب: لمعرفة الإجابة على هذا السؤال فلابد من طرح سؤال آخر وهو: لماذا كشفت تلك المرأة عن ساقيها؟
جواب: نحن ننفي جملة وتفصيلاً أن تكون تلك المرأة قد كشفت عن ساقيها لتبدي لمن كان حاضراً عن جزء من جسمها. فعقيدتنا تتمثل في أن تلك المرأة لم تكن لتبيع جسمها أو أن تساوم عليه لقاء شيء ما، كما أن عقيدتنا تنفي جملة وتفصيلاً أن يكون سليمان قد نصب لها "فخاً" ليرى شيئاً من عورتها؟ فلماذا إذن كشفت المرأة عن ساقيها لحظة أن رأت الصرح كما جاء في الآية الكريمة التالية:

- **قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44) النمل**

افتراء من عند أنفسنا: نحن نظن أن الجواب على ذلك السؤال ربما يكون متوافراً في الآية الكريمة التالية:

- **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42) القلم**

دقق - عزيزي القارئ- بمفردات هذه الآية الكريمة جيداً، لنطرح عليك التساؤل التالي:
ما علاقة الكشف عن الساق بالسجود؟

نتيجة مفتراة: نحن نعتقد جازمين أن هناك علاقة متينة بين الكشف عن الساق من جهة والسجود من جهة أخرى، لأن من أراد أن يسجد – نحن نفتري الظن- فلابد له من أن يكشف عن ساقه

سؤال: ما معنى الكشف؟
نحن نزعم القول إنه لابد لمن أراد أن يقوم بفعل السجود أن يكشف عن ساقه، ربما ليستكشف المنطقة (على الأرض) التي سينزل عليها ساقيه، فأنت عندما تسجد لابد من أن ينزل كلا الساقين على الأرض كما في الشكل التالي:



لاحظ - عزيزي القارئ- كيف يكون كلا الساقين ملتصقان بالأرض في حالة السجود.
افتراء من عند أنفسنا: من أراد السجود فلا بد له أن يكشف عن ساقه ليستكشف المنطقة التي سينزل عليها ساقيه على الأرض.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أن تلك المرأة قد كشفت عن ساقيها لأنها همّت بفعل السجود عندما رأت الصرح وحسبته لجة.

وهنا تستدعي الدقة منّا أن نجلب انتباه القارئ الكريم إلى جزئية نظن أنها غاية في الأهمية تتمثل في أن تلك المرأة – حسب النص القرآني- لم تكشف ساقيها ولكنها كشفت عن ساقيها، انظر حرف الجر "عَنْ" في الآية الكريمة **(وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا)**، وشتان بين هذا وذاك. فلو جاء الخطاب – نحن نزعم القول- على نحو أن المرأة قد كشفت ساقيها بدون حرف الجر عن (كأن تكون على نحو: وكشفت ساقيها) لربما ظننا أنها قد أظهرت شيئاً من عورتها، ولكن عندما جاء النص على نحو أنها قد كشفت عن ساقيها، فإن الساق لا يكون هو المكشوف ولكنه يكون المكشوف عنه، ففي حالة حدوث فعل الكشف هناك على الدوام المكشوف عنه، وهناك المكشوف، فالمكشوف عنه شيء، والمكشوف شيء آخر، انظر قوله تعالى:

- **وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (134) الأعراف**

فالآية الكريمة تشير إلى أن القوم (قوم فرعون) هم المكشوف عنهم وأن الرجز هو المكشوف، فهناك فرق بين المكشوف عنه والمكشوف. ولو راقبنا جميع حالة الفعل

"كشف عن" لوجدنا أن المكشوف عنه يبقى على حاله لا يتغير، بينما الذي يتم الذهاب به هو المكشوف، فقوم فرعون هم قوم فرعون قبل وبعد الكشف عنهم، ولكن الذي ذهب به هو الرجز،

- **فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (135) الأعراف**
- **وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (12) يونس**
- **فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (98) يونس**
- **ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (54) النحل**

ففي جميع هذه الحالات بقي المكشوف عنه (وهم الناس) على حالهم، وتم الذهاب بالمكشوف وهو الرجز أو الضر أو العذاب.

لذا فإننا نفتري الظن بأن ساقي المرأة (المكشوف عنهما) لم تكونا مكشوفتين وهناك شيء ما تم كشفه. ولو دققنا في الآية التي تتحدث عن الكشف عن الساق في حالة السجود لوجدنا أن الساق هو مكشوف عنه وليس مكشوفاً:

- **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42) القلم**

لذا نحن نفتري القول إن المرأة قد كشفت شيئاً (المكشوف) لتكشف عن ساقيها (المكشوف عنه).

سؤال: إذا كانتا ساقا المرأة مكشوف عنهما، فما الشيء الذي كان مكشوفاً (أي تم كشفه) في حالة المرأة؟

رأينا: إنه مكان السجود. فالمرأة أرادت أن تكشف المكان لكي تنزل بساقيها على الأرض في حركة سجود لحظة أن رأت الصرح وحسبته لجة، وهذا بالضبط ما يحصل في حالة الكشف عن الساق والدعوة إلى السجود:

- **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42) القلم**

ففي تلك اللحظة عندما يتم الكشف عن الساق، يكون المطلوب من المتواجدين تلبية نداء السجود، وعندها يبين لهؤلاء القوم على وجه التحديد أنهم لا يستطيعون تلبية نداء السجود بالرغم من حصول عملية الكشف عن الساق لهم. والآية الكريمة في سياقها القرآني الأوسع ربما تشير إلى مثل هذا الفهم:

- **سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ (40) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (41) يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (43) القلم**

فمن كان يتخذ في الدنيا مع الله شريكاً ويقوم بعملية السجود له من دون الله، ومن لم يكن يكشف عن ساقه ويسجد لله وهو سالم، فلن يستطيع السجود في ذلك اليوم الرهيب حتى ولو تم له الكشف عن الساق.

سؤال: لماذا أرادت تلك المرأة أن تسجد أصلاً؟ ما الذي دعاها للقيام بفعل الكشف عن الساق حتى تسجد؟

رأينا: نحن نظن أن المرأة قد همّت بالقيام بفعل السجود لأنها رأت الصرح وحسبته لجة، فالذي دعاها للسجود – في ظننا- هو مشاهدتها الفعلية للصرح وظنها أنه لجة. ولكن كيف ذلك؟

جواب: حاول – عزيزي القارئ- أن تربط أجزاء الآية الكريمة بعضها مع بعض:

- **قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44) النمل**

تشير الآية الكريمة إلى أن مجرد رؤية المرأة لذاك الصرح – نحن نفتري القول- كان دافعاً لها للقيام بفعل الكشف عن الساق **(فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا)**، وكان ذلك بسب أن المرأة قد حسبت ذاك الصرح (مخطئة بالطبع لأن ذلك كان من باب الحسبان فقط) لجة، فما كان منها إلاّ أن قامت على الفور بفعل الكشف عن ساقيها، لأنها- نحن نفتري الظن- قد أوشكت على النزول إلى الأرض في حركة سجود لذلك الصرح الذي رأته وحسبته لجة،

نتيجة مفتراة: عندما رأت المرأة ذلك الصرح حسبته لجة كشفت عن ساقيها لأنها همت بالسجود لذاك الصرح

ولكن عندما رأى سليمان أنها قامت فعلاً بفعل الكشف عن ساقيها لتهم بالسجود للصرح، ما كان منه إلا أن منعها من فعل ذلك على الفور، فصحّح لها خطأ ظنها عندما أخبرها أن ذلك الصرح ليس لجة وإنما هو فقط صرح ممرد من قوارير:

قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ

ولمّا علمت تلك المرأة أن ذلك الصرح ليس لجة، وأنه ليس أكثر من صرح ممرد من قوارير، أدركت بنفسها على الفور الظلم الذي ارتكبته بحق نفسها:

قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي

لأننا نظن أن من يسجد لمثل هذه الكينونات بغض النظر عن ماهيتها فهو بلا شك ظالم لنفسه:

- **وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (37) فصلت**

ومادام أن المرأة كانت ستسجد لغير الله فهي بلا شك كانت ظالمة لنفسها، وعندما أدركت خطأ فعلتها، وأدركت أنه لا يجوز السجود لتلك الكينونات مهما كانت، وعندما أدركت كذلك أن السجود لا يكون إلا لرب سليمان وليس للشمس ولا للقمر ولا للصرح، عندها فقط اهتدت المرأة وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين:

وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الدليل

لو رجعنا إلى قصة تلك المرأة مع سليمان منذ بدايتها لربما وجدنا الدليل على زعمنا هذا جليّاً، فلنرقب كيف جاء الهدهدُ سليمانَ بالخبر الأول عن تلك المرأة وقومها:

- **وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) النمل**

فلقد كانت المرأة معتادة (وقومها بالطبع) على السجود للشمس من دون الله، فلقد كان فعل السجود –نحن نجزم الظن- متجذراً في عقيدتها وقومها بدليل أنها وقومها كانوا يقومون بذلك على الدوام (**وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ**)، فالهدهد ينقل الخبر بصيغة الفعل الذي يدل على التكرار " يَسْجُدُونَ"، وكان ذلك من باب ما زيّن لهم الشيطان من أفعال الظلال، ليصدّهم عن السبيل فلا يكونوا من المهتدين. وما اهتدت تلك المرأة إلا بعد أن تركت السجود لغير الله، فأصبحت من المهتدين لأن سليمان أصلاً كان قد وضعها في محل الاختبار لينظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون:

- **قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41) النمل**

فلم تكن المرأة مهتدية عندما قدمت إلى سليمان، ولم تهتدي عندما نكّروا لها عرشها في البداية بأمر من سليمان، وما اهتدت إلا لحظة أن كشفت عن ساقيها لتقوم بفعل السجود للصرح الذي حسبته لجة، وما منعها من السجود للصرح إلا سليمان عندما أخبرها أن ذلك ليس أكثر من صرح ممرد من قوارير، حينها فقط شعرت المرأة أن ما كانت تقوم به مع قومها من فعل الكشف عن الساق والسجود لغير الله هو من باب ما زين لهم الشيطان ليصدهم عن السبيل حتى لا يكونوا من المهتدين.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن إذن نتصور المشهد على النحو التالي: كانت تلك المرأة وقومها على عادة الكشف عن الساق ليقوموا بفعل السجود، وكانوا يقومون بفعل السجود ذاك للشمس من دون الله، وكان ذلك كله من باب ما زين لهم الشيطان ليصدّهم عن السبيل فلا يكونون من المهتدين. وعندما أُمرت تلك المرأة بدخول الصرح بعدما جاءت سليمان، نظرت المرأة إلى ذلك الصرح فظنت مخطئة أنه لجة، فما كانت ردة فعلها الأولى على رؤية الصرح إلا أنها ربما ظنت أنه إله سليمان الذي يجب أن يسجد له بالضبط كما كانت تفعل مع قومها عندما كانوا يسجدون للشمس. ولكن عندما نهاها سليمان عن القيام بفعل السجود للصرح، وأخبرها أن ذلك الصرح ليس لجة وإنما هو صرح ممرد من قوارير، أدركت المرأة على الفور خطأ فعلتها التي كانت تفعلها وقومها عندما كانوا يسجدون للشمس من دون الله، وربما أدركت حينئذ أن تلك الكينونات سواء كان الصرح الذي رأته عند سليمان أو الشمس التي كانت تسجد لها وقومها هي كينونات لا يجوز السجود لها بأي حال من الأحوال، وأن هناك رباً هو أكبر من جميع هذه الكينونات وهو الأحق بالسجود له من هذه الكينونات.

الدليل

إن الدليل الذي ربما يدعم تصورنا هذا للمشهد يتطلب التدقيق في جميع مفردات الآية الكريمة نفسها، قال تعالى:

- **قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44) النمل**

قِيلَ لَهَا

إن المتفحص للنص القرآني يدرك على الفور أن الذي قال لها أن تدخل الصرح ليس سليمان نفسه وإنما من كان من ملأ سليمان بدليل أن الفعل جاء على صيغة المجهول "قِيلَ لَهَا"، فنحن نعلم من القصة نفسها أن سليمان قد طلب من ملأه أن يتعاملوا مع المرأة قبل أن تصل إليه، فلنتذكر ما أمرهم سليمان أن يفعلوه لحظة أن تصلهم تلك المرأة:

- **قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42) النمل**

فما أن وصل العرش إلى سليمان بواسطة من عنده علم الكتاب حتى أمر الملأ أن ينكروا لها عرشها كخطوة أولى لينظروا أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون. والمتفحص للنص يجد أن المرأة قد قدمت سليمان ولم تكن قد أسلمت بعد، والمدقق يجد أيضاً أن المرأة كانت "دبلوماسية" (إن صح القول) في ردها، فهي لم تنفي أن يكون العرش عرشها، وهي في الوقت ذاته لم تثبت أنه هو فعلاً عرشها، فهي لا زالت في حالة دهشة، ولكنها لم تصل إلى مرحلة التصديق الكامل أو التكذيب الكامل بالخبر، فلربما ظنت المرأة أن سليمان ربما يستطيع تقليد عرشها أو أنه كان يملك عرشاً كعرشها، ولكن وجه التطابق العظيم مع عرشها ربما أفحمها فلم تستطيع تكذيب الخبر بكلّيته، فبقيت تظن أن ذلك من باب التشابه وليس من باب التطابق، فجاء قولها على نحو " كَأَنَّهُ هُوَ:"

- **فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42) النمل**

وهنا أدرك سليمان من ردّة فعلها تلك أنها لم تصل بعد إلى مرحلة الهداية، لذا طلب من الملأ أن يدخلوها في اختبار آخر وهو الصرح:

- **قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44) النمل**

ونحن نفتري الظن أن المرأة حتى اللحظة لم ترى سليمان، وأن الخطاب معها كان من قبل ملأ سليمان، بدليل أن اللفظ جاء أيضا بصيغة المجهول "**قِيلَ لَهَا**". وهنا ما أن رأت تلك المرأة الصرح حتى حسبته لجة (**فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً**). فما كانت ردة فعلها الأولى أكثر

من أن تكشف عن ساقيها لمجرد رؤية الصرح والظن بأنه لجة (**فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا**).

الصّرح

وهنا نتوقف مع المفردة الثانية التي نودّ التعرض لها في الآية الكريمة نفسها وهي مفردة الصرح. فما هو الصرح؟ ولماذا حسبته لجة؟

نحن نفتري الظن أولاً أن الصّرح هو بناء مرتفع جداً عن الأرض.

- **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (36) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (37) غافر**

ففرعون يطلب من هامان أن يبني له صرحاً، ولا شك أن هدف فرعون كان بلوغ أسباب السماوات والأرض، ليطلع إلى إله موسى، فلا أظن أن فرعون كان يقصد أن يبنوا له بناءً متواضع العلو، فالغاية عظيمة وهي الاطلاع إلى إله موسى، لذا لابد أن يفيد البناء المنشود (الصرح) الغاية المنوي تحقيقها من خلاله، أليس كذلك؟

نتيجة مفتراة: بناءً على فهمنا للآية الكريمة التي تصور طلب فرعون من هامان أن يبني له صرحاً يبلغ به أسباب السموات والأرض ليطلع إلى إله موسى، فإننا نفتري الظن أن الصرح هو بناء مرتفع جداً بين السماء والأرض

ثانيا، نحن نفتري الظن أيضاً أن بناء الصرح يكون بطريقة غاية في الغرابة، وذلك بأن يتم الوقد على الطين أولاً ليتحقق البناء بعد ذلك، ففرعون يطلب من هامان أن يوقد له على الطين أولاً، ليكون الصرح بناءً فوق ذلك:

- **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38) القصص**

نتيجة مفتراة: نحن نفتري الظن أن بناء الصرح يتطلب أولاً أن يوقد له على الطين.

سنحاول بحول الله وتوفيقه أن نتعرض لهذه الجزئية (فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ) في مقالات قادمة.

لذا فالله أسأل أن يأذن لنا بشيء من علمه إنه هو السميع المجيب.

كأن يكون الصرح موقداً تحته، لذا فإن له وهجاً وربما ضوءاً ينبعث من تحته نتيجة ما تم من وقود تحته.

إن صح فهمنا هذا لمفردة الصّرح، فإن الصورة عند المرأة تكون على نحو أن المرأة قد رأت بناء عظيماً، مرتفعا جداً بين السماء والأرض، فحسبته لجة.

اللّجة

فما معنى أن تحسبه لجة؟ وما هي اللجة أصلاً؟
نحن نظن أن اللجة هي المكان الذي تكسوه الظلمة (وإن كان أصلاً متوهجاً أو متقداً بالنار)، قال تعالى

- **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (40) النور**

نحن نظن أن البحر اللجي ربما كان متلألأ من سطوع أشعة الشمس عليه، ولكن عندما يغشاه الموج الذي من فوقه موج الذي من فوقه سحاب، تضيع وهجه ذاك في تلك الظلمات. فالظلمة الناتجة عن هذا المشهد لا تمكّن من يخرج يده من أن يراها، فيصبح في حالة من الفوضى التي يعب معها التمييز بسهوله، فالذين في طغيانهم يعمهون مثلاً هم في لجة:

- **وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (75) المؤمنون**

فمن لجوا في طغيانهم فهم بلا شك في ظلمات لا يستطيعون التمييز، فالطغيان هو حالة من تراكم الأشياء فوق بعضها البعض، ويصبح من يقع في الطغيان في حالة "يَعْمَهُونَ"، وهي تشبه حالة من هو في سكرة:

- **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72) الحجر**

ولكن يجب التنبيه إلا أن هذه الحالة من التخبط لا تكون بسبب الشكل الخارجي وذلك لأن الشكل الخارجي ربما يكون له بريقاً وزينة:

- **إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (4) النمل**

فمن كان في تلك الحالة "يَعْمَهُونَ" فهو – نحن نظن- يرى الأشياء وقد زينت له، ولكنه بكل تأكيد لا يستطيع تميزها، وذلك لأنه في حالة طغيان، وقد تراكمت الأشياء بعضها فوق بعض. فلا ينظر إلا إلى ظاهرها لتسبب له مزيداً من الطغيان الذي هم فيه يعمهون:

- **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15) البقرة**

ولكن الذي يقع في مثل هذه الحالة من عدم التمييز، فلابد له من أحد يأخذ بيده ليريه حقيقة تلك الأشياء وليس فقط ظاهرها الذي يمكن أن يخدع البصر.

نتيجة مفتراة: نحن نفتري الظن أن تلك المرأة قد شاهدت الصرح على أنه بنيان عظيم بين السماء والأرض، وقد تزخرف بطريقة تلفت الأنظار، فأخطأت الظن عندما حسبته لجة، وكان من الصعب عليها تمييز ماهية ذاك الصرح حتى نبهها سليمان إلى أنه ليس أكثر من صرح ممرد من قوارير.

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: يُطلَبُ من المرأة أن تدخل الصرح، وعندما نظرت إليه وجدته بناءا مرتفعا جداً بين السماء والأرض وقد تم الإيقاد من تحته، فتحسبه (أي الصرح نفسه) لجة لأن الوقود كان من تحته، ولكن كان هناك حوله من الظلمة ما يجعله يشبه البحر اللجي عندما يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ونحن نتصور أن المرأة ربما ظنت حينذاك أن ذلك الكينونة (أي الصرح) هو "شيء ما" يشبه الشمس التي كانت وقومها يسجدون لها باستثناء أن " شمس" هؤلاء القوم (أي الصرح: "الآلهة") هو لجة، "أي ليس مضيئ بنفسه بالشكل المعهود عن الشمس التي تعرفها وقومها، ولما كان اعتقادها أن تلك الكينونة (الصرح) هو إله يشبه إلهها وقومها الذي كانوا يسجدون له، ما كان من تلك المرأة حينئذ إلا أن قامت فعلاً بفعل الكشف عن ساقيها لتخر له ساجدة لهذا الإله الجديد، ربما ظانةً أن هذا هو نفسه إله سليمان (الذي يشبه الإله الذي كانت وقومها يسجدون له من دون الله)، وهنا فقط يخرج سليمان بنفسه عليها، لينّبهها إلى أنها مخطئة في ظنها وأن هذا الصرح ليس بإله، ولا يجوز السجود له، وأنه ليس بأكثر من صرح ممرد من قوارير، فيأتي الفعل هنا بصيغة المعلوم (**قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ**). فكيف كان الصرح ممردا؟

ممرد

ما معنى أن يكون هذا الصرح ممرد؟ وكيف يكون صرحاً ممردا؟

أولاً نحن نظن أن في المرود علو، أي ارتفاعاً إلى الأعلى، وربما يدعم مثل هذا الظن وجود نوع من الشياطين هو الشيطان المارد الذي يحاول أن يسترق السمع من الأعلى:

- **رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (5) إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (6) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (7) لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (8) دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (9) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (10) الصافات**

ثانياً، نحن نظن أن المرود فيه القدرة على الخفاء، فعندما يكون هناك شيطان مارد، فمن الصعب رؤيته على حقيقته، وكذلك أولئك النفر الذين مردوا على النفاق:

- **وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (101) التوبة**

فهناك في هذه الآية – حسب فهمنا لها- نوعان من المنافقين:

⇐ **وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ**

⇐ **وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ**

ولو دققنا النظر جيداً في الذين مردوا على النفاق من أهل المدينة لوجدنا أنه من الصعب معرفتهم، والله وحده هو من يعلمهم، وربما السبب في ذلك هو وجود عنصر الإتقان في نفاقهم

ثالثاً، نحن نظن أن المرود فيه إتقان عظيم، فمن مرد على النفاق فهو قد أتقن النفاق إلى درجة أن النبي نفسه لا يعلمهم (لَا تَعْلَمُهُمْ)، وأن الله وجنده هو من يعلمهم (نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ)

رابعاً، نحن نفهم أن المرود فيه شيء من النار، فالشياطين منهم المارد، ونحن نعلم أن الشياطين هم أصلا من الجن الذين خلقوا أصلاً من نار، كما أن مآل المنافقين الذين مردوا على النفاق هو العذاب لعظيم.

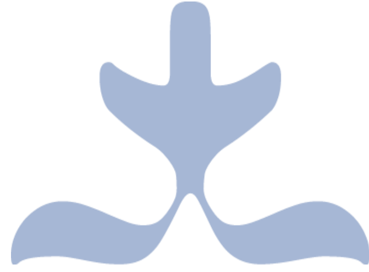
سؤال: ما علاقة هذا كله بالصرح؟

رأينا: لقد كان الصرح مرتفعاً في مكانه، فهو كما ذكرنا بناء بين السماء والأرض طلبه فرعون ليبلغ أسباب السنوات والأرض فيطلع إلى إله موسى، وهو بالضبط ما يفعل الشيطان المارد عندما يحاول الاستماع إلى الملأ الأعلى. والصرح فيه شيء من الخفاء، فلا يستطيع الناظر إليه أن يدرك كنه على الفور، فعنصر الإتقان والتخفي موجود فعلاً فيه، فالمرأة لم تدرك كنهه لحظة أن رأته حتى حسبته لجة. والصرح أيضاً فيه جانب من النار، ففرعون كان قد طلب من هامان أن يوقد له على الطين ليجعل له صرحاً بعد ذلك، لذا ربما ظنت المرأة أنه لجة. ولا يجب أن ننسى أن الله قد سخر لسليمان الشياطين من قبل، فكان منهم كل بناء وغواص.

- **فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (37) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (38)ص**

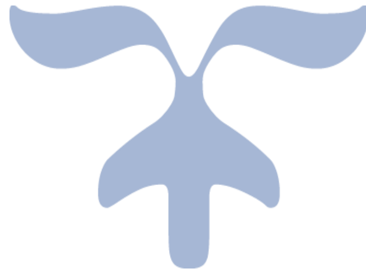
لذا ربما يحق لنا أن نفتري الظن بأن ذلك الصرح كان مما بناه الشياطين لسليمان.

هذا جزء من روايتنا لقصة كشف المرأة عن ساقيها، ونترك للقارئ الكريم أن يقارن بين ما افترينا نحن من القول وما قال من سبقنا من أهل الدراية والرواية، وللقارئ الكريم الحق (كل الحق) أن يصدّق ما يرى الدليل عليه وافراً في كتاب الله، وأن يكذّب ما يرى أنه ليس أكثر من إتباع للظن والهوى، وقصص وأساطير من سبقنا من الأمم الذين ما انفكوا يوماً عن تحريف الكلم من بعد مواضعه، والأهم من ذلك كله أننا ندعو الله أن يأذن لنا على الدوام بشيء من علمه، كما ندعوه مخلصين له الدين أن يبعث في هذه الأمة من أبنائها من يأذن الله له بشي من علمه ليهّذب معرفتنا جميعاً بالدليل من كتاب الله، سواء كان ذلك بإثبات ما نزعم أو لنفيه، هذا والله أعلم.



مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ

الباب الحادي عشر الريح



الباب الحادي عشر: الـريـح

حاولنا في الجزء السابق تقديم فهمنا لجزئية تخص سبب كشف المرأة عن ساقيها عندما رأت الصرح وحسبته لجة كما تصوّرها الآية الكريمة التالية:

- **قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44) النمل**

فزعمنا الظن أن المرأة كشفت عن ساقيها لأنها أرادت أن تسجد لذلك الصرح عندما رأته وحسبته لجة، ظانّة أن ذلك الصرح هو إله يستحق السجود له كما كانت تفعل وقومها يوم كانوا يسجدون للشمس من دون الله، وربطنا مسألة الكشف عن الساق بالسجود متعلّلين بالسبب نفسه الذي اقترن من أجله الفعلان ببعضهما البعض في قوله تعالى:

- **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42) القلم**

وافترينا القول إن فعل الكشف عن الساق ما هو إلا مقدّمة لازمة للقيام بفعل السجود، فزعمنا القول إن السجود لا يتم إلا بالكشف عن الساق، وذلك ليتم النزول بكامل الساقين إلى الأرض في عملية السجود. وحاولنا تسويق المنطق المزعوم التالي: كانت تلك المرأة (وقومها بالطبع) يسجدون للشمس قبل أن يقدموا إلى سليمان، وعندما جاءت تلك المرأة ورأت الصرح (الذي ظننا أنه بناء عظيم جداً بين السماء والأرض – انظر الجزء السابق من هذه المقالة) حسبته لجة، ظانة أنه إله يستحق السجود له، كما كانت تفعل وقومها عندما كانوا يسجدون للشمس من ذي قبل، فما كان منها إلا أن تقوم بفعل الكشف عن الساق (وليس كشف الساق نفسه)، وقد حاولنا التمييز بين أن تكشف المرأة عن ساقها كما فعلت هذه المرأة وأن تكشف المرأة ساقها (كما تخيل أهل الدراية والرواية). وكان هذا هو السبب الذي أخرج سليمان بنفسه إليها ليخبرها بنفسه أن ذلك الشيء الذي همت بالسجود له عندما كشفت عن ساقيها ليس إلاّ صرح ممرد من قوارير لا يجوز السجود له بأي حال من الأحوال، عندها شعرت المرأة بالظلم الذي كانت ترتكبه بحق نفسها قبل هذه اللحظة عندما كانت تسجد للشمس من دون الله، فما كان منها إلا أن اعترفت بخطئها، فكفّرت عنه بأن أسلمت مع سليمان لله رب العالمين، فتركت ما كانت تعبد وقومها من دون الله إلى غير رجعة:

- **... قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44) النمل**

وحاولنا تسويق منطقنا هذا بعقد مقارنة بين الصورة الذهنية التي ترسمها هذه الآية الكريمة التي تتحدث عن كشف المرأة عن ساقيها عندما حسبته لجّة:

- **قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44) النمل**

والآية الكريمة التي تتحدث عن البحر اللجّي:

- أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (40) النور

فحاولنا تسويق ظننا المفترى بأن البحر اللجي هو البحر الذي يكون قد أوقد تحته، ولكنه مع ذلك لا يشتعل بفعل النار الموقدة تحته، كما أن ماءه لا تستطيع أن تطفئ النار المشتعلة تحته، فلا ماء البحر قادر على إطفاء النار الموقدة تحته، ولا النار قادرة على إشعال الماء الذي فوقها. وعندما يغطّي هذا البحر بالموج الذي من فوقه موج الذي من فوقه سحاب، فإن الظلمة تصبح محيطة به بالرغم من النار التي توقد تحته، وهذا في ظننا ما كان فرعون قد طلبه من هامان، وهو أن يوقد له على الطين فيجعل له صرحاً:

- وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (36) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (37) غافر
- وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38) القصص

فكان صرح سليمان – في مخيلتنا- هو عبارة عن بناء عظيم بين السماء والأرض وقد أوقد تحته، يخطف أبصار الناظرين إليه (**فَلَمَّا رَأَتْهُ**) فلا يستطيعون إدراك حقيقته بمجرد رؤيته (**حَسِبَتْهُ لُجَّةً**)، وكان هذا في ظننا ما جعل المرأة تحسب أن الصرح الذي رأته بأم عينها هو لجّة، فقامت بفعل الكشف عن الساق لتسجد له (**وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا**)

أما في هذا فسنتابع الحديث عن القضية التي أشرنا إليها سابقاً وهي قضية الهداية (لنربط ذلك بكشف المرأة عن ساقيها، لنفتري الظن بأن كشف المرأة عن ساقيها كان سبباً رئيسياً في هدايتها. لأننا نظن أن كشف الساق في عملية السجود هو سبب جوهري للهداية، فالآيات الكريمة التالية تصور لنا أن الذين لم يكونوا على عادة الكشف عن الساق وهم سالمون في الدنيا لن يستطيعوا القيام بذلك عندما يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود في الآخرة، فلنتدبر السياق القرآني التالي من هذا الجانب:

- أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35)
- مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36)
- أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (37)
- إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (38)
- أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (39)
- سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ (40)
- أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (41)

- يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42)
- خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (43)
- فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (44)
- وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (45) القلم

فالآيات الكريمة تؤكد استحالة الاستواء (أي التقابل التطابقي) بين المسلمين من جهة والمجرمين من جهة أخرى (**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**)، ولا شك عندنا أن المسلم هو الذي لا يتخذ مع الله شريكا، ولكن المجرم هو من اتخذ مع الله شركاء (**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**)، وستكون تلك دعوة تحدي يوم القيامة لهؤلاء أن يثبتوا صدقهم، لأن في ذلك اليوم لن ينفع الناس الأموال والبنون التي كانت تنفعهم في الدنيا. فلنتدبر التقابل في الآيتين الكريمتين التاليتين:

- ... آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (11) النساء
- وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89) الشعراء

ولكن - لا شك- سينفعهم صدقهم:

- قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119) المائدة

وفي تلك اللحظة سيتم الكشف عن الساق والدعوة للسجود:

- يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42) القلم

ولكن الذين لا يستطيعون السجود تبقى أبصارهم خاشعة (ناظرة إلى مكان السجود الذي انكشف لهم)، وترهقهم الذلة لعدم قدرتهم على النزول بالساق للسجود:

- خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (43) القلم

ويكون السبب هو عدم تلبيتهم دعوة السجود عندما كانوا سالمين.

نتيجة مفتراة خطيرة جداً: نحن نعتقد أن من كان ظنه على الدوام أن هناك إله يستحق أن تكشف عن ساقك لتسجد له، فإن ذلك سيكون سبباً كافياً له ليصل إلى طريق الهداية، ولكن الذي لم يكن يكشف عن ساقه لظنٍ عنده أنه لا يوجد هناك إله يستحق أن يكشف عن ساق ليسجد له، فلن يصل إلى الهداية أبدا.

والمهم في أمر من كان يكشف عن ساق ويظن أن هناك إله يستحق أن يسجد له (بغض النظر عن ماهية ذلك الإله) هو أن يكون صادقاً في فعلته تلك. فمن أسلم لربه وكشف عن

ساقه ليسجد له صادقاً فإنه - في ظننا - لن يحرم القدرة على السجود يوم يكشف عن ساق، ويدعى إلى السجود. ولكن ما علاقة هذا كله بقضية هداية هذه المرأة التي جاءت سليمان؟
رأينا: لمّا كانت هذه المرأة تظن أن هناك رباً (بالرغم من امتلاكها لعرش عظيم وبالرغم من امتلاكها لقومها) يستحق أن تكشف عن ساقيها لتسجد له، لم تتردد أن تكشف عن ساقها لتسجد للصرح عندما رأته وحسبته لجة، ولم تتردد أن تكشف عن ساقيها لتسجد لرب سليمان عندما انكشف لها زيف تلك الآلهة الكثيرة من دون الله. فقبل أن تقدم إلى سليمان كان ظنها يتمثل في أن الشمس هي ذلك الرب الذي يستحق السجود له، فسجدت له صادقة في عبادتها. وعندما جاءت سليمان ورأت الصرح وظنت أن هذا أيضاً هو إله، كشفت عن ساقيها صادقة لتسجد لها، وعندما تبين لها أن هناك رباً أكبر من كل هذه الآلهة المزيفة، أسلمت مع سليمان له.

نتيجة مفتراة: نحن نفتري الظن أن تلك المرأة كانت على الدوام باحثة عن ربها الحقيقي كما كان يفعل إبراهيم مثلاً عندما كان يقلب وجهه في السماء. فعندما رأى كوكباً ظن أنه ربه، وعندما رأى القمر ظن أنه ربه، وعندما رأى الشمس ظن أنها ربه، وعندما تبين له أن هذه جميعها ليست آلهة تستحق العبادة، وجّه وجهه لله حنيفاً لا يشرك به شيئاً:

- **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79) الأنعام**

نتيجة مهمة جداً: إن ما هو مطلوب من الإنسان أين ما تواجد على هذه المعمورة أن ينطلق بفطرته مخلصاً عبادته للرب الذي يظن أنه إله، ويبقى على الدوام باحثاً عن تلك الحقيقة، فلا يوقفه ممارسات من حوله عن تقبل الحقيقة أين ما وجدت.

ولو تدبرنا خطاب الهدهد لسليمان عن تلك المرأة لوجدنا أنه يلخص مشكلتهم الكبرى بسجودهم لرب غير الله:

- **إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ (26) النمل**

لذ، أظن أن هدف سليمان الرئيس من دعوة تلك المرأة للقدوم إليه مع قومها مسلمين هو "حنقه" و"غضبه" أن يسمع أنهم يقومون بفعل السجود لغير الله، فنحن نزعم الظن أن سليمان قد طلب أن تأتيه تلك المرأة وقومها مسلمين، ليعلّمهم أولاً وقبل كل قبل شيء أن السجود لا يكون إلا لله، وكان ذلك في ظننا هو السبب الذي من أجله أدخلها سليمان في اختبارات متتالية لينظر أتهتدي أم تكون من اللذين لا يهتدون.

فأنا لا أحمل العقيدة التي مفادها أن سليمان كان قد طلبها لما ورده عن جمالها (باستثناء ساقيها اللذان كانا يكسوهما الهلب العظيم واللذان كانا يشبهان مؤخر أقدام الدابة كما تناقل بعض أهل الرواية عن أهل الدراية)، أو لأنه كان راغباً في الزواج منها، وذلك على الأقل لسببين:

⇐ أظن أن هدف سليمان كان أعظم بكثير من المصلحة الشخصية، فسليمان خرج بجنده من الجن والإنس والطير لينشر دين الله

⇐ كان عند سليمان ما يكفيه من النساء، فقد عرض على سليمان ما يكفيه من الصافنات الجياد، وكان يستطيع الاختيار كما يشاء، والله قد منّ عليه بأن يمنن أو يمسك بغير حساب:

- **هَـٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39) ص**

هذا من جانب سليمان، أما بالنسبة للمرأة نفسها فإننا نعتقد أن السبب الذي دعاها أن تسلم مع سليمان لله رب العالمين كان - في ظننا- هو صدق فعلتها، فهي كانت تسجد للشمس صادقة لأنها كانت فعلاً تعتقد أن هناك رباً يسحق أن يكشف عن الساق ليسجد له، وكانت تفعل ذلك مع الشمس ظانة بأن الشمس هو ذلك الإله المنشود، وما أن رأت الصرح وحسبته لجة حتى كشفت عن ساقيها لتهمّ بالسجود له ظانة أنه ذلك هو الإله المنشود، ولكن عندما نبّهها سليمان إلى أن مثل هذه الكينونات لا يمكن أن تكون آلهة تستحق أن يكشف عن الساق ليسجد لها، ما كان من المرأة إلا أن تعترف بالظلم الذي كانت ترتكبه بحق نفسها فتسلم صادقة لله رب العالمين.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أن ما أقلق سليمان فعلاً هو خبر أن هذه المرأة وقومها كانوا يسجدون للشمس من دون الله كما نُقِل له الخبرُ على لسان الهدهد، فكانت ردة فعل سليمان الأولى على قول الهدهد التالي:

- **قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) النمل**

وما لبث أن بعث بالهدهد (الذي جاءه بالنبأ) نفسه حاملاً كتابه إليهم بأن يأتوه مسلمين:

- **اذْهَبْ بِكِتَابِي هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) النمل**

ولما كان ما افتتح سليمان به كتابه إلى هذه المرأة وقومها هو "**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ**"، جاءت المرأة إلى سليمان – لا شك عندنا- وهي تعلم أن لهذا الرجل (أي سليمان) إلهاً غير الإله الذي تعبده وقومها. ولما كانت دعوة سليمان تتلخص بأن يأتوه مسلمين (أي لا يسجدون لأحد دون الله) ربما ظنت المرأة أن ذلك الصرح الذي رأته وحسبته لجة هو إله سليمان، فكشفت على الفور عن ساقيها كردة فعلها الأولى لتسجد له، ولكن سليمان لم

يعطها الفرصة لتقوم بفعل السجود لحظة أن راءها تكشفت عن ساقيها، فأخبرها بحقيقة ذلك الصرح بأنه مجرد صرح ممرد من قوارير.

إن ما يهمنا في هذا الطرح هنا هو التأكيد على الفكرة التي نحاول جاهدين إبرازها وهي أن المرأة كانت صادقة في بحثها عن رب لها لتكشف عن ساقيها وتسجد له، لذا لمّا أدركت أن إلهها (الشمس) الذي كانت تسجد له لا يستحق أن يكون إله يكشف عن الساق ليتم السجود له، ولما أدركت كذلك أن هناك إلهاً أعظم من كل هذه الكينونات الزائفة، لم تتردد أن تتقبل الأمر لتترك وراءها إرثاً كبيراً حملته زمناً طويلاً على أكتافها. فكانت بذلك من الذين يهتدون.

لاحظ - عزيزي القارئ- أننا نفتري الظن من وراء هذا الطرح أن المرأة لم تأت سليمان وهي تظن باستحالة أن يكون دين آباءها وأجدادها ديناً خاطئاً، أو أن عقيدتهم يستحيل أن يكون قد شابها التحريف، ولكننا نظن أنها وإن كانت صادقة في عبادتها، إلا إنها كانت دائمة التفكر فيها، فهي لم تكن عبارة عن شخص يقلد ما وجد عليه آباءه من دين وعقيدة. لأن من كان هذا ديدنه، ومن كانت هذه عقيدته، فهو ليس أكثر من مقلد متبع لا يمكن له أن يكون من المهتدين. فنحن لسنا من المدافعين عن العقيدة لا لشيء وإنما لأنها دين آبائنا وأجدادنا، بل نحن ممن لديهم القابلية على تقبل الحقيقة حيثما وجدت بغض النظر عن من يملكها، وإن كانت مخالفة لما ألفينا عليه آباءنا وأجدادنا.

لذا، فإننا ندعو الناس كافة إلى البحث عن دين الله بغض النظر عن العقيدة التي ورثوها عن آباءهم وأجدادهم، فليكن دافع الإنسان على الدوام هو البحث عن دين الله الحق، وليس فقط الإكثار من العبادة التي ألف عليها آباءه وأجداده لأنه بذلك لن يكون له الفضل في شيء. فأنت عندما تولد في قوم، فإنك – لا شك- تتبع عقيدتهم، والناس في القوم الواحد لا يختلفون في العقيدة بقدر ما يتفاوتون في كمية تطبيقهم لتلك العقيدة، فالمتدين في بلاد المسلمين مثلاً هو من يؤدي الشعائر التي ألفها عن آباءه وأجداده بنسبة أكبر ممن يسمونه بغير المتديّن، ولكنهم جميعاً (المتدين وغير المتدين) في النهاية أصحاب عقيدة واحدة، وهكذا الحال بالنسبة لكل المجتمعات أصحاب العقائد المختلفة.

رأينا: إن الذي يشاء الهداية ليس من كان هدفه الإكثار من تطبيق العقيدة التي ورثها عن آباءه وأجداده، ولكن المهتدي – في رأينا- هو من كان لديه الاستعداد لتقبل الحقيقة مهما تعارضت مع الحالة التي اكتسبها بالوراثة، فهذا إبراهيم لم يتردد أن يتخلى عن ذلك الكوكب أو عن الشمس أو عن القمر عندما اكتشف أنهم لا يصلحوا أن يكونوا آلهة:

- **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) الأنعام**

ولم يتردد أن يتخلى عن أبيه نفسه عندما تبين له أنه عدو لله:

- **... فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (114) التوبة**

وهذا موسى يصبح العدو الأول والأكبر لفرعون عندما علم أن فرعون عدو لله بالرغم أنه تربى في بيته، وهكذا هي سير الصالحين جميعاً. إنهم القوم الذين ثاروا على العقائد البالية عندما علموا أنها عقائد محرّفة ملوّثة بالخرافات والأساطير التي لا تسمن ولا تغني من جوع. ونحن نظن أن تلك المرأة كانت من هذا النوع، الذي لا شك يبحث عن الهداية، وبكلمات أكثر دقة إنها كانت ممن "يشاءون الهداية"، وهذا ما نفتري الظن أنه من معاني عبارة "يَهْدِي مَن يَشَاءُ" التي ترد في سياقات قرآنية متنوعة:

- سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (142) البقرة
- كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (213) البقرة
- لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (272)البقرة
- وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (25) يونس
- وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (4) إبراهيم
- وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (93) النحل
- لَّقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (46) النور
- إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56) القصص
- أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (8) فاطر
- وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (31) المدثر

نتيجة: نحن نعتقد جازمين أن الله ما كان ليمنع من شاء الهداية من الوصول إليها.

(دعاء: أسأل الله من له الأسماء الحسنى أن يهديني إلى دينه الحق، فإني أبرأ إلى الله من أن أكون متبعاً فقط لما ألفيت عليه آبائي)

مثال

سنحاول أن نقدم فيما تبقى من هذا الجزء من المقالة مثالاً من قصة سليمان نفسها لنبين من خلاله أن ما ألفينا عليه آباءنا من عقائد ربما لا تصح على الدوام، لذا نحن نؤمن بضرورة أن نراجع عقيدتنا في كل لحظة لنتحقق من صحة ما نقوم به من شعائر وعبادات، ولنتأكد أنها صحيحة لم يعتريها التحريف من قبل من جعلوا الدين سلعة تباع وتشترى، ولنتأكد بأن العقيدة لم تكتنفها الأساطير والأكاذيب مهما كان مصدرها، لنبقى نعبد ربنا بالطريقة التي يرضاها لنكون من المخلصين من عباده. والمثال الذي نقدمه هنا هو ما جاء في كتاب الله عن قصة سليمان نفسه في الآية الكريمة التالية:

- **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) سبأ**

لنطرح السؤال التالي: كيف كانت تجري الريح لسليمان غدوها شهر ورواحها شهر؟ فما هي المسافة التي ربما تقطعها الريح في مسيرة شهر ذهاباً وشهر آخر إياباً خصوصاً إذا ما حاولنا أن نربط ذلك بما جاء عن قصة ريح سليمان نفسها في الآية الكريمة التالية؟

- **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81) الأنبياء**

فنحن نزعم الفهم أن غاية الريح كانت الأرض التي باركنا فيها كما يتضح عندنا من منطوق الآية الصريح (**إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**)، فهل يا ترى تحتاج الريح لشهر من الزمن لتصل إلى ذلك المكان ولتعود منه في شهر آخر؟ وأين هو أصلاً موطن سليمان الذي كانت الريح تنطلق منه؟

منطقنا المحرّف

إذا كانت الريح تجري عاصفة بأمر سليمان إلى الأرض التي باركنا فيها (أي الأرض المقدسة)،

- فهل تحتاج تلك المسافة المقطوعة من الريح مسيرة شهر من الزمن ذهاباً والعودة من هناك في شهر آخر؟

- ثم، ما هي سرعة تلك الريح التي يمكن أن تبقى شهراً كاملاً لتصل إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين؟

- وأين كان موطن سليمان إذن؟ ألم يكن يسكن الأرض المقدسة أصلاً؟

- أليست الأرض التي باركنا فيها للعالمين هي الأرض التي نجّى الله إبراهيم ولوطاً إليها:

- **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72) الأنبياء**

- هل تحتاج الريح لشهر من الزمن لتصل تلك الأرض ولتعود منها في شهر آخر؟
- وما معنى مفردة الريح أصلاً؟
- وما الفرق بين مفردة الريح التي ترد في بعض السياقات القرآنية ومفردة الرياح التي ترد في سياقات قرآنية أخرى؟
- وكيف تجمع مفردة الريح؟ هل تجمع على ريح نفسها أم على رياح؟
- وما الفرق؟
- الخ.

رأينا: نحن نظن أن ما جاء في أمهات كتب التفسير حول ما تثيره هذه التساؤلات هو برأينا أبعد ما يكون عن الحقيقة، فالريح التي تسير مسافة شهر ذهاباً وآخر إياباً ربما تلف الكرة الأرضية بأكملها وليس فقط إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين، الأمر الذي دفعنا إلى الاعتقاد بضرورة النبش من جديد في هذه القضية، لنخرج بافتراءات من عند أنفسنا (نحن) نظن أنها غير مسبوقة، ولكن قبل طرحها نجد لزاماً تنبيه من ظن بأن عقيدة آباءه وأجداده يستحيل أن يأتيها الباطل وهي صحيحة على إطلاقها بأن متابعة القراءة بعد هذا الفقرة فيه خطر شديد، لربما يفضي إلى ما قد لا يحمد عقباه، لذا ننصحه بداية أن يطرح هذا الملف بأكمله في سلة المهملات recycle bin على جهازه، ولا يكلف نفسه عناء المشقّة، ليبقى ينام قرير العين، مرتاحاً لعقيدة ورثها عن آباءه قروناً من الزمن، ستنتهي به في نهاية المطاف – حسب ظنه- في جنات الخلود بغض النظر عن كل أفعاله وتصرفاته.

أما من كان يظن بأنه لازال هناك مجال للاجتهاد، وأنه من الاستحالة بمكان أن يكون جيل من البشر قد أحاط بكل ما في كتاب الله، وأن هذا الكتاب العظيم فيه من العلم ما يعجز البشرية بأكملها حتى ولو اجتمعت عليه، فهو مدعو لمتابعة القراءة، كما نرجوه أن لا يبخل علينا بطرح التساؤلات التي ربما لا يجيب عليها (عن قصد أو عن غير قصد) طرحنا هذا، لأن عقيدتنا تتلخص بأن الطرح السليم هو الذي يجيب على كل التساؤلات. كما يجب علينا لفت الانتباه إلى أننا نطلب النصيحة لأننا نعتقد جازمين أننا سنتجرأ على افتراءات كبيرة (وكبيرة جداً) ربما تمس جوهر الشعائر الدينية التي نقوم بها.

(والله أسأل أن يأذن لنا بشيء من علمه لا ينبغي لغيرنا، إنه هو السميع المجيب، وأسأله بأسمائه الحسنى كلها أن يعلمنا من لدنه علماً فلا نفتري عليه الكذب وأن يعلمنا فلا نقول عليه إلا الحق، إنه هو السميع المجيب).

أما بعد
المفردات قيد البحث

الريح

جاء الحديث عن الريح التي سخرها الله لسليمان في السياقات القرآنية التالية:

- **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81) الأنبياء**
- **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) سبأ**
- **فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36) ص**

فوردت جميعها بلفظة "الريح"، ولم تأت بلفظة الرياح مثلاً بالرغم من وصول الخبر إلينا بأن المفردتين (الريح والرياح) تشيران في معظم أقوال أهل الدراية إلى الكينونة نفسها، الأمر الذي دفعنا إلى طرح السؤال التالي: ما الفرق بين مفردة "الريح" ومفردة "الرياح" كما تصورها السياقات القرآنية نفسها؟

رأينا: عندما كنّا نطرح مثل هذا السؤال على طلبة الدراسات العليا في مساقات تحليل الخطاب، كان الكثيرون يسارعون بالجواب الذي نقله أهل الرواية عن بعض أهل الدراية، والذي مفاده (كما قاله أحدهم) أن مفردة الريح تدل على الشدة بينما تدل مفردة الرياح على الرخاء. لكن الذي كان يثير الاستهجان لديّ على الدوام هو أن طلاب العلم كانوا ينقلون مثل هذه الآراء ويكأنها قطعيّة، يصعب المجادلة فيها، فهم يظنون أنه مادام أن شيخهم قد قالها فلابد أن كلامه صحيحاً (Napoleon is always right). فلو شاع ما قاله رشيد الجراح عن الفرق بين العام والسنة في مقالة "كم لبث نوح في قومه؟" مثلاً، لأصبح رأيه – عند من يظنون أن رأي الرجل صحيحاً- ويكأنه كلام لا يأتيه الباطل، ولما اشتغل في القضية أهل العلم أكثر مما فعل هذا المخرّص (أعني رشيد الجراح)، ولأصبحوا مرددين لذاك القول على علاته دون مزيداً من التهذيب بعرضه على علم الكتاب. أما أنا (رشيد الجراح نفسه) فما انفككت يوماً عن الظن اليقيني بأن هذا من البلاء الذي أوقع الأمة في ركود فكري قروناً طويلة من الزمن.

إن ما يهمني قوله هنا هو أنه مهما عظم رأي الشخص فهو في نهاية المطاف رأي لا يخرج عن مجال احتمالية ورود الخطأ فيه أو (على الأقل) أن يبقى قولاً يعتريه النقص، لذا لابد للأمة أن تبقي طلاب العلم منشغلين على الدوام بالقضايا كلها حتى تلك التي يظنون أنها لا شك صحيحة، فأنت لا تدري من يأذن الله له بشيء من علمه ربما يغير ما ساد من فكر قروناً من الزمن، وسنطرح في هذه الجزئية كيف يمكننا أن نلقي بظلال الشك على ما شاع بين الناس قروناً من الزمن حول الفرق بين مفردتي الريح من جهة والرياح من جهة أخرى.

أما بعد،

الرأي السائد: قال فقيههم أن مفردة الرياح تدل على الخير بينما تدل مفردة الريح على الشدة والصعوبة وربما العذاب، وقد استنبطوا ذلك من قوله تعالى:

- وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦحَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (57) الأعراف

مقابل ما جاء في قوله تعالى:

- فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِۦرِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (24) الأحقاف

تفنيد هذا الرأي: ربما نستطيع بحول الله وتوفيقه أن نلقي بظلال الشك على هذا الرأي السائد بكل يسر وسهوله عندما نطرح طرح التساؤل التالي: إذا كان شيخهم قد ظن أن الريح (مثلاً) تعني الشدة كما ترد في السياقات القرآنية العديدة التالية:

- مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (117) آل عمران
- وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَاصْبِرُواۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46) الأنفال
- هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) يونس
- مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (18) إبراهيم
- أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (69) الإسراء
- حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (31) الحج
- وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (51) الروم
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (9) الأحزاب
- فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ (16) فصلت
- فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (24) الأحقاف

- وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (41) الذاريات
- إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (19) القمر
- وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) الحاقة

ألم يتنبّه شيخهم إلى ما جاء في قوله تعالى عن مفردة الريح نفسها في الآية الكريمة التالية:

- إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (33) الشورى

ألم ينتبه شيخهم إلى الآية الكريمة التالية التي تصف الريح أحياناً بالشدة وأحياناً أخرى بالطيبة:

- **هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) يونس**

وإذا كان شيخهم ربما غفل (عن قصد أو عن غير قصد) عن هذه السياقات القرآنية الذي قد لا يظهر فيها الشدة والعذاب جليّا، ألم يفطن أهل الرواية من بعده إلى ما جاء في كتاب الله عن ريح يوسف التي جاءت يعقوب؟

- **وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ (94) يوسف**

السؤال: هل كانت ريح يوسف – يا سادة- التي شعر بها يعقوب لحظة أن فصلت العير تحمل في معانيها العقاب والعذاب؟ هل وقع على يعقوب (أو ربما على قومه) العذاب بسبب ريح يوسف؟ فأين يا ترى معنى العذاب أو العقوبة في "**رِيحَ يُوسُفَ**"؟

رأينا: كلا وألف كلا، فريح يوسف هي ريح فيها الخير والبركة، فهي التي حملت البشرى ليعقوب بانتهاء سنين حزنه "وعذابه" على فراق ولده. فمفردة الريح هنا – على عكس ما قاله شيخهم تماماً- تدل على وجود الرحمة والخير والبركة. والقرآن نفسه يبين لنا بما لا يدع مجالاً للتأويل بأن هناك ريح طيبة وهناك ريح عاصفة (**وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ**). إذن لابد – نحن نستطرد القول- من إعادة النظر في الملف بأكمله من جديد، لأنه من الاستحالة بمكان أن يصمد رأي شيخهم ذاك أمام الآية الكريمة التي تتحدث عن **رِيحَ يُوسُفَ** وأمام الآية التي تصف الريح بالطيبة.

الرياح

هذا ما يخص مفردة الريح، فماذا عن الرياح التي ظن شيخهم أنها تحمل في ثناياها الخير والبشرى على الدوام؟ فهل تعني مفردة الرياح وجود الرحمة على الدوام كما تصور ذلك الآيات القرآنية التالية؟

- **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164) البقرة**

- وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (57) الأعراف
- وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22) الحجر
- وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (48) الفرقان
- أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63) النمل
- وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (46) الروم
- اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (48)الروم
- وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ (9) فاطر
- وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (5) الجاثية

تفنيد الرأي السائد: يمكننا أيضاً إلقاء ظلال الشك على قول شيخهم ذاك بكل يسر وسهوله بحول الله وتوفيقه بعرض السياق القرآني التالي على الناس لنترك لهم الفصل في القول:

- وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (45) الكهف

فهل يا ترى يمكن أن يصمد رأي شيخهم ذاك أمام الحقيقة الساطعة التي تصورها هذه الآية الكريمة؟

رأينا: كلا وألف كلا. إذن لابد – نحن نستطرد القول- من فتح الملف بأكمله مرة أخرى، لأنه من الاستحالة بمكان أن يصمد رأي شيخهم ذاك أمام هذه الآية الكريمة.

افتراء من عند أنفسنا: يبدو لنا أن شيخهم قد حسم الفرق بين مفردة الريح والرياح بناء على النتيجة التي تنبعث عن كل واحدة منها، فلقد ظن أن نتيجة أحدهما العذاب "الريح" بينما نتيجة الأخرى الرحمة (الرياح)، أما نحن، فنعتقد جازمين أن الفرق بين الريح من جهة والرياح من جهة أخرى لا علاقة له بالنتيجة (كما ظن شيخهم) لأننا نظن أن هناك سياقات قرآنية تدل على أن نتيجة الريح هي العذاب، ولكن – بالمقابل- هناك سياقات قرآنية واضحة تماماً كـ (**إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ**) و كـ (**وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ**) تدل على أن نتيجة الريح نفسها هي الرحمة وليس العقاب أو العذاب (على عكس ما ظن أهل الدراية ونقل عنهم أهل الرواية). والعكس صحيح بالنسبة لمفردة الرياح، فهناك سياقات قرآنية كثيرة تدل على أنها

تحمل في ثناياها الخير بالبشرى بالمطر، ولكن هناك – بالمقابل - سياق قرآني واحد على الأقل يدل على أنها جاءت في سياق حصول العذاب (**فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ**).

فما الفرق بين الريـح والرياح إذاً؟ الرأي الجديد الذي نطرحه

افتراء من عند أنفسنا: نحن نعتقد جازمين أن الفرق بين الريح من جهة والرياح من جهة أخرى يعود إلى الأصل وليس إلى النتيجة. ولكن كيف؟

أولاً، لنتدبر السياق القرآني التالي:

- **فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** (24) الأحقاف

لو أمعنا التفكر في هذا السياق القرآني ربما لا نختلف كثيراً في أن هذا السياق القرآني يصور لنا الفرق بين ظن القوم الذين سيقع عليهم العذاب من جهة وحقيقة ذلك الشيء الذي يرونه بأم أعينهم من جهة أخرى، أليس كذلك؟ فالقوم قد ظنوا أنه عارض ممطرهم فقط (**قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا**)، ولكن تبين لهم فيما بعد أنها ريح فيها عذاب أليم (**بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**).

نتيجة1: هناك تعارض بين ما ظنه القوم وحقيقة الشيء الذي يرونه بأم أعينهم.

ولو تدبرنا طبيعة ردهم أكثر، لربما حق لنا أن نظن أن العارض الممطرهم (الذي ظنوه) هو ما يشبه الرياح وليس الريح، فمعظم سياقات القرآن الكريم التي وردت فيها مفردة "الرياح" تصورها على أنها تحمل في ثناياها بشرى المطر، ولكن الدقة تستدعي القول إنهم لم يذكروا أنها رياح بصريح اللفظ، ولكنهم ذكروا أنها "عارض ممطرهم"، لنستنتج مفترين القول إنهم لم يكونوا جازمين أمرهم أنها رياح ولكنها – حسب ظنهم- حاملة لهم البشرى بالمطر بكل تأكيد:

- **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** (57) الأعراف
- **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ** (22) الحجر
- **وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا** (48) الفرقان
- **أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** (63) النمل
- **وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (46) الروم

فهذا هو ظنهم: إنه عارض ممطرهم، ولو كانت مفردة الرياح تعني البشرى بالمطر لربما نعت القوم ذلك الشيء القادم إليهم بأنها رياح بصريح اللفظ.

لكن في المقابل يكذّب الله ظنهم ذاك، ليصحح المعلومة المغلوطة عندهم بقوله تعالى (**بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**)، لنجد أنه في حين أن ظنهم كان أن ذلك الشيء الذي يرونه بأم أعينهم هو عارض ممطرهم (أي ما يشبه الرياح التي تحمل في ثناياها بشرى المطر) تبين لهم فيما بعد الحقيقة التي يثبتها الله وهي أن ذلك الشيء هو في حقيقته ريح (**رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**)، فالتقابل هو بين ما يشبه الرياح (كما يظنون هم) والريح (كما هي فعلاً)، أليس كذلك؟

ثانياً، نحن نظن كذلك أنه لو صح قول شيخهم أن مفردة الريح تحمل في ثناياها معنى العذاب، لما كان هناك حاجة لتكملة الآية الكريمة على نحو " **فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**"، دقق عزيزي القارئ في الآية الكريمة نفسها مرة أخرى:

- **فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (24) الأحقاف**

لنطرح السؤال التالي: إذا كانت مفردة الريح تحمل في ثناياها العذاب، فما الحاجة إلى القول إنها ريح فيها عذاب أليم؟ ألا يكفي القول بأنها ريح وكفى؟ ألا يجب أن نستنبط معنى العذاب من مفردة الريح نفسها؟ فما الداعي (إن صح قولهم) إلى هذا الاستطراد الذي ربما لا يكون ضرورياً؟

رأينا: كلا وألف كلا. ذلك لا يصح، لأن الاستنباط الصحيح في رأينا كان يجب أن يكون على النحو التالي:

مادام أن هذه ريح فيها عذاب أليم (**رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**)، فلابد إذن من وجود ريح من نوع آخر قد لا يكون فيها عذاب أليم. فأين يا ترى يمكن أن نجد مثل هذه الريح؟

جواب: أولاً، نحن نظن أنها موجودة في الآية الكريمة التالية،

- **هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) يونس**

فانظر عزيزي القارئ إلى التقابل بين نوعين من الريح (1) الريح العاصف التي تحمل معها العذاب و(2) الريح الطيب التي لا تجيء إلا بالخير.

ثانياً، ونحن على يقين أنه لم يكن هناك ريح أطيب ولا أزكى من **رِيحَ يُوسُفَ**. فالدليل الذي نظن أنه قاطعاً على أن مفردة الريح –كما نزعم- قد لا تحمل معنى العذاب (كما زعموا) فتأتي من الآية الكريمة التي تتحدث **رِيحَ يُوسُفَ**، فعلى الرغم من أنها لم تكن تحمل العذاب (بل البشرى بالخير والبركة) إلا أنها ريح. فريح يوسف كانت ريح طيبة بكل ما في العبارة من معنى. والحالة كذلك، ألا يحق لنا إذن أن نطرح السؤال التالي: لماذا كانت إذاً **رِيحَ يُوسُفَ** ولم تكن رياح يوسف مثلاً؟ فإذا كانت الرياح هي التي تحمل الخير وإذا كانت الريح هي التي تحمل العذاب كما يصورها لهم محدثهم، ألم يكن الأجدر أن تأتي البشرى بخبر يوسف تحمله الرياح وليس الريح؟

رأينا: كلا وألف كلا. إننا نؤمن إيماناً مطلقا أنها **رِيحَ يُوسُفَ** (كما ترد في كتاب الله) وأنها قد جلبت الخير ليعقوب (فارتد عليه بصره) ولقومه جميعاً، فلقد انقضى حزن يعقوب مع تلك الريح، وربما ما عاد يعقوب في ضلاله القديم كما يصور حاله من كان متواجداً حوله في تلك اللحظة:

- **وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (94) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (95) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (96) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (97) يوسف**

السؤال: كيف يمكن إذن أن نفهم معنى مفردة الريح في هذا السياق القرآني؟ وكيف يمكن أن نربطها مع مفردة الريح نفسها التي وردت في قصة عذاب القوم التي تصورها الآية التي تعرضنا لها سابقاً:

- **فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (24) الأحقاف**

افتراء من عند أنفسنا: إننا نظن أن مفتاح الفهم هو ما وضعنا تحته خطاً في السياقات التي تتحدث عن يوسف وهو "**لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ**" و "**إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ**"، فالسياقات القرآنية تثبت أن من كان حول يعقوب حينئذ لم يكن يدرك حقيقة تلك الريح، ولكن الشخص الوحيد الذي عرف حقيقتها هو يعقوب نفسه. فالذين كانوا حينئذ حول يعقوب كانوا بلا شك خاطئين بدليل أنهم هم أنفسهم قد اعترفوا بخطئهم ذاك عندما قالوا "**إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ**"، أليس كذلك؟

والآن لنربط السياقين القرآنيين معاً من هذا المنظور الذي نظن (ولا نجزم) أنه صحيحاً: هناك شيء قادم من بعيد، قد لا يدركه البعض أصلاً كما هي حال من كان حول يعقوب، وقد يخطئ البعض في فهم ماهيته إن هم رأوه (كحالة القوم الذين ظنوا أنه عارض ممطرهم)، فيظنون (ربما من شكله الخارجي الذي يرونه بأم أعينهم) أنه شيء ما، ليتبين فيما بعد أنه ليس ذلك تماماً، وأنهم بلا شك مخطئون في ظنهم، فلقد ظن أهل القرية الذين استقبلهم العذاب أن ذلك عارض ممطرهم، وتبين بعد ذلك أنها ريح عقيم تدمر كل شيء بأمر ربها. وظن من كان حول يعقوب أن الرجل لازال في ضلاله القديم فلم يدركوا كنه ذلك الشيء القادم إليهم من بعيد، وتبين لهم بعد ذلك أنها ريح طيبة قد جلبت لهم البشرى بنجاة يوسف وانتهاء سنين حزن يعقوب على ضياع ولده.

النتيجة: نحن نعتقد جازمين أن مفردة الريح تشير إلى تلك الكينونة التي يصعب التنبؤ بها من ظاهرها، لأن حقيقتها على غير ما يمكن أن يبين لنا ظاهرها. إنها تحتوي على عنصر المفاجأة بغض النظر عن النتيجة سواء كان ذلك عذاباً (كما كان في حالة عذاب القوم) أو رحمة (كما كان في حالة ريح يوسف). فالريح هي تلك العاصفة التي لا نستطيع أن نفهم كنهها من ظاهرها. فأنت قد تظن أنها شيئاً ما، ويتبين لك فيما بعد أنها شيء آخر. لذا لابد من علم

يأذن الله لك به لتعلم كنهنا، كما كان الحال بالنسبة ليعقوب، فهو على علم لم يحط به من كان حوله:

- وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (94) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (95) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (96) يوسف

فهذا يعقوب نفسه يؤكد لم حوله أنه يعلم من الله ما لا يعلمون، لأنهم ببساطة لم ولن يستطيعوا أن يدركوا كنه تلك الريح القادمة إليهم بالبشرى.

(دعاء: أسأل الله أن أعلم منه ما لا تعلمون)

وكـ أخ عاد نبي القوم الذي حذرهم من الأحقاف:

- وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (21) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (22) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (23) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (24) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (25) وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (26) الأحقاف

ولو تدبّرنا تتمة السياق القرآني لوجدنا أن الله يبيّن لنا أن سمع القوم وأبصارهم وأفئدتهم لم تغني عنهم شيئاً، لأنها ببساطة لم تساعدهم في فهم كنه ذاك الزائر القادم إليهم من بعيد ويحمل في ثناياه العذاب الأليم.

(دعاء: اللهم رب أسألك أن لا تجعلني ممن لا يغني عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء)

نتيجة مفتراة: الريح هي تلك العاصفة التي تأتي على الدوام بشيء مفاجئ، لذا نحن نفتري الظن أنها (أي الريح) غير مفهومة عند الذين يعقلون لأن سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم قد لا تغني عنهم شيئا، ولكنها تحتاج إلى الذين يعلمون لكي يدركوا ماهيتها.

(وسنحاول - إن أذن الله لنا بشيء من علمه- أن نستجلي الفرق بين الذين يعقلون من جهة والذين يعلمون من جهة أخرى)

أما الرياح – بالمقابل- فإننا نعتقد أنها هي التي نعرفها من ظاهرها، والتي لا تحمل عنصر المفاجأة إطلاقاً:

- وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (57) الأعراف
- وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22) الحجر
- وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (48) الفرقان
- أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63) النمل
- وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (46) الروم

ولو تدبرنا بعض سياقاتها القرآنية لوجدنا القرآن الكريم يصورها على أنها آية للقوم الذين يعقلون، أي يستطيعون أن يخضعوها للتعقل (أي الدراسة):

- إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164) البقرة
- وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (5) الجاثية

ولو دققنا في سياقاتها أكثر لوجدنا أن الرياح تثير سحاباً (وهو ما لم يذكر إطلاقاً في حالة الريح):

- اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (48) الروم
- وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ (9) فاطر

ولا شك عندنا أن الرياح تصرّف، فهناك تصريف للرياح:

- وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164) البقرة

- وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (5) الجاثية

عودة على بدء: ريح سليمان

نخلص من النقاش السابق إلى الظن بأنه لمّا كان ما سخره الله لسليمان هي ريح وليست رياح، لذا فهي لا تحمل في ثناياها العذاب، ولكنّها كانت ببساطة من نوع خاص لا يستطيع أن يفهم كنهها إلا من أوتي العلم كـ سليمان نفسه، لذا نحن نفهم أن تلك الريح جاءت خاصة بسليمان فقط كما تصور ذلك الآيات الكريمة التالية:

- وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81) الأنبياء
- وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) سبأ
- فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ (36) ص

فجميع السياقات القرآنية التي تتحدث عن ريح سليمان تصورها لنا بأنها ريح خاصة بسليمان نفسه، لذا لا يستطيع الآخرون أن يتنبأوا بها أو أن يفهموا كنهها، وذلك لأن قوانينها لا تخض للتعقل (أي للذين يعقلون) وإنما للعلم (للذين يعلمون)، ونحن لا نشك قيد أنملة أن سليمان كان من الذين يعلمون:

- وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ (80) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81) الأنبياء

ولكن الذي يلفت الانتباه في قضية "ريح سليمان" هي الحقيقة القرآنية على أن تلك الريح كانت عاصفة:

- وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81) الأنبياء

فكيف إذن كانت؟ وما معنى أن تكون تلك الريح عاصفة؟

افتراء من عند أنفسنا: نحن نزعم الظن أن مفردة "عاصفة" جاءت هنا لتصور لنا سرعة تلك الريح، ولكن كيف؟

جواب: لو تدبرنا السياق القرآني التالي لوجدنا أن الريح العاصف هي النقيض من الريح الطيبة؟

- هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) يونس

لاحظ التقابل بين ريح سليمان التي كانت عاصفة وهذه الريح التي هي عاصف (وليست عاصفة)، ربما لنستنتج أن مفردة "ريح" يمكن أن تستخدم لمفرد في حالة سليمان (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً) ويمكن أن نستخدمها كجمع (رِيحٌ عَاصِفٌ). ولو دققنا النظر في السياقات القرآنية التي تتحدث عن الرياح بالمقابل لربما وجدنا أن كلمة رياح تأتي بصيغة الجمع على الدوام

ففي حين أن الريح الطيبة هي الريح التي يشتهيها من كان يركب الفلك في البحر، فإن الريح العاصف هي التي لا يتمناها من كانت تلك حالته، وذلك لأن الريح العاصف تكون بلا شك سريعة جداً لدرجة أنها قد تغرق الفلك التي يركبونها.

نتيجة: الريح العاصف هي الريح السريعة جداً، وليس أدل على ذلك مما جاء في الآية الكريمة التالية:

- مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (18) إبراهيم

افتراء من عند أنفسنا: لذا نحن نفتري الظن بأن ريح سليمان كانت ريح سريعة جداً لأنها كانت عاصفة، ولكن مع ذلك فهي كانت تجري بأمره رخاء:

- فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36)ص

لذا كانت حركتها مقيدة بأمر من سليمان، فهو يستطيع أن يتحكم بسرعتها لدرجة أن يجعلها تسير به بسرعة شديدة (عاصفة) ويستطيع كذلك أن يبطئ حركتها لأنها كانت تجري بأمره رخاء، وهو يستطيع أن يوقفها حيثما أراد لأنها كانت تجري بأمره رخاء حيث أصاب. فما معنى "حيث أصاب"؟

جواب: نحن نظن أن العبارة تدل على مقصد الرحلة (destination)، أنظر السياقات القرآنية التي تصور لنا المكان (أو القوم) الذي انتهت إليه تلك الريح أو الرياح:

- مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (117) إل عمران

- اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (48) الروم

فنحن نظن أن عبارة حيث أصاب تشير إلى المكان الذي كان يريد أن يصل إليه، أي مقصد الرحلة.

إن ما يهمنا أن نثيره هنا هو الإشارة إلى أن سرعة ريح سليمان كانت كبيرة جداً لأنها كانت عاصفة، وهذا يعيدنا على الفور إلى السؤال الرئيس الذي بدأنا به وهو: لماذا كانت ريح سليمان تجري به مسيرة شهر ذهاباً وآخر إيابا؟ وما هي المسافة التي يمكن أن تقطعها ريح سريعة كهذه في فترة شهر كامل ذهاباً وآخر إياباً؟

لقد دعانا هذا السؤال إلى إعادة النظر في مفردة شهر التي ترد في هذا السياق القرآني، لنضعها قيد البحث والتنقيب في القرآن كله:

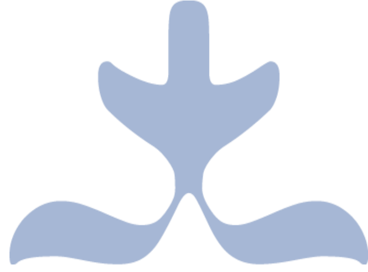
- **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) سبأ**

ولكن قبل الانتقال إلى البحث في مفردة الشهر فإننا نلخّص عرضنا السابق حول مفردتي الريح والرياح بالنتيجة المفتراة التالية:

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: الفرق بين الرياح والريح

⇐ الرياح: كلمة تدل على جمع، ليس لها مفرد، تأتي بما هو مألوف ولا تحتوي على عنصر المفاجأة، يمكن إخضاعها للتعقل، لذا فهي آيات للذين يعقلون.

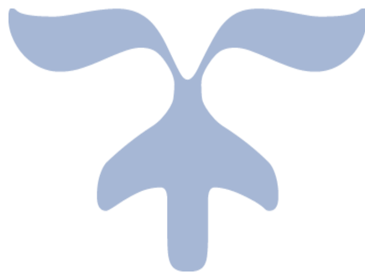
⇐ الريح: كلمة تدل على المفرد والجمع معاً (فهي تفرد على ريح وتجمع أيضاً على ريح)، تأتي بما هو ليس مألوفا وتحتوي على عنصر المفاجأة، لا يمكن إخضاعها للتعقل ولكنها بحاجة إلى العلم، لذا فهي آية للذين يعلمون



مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَْرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ

الباب الثاني عشر

الشهر



الباب الثاني عشر: الشـهـر

حاولنا في الجزء السابق تسويق فهمنا للتفريق بين مفردتي الريح والرياح كما تجليهما السياقات القرآنية الكثيرة، وكان ذلك بغرض تسليط الضوء على السؤال الذي ربما يطرح بعد قراءة الآية القرآنية الخاصة بريح سليمان:

- **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) سبأ**

والسؤال هو: لماذا كانت ريح سليمان تجري شهراً بالغدو وآخر بالإياب؟ فما هي المسافة التي يمكن أن تقطعها الريح في فترة شهر كامل؟

وخلصنا إلى تقديم الافتراء الذي هو من عند أنفسنا ومفاده أن الفرق بين الريح والرياح يكمن في القدرة على تميزهما، فالرياح لا تأتي بجديد ويمكن التنبؤ بخبرها من ظاهرها. أما الريح –بالمقابل- فهي تلك التي لا يمكن التنبؤ بما تحمله من ظاهرها، ولابد من وجود العلم بها لمعرفة حقيقتها والخبر الذي تحمله معها.

أما في هذا الجزء، فسنتابع بحثنا للوقوف على معنى مفردة الشهر التي كانت تجري الريح فيه بأمر من سليمان غدواً وتعود إيابا في شهر آخر. لنطرح السؤال الرئيس التالي: ما معنى مفردة الشهر؟

فبعد طرح هذا السؤال وتدارس المفردة قليلاً، خرجنا بتساؤل ربما لم يلقي الكثيرون له بالاً، يتعلق بجمع مفردة شهر، فنحن نعرف أن مفردة "شهر" تجمع في العربية على نحو:

⇐ أشهر

⇐ شهور

عندها طرحنا السؤال على بعض أهل اللغة ليسعفونا بالتفريق بين المفردتين "أشهر" و "شهور"، وعن سبب توافر المفردتين جنباً إلى جنب في اللغة وفي السياقات القرآنية، فكان سؤالنا لهم على النحو التالي: هل هناك فرق بين مفردة أشهر وشهور؟ وإذا كان هناك فرق، فما هو؟

ولمّا رجعنا بعد البحث – كالعادة – بخفي حنين، وجدنا الضرورة تتطلب منا أن نبحث بأنفسنا في سياقات القرآن الكريم علّنا نستطيع بحول من الله وتوفيق منه أن نستطيع أن نستجلي بعض الفرق بين المفردتين، ولا شك أننا انطلقنا إلى كتاب الله ونحن نحمل العقيدة التي مفادها بأنه لابد من وجود فرق بين المفردتين مادام أنهما وردتا في كتاب الله، ولابد أن كتاب الله يجلي ذلك الفرق بشكل لن يملك معه من يريد الهداية إلا أن يردد في نهاية المطاف قول الحق:

- **وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (37) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (38) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (39) يونس**

وإليك – عزيزي القارئ- ما نظن أن الله قد أذن لنا به من علم عن الفرق بين مفردتي الأشهر والشهور.
أما بعد،

السؤال محرك البحث: ما الفرق بين أشهر وشهور؟

بعد استكشاف السياقات القرآنية كاملة عن المفردتين، وجدنا أن مفردة "أشهر" قد وردت في السياقات القرآنية التالية:

- **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197) البقرة**
- **لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (226) البقرة**
- **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234) البقرة**
- **فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (2) التوبة**
- **فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (5) التوبة**
- **وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) الطلاق**

وما وجدنا كلمة شهور قد وردت في كتاب الله إلا في السياق القرآني التالي:

- **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (36) التوبة**

وقد قادنا بحثنا هذا إلى طرح أسئلة لا تقل أهمية عن سابقتها، وشكلت لدينا إرباكاً كبيراً جداً كان لابد من الغوص فيه، لأنها بلا شك تمس جوهر التشريعات والعقائد، نذكر منها على سبيل المثال ما جاء في الآيات الكريمة التالية:

- **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197) البقرة**

السؤال: فهل نحن نحج أشهر؟ وما هي تلك الأشهر؟

- **لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (226) البقرة**

السؤال: هل فعلاً ينتظر الذين يؤلون من نساءهم فترة أربعة أشهر؟

- **وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) الطلاق**

السؤال: لم تحتاج من يئست من المحيض (والتي من تحض أصلاً) أن تعتد ثلاثة أشهر؟

- **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (228) البقرة**

السؤال: لماذا جاء الحديث عن انتظار المطلقات بلفظ القروء ولم يأتي بلفظ الأشهر؟

- **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234) البقرة**

السؤال: وهل فعلا تحتاج من يتوفى عنها زوجها أن تنتظر أربعة أشهر وعشرا؟ لم لا تنتظر ثلاثة قروء كالمطلقة مثلاً؟ ولم لا تنتظر كمن يئست من المحيض (فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ)؟ أو لم لا تنتظر أن تضع حملها إن كانت من أولي الأحمال كما تصور ذلك الآية الكريمة التالية؟

- **وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) الطلاق**

إن هذه التساؤلات تنقلنا إلى قضايا عقائدية عديدة، اختلف أهل العلم فيها كثيراً، فخرجوا للناس بتشريعات غالباً ما كانت متضاربة، والقارئ الكريم مدعو إلى مراجعة كتب الأحكام للنظر في تلك الاختلافات، وأظن أن علماءنا الأجلاء لم يستطيعوا تسويق اختلافاتهم إلا بعد أن أقنعوا العامة بأن في اختلافهم رحمة بالأمة، وأنا لا أعلم من أين سيأتي الخير في الاختلاف، والله نفسه هو الذي شرع لنا هذا الدين وأمرنا أن نقيمه ونهانا عن التفرق فيه:

- **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (13) الشورى**

فهل يا ترى يمكن أن يكون في شرع الله أكثر من حل واحد لكل حالة من الحالات؟ أو هل يمكن أن يكون هناك أكثر من سبيل إلى الله وهو من أمر نبيه بالدعوة إلى سبيل واحدة:

- **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108) يوسف**

ونهانا عن تتبع السبل حتى لا تتفرق بنا:

- **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153) الأنعام**

(دعاء: أسأل الله أن يعلمني سبيله فلا أتبع غيرها إنه هو السميع المجيب).

أما السبب في اختلافهم وبالتالي حصول الفرقة بينهم وانقسامهم شيعاً، كل حزب بما لديهم فرحين:

- **مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (32) الروم**

فهو – في رأينا- راجع إلى عدم قدرتهم على فهم المفردات كما يجب، وبالتالي الخروج للناس بالاستنباطات التي لا يمكن الاختلاف فيها. وهذا ما سنحاول النبش فيه من خلال تعرضنا لمفردة الشهر التي جاءت في الآية الكريمة التي تحدثت عن ريح سليمان.

أما بعد

لقد سببت الآية الكريمة التالية لنا الإرباك الذي دفعنا للخوض في هذه القضايا، وسنقدم للقارئ الكريم الآية ألا ولى لنطرح عليه بعد ذلك جملة من التساؤلات:

- **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234) البقرة**

تساؤلات

- ⇐ ما معنى التربص؟ فكيف تتربص من يتوفى عنها زوجها بنفسها؟
- ⇐ كيف يختلف تربص المرأة بنفسها عن العدة التي تعتدها؟
- ⇐ لماذا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وليس ثلاثة أشهر أو حتى ثلاثة قروء كما في الحالات الأخرى؟
- ⇐ وما الفائدة من الزيادة في العشر؟ لماذا أربعة أشهر وعشرا؟ لم لم تكن أربعة أشهر وكفى؟
- ⇐ الخ.

الطرح

لقد أجاءنا الإرباك الأكبر عندما قرأنا في هذه الآية الكريمة وحاولنا حساب الفترة الزمنية التي تتربص بها المرأة بنفسها في قوله تعالى:

- **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا... (234) البقرة**

عندها طرحنا السؤال التالي: ما المحذوف المقدّر بعد الرقم " **وَعَشْرًا...**؟ هل هي عشرة أيام أم عشر ليال أم عشرة أشهر، أم عشر سنين، الخ؟

وعندما رجعنا إلى ما قاله أهل الدراية وما نقله عنهم أهل الرواية وجدنا لب قولهم يدور حول ما ذكره ابن كثير في تفسيره:

هذا أمر من الله للنساء اللاتي يتوفى عنهن أزواجهن أن يعتددن أربعة أشهر وعشر ليال وهذا الحكم يشمل الزوجات المدخول بهن وغير المدخول بهن بالإجماع ومستنده في غير المدخول بها عموم الآية الكريمة وهذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي أن ابن مسعود سئل عن رجل تزوج امرأة فمات عنها ولم يدخل بها ولم يفرض لها فترددوا إليه مرارا في ذلك فقال أقول فيها برأيي فإن يك صوابا فمن الله وإن يك خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه : لها الصداق كاملا وفي لفظ لها صداق مثلها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث فقام معقل بن يسار الأشجعي فقال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قضى به في بروع بنت واشق ففرح عبد الله بذلك فرحا شديدا وفي رواية فقام رجال من أشجع فقالوا : نشهد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قضى به في بروع بنت واشق . ولا يخرج من ذلك إلا المتوفى عنها زوجها وهي حامل فإن عدتها بوضع الحمل ولو لم تمكث بعده سوى لحظة لعموم قوله" وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن " وكان ابن عباس يرى أن عليها أن تتربص بأبعد الأجلين من الوضع أو أربعة أشهر وعشرا للجمع بين الآيتين وهذا مأخذ جيد ومسلك قوي لولا ما ثبتت به السنة في حديث سبيعة الأسلمية المخرج في الصحيحين من غير وجه أنها توفي عنها زوجها سعد بن خولة وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته وفي رواية فوضعت حملها بعده بليال فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك فقال لها : ما لي أراك متجملة لعلك ترجين النكاح ؟ والله ما أنت بناكح حتى يمر عليك أربعة أشهر وعشرا. قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزويج إن بدا لي قال أبو عمر بن عبد البر: وقد روي أن ابن عباس رجع إلى حديث سبيعة يعني لما احتج عليه به قال ويصحح ذلك عنه أن أصحابه أفتوا بحديث سبيعة كما هو قول أهل العلم قاطبة. وكذلك يستثنى من ذلك الزوجة إذا كانت أمة فإن عدتها على النصف من عدة الحرة شهران وخمس ليال على قول الجمهور لأنها لما كانت على النصف من الحرة في الحد فكذلك فلتكن على النصف منها في العدة. ومن العلماء كمحمد بن سيرين وبعض الظاهرية من يسوي بين الزوجات الحرائر والإماء في هذا المقام لعموم الآية. ولأن العدة من باب الأمور الجبلية التي تستوي فيها الخليقة وقد ذكر سعيد بن المسيب وأبو العالية وغيرهما أن الحكمة في جعل عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرا لاحتمال اشتمال الرحم على حمل فإذا انتظر به هذه المدة ظهر إن كان موجودا كما جاء في حديث ابن مسعود الذي في الصحيحين وغيرهما" إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث إليه الملك فينفخ فيه الروح" فهذه ثلاث أربعينات بأربعة أشهر والاحتياط بعشر بعدها لما قد ينقص بعض الشهور ثم لظهور الحركة بعد نفخ الروح فيه والله أعلم . قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة سألت سعيد بن المسيب ما بال العشرة ؟ قال : فيه ينفخ الروح وقال الربيع بن أنس : قلت لأبي العالية لم صارت هذه العشر مع الأشهر الأربعة ؟ قال : لأن ينفخ فيه الروح رواهما ابن جرير ومن هاهنا ذهب الإمام أحمد في رواية عنه إلى أن عدة أم الولد عدة الحرة هاهنا لأنها صارت فراشا كالحرائر وللحديث الذي رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن رجاء بن حيوة عن قبيصة بن ذؤيب عن عمرو بن العاص أنه قال : لا تلبسوا علينا سنة نبينا : عدة أم الولد إذا توفي عنها سيدها أربعة أشهر وعشرا . ورواه أبو داود عن قتيبة عن غندر

وعن ابن المثنى عن عبد الأعلى وابن ماجه عن علي بن محمد عن الربيع ثلاثتهم عن سعيد بن أبي عروبة عن مطر الوراق عن رجاء بن حيوة عن قبيصة عن عمرو بن العاص فذكره وقد روي عن الإمام أحمد أنه أنكر هذا الحديث وقيل إن قبيصة لم يسمع عمرا وقد ذهب إلى القول بهذا الحديث طائفة من السلف منهم سعيد بن المسيب ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وابن سيرين وأبو عياض والزهري وعمر بن عبد العزيز وبه كان يأمر يزيد بن عبد الملك بن مروان وهو أمير المؤمنين وبه يقول الأوزاعي وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل في رواية عنه وقال طاوس وقتادة : عدة أم الولد إذا توفي عنها سيدها نصف عدة الحرة شهران وخمس ليال وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والحسن بن صالح بن حي تعتد بثلاث حيض وهو قول علي وابن مسعود وعطاء وإبراهيم النخعي وقال : مالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه عدتها حيضة وبه يقول ابن عمر والشعبي ومكحول والليث وأبو عبيد وأبو ثور والجمهور قال الليث : ولو مات وهي حائض أجزأتها وقال مالك : فلو كانت ممن لا تحيض فثلاثة أشهر وقال الشافعي والجمهور : شهر وثلاثة أحب إلي والله أعلم . وقوله " فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير " يستفاد من هذا وجوب الإحداد على المتوفى عنها زوجها مدة عدتها لما ثبت في الصحيحين من غير وجه عن أم حبيبة وزينب بنت جحش أمي المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا " وفي الصحيحين أيضا عن أم سلمة أن امرأة قالت يا رسول الله إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفنكحلها؟ فقال " لا " كل ذلك يقول لا مرتين أو ثلاثا ثم قال " إنما هي أربعة أشهر وعشرا وقد كانت إحداكن في الجاهلية تمكث سنة " قالت زينب بنت أم سلمة: كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا ولا شيئا حتى تمر بها سنة ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة أو طير فتفتض به فقلما تفتض بشيء إلا مات ومن هاهنا ذهب كثيرون من العلماء إلى أن هذه الآية ناسخة للآية التي بعدها وهي قوله " والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج " الآية. كما قاله ابن عباس وغيره وفي هذا نظر كما سيأتي تقريره. والغرض أن الإحداد هو عبارة عن ترك الزينة من الطيب ولبس ما يدعوها إلى الأزواج من ثياب وحلي وغير ذلك وهو واجب في عدة الوفاة قولا واحدا ولا يجب في عدة الرجعية قولا واحدا وهل يجب في عدة البائن فيه قولان: ويجب الإحداد على جميع الزوجات المتوفى عنهن أزواجهن سواء في ذلك الصغيرة والآيسة والحرة والأمة والمسلمة والكافرة لعموم الآية. وقال الثوري وأبو حنيفة وأصحابه لا إحداد على الكافرة وبه يقول أشهب وابن نافع من أصحاب مالك وحجة قائل هذه المقالة قوله - صلى الله عليه وسلم - " لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا " قالوا: فجعله تعبدا وألحق أبو حنيفة وأصحابه والثوري الصغيرة بها لعدم التكليف وألحق أبو حنيفة وأصحابه الأمة المسلمة لنقصها ومحل تقرير ذلك كله في كتب الأحكام والفروع والله الموفق للصواب. وقوله " فإذا بلغن أجلهن " أي انقضت عدتهن قاله الضحاك والربيع بن أنس" فلا جناح عليكم " قال: الزهري أي على أوليائها" فيما فعلن " يعني النساء اللاتي انقضت عدتهن قال الوني عن ابن عباس إذا طلقت المرأة أو مات عنها زوجها فإذا انقضت عدتها فلا جناح عليها أن تتزين وتتصنع وتتعرض للتزويج فذلك المعروف وروي عن مقاتل بن حيان نحوه وقال ابن جريج عن مجاهد " فلا جناح عليكم

فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف " قال النكاح الحلال الطيب وروي عن الحسن والزهري والسدي نحو ذلك

ولمّا كان ما جاء في أقوالهم لا يتعرض بالتفصيل لهذه الجزئية، وهم يمرون عليها مروراً عابراً لا يجلب انتباه القارئ لتفسيراتهم، ظننا أن لسان حالهم وكأنه يتراوح بين قولين:

⇐ أن هذا أمر محسوم، فقولنا (أي أهل الدراية) صحيح لا يحتاج إلى الخوض فيه أكثر، أو
⇐ أن هذه جزئية لا يجلب البحث فيها الخير الكثير ولا يدفع تركها شراً عظيما، فما الداعي للنبش فيها أكثر من ذلك

إن أخطر ما أخشاه أن يصدق بعض ظني في سلوك بعض علمائنا الأجلاء في أنهم يبدون للناس ما يريدون ويخفون عنهم ما لا يريدون أن يظهروه لهم، كما كان سلوك بعض علماء أهل الكتاب:

- **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91) الأنعام**

(للتفصيل في هذا الموضوع انظر مقالاتنا تحت سلسلة والعلماء هم الظالمون)

أما نحن لما ظننا أن علماءنا الأجلاء لا يقدّمون لنا في كتاباتهم الدليل من كتاب الله على ما يزعمون من قول، وجدنا أن الضرورة تستدعي أن نضع هذا السؤال على طاولة البحث لأننا نعتقد جازمين أن تجليته ستجلب خيراً كثيراً وستدفع شراً كبيرا، لذا نبتدئ حديثنا حول هذا الموضوع بالخبر المفترى من عند أنفسنا التالي: كل ما جاء في كتب الأحكام من تفسيرات واجتهادات حول هذه الآية الكريمة لا يدعمه الدليل من كتاب الله.

تبريرات

⇐ لم نجد في مؤلفاتهم تعليلاً عن سبب أنهم افترضوا أن المفردة المقدرة في الآية الكريمة بعد الرقم "وعشرا" هي أيام، فبعضهم قال أيام وبعضهم قال ليال، وكأنهم لا يميزون بين اليوم والليلة، أو كأن لسان حالهم يقول: وما الفرق في أن تكون أياماً أو أن تكون ليال؟ وسنرى لاحقاً بحول الله وتوفيقه أن النص القرآني يميز بشكل لا لبس فيه بين اليوم من جهة والليلة من جهة أخرى، فاليوم هو يوم والليلة هي ليلة ولا يجب الخلط بينهما لمن أراد الفهم.

⇐ جاء معظم حديثهم عن هذه الآية الكريمة على أنه حديث عن العدة التي تعتدها المرأة، في حين أن الآية الكريمة – كما نقرأها- لم تذكر العدة إطلاقاً، وإنما هي تتحدث عن التربص فقط (**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**)، لذا نحن نظن أنهم يخلطون بين التربص التي تتحدث عنه الآية الكريمة نفسها:

- **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234) البقرة**

والعدة التي جاء ذكرها في سياقات قرآنية أخرى:

- **وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) الطلاق**

وسنرى لاحقاً (إن أذن الله لنا بشيء من علمه) أن العدة شيء والتربص شيء آخر مختلف تماماً. ولا يجب الخلط بينهما لمن أراد أن يفهم.

⇐ لم نجد في كتاباتهم تميزاً يبين الاختلاف في الفترة الزمنية بين فترة التربص والتي هي (**أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**) والعدة التي هي (**ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ**) في حالة اللائي يسن من المحيض واللائي لم يحضن ووضع الحمل في حالة أولات الأحمال. فلماذا كانت الفترة الزمنية مختلفة في كل حالة من هذه الحالات؟

⇐ الخ

السؤال: لو قارنا بين آية العدة وآية التربص لوجدنا أن الفترة الزمنية في العدة حسب الآية الكريمة التي تتحدث عن العدة هي ثلاث أشهر فقط (**فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ**) بينما جاءت الفترة الزمنية في حالة التربص على أنها "**أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**"، فلماذا؟

جواب: لمّا لم نجد عند من سبقنا تفريقاً بين الحالتين، ولما لم نجد تفصيلاً عن سبب وجود الزيادة "**وَعَشْرًا**... " في حالة التربص وعدم وجود مثل هذه الزيادة في حالة العدة، دعانا هذا كله أن نبحث من جديد في مفردات هذه الآيات الكريمة تاركين وراءنا موروثاتنا العقائدية التشريعية التي نظن أنها غير قادرة على الإجابة على تساؤلات كثيرة مثل التي نطرحها هنا، والاهم من ذلك كله هو أن الشك عندنا بدأ يميل إلى اليقين في أنهم مخطئون جميعاً في تصوراتهم وذلك لأننا لا نجد أن أصحاب الآراء المطروحة يقدمون الدليل من كتاب الله على كل رأي يطرحونه.

أما بعد،

السؤال الأول: ما المقدر بعد العدد "**وَعَشْرًا**..." في الآية الكريمة التي تتحدث عن تربص النساء بأنفسهن؟ فهل هي فعلاً أيام أم ليال أم أشهر أم سنوات أم ربما ساعات، الخ؟

- **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234) البقرة**

رأيهم: لعل أهل العلم قد أجمعوا أمرهم على أنها أيام أو ليال. فهم يظنون أن المرأة التي يتوفى عنها زوجها تتربص بنفسها أربعة أشهر وعشرة أيام (أو ليال)، أليس كذلك؟ (انظر ما جاء في تفسير ابن كثير سابقاً).

رأينا: ذلك لا يمكن أن يصح لأن المحذوف – في ظننا- هو من جنس المقدر منه، لذا نحن نتجرأ أن نقدم الافتراء التالي الذي هو بلا شك من عند أنفسنا: المرأة التي يتوفى عنها زوجها تتربص بنفسها أربعة أشهر وعشرة أشهر، ليصبح المجموع أربعة عشر (أشهراً).

ولكن كيف يصح ذلك؟ ما الذي تقوله يا رجل؟ ألا ترى أنك تهذي؟ فكيف ستتربص المرأة بنفسها كل هذه الفترة الطويلة من الزمن؟

الدليل

لابد لنا أولاً من أن نستكشف القرآن الكريم في قضية تقدير العدد في الآيات التي جاء فيها حذف واضح لرقم مقدّر، فلربما يبين لنا كيفية تقرير المحذوف فيها جميعاً، وإليك عزيزي القارئ بعض هذه السياقات القرآنية:

⇐ لو رجعنا إلى الآية الكريمة التي تتحدث عن أهل الكهف، لوجدنا أن هناك تركيباً مشابهاً حيث يوجد رقم مقدر، قال تعالى:

- **وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (25) الكهف**

لنطرح بعدها السؤال التالي: ما هو المقدر بعد العدد "**تِسْعًا**"؟

جواب: لم يختلف أهل العلم أن المقدر هنا هو السنين لأن الحديث (كما جهدوا في تسويقه للعامة) جاء عن مفردة السنين، فما دام أن الحديث جار عن السنين، فإن المحذوف (في رأي العامة وأهل العلم أنفسهم) هو مفردة السنين نفسها، لذا فإن القوم قد لبثوا في كهفهم **ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا** (أي سنين)، أليس كذلك؟

فهل- يا ترى- خرج علينا أحد من أهل العلم ليقول لنا أن القوم لبثوا في كهفهم **ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا** (أي أشهر أو أيام أو ليال)؟ من يدري!!!

⇐ ولو استعرضنا السياق القرآني التالي لتعززت الفكرة نفسها:

- **وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (196) البقرة**

⇐ وعند استعراض السياق القرآني التالي نجد لزاماً أن يكون المحذوف المقدر من جنس المتحدث عنه في السياق نفسه:

- **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48) يوسف**

فالمقدر هو سنين لأن الحديث جار عن السنين.

ولو دققنا في النص أكثر لوجدنا أنه عندما أصبح المقصود شيئاً غير السنين (محور الحديث) جاء الخطاب بصريح لفظ آخر وهي مفردة العام في الآية التي تبعت هذا السياق القرآني:

- **ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (49) يوسف**

لنخلص إلى نتيجة مفتراة من عند أنفسنا مفادها أنه عندما يكون المحذوف المقدر من غير جنس المقدر منه (محور الحديث) يصبح لزاماً أن يأتي ذكره صريحاً.

كما في قوله تعالى:

- **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (14) العنكبوت**

لاحظ – عزيزي القارئ- كيف جاء اللفظ صريحاً عندما اختلفت القيمة، فالمعنى لا يتغير – نحن نظن- إلا بتغير اللفظ.

(للتفصيل في هذه القضية انظر مقالتنا تحت عنوان: كم لبث نوح في قومه؟)

السؤال: لِم لَم يختلف سادتنا العلماء الأجلاء بأن المقدر في آية أهل الكهف هي سنين؟ لم لا يقبلون أن يكون المقدر أشهراً أو أياماً أو ليال أو حتى ساعات؟

ولم لم يشك علماؤنا الأجلاء أن المقدر في حالة يوسف هي سبع سنين؟ لم لا يقبلون أن يكون أشهر أو أياماً أو حتى أعواماً (مادام أن السنة والعام متقاربان زمنياً على الأقل)؟

ولم لا يشكك سادتنا العلماء أن الصوم في الحج هو ثلاثة أيام وعند الرجوع هي سبعة أيام أيضاً بالرغم أن المفردة مقدرة تقديراً ولم تأتي بصريح اللفظ؟

ولكن بالمقابل، لم يظن سادتنا العلماء الأجلاء (نحن نتساءل فقط) أن المقدر هو أيام أو ليال عند الحديث عن آية التربص بالرغم أن الحديث جار أصلاً عن الأشهر؟

- **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234) البقرة**

رأينا المفترى: نحن نظن أن سادتنا العلماء (مع خالص تقديرنا واحترامنا لهم) يقرؤون ما في رؤوسهم فقط ولا يتّبعون ما جاء في كتاب الله، إنهم يخضعون ما جاء في كتاب الله لعقائدهم ولا يخضعون عقائدهم لما جاء في كتاب الله، وهم – برأينا- ينقلون عربيتهم (على علاّتها) إلى كتاب الله، ولا ينقلون ما في كتاب الله (بصحته المطلقة) إلى عربيتهم، وشتان بين هذا وذاك؟

أما نحن الذين ما انفككنا عن الإيمان اليقيني أن العقيدة الصحيحة هي التي تخض للنص القرآني وليس العكس، فدعنا نعود إلى آية التربص محور نقاشنا هنا لنطبق منطقنا المفترى بأن المحذوف من جنس المتحدث عنه في السياق القرآني نفسه، فإذا كان الحديث جار عن سنين وجاء شيء محذوف في هذا السياق فإن المحذوف هو أيضاً سنين كما في حالة أهل الكهف أو سنين يوسف الشداد، وإذا كان الحديث جار عن الأيام فإن المحذوف هو من نفس الزمن كما في حالة الصيام بعد الرجوع من الحج. وإذا كان الحديث جار عن أشهر فإن المحذوف هو من نفس جنسه كما في آية التربص محور نقاشنا هنا:

- **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234) البقرة**

ليصبح لزاما علينا أن نفتري الظن بأن النساء هنا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا (أي أشهر) ليكون المجموع أربعة عشر (أشهرا)، ونحن لا نظن أن هذا ممكن إلا بشرط أن نخضع عربيتنا إلى لفظ القرآن الكريم وليس العكس، فالقرآن الكريم لا يحاكم بناء على لغتنا التي ورثناها عن آباءنا لأننا نعتقد أن في عربيتنا الموروثة عن الآباء من البلاء ما لا يصح أن ينقل إلى اللفظ القرآني. ولكن كيف؟

⇐ أولا، يجب أن لا ننسى أن نذكر القارئ الكريم بأن النص القرآني في الآية الكريمة محور النقاش تتحدث عن فترة التربص وليس عن العدة (**يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**)، والتي غالباً

ما تم الخلط بينهما عند العامة وربما أهل العلم والدراية، لذا نتجرأ أن نذكر سادتنا العلماء بتحري الدقة في التمييز بين الحالتين.

نتيجة مفتراة: النساء اللاتي يتوفى عنهن أزواجهن يتربصن (وليس يعتدن) بأنفسهن أربعة عشر (أشهرا).

(وهذا ما سنتعرض له لاحقاً بحول من الله وتوفيقه)

⇐ ثانياً، عندما نبدأ بإلقاء الشك على عربيتنا الموروثة عن آباءنا وأجدادنا، يصبح لزاماً علينا أن نطرح بعدها السؤال الحاسم التالي: هل هي "أشهر أم شهور"؟ أي هل تتربص النساء بأنفسهن أربعة أشهر أم أربعة شهور؟

جواب: نحن نظن أنها أشهر وليست شهور.

سؤال: وما الفرق؟

رأينا: لو استطعنا أن نستجلي الفرق بين مفردتي الأشهر والشهور، لربما استطعنا أن نحسب فترة التربص تلك بكل سهولة ويسر بحول الله وتوفيقه.

(لذا فالله أسأل أن يأذن لنا بعلم لا ينبغي لغيرنا إنه هو السميع المجيب)

أما بعد،

افتراء خطير جداً من عند أنفسنا: نحن نظن أن هناك سياقات قرآنية تدلّنا على أن مفردة الأشهر قد لا تدل على الدوام على الفترة المتعارف عليها عند الناس والتي هي ما يقرب من الثلاثين يوماً لكل شهر.

فالناس قد جبلوا على الفهم بأن الشهر هو حوالي ثلاثين يوماً، أليس كذلك؟ ولكن لما كانت منهجيتنا تتلخص باستنباط معاني المفردات من الكتاب نفسه، فلابد أن نتأكد من صحة هذه المعلومة التي نظن أنها شعبية (أي مما ألفنا عليه آباءنا)، ويمكننا أن نلقي بظلال الشك على هذا الفكر الشعبي السائد عن معنى مفردة الشهر إن نحن حاولنا أن نقرأ الآية الكريمة التالية بشيء من التدبر، لنطرح بعدها جملة من التساؤلات التي لا يجب أن يغفل عنها أهل العلم بأي حال من الأحوال لأنها ببساطة تمس جوهر العقائد والتشريعات التي نقوم بها، قال تعالى:

- **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197) البقرة**

التساؤلات:

⇐ ألا تذكر الآية الكريمة أن الحج عبارة عن أشهر معلومات (**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ**)؟ فهل فعلاً نحج نحن أشهراً معلومات بمعنى الأشهر المتعارف عليها بين الناس؟ وهل يجوز الحج في كل تلك الأشهر؟ ولماذا يتم الحج في وقت محدد من العام إذن؟ وماذا عن العشرة الأوائل من ذي الحجة؟ هل يجوز الحج خلال أشهر الحج في غير هذه الأيام العشرة الأولى من ذي الحجة؟ من يدري!!!

⇐ وماذا عن الفترة الزمنية التي نؤدي فيها شعائر الحج؟ هل نؤدي شعائر الحج طيلة أشهر الحج كلها؟ وماذا عن الحديث الذي ينقلوه لنا بأن الحج عرفة؟ وماذا عن شهر ذي الحجة نفسه؟ أليس هو من أشهر الحج؟ فلماذا ينتهي الحج في اليوم العاشر من ذي الحجة؟ من يدري!!!

⇐ وماذا عن تتمة الآية الكريمة؟ فماذا عن الرفث على وجه الخصوص؟ لم نرفث إلى نساءنا في تلك الأشهر ولا نتوقف عن ذلك إلا في وقت الإحرام التي قد لا تتجاوز بضعة أيام وليال؟ ألا ينهانا الله عن الرفث في تلك الأشهر جميعها (**فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ**)؟ فهل يجب على من فرض فيهن الحج أن لا يرفث إلى نساءه طيلة تلك الأشهر الحرم كاملة؟ فلم يحق للحاج الرفث للنساء قبل الإحرام وهو لا شك في أشهر الحج؟ ولم يحق له (كما يرخص لهم علماؤنا) الرفث إلى نساءهم بعد التحلل من الإحرام مباشرة بالرغم أنهم لازالوا في أشهر الحج؟ ألا تعتبر تلك مخالفة فاضحة لصريح اللفظ القرآني؟ فكيف - يا ترى- ينهانا الله عن الرفث في أشهر الحج، وها نحن نرفث إلى نسائنا طوال أشهر الحج ولا نتوقف عن ذلك إلا في مرحلة الإحرام، وما أن نتحلل من الإحرام حتى نعود إلى الرفث إلى نسائنا، مع العلم أن الوقت لا زال ضمن أشهر الحج نفسها التي نهانا الله عن الرفث إلى نسائنا فيهن (**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ۚ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ**)؟ من يدري!!!

⇐ وماذا عن الفسوق والجدال؟ هل يفسد ذلك حجنا إن نحن فعلناه قبل الأول من ذي الحجة أو بعد العاشر من ذي الحجة مثلاً؟ وماذا عن الجدال قبل وبعد التحلل من الإحرام، هل يفسد ذلك الحج بأكمله؟ ألا نزال في أشهر الحج بالرغم من التحلل من الإحرام؟ ألا تعتبر تلك مخالفة فاضحة لصريح اللفظ القرآني؟ من يدري!!!

رأينا: كلا وألف كلا. لابد من طرح الملف بأكمله للنقاش من جديد شريطة الوقوف عند ألفاظ القرآن الكريم بعد تجلية معانيها كما يبيّنها النص القرآني نفسه، وليس كما نحب ونشتهي أو كما ألفينا عليه آباءنا (ولو كانوا لا يعقلون شيئا).

أما بعد

الرفث

لنبدأ النقاش بالنبش في قضية الرفث نفسها في شهر رمضان ثم نحاول أن نقارن ذلك بالرفث في أشهر الحج.

نحن نعلم من صريح اللفظ القرآني أنّ الرفث فيه إقامة علاقة جنسية مع النساء، فالله قد نهانا عن الرفث إلى النساء في يوم الصيام ولكنّه أحلّه لنا في ليلة الصيام:

- أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187) البقرة

ولكن الله نهانا عن الرفث في الحج سواء كان ذلك في ليلة الحج أو في يوم الحج:

- الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ۚ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197) البقرة

لذا، فإن النهي عن الرفث في الحج جاء للفترة الزمنية كاملة ليلها ونهارها (أو بكلمات أكثر دقة في اليوم والليلة)، وهنا يجب مراقبة دقة الألفاظ، فنحن - بناء على ما وجدنا في كتاب الله- نميز بين مفردات ثلاث هي: اليوم، الليلة، النهار. وهو ما سنتحدث عنه بعد قليل بحول الله وتوفيقه للتفريق بين هذه المفردات التي يستخدمها كثير من الناس بطريقة تتعارض مع منطوق الآيات القرآنية.

إن هذا المعلومة على وجه التحديد هي ما دفعنا إلى العودة من جديد للبحث عن معنى مفردة "الشهر" نفسها؟ لنطرح التساؤلات التالية:

⇐ ما معنى كلمة شهر؟ من أين جاءت؟ وكيف تستخدم؟

⇐ لم نعت الله الحج بأنه أيام معدودات بالرغم أننا نصوم رمضان شهراً كاملاً (حوالي ثلاثين يوماً)؟

- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ۚ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184) البقرة

⇐ لِمَ نتوقف عن الرفث إلى نسائنا في يوم رمضان؟ لِمَ أحلّ الله لنا الرفث إلى نسائنا في ليلة الصيام؟

- أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187) البقرة

⇐ لماذا قال الله عن الحج أنه أشهر معلومات بالرغم أن فترة الحج لا تتجاوز أكثر من بضعة أيام وليال؟ ما هي أشهر الحج أصلاً؟

- **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ۚ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197) البقرة**

⇐ ولم طلب الله منا أن نذكر الله في أيام الحج وليس في أشهر الحج؟

- **وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ۚ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (203)**

⇐ متى نتوقف عن الرفث إلى نساءنا في الحج ومتى نعود إلى ذلك؟

⇐ لِمَ نهانا الله عن الرفث إلى نسائنا طيلة أشهر الحج في اليوم وفي الليل؟ لِمَ لا يكون النهي (كما في رمضان) في اليوم فقط؟

- **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ۚ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197) البقرة**

⇐ الخ

افتراءات من عند أنفسنا

أولاً، لابد أن نتدبر لِم يختلف الرفث إلى النساء في رمضان عن الرفث إلى النساء في الحج بالرغم أن رمضان والحج هي جميعها أركان الدين. كما يجب علينا أن نتدبر في السبب في أننا منعنا عن الرفث إلى نسائنا في يوم رمضان وليس في ليل رمضان بالرغم أن رمضان في نهاية المطاف شهر واحد.

تفنيد الفكر السائد

لو سالت علماءنا الأجلاء عن السبب الذي من أجله أحل الله لنا الرفث إلى نساءنا في ليل رمضان، لربما وجدتهم يتعللون على الفور بما جاء في الآية الكريمة نفسها والذي يخص عدم طاقة الرجال الصبر على ذلك طوال شهر كامل:

- **...عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ (187) البقرة**

ولكن لو حاولنا تعدية السؤال إلى الحج، فهل - يا ترى - يمكن أن يطيق الرجال التوقف عن الرفث إلى النساء فترة أشهر الحج الأربعة كاملة وهم الذين لم يطيقوا ذلك لمدة شهر واحد في رمضان؟ أليس الله الذي علم أنهم لا يطيقون التوقف عن الرفث إلى نسائهم طيلة شهر رمضان هو نفسه الذي منعهم عن الرفث إلى نسائهم طيلة فترة الحج؟ فلم – يا ترى- جاءت الرخصة الإلهية للناس بالرفث إلى نسائهم ليلة الصيام؟

جواب: لأن الله علم أنهم يختانون أنفسهم، فرخص لهم الرفث إلى نسائهم في ليل الصيام ومنعهم عن ذلك في يوم الصيام:

- **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا**

وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187) البقرة

وبالمشابهة، ألم يعلم الله أن الرجال لا يطيقون التوقف عن الرفث إلى نسائهم طيلة أشهر الحج مجتمعة؟ لم إذن لم يرخص لهم الرفث إلى النساء في ليل الحج ويمنعهم عنه في يوم الحج (كما في رمضان)؟

رأينا: نحن نفتري الظن أن الحاجة ملحة لإعادة النظر في مفردة أشهر الحج، لنتعرف من خلالها على الفترة الزمنية التي منع منها الرجال من الرفث إلى نسائهم في أشهر الحج لمن فرض فيهن الحج:

- **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197) البقرة**

أما بعد،

لا يتوقف الخلط في الفهم عند العامة وأهل العلم على حد سواء عند مفردة الشهر بل تتجاوزها إلى مفردات أخرى تخص الزمن ربما يصعب الفهم العام دون التعرض لها بالتفصيل نذكر منها على سبيل المثال مفردات مثل اليوم والليلة والنهار، لنطرح الأسئلة التالية:

⇐ ما هو اليوم؟
⇐ ما هي الليلة؟
⇐ ما هو النهار؟
⇐ كيف يختلف اليوم عن النهار؟

لنخلص بعد ذلك إلى التفريق بينها من جهة ومفردة الشهر من جهة أخرى، لنطرح بعدها التساؤلات التالية:

⇐ ما هو الشهر؟
⇐ ما الفرق بين الشهر واليوم والليلة والنهار؟
⇐ ما الفرق بين الأشهر والشهور؟
⇐ الخ.

السؤال الأول: ما هو اليوم؟ وما الفرق بين اليوم والليلة؟

رأينا: نحن نظن أن مفردة اليوم لا تعني في النص القرآني فترة الأربع والعشرين ساعة كاملة كما يستخدمها كثير من الناس في حياتهم اليومية. فغالباً ما ظن الكثيرون أن الحديث عن اليوم يعني فترة الأربع والعشرين ساعة ; كاملة. لذا عندما يقرؤون آية في كتاب الله يذكر فيها مفردة اليوم، تطير أذهانهم إلى ما تناقلوه عن المفردة عن السِنة آباءهم، فهم بذلك ينقلون عربيتهم (على علاّتها) إلى كتاب الله، ويفسرون آيات الكتاب الكريم بناء على تلك الأفهام المغلوطة، وهذا من البلاء الذي أصاب الأمة وربما منع أهل العلم من الخروج باستنباطات صحيحة من كتاب الله. أما نحن فتتلخص منهجيتنا بعكس الصورة تماماً وبالتالي الإقرار أن في عربيتنا من العيوب الكثيرة التي لا يجوز أن ننقلها إلى كتاب الله (وبالتالي نحاكم كتاب الله

بناء على أفهام مغلوطة ورثناها عن آباءنا)، بل لا بد من تهذيب تلك الأفهام وذلك بإسقاط ما في كتاب الله على عربيتنا، فما يقره كتاب الله هو الحقيقة التي لا يجب المماطلة فيها.

وعند تطبيق هذه المنهجية في تحليل مفردة اليوم في النص القرآني وجدنا أن المفردة تدل فقط على ذلك الجزء من الوقت الذي نصوم فيه، فاليوم ليس أكثر من فترة الصيام في مرة واحدة، والفترة تبدأ عندما يتبين الخيط الأبيض من الأسود من الفجر (أي تقريباً عند رفع الآذان لصلاة الفجر) وتنتهي عند الليل مع مغيب الشمس (أي تقريبا صلاة المغرب)، فالصيام بنص الآيات الكريمة التالية هو بكل تأكيد أياما معدودات، فنحن نصوم اليوم، ولا نصوم أربعة وعشرين ساعة متتابعة:

- **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ۚ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184) البقرة**

ولو دققنا النظر أكثر في هذه الآية الكريمة لوجدنا أن الآية الكريمة تثبت لنا بأن الصيام (فعل الامتناع عن الأكل والشرب والرفث إلى النساء) ليس شهراً وإنما هو أيام معدودات، الأمر الذي يدعونا إلى التمييز بين أمرين اثنين وهما:

⇐ أن رمضان هو شهر

⇐ بينما الصيام أيام معدودات

السؤال: إذا كان رمضان هو شهر كامل، فلِم يخبرنا الله أن الصيام أيام معدودات؟

افتراء من عند أنفسنا: نحن نظن أن الصيام هو فعل الكف عن الأكل والشرب والرفث إلى النساء مصداقاً لقوله تعالى:

...ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ...

أما رمضان فهو ليس أكثر من اسم لذلك الشهر الذي يحتوي على أيام الصيام:

- **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185) البقرة**

السؤال: هل يمكن أن يصوم الإنسان المريض أو المسافر الشهر كله دفعة واحدة (**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**) أو أن يفطره كله دفعة واحدة (**وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**)؟ سنرى لاحقاً أن مفردة الشهر التي وردت في هذه الآية الكريمة مرتين تستخدم للإشارة إلى شيئين اثنين، كل نهما هو في نهاية المطاف شهر.

وبذلك يكون الصيام أياما معدودات لأننا لا نصوم الأربعة والعشرين ساعة متتابعة، وإنما نصوم فقط تلك الفترة من الزمن التي نتوقف فيها عن تناول الطعام والشراب والرفث إلى النساء وهي ما يطلق عليه باللفظ القرآني اليوم. وبذلك نكون قد أتممنا الصيام إلى الليل:

...ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ...

وما أن يقدم الليل حتى يصبح من حقنا أن نأكل ونشرب ونرفث إلى النساء:

- أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187) البقرة

افتراء من عند أنفسنا: نحن نزعم القول أنه من الاستحالة بمكان أن تكون مفردة اليوم دالة على فترة الأربع والعشرين ساعة كاملة لأن ذلك سيشكل معضلة كبيرة جداً في تطبيق الأمر الإلهي الذي تنص عليه الآيات الكريمة التالية:

- وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (196) البقرة

السؤال: إذا كانت مفردة اليوم تعني (كما يظن الكثيرون) أنها تدل على الأربع والعشرين ساعة كاملة، فكيف سنصوم ثلاثة أيام في الحج (أي 3 × 24 = 72 ساعة متتابعة)؟ وإن قدرنا على ذلك، فهل سنقدر على صيام سبعة أيام بعد الرجوع من الحج (أي 7× 24 = 168 ساعة متتابعة)؟ من يدري!!!

نتيجة مفتراة: نحن نظن أن "اليوم" ليس أكثر من الفترة الزمنية التي يطلب من المسلم فيه الكف عن الطعام والشراب والرفث إلى النساء عند القيام بفعل الصيام، ويتوقف اليوم عند قدوم الليل التي يصبح المسلم مرخصاً له فيه القيام بهذه الأفعال.

اليوم	الفترة الزمنية التي لا نأكل ولا نشرب ولا نرفث إلى النساء فيها (وهي تبدأ عند رفع آذان الفجر وتستمر حتى رفع آذان المغرب)
الليلة	تلك الفترة من الزمن التي يحق لنا أن نأكل ونشرب ونرفث إلى النساء فيها وهي تبدأ من رفع آذن المغرب وتستمر حتى رفع آذان الفجر

السؤال قيد البحث لاحقاً: إذا كنا نعرف أن هناك دورة كاملة من أربع وعشرين ساعة في اليوم والليلة، وإذا كان اليوم يشكل جزء منها (فترة الصيام بالامتناع عن الأكل والشرب والرفث إلى النساء) والليلة (فترة الرخصة بالأكل والشرب والرفث إلى النساء) تكمل الجزء المتبقي منها، فما المفردة التي يمكن أن نستخدمها لتدل على دورة الأربع والعشرين ساعة كاملة؟ من يدري!!!

السؤال الثاني: ما هو النهار؟ وما الفرق بين النهار واليوم؟

افتراء من عند أنفسنا: نحن نظن أن هناك فرق كبير بين اليوم والنهار، فالنهار يبدأ مع شروق الشمس وينتهي عند غيابها، وذلك لأن النهار مبصرا:

- **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (67) يونس**
- **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (12) الإسراء**

ولكن الليل هو من يسدل الغشاوة فيذهب بذلك الإبصار الذي كان موجوداً في النهار:

- **وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (3) الرعد**
- **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54) الأعراف**

وفي الوقت الذي يكون الليل يسدل الغشاوة يكون النهار في حركة انسلاخ:

- **وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (37) يس**

والنهار يعاكس الليل (كما يعاكس الحي الميت) لأنّ كل منهما يحل محل الآخر، ويتم ذلك بطريقة الإيلاج:

- **تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (27) آل عمران**

اليوم	الفترة الزمنية التي لا نأكل ولا نشرب ولا نرفث إلى النساء فيها (وهي تبدأ عند رفع آذان الفجر وتستمر حتى رفع آذان المغرب)
الليلة	تلك الفترة من الزمن التي يحق لنا أن نأكل ونشرب ونرفث إلى النساء فيها وهي تبدأ من رفع آذن المغرب وتستمر حتى رفع آذان الفجر
النهار	الفترة الزمنية من طلوع الشمس حتى غيابها

السؤال قيد البحث الآن: إذا كنا نعرف أن هناك دورة كاملة من أربع وعشرين ساعة في النهار والليل معاً، وإذا كان النهار يشكل جزء منها (فترة طلوع الشمس إلى غروبها) والليل (فترة غروب الشمس إلى طلوعها) يكمل الجزء المتبقي منها، فما المفردة التي يمكن أن نستخدمها لتدل على دورة الأربع والعشرين ساعة كاملة؟ من يدري!!!

افتراء خطير جداً من عند أنفسنا: إننا نظن أن دورة الأربع والعشرين ساعة (التي يشكلها اليوم والليلة معاً أو النهار والليل معاً) هي ما يمكن أن نسميه – افتراء من عند أنفسنا- شهرا.

السؤال: ما معنى مفردة "شهر"؟ وكيف تستخدم تلك المفردة؟

رأينا: نحن نظن أن مفردة شهر هي مفردة جامدة بعض الشيء في الاشتقاق، ولكن يمكن أن نربطها بمفردات مثل الاشتهار، والشهرة، والتشهير، والمشهور، والشاهر، والمشاهير، الخ. فلماذا؟

رأينا: إننا نظن أن "فعل الاشتهار" لا يتم إلا بظهور متكرر لصاحب الشهرة، وأظن أن أهم ما يميز الشهرة هو تكرار حصول الفعل. لذا نحن نفتري الظن أن مفردة الشهر تدل على حدث دائم متكرر، ومادام أننا نتحدث في هذا السياق عن زمن فإن تكرار حدوث ذلك الزمن يشكّل ما يشبه "دورة كاملة" (أي كالدائرة)، فالحدث يبدأ من نقطة ويتحرك في مسار ثابت (بغض النظر عن المسافة الزمنية التي يقطعها) ليعود إلى النقطة نفسها، وهذا - في رأينا - ما يمكن أن نطلق عليه – افتراء من عند أنفسنا- لفظة الشهر.

فالنساء يتحدثن عن الدورة الشهرية بالرغم أنها لا تكون في الغالب ثلاثين يوماً (إلا أنها بلا شك حدث متكرر على الدوام)، وفي منزلنا شجرة ليمون شهرية لا يتساقط ثمرها ولا يتجدد بعد اليوم الثلاثين مباشرة (إلا أن إنتاجها دائم متكرر)، ونحن نستلم راتبنا الشهري في السابع والعشرين من الشهر (فهو حدث دائم متكرر)، وهكذا. إن مراد قولنا هنا هو أن ما يميز كل فعل شهري هو أنه متكرر متجدد بنفس الوتيرة.

الدليل

لقد حدد الله لنا الزمن باستخدام كينونتين طبيعيتين هما الشمس والقمر، أليس كذلك؟

- **هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (5) يونس**
- **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (12) الإسراء**

النتيجة: الشمس والقمر هما الكينونتان اللتان جعلهما الله لنا لنعلم عدد السنين والحساب.

السؤال: كيف يمكن أن نعلم عدد السنين والحساب من خلالهما؟

جواب: لو تدبرنا حركة الشمس وحركة القمر في تحديد الزمن لوجدنا أن كل منهما يسبح في فلك، وبعد البحث عن هذه المعلومة في كتاب الله لم نجد أن هناك كينونات تسبح في فلك إلا الشمس والقمر حيث ارتبط بهما الليل والنهار:

- **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (33) الأنبياء**

- **لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40) يس**

نتيجة: الشمس والقمر هما الكينونتان الوحيدتان اللتان تسبحان في فلك، ويصاحبهما في ذلك الليل والنهار.

مما يدعونا إلى طرح التساؤلات التالية:

⇐ ما هو الفلك أصلاً؟ وكيف تتم السباحة فيه؟
⇐ ما هو فلك الشمس؟ وكيف تسبح الشمس فيه؟
⇐ ما هو فلك القمر؟ وكيف يسبح القمر فيه؟
⇐ ما الفرق بين فلك الشمس وفلك القمر؟ وكيف تختلف سباحة الشمس عن سباحة القمر؟
⇐ كيف يساعدنا فهم ذلك في معرفة الزمن؟
⇐ الخ.

افتراءات من عند أنفسنا

⇐ الفلك: نحن نظن أن الفلك هو ما يشبه شكل الدائرة (وليس بالضرورة التطابق) بغض النظر عن الحجم:



⇐ السباحة: لا يرد "فعل السباحة" في كتاب الله إلا بلفظ (يَسْبَحُونَ) ولا يتلازم هذا اللفظ إلا مع الشمس والقمر والليل والنهار:

- **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (33) الأنبياء**
- **لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40) يس**

نتيجة مفتراة: الشمس والقمر والليل والنهار هي فقط ما تقوم بفعل السباحة التي لا تتم إلا في فَلَك.

فكيف تتم السباحة في الفَلك؟

رأينا: لمّا كانت الشمس تسبح في فَلك، ينتج عن حركتها تلك فترة زمنية محدد نستطيع أن نلمسها نحن البشر وهي تعاقب الليل والنهار، وتتم تلك الحركة بشكل متكرر كل أربعة وعشرين ساعة مرة واحدة، وبكلمات أخرى نقول أن الشمس تكمل دورة كاملة تتكرر بشكل منتظم كل أربعة وعشرين ساعة، فنستطيع بناء على ذلك معرفة اليوم (لنصوم فيه مثلاً) والليلة (لنتوقف عن الصيام)، ونستطيع تحديد النهار (حيث يكون مبصراً) والليل (حيث يحل الظلام محل النور)، وهذا يدعونا على الفور إلى طرح التساؤل المثير جداً التالي: ماذا يمكن أن نطلق على دورة الشمس في فلكها مرة واحدة كل أربعة وعشرين ساعة؟

فهل يمكن أن نسمي ذلك يوم؟

كلا، لأن اليوم هو فترة الصيام فقط التي يتم فيها الإمساك عن الطعام والشراب والرفث إلى النساء

هل يمكن أن نسمي ذلك نهار؟

كلا، لأن النهار هو مبصراً، لذا فهو لا يكوّن أكثر من جزء من تلك الدورة

هل يمكن أن نسمي ذلك ليل؟

كلا، لأن الليل مظلم متى انسلخ منه النهار، لذا فهو أيضاً لا يكوّن أكثر من الجزء الآخر لتلك الدورة

فماذا يمكن أن نسميه إذاً؟

افتراء من عند أنفسنا: إنه الشهر

فنحن نفتري الظن بأن الشمس تشهر نفسها مرة واحدة كل أربعة وعشرين ساعة في حركة سباحة في فلكها، فيتكون – برأينا- جراء ذلك الشهر الشمسي الذي ينتج عن تعاقب الليل والنهار أو اليوم والليلة، وبذلك تكمل الشمس في فلكها دورة واحدة متكررة بنفس الوتيرة على الدوام فيما يمكن أن نسميه – افتراء من عند أنفسنا- بالشهر.

سؤال: وماذا عن القمر؟

لو راقبنا ما يحدث في حالة القمر لوجدنا أن القمر هو أيضاً يسبح في فلك خاص به، ويتم ذلك بطريقة متكررة بوتيرة ثابتة على الدوام، فما انفك القمر عن إشهار نفسه في وقته المحدد له وذلك لأنه يسبح في فلك خاص به. ويتم تحديد الزمن بناء على منازله، ولكن المفارقة تكمن هنا بأننا لا نستطيع تحديد الزمن من منازل القمر كل يوم وليلة، ولكننا نقدر الزمن بناء على سباحة القمر في دورته الكاملة، والتي تستغرق فترة زمنية أطول من تلك التي تستغرقها الشمس في دورتها لإشهار نفسها، ففي حين أن الشمس تشهر نفسها تقريباً كل أربعة وعشرين ساعة مرة واحدة، فإن القمر يشهر نفسه مرة واحدة كل ثلاثين يوماً تقريباً (أي يكمل دورته في سباحته في فلكه)، فينتج عن ذلك الشهر القمري الذي يعرفه الناس.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: هناك شهر يتحدد بحركة الشمس الدورية كل أربعة وعشرين ساعة وينتج عنه الليل والنهار (واليوم والليلة)، وهناك بالمقابل – شهر يتحدد بحركة القمر ينتج عنه الأشهر القمرية التي نعرفها كشهر رمضان مثلاً.

نحن نظن أن الفرق الذي نجده في استخدام الشمس والقمر في تحديد الزمن لا يختلف إلا بحجم الفَلَك (أي الدائرة) التي يسبح فيها كل منهما. فالقمر كونه يدور حول الشمس فهو يسبح في فلك واسع، والقمر نفسه كون حجمه ليس كبيراً (كالشمس) فإن حركته في فلكه ليست سريعة، لذا تكون دورته واسعة وتستغرق وقتاً أطول، فينتج عنه الشهر القمري الذي يتراوح بين تسعة وعشرين وثلاثين يوماً (بمعنى اليوم الشائع على ألسنتنا)، وهذا ما يعرفه العامة وأهل العلم على حد سواء. أما بكلماتنا، فنحن نزعم القول أن القمر يشهر نفسه مرة واحدة بعد أن ينهي دورته التي يسبحها في فلكه مرة واحدة.

أما الشمس، فلأنها لا تدور حول القمر وإنما تدور حول نفسها، ولأنها ذات كتلة أضخم بكثير من كتلة القمر، فإن حركتها تكون حركة سريعة جداً، تمكنها من أن تقطع فلَكَها في فترة زمنية أقصر وهي حوالي أربعة وعشرين ساعة. لذا نحن نزعم القول أن الشمس تشهر نفسها مرة واحدة بعد أن تنهي دورتها التي تسبحها في فلكها مرة واحدة.

سؤال للتدبر: كيف نعلم عدد السنين والحساب؟ هل يستطيع الإنسان أن يحدد الفترة الزمنية التي هو فيها بمجرد النظر إلى الشمس والقمر؟

جواب: لو سألنا شخص في أي سنة (أو عام) نحن لما تردد في القول بأننا الآن في سنة 2013 ميلادي، أو العام 1435 هجري، أليس كذلك؟

سؤال: وفي أي سنة كنا العام الماضي؟ (أرجو المعذرة على الخلط في المفردات، فالهدف هنا هو توصيل الفكرة فقط)

جواب: 2012

سؤال: وفي أي سنة سنكون في العام القادم؟

جواب: 2013

سؤال: هل تتكرر السنة أو يتكرر العام في حسابنا للزمن؟

جواب لا؟

والآن لنطرح السؤال التالي: في أي شهر نحن؟

جواب: في شهر شباط

سؤال: وماذا عن الشهر الماضي؟

جواب: كانون ثاني؟

سؤال: وماذا عن الشهر التالي؟

جواب: آذار

سؤال: وماذا عن أشهر السنة القادمة؟

جواب: ستتكرر الأشهر نفسها في كل سنة وفي كل عام، أليس كذلك؟

نتيجة 1: لاحظ أن الشهر القمري الذي ينتج عن سباحة القمر في فلكه هي أثنا عشر شهراً في كل عام وهذه الشهور تتكرر في كل عام منذ أن خلق الله الأرض وحتى يرثها.

فالدورة القمرية (أو بكلماتنا إشهار القمر نفسه بسبب سباحته في فلكه) ينتج عنها: كانون ثاني شباط آذار نيسان أيار حزيران تموز آب أيلول تشرين أول تشرين ثاني كانون أول، وهذه أشهر متكررة على الدوام بشكل منتظم، وهي ليست أكثر من أشهر. (ولا أظن أن الناس على وجه البسيطة كاملة يختلفون في عددها ولكنهم يختلفون فقط في تسمياتها)

نتيجة 2: لاحظ ما يحدث في حالة الشمس أيضاً، فهي تسبح في فلكها بشكل متكرر، فينتج عن ذلك الليل والنهار، (واليوم والليلة)، وهو ما يتعارف عليه الناس باسم "أيام الأسبوع السبعة"، إن ما يجدر ملاحظته هنا هو كيف تتكرر هذه على الدوام منذ أن خلق الله الأرض وحتى يرثها.

الدورة الشمسية (أو بكلماتنا إشهار الشمس نفسها بسبب سباحتها في فلكها) ينتج عنها: السبت الأحد الاثنين الثلاثاء الأربعاء الخميس الجمعة وهي متكررة على الدوام لذا فهي في نظرنا ليست أكثر من أشهر (ولا أظن أن الناس على وجه البسيطة كاملة يختلفون في عددها ولكنهم يختلفون فقط في تسمياتها)

سؤال: ما علاقة ذلك بعدد السنين والحساب؟

جواب: الناس لا يعرفون في حسابهم للزمن إلا هذه الدورات الشمسية والقمرية، أو بكلماتنا نقول إن الناس يحسبون الزمن بناء على الشهر، ونعني بالشهر الشهر القمري والشهر الشمسي.

عودة على بدء

كيف يساعدنا ذلك في الحساب؟

انطلق هذا النقاش في البداية من التساؤل الذي أثرناه حول معنى مفردة الشهر كما ترد في الآية الكريمة التي تتحدث عن ريح سليمان:

- **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) سبأ**

وكان السؤال المثار حينئذ هو: لماذا كانت ريح سليمان تجري شهراً بالغدو وآخر بالإياب؟ فما هي المسافة التي يمكن أن تقطعها الريح في فترة شهر كامل؟

وهنا نحاول أن نربط ما تحصل لنا من معرفة عن مفردة الشهر بعد هذا النقاش المطوّل المفترى جله من عند أنفسنا بريح سليمان التي كانت تجري به شهراً بالغدو وآخر بالإياب.

لنقدم الافتراء الكبير التالي: لقد كانت ريح سليمان تغدو به شهراً شمسياً وليس شهراً قمرياً.

إن أبسط ما يمكن أن نفهمه نحن من الآية الكريمة هو أن الريح كانت تجري بسليمان بأمر منه إلى الأرض التي باركنا فيها مسيرة يوم وليلة معاً (أي شهراً شمسياً)، وتعود به في رحلة الإياب في شهر شمسياً آخر:

- وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81) الأنبياء

ويمكن أن يعزز فهمنا هذا ما يمكن أن نطرحه من تساؤلات حول رحلة سليمان:

⇐ أولاً، نحن نظن أن سليمان كان لا يسكن الأرض التي باركنا فيها، ولكن الريح كانت تجري به إلى هناك (انظر الآية السابقة)، فلماذا – يا ترى- كان يذهب سليمان إلى هناك؟

⇐ ثانياً، لمّا كان سليمان لا يسكن الأرض التي باركنا فيها وكان يذهب إلى هناك بواسطة الريح، فأين يا ترى كان موطنه الأصلي؟

⇐ ثالثاً، إن صح قول من سبقنا، فهل يعقل أن يترك سليمان ملكه فترة شهرين قمرين (شهر للغدو وآخر للإياب) ليذهب إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين؟ وماذا كان يمكن أن تفعل الشياطين الذين كانوا في عذاب مهين تحت حكم سليمان في غيابه؟

- وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) سبأ

جواب: نحن نفتري القول أن بإمكاننا أن نقدم إجابات على هذه الأسئلة أكثر إقناعاً مما هو سائد من فكر (هذا إن كان هناك أصلاً فكر موجود يخص هذه القضية) إن نحن قرأنا السياق القرآني في سياقه الأوسع خاصة الآية الكريمة التي جاءت مباشرة بعد الحديث عن ريح سليمان بشيء من التدبر:

- وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) سبأ

وهي التي أثارت لدينا سؤالاً كبيراً جداً لا أظن أن الفكر الإسلامي حتى الساعة قد وضعه على طاولة البحث، والسؤال مفاده: لماذا كان الجن يعملون لسليمان التماثيل؟ هل يعقل أن يطلب سليمان من الجن أن يعملوا له التماثيل ونحن نعلم أن إبراهيم مثلاً لم يتردد أن يجعلها جذاذاً؟ وهل يعقل أن يطلب سليمان من الجن أن تعمل له التماثيل ونحن نعرف أن أول ما قام به محمد عند عودته إلى مكة هو الإطاحة بها؟ فكيف يا ترى يقدم سليمان على طلب بناء التماثيل من الجن؟ فهل يمكن أن يجيز الفكر الإسلامي فكرة بناء التماثيل كما فعل سليمان عندما طلب من الجن القيام بذلك؟

وإذا كانت تماثيل سليمان مختلفة كما يمكن أن يرد علينا البعض بالقول، فكيف كانت تختلف؟ وأين هي أصلاً تلك التماثيل التي بناها الجن لسليمان؟ وأين كان الجن يبنون التماثيل لسليمان؟ والأهم من ذلك كله هو: لماذا طلب سليمان من الجن بناء التماثيل؟
هذا ما سنتناوله في الجزء القادم بحول الله وتوفيقه.

لذا فالله أسأل أن يأذن لي بعلم لا ينبغي لأحد غيري إنه هو السميع المجيب



مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ منسَأَتَهُ

الباب الثالث عشر

التماثـيل



الباب الثالث عشر: التماثيل

حاولنا في الجزء السابق التعرض لمعنى مفردة الشهر التي ترد في بعض السياقات القرآنية، فأثرنا حولها حينئذ التساؤلات التالية:

هل نحج أشهر؟ وما هي تلك الأشهر؟

- **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197) البقرة**

هل فعلاً ينتظر الذين يؤلون من نساءهم فترة أربعة أشهر؟

- **لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (226) البقرة**

لم تحتاج من يئست من المحيض (والتي من تحض أصلاً) أن تعتد ثلاثة أشهر؟

- **وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) الطلاق**

لماذا جاء الحديث عن تربص المطلقات بلفظ القروء ولم يأتي بلفظ الأشهر؟

- **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (228) البقرة**

وهل فعلا تحتاج من يتوفى عنها زوجها أن تنتظر أربعة أشهر وعشرا؟

- **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234) البقرة**

لم لا تنتظر ثلاثة قروء كالمطلقة مثلاً؟ ولم لا تنتظر كمن يئست من المحيض (**فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ**)؟ أو لم لا تنتظر أن تضع حملها إن كانت من أولي الأحمال كما تصور ذلك الآية الكريمة التالية؟

- **وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) الطلاق**

وما هي المدة الزمنية التي تحتاج أن تتربص بها المرأة بنفسها كما ترد في الآية الكريمة التالية:

- **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234) البقرة**

وقد كان الذي أثار هذا النقاش عن مفردة الشهر هو ما جاء في الآية الكريمة التي تتحدث عن قصة ريح سليمان عليه السلام:

- **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) سبأ**

وكان الهدف هو حساب الفترة الزمنية التي كانت تجري بها الريح بأمر من سليمان في الغدو والرواح. وخرجنا من ذلك النقاش بالافتراءين التاليين عن مفردة الشهر، أحدهما نشارك فيه العامة في فهمهم الدارج والآخر هو بلا شك من عند أنفسنا:

⇐ مفردة الشهر تدل على الفترة الزمنية المتعارف عليها عند الناس بما يقرب من ثلاثين يوماً، لتشكل أشهر السنة كالسنة الميلادية (كـ كانون ثاني، وشباط، وآذار، الخ). أو كأشهر السنة الهجرية (كـ شوال، ورمضان، وشعبان، الخ).

⇐ مفردة الشهر تستخدم في العربية لتدل على الفترة الزمنية التي تكوّن الليل والنهار معاً (أو اليوم والليلة معاً)، أي فترة الأربع والعشرين ساعة كاملة.

وحاولنا تسويق زعمنا أن ريح سليمان كانت تجري به مدة أربع وعشرين ساعة كاملة (أي شهراً) في الذهاب (الغدو) وأربع وعشرين ساعة (أي شهراً) في الإياب (الرواح)، فسليمان كإنسان يحتاج أن ينام ويأكل ويشرب ويقضي حاجته، وكانت تلك الريح تذهب به بنص الآية الكريمة إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين:

- **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81) الأنبياء**

فالمسافة بين بلاد سليمان (القرى الظاهرة) والأرض التي باركنا فيها للعالمين كانت تقطعها ريح سليمان في شهر (أربع وعشرين ساعة) في رحلة الذهاب (الغدو) وتعود به من هناك في أربع وعشرين ساعة في رحلة الإياب (الرواح):

سنحاول لاحقاً أن نحاول الإجابة على التساؤل التالي: لماذا كان سليمان يذهب أصلاً إلى هناك؟

- **وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (18) سبأ**

وافترينا الظن بأن بلاد سليمان لم تكن هي سبأ (فتلك كانت أرض تلك المرأة التي جاء الهدهد إلى سليمان بخبرها):

- **وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (21) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) النمل**

وسليمان ووالده داوود من قبله لم يكونا يسكنان **الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**، لأن تلك كانت بلاد بني إسرائيل التي ورثوها عن إبراهيم وإسحق ويعقوب:

- **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (137) الأعراف**

- وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72) الأنبياء

فنحن نفتري الظن بأن سليمان لم يكن من سلالة بني إسرائيل التي خرجت من أرض مصر مع موسى، فبنو إسرائيل قد احتجوا أصلاً على ذلك الرجل الذي آتاه الله الملك عليهم وهو طالوت الذي من خلاله وصل الأمر إلى داوود (والد سليمان):

- أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (248) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (252) البقرة

وسنحاول (إن أذن الله لنا بشيء من علمه) تحديد المنطقة الجغرافية التي كان يسكنها سليمان ووالده داوود من قبله ; كما يمكن أن نفهمها من الآية الكريمة التالية:

- وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (18) سبأ

وسنعلق بعد ذلك على مزاعم اليهود حول أحقيتهم التاريخية والدينية في الأرض "التي باركنا فيها للعالمين"، وبحثهم الدءوب عن ما يسمونه بـ "هيكل" سليمان لإثبات أحقيتهم تلك فيها، وسنحاول بحول الله وتوفيقه أن نبحث عن تفاصيل القصة كما نفهمها نحن من السياقات القرآنية، وسيرى الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

فالله أسأل أن يهديني صراطه المستقيم وأن يعلمني الحق الذي أقوله فلا أفتري عليه الكذب، والله أسأل أن يرشدنا إلى الحق حيثما كان، وأن يذر الذين ظلموا في طغيانهم يعمهون.

وحاولنا استخدام افتراءنا بأن مفردة الشهر تستخدم في العربية بمعنى "اليوم والليلة" معاً لتسليط الضوء على فترة تربص المرأة التي يتوفى عنها زوجها وحاولنا تسويق منطقنا هذا من خلال الحقيقة الثابتة في العربية التي مفادها أن مفردة "شهر" تجمع في العربية على أشهر وعلى شهور، وسنحاول لاحقاً إن أذن الله لنا بشيء من علمه أن نفرد مقالات مستقلة لكل آية من آيات الكتاب الحكيم التي يرد فيها (أو التي لها علاقة) بمفردة الشهر.

فالله أسأل أن يؤتيني رحمة من عنده وأن يعلمني من لدنه علماً، إنه هو السميع المجيب.

أما في هذا الجزء من المقالة فسنتابع حديثنا بحول الله وتوفيقه عن قصة سليمان السابقة، ولكن طارحين هذه المرة تساؤلاً غريباً يثيره السياق القرآني التالي:

- **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14) سبأ**

السؤال: لماذا كانت الجنّ مسخرة لسليمان لتعمل له ما يشاء من تماثيل؟ فلربما نستطيع أن نتفهم أن تعمل الجنّ لسليمان المحاريب وجفون كالجواب وقدور راسيات (وإن كنّا لا نفهم المعاني الدقيقة لهذه الأشياء)، ولكنّه يصعب علينا (وأقصد على العامة من مثلي) أن نتفهم أن تقوم الجنّ بأمر من سليمان فتعمل له التماثيل؟ فما حاجة سليمان بتلك التماثيل؟

نحن نثير هذا التساؤل في ضوء العقيدة التي نعرفها في ديننا بأن بناء التماثيل (كما أخبرنا سادتنا العلماء) أمر غير محبب خصوصاً إذا ما استذكرنا ما فعل إبراهيم عليه السلام بتماثيل القوم:

- **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) الأنبياء**

وفي ضوء العقيدة التي ورثناها والمتمثلة بأن أول ما قام به محمد عندما عاد فاتحاً مكة هو تطهير البيت من تلك الكينونات التي أضلت كثير من الناس قروناً من الزمن كما جاء على لسان إبراهيم في كتاب الله:

- **رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ۖ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (36) إبراهيم**

السؤال المربك لي: لماذا قام محمد (لنقل تجاوزا) بالاعتداء على تماثيل القوم وكذلك فعل إبراهيم من قبله ما دام أن سليمان يأمر الجن بأن تعمل له التماثيل؟ أو بالمقابل نقول: لماذا يظلم سليمان نفسه (إن صح القول) عندما يأمر الجن بأن تعمل له تلك التماثيل ما دام أن إبراهيم من قبله ومحمدا من بعده يعمدون إلى التخلص منها؟ ألا يخشى سليمان أن يحل بالقوم بسبب تلك التماثيل ما حل بمن قبلهم (كقوم إبراهيم) أو بما حل بمن بعدهم (كقوم محمد)؟

وها هم أتباع الديانة الإسلامية (على مر العصور) لا يجدون تمثالاً على وجه الأرض إلا ويناصبوه العداء، ويحاولون تدميره والتخلص منه إن هم استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. فها هم طالبان والقاعدة مثلاً يعتدون على تماثيل بوذا في أفغانستان فيدمّرونها بحجة أنهم يطبقون (حسب فهمهم) تعاليم ربهم كما جاءت في سنة نبيهم.

وها هم أهل الكنانة وبلاد الشام وأرض الرافدين (بلاد الحضارة والتاريخ) لا يجدون تمثالاً في باطن الأرض أو على ظاهرها إلا ويقوموا بواحدة من اثنتين:

⇐ أن يقع ذلك التمثال بيد سماسرة الآثار فيشروه إلى متاحف الآثار العالمية بثمن بخس دراهم معدودة وهم فيها من الزاهدين، وتقوم تلك المتاحف العالمية بجني الملايين من وراء تماثيل القوم التي اشتروها منهم بذلك الثمن البخس، أو

⇐ أن تقع بأيدي أصحاب العمائم البيضاء أو السوداء منهم فينقضوا عليها بفؤوسهم وربما بعصيهم ليدمّروها لأنها تذكّرهم بأيام الشرك والإلحاد التي - لا شك- لا يرغبون أن يعودوا إليها. ولينظر من أراد أن يجادل إلى ما حل بالتماثيل التي لا تزال قائمة في بلاد الإسلام في مصر والشام والعراق وأجزاء من جزيرة العرب. فنادرا ما تجد تمثالاً ليس مجدوع الأنف أو مفقوع العينين أو حتى مقطوع الرأس، أليس كذلك؟

ولكن فعلتهم هذه لن تثنينا عن طرح السؤال نفسه: إذا كانت التماثيل تمثل كل هذا الشر الذي يروّنه بها، فلم يقوم سليمان (الذي لا شك يعرفونه جميعاً) بإصدار أوامره للجن فتعمل له التماثيل؟ ونحن على يقين أن أهل العلم لن يستطيعوا رد سؤالنا هذا مادام أن صريح اللفظ القرآني يشير إلى ذلك، فنحن لا نفتري شيئاً من عند أنفسنا لنكذبه على سليمان (كعادتنا)، ولكننا فقط نذكرهم أن يقرءوا قول الحق في الآية الكريمة التالية من هذه الزاوية:

- **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) سبإ**

فما قصة تماثيل سليمان؟

أولاً، لا بد من الإشارة (كما فعلنا دائماً) إلى أن أهل الدراية من سادتنا العلماء غالباً ما يستخدمون أسلوب الكتمان في أطروحاتهم، فهم يبدون للناس ما يريدون ويخفون كثيراً مما لا يريدون العامة (من مثلي) أن يقع في خاطرهم، لذا تخلو شروحاتهم في مجملها من مثل هذه القضايا، وحتى لا نتهم الناس بما ليس فيهم فنكون من الظالمين، فإننا ندعو القارئ الكريم أن يرى بأم عينه كيف تجنب ابن كثير الذي ينقل عن أهل الدراية التعرض لهذه الجزئية التي لا أظن أنها قد فاتتهم جميعاً عند تفسير الآية الكريمة التي تتحدث عن تماثيل سليمان:

وقوله تعالى : " يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل " أما المحاريب فهي البناء الحسن وهو أشرف شيء في المسكن وصدره وقال مجاهد المحاريب بنيان دون القصور وقال الضحاك هي المساجد وقال قتادة هي القصور والمساجد وقال ابن زيد هي المساكن وأما التماثل فقال عطية العوفي والضحاك والسدي التماثيل الصور قال مجاهد وكانت من نحاس وقال قتادة من طين وزجاج وقوله تعالى : " وجفان كالجواب وقدور راسيات " الجواب جمع جابية وهي الحوض الذي يجبى فيه الماء كما قال الأعشى ميمون بن قيس : تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما كالجواب أي كالجوبة من الأرض وقال العوفي عنه كالحياض وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم والقدور الراسيات أي الثابتات في أماكنها لا تتحرك ولا تتحول عن أماكنها لعظمها كذا قال مجاهد والضحاك وغيرهما وقال عكرمة أثافيها منها وقوله تعالى : " اعملوا آل داود شكرا " أي وقلنا لهم اعملوا شكرا على ما أنعم به عليكم في الدين والدنيا وشكرا مصدر من غير الفعل أو أنه مفعول له وعلى التقديرين فيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول والنية كما قال الشاعر : أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا قال أبو عبد الرحمن السلمي الصلاة شكر والصيام شكر وكل خير تعمله لله عز وجل شكر وأفضل الشكر الحمد رواه ابن جرير وروى هو وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال الشكر تقوى الله تعالى والعمل الصالح وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل . وقد كان آل داود عليهم السلام كذلك قائمين بشكر الله تعالى قولا وعملا قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي بكر حدثنا جعفر يعني ابن سليمان عن ثابت البناني قال كان داود عليه السلام قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة فكان لا تأتي عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي فغمرتهم هذه الآية " اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور " وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى وقد روى أبو عبد الله بن ماجه من حديث سعيد بن داود حدثنا يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قالت أم سليمان بن داود عليهم السلام لسليمان يا بني لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيرا يوم القيامة وروى ابن أبي حاتم عن داود عليه الصلاة والسلام ههنا أثرا غريبا مطولا جدا وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عمران بن موسى حدثنا أبو زيد قبيصة بن إسحاق الرقي قال : قال فضيل في قوله تعالى : " اعملوا آل داود شكرا " قال داود يا رب كيف أشكرك والشكر نعمة منك ؟ قال الآن شكرتني حين قلت إن النعمة مني وقوله تعالى : " وقليل من عبادي الشكور " إخبار عن الواقع

وانظر عزيزي القارئ ما جاء في تفسير الجلالين حول الآية نفسها:

يعملون له ما يشاء من محاريب" أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج "وتماثيل" جمع تمثال وهو كل شيء مثلته بشيء أي صور من نحاس وزجاج ورخام ولم يكن اتخاذ الصور حراما في شريعته "وجفان" جمع جفنة "كالجواب" كالجوابي جمع جابية وهو حوض كبير يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها "وقدور راسيات" ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها تتخذ من الجبال

باليمن يصعد إليها بالسلالم وقلنا "اعملوا" يا "آل داود" بطاعة الله "شكرا" له على ما آتاكم "وقليل من عبادي الشكور" العامل بطاعتي شكرا لنعم.

وانظر ما جاء في تفسير الطبري:

القول في تأويل قوله تعالى: {يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات} يعني تعالى ذكره: يعمل الجن لسليمان ما يشاء من محاريب، وهي جمع محراب، والمحراب: مقدم كل مسجد وبيت ومصلى، ومنه قول عدي بن زيد: كدمى العاج في المحاريب أو كال بيض في الروض زهره مستنير وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 21952 - حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى ; وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: {ما يشاء من محاريب} قال: بنيان دون القصور. 21953 - حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة {يعملون له ما يشاء من محاريب} وقصور ومساجد. 21954 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: {يعملون له ما يشاء من محاريب} قال: المحاريب: المساكن، وقرأ قول الله: {فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب} 3 39. 21955 -حدثني عمرو بن عبد الحميد الآملي، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن جويبر، عن الضحاك: {يعملون له ما يشاء من محاريب} قال: المحاريب: المساجد. وقوله: {وتماثيل} يعني أنهم يعملون له تماثيل من نحاس وزجاج، كما: 21956 - حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى ; وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد {وتماثيل} قال: من نحاس. 21957 - حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة {وتماثيل} قال: من زجاج وشبه. 21958 - حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا مروان، عن جويبر، عن الضحاك في قول الله {وتماثيل} قال: الصور. وقوله: {وجفان كالجواب} يقول: وينحتون له ما شاء من جفان كالجواب ; وهي جمع جابية، والجابية: الحوض الذي يجبى فيه الماء، كما قال الأعشى ميمون بن قيس: تروح على نادي المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق وكما قال الآخر: فصبحت جابية صهارجا كأنها جلد السماء خارجا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: 21959 - حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: {وجفان كالجواب} يقول: كالجوبة من الأرض. * - حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله {وجفان كالجواب} يعني بالجواب: الحياض. 21960 - وحدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن {وجفان كالجواب} قال: كالحياض. 21961 - حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى ; وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: {وجفان كالجواب} قال: حياض الإبل. 21962 - حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة {وجفان كالجواب} قال: جفان كجوبة الأرض من العظم، والجوبة من الأرض: يستنقع فيها الماء. 21963 - حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: {وجفان كالجواب} كالحياض. * - حدثنا عمرو، قال: ثنا مروان بن معاوية، قال: ثنا جويبر، عن الضحاك: {وجفان كالجواب} قال: كحياض الإبل من العظم. وقوله: {وقدور راسيات} يقول: وقدور ثابتات لا يحركن عن أماكنهن، ولا تحول لعظمهن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21964 - حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى ; وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: {وقدور راسيات} قال: عظام. 21965 - حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة {وقدور راسيات} قال: عظام ثابتات الأرض لا يزلن عن أمكنتهن. 21966 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: {وقدور راسيات} قال: مثال الجبال من عظمها، يعمل فيها الطعام من الكبر والعظم، لا تحرك، ولا تنقل، كما قال للجبال: راسيات

وانظر ما جاء في تفسير القرطبي:

جمع تمثال. وهو كل ما صور على مثل صورة من حيوان أو غير حيوان. وقيل: كانت من زجاج ونحاس ورخام تماثيل أشياء ليست بحيوان. وذكر أنها صور الأنبياء والعلماء، وكانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا، قال صلى الله عليه وسلم: (إن أولئك كان إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور). أي ليتذكروا عبادتهم فيجتهدوا في العبادة. وهذا يدل على أن التصوير كان مباحا في ذلك الزمان، ونسخ ذلك بشرع محمد صلى الله عليه وسلم. وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة " نوح " عليه السلام. وقيل: التماثيل طلسمات كان يعملها، ويحرم على كل مصور أن يتجاوزها فلا يتجاوزها، فيعمل تمثالا للذباب أو للبعوض أو للتماسيح في مكان، ويأمرهم ألا يتجاوزوه فلا يتجاوزه واحد أبدا ما دام ذلك التمثال قائما. وواحد التماثيل تمثال بكسر التاء. قال: ويا رب يوم قد لهوت وليلة بآنسة كأنها خط تمثال وقيل: إن هذه التماثيل رجال اتخذهم من نحاس وسأل ربه أن ينفخ فيها الروح ليقاتلوا في سبيل الله ولا يحيك فيهم السلاح. ويقال: إن اسفنديار كان منهم ; والله أعلم. وروي أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه، فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما، وإذا قعد أطلق النسران أجنحتهما.

حكى مكي في الهداية له: أن فرقة تجوز التصوير، وتحتج بهذه الآية. قال ابن عطية: وذلك خطأ، وما أحفظ عن أحد من أئمة العلم من يجوزه. قلت: ما حكاه مكي ذكره النحاس قبله، قال النحاس: قال قوم عمل الصور جائز لهذه الآية، ولما أخبر الله عز وجل عن المسيح. وقال قوم: قد صح النهي عن النبي صلى الله عليه وسلم عنها والتوعد لمن عملها أو اتخذها، فنسخ الله عز وجل بهذا ما كان مباحا قبله، وكانت الحكمة في ذلك لأنه بعث عليه السلام والصور تعبد، فكان الأصلح إزالتها.

التمثال على قسمين: حيوان وموات. والموات على قسمين: جماد ونام ; وقد كانت الجن تصنع لسليمان جميعه ; لعموم قوله: " وتماثيل ". وفي الإسرائيليات: أن التماثيل من الطير كانت على كرسي سليمان. فإن قيل: لا عموم لقوله: " وتماثيل " فإنه إثبات في نكرة، والإثبات في النكرة لا عموم له، إنما العموم في النفي في النكرة. قلنا: كذلك هو، بيد أنه قد اقترن بهذا الإثبات في النكرة ما يقتضي حمله على العموم، وهو قوله: " ما يشاء " فاقتران المشية به يقتضي العموم له. فإن قيل: كيف استجاز الصور المنهي عنها؟ قلنا: كان ذلك جائزا في شرعه ونسخ ذلك بشرعنا كما بينا، والله أعلم. وعن أبي العالية: لم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرما. مقتضى

الأحاديث يدل أن الصور ممنوعة، ثم جاء (إلا ما كان رقما في ثوب) فخص من جملة الصور، ثم ثبتت الكراهية فيه بقوله عليه السلام لعائشة في الثوب: (أخريه عني فإني كلما رأيته ذكرت الدنيا). ثم بهتكه الثوب المصور على عائشة منع منه، ثم بقطعها له وسادتين تغيرت الصورة وخرجت عن هيئتها، فإن جواز ذلك إذا لم تكن الصورة فيه متصلة الهيئة، ولو كانت متصلة الهيئة لم يجز، لقولها في النمرقة المصورة: اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها، فمنع منه وتوعد عليه. وتبين بحديث الصلاة إلى الصور أن ذلك جائز في الرقم في الثوب ثم نسخه المنع منه. فهكذا استقر الأمر فيه والله أعلم ; قال ابن العربي.

روى مسلم عن عائشة قالت: كان لنا ستر فيه تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل استقبله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حولي هذا فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا). قالت: وكانت لنا قطيفة كنا نقول علمها حرير، فكنا نلبسها. وعنها قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مستترة بقرام فيه صورة، فتلون وجهه، ثم تناول الستر فهتكه، ثم قال: (إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله عز وجل). وعنها: أنه كان لها ثوب فيه تصاوير ممدود إلى سهوة، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي إليه فقال: (أخريه عني) قالت: فأخرته فجعلته وسادتين. قال بعض العلماء: ويمكن أن يكون تهتكه عليه السلام الثوب وأمره بتأخيره ورعا ; لأن محل النبوة والرسالة الكمال. فتأمله.

قال المزني عن الشافعي: إن دعي رجل إلى عرس فرأى صورة ذات روح أو صورا ذات أرواح، لم يدخل إن كانت منصوبة. وإن كانت توطأ فلا بأس، وإن كانت صور الشجر. ولم يختلفوا أن التصاوير في الستور المعلقة مكروهة غير محرمة. وكذلك عندهم ما كان خرطا أو نقشا في البناء. واستثنى بعضهم (ما كان رقما في ثوب)، لحديث سهل بن حنيف. قلت: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المصورين ولم يستثن. وقوله: (إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم) ولم يستثن. وفي الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاث: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح. وفي البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم: (أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون). يدل على المنع من تصوير شيء، أي شيء كان. وقد قال عز وجل: " ما كان لكم أن تنبتوا شجرها " [النمل: 60] على ما تقدم بيانه فاعلمه.

وقد استثني من هذا الباب لعب البنات، لما ثبت، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت سبع سنين، وزفت إليه وهي بنت تسع ولعبها معها، ومات عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة. وعنها أيضا قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل ينقمعن منه فيسربهن إلي فيلعبن معي خرجهما مسلم. قال العلماء: وذلك للضرورة إلى ذلك وحاجة البنات حتى يتدربن على تربية أولادهن. ثم إنه لا بقاء لذلك، وكذلك ما يصنع من الحلاوة أو من العجين لا بقاء له، فرخص في ذلك، والله أعلم.

السؤال: هل تجد (عزيزي القارئ) أن أهل العلم قد قدّموا إجابة على هذا السؤال الذي لا أظن أن طالب علم في صفوفه الدراسية الأولى يمكن أن يغفل عن طرحه ناهيك أن يكون المتحدثون هنا هم من أمثال هؤلاء العلماء الأفذاذ؟

رأينا: إنّ الهدف من عرض ما جاء في أمهات كتب التفاسير عن هذه القضية ليس التعرض لآرائهم بالانتقاد أو التفنيد لأننا نعتقد أن ليس في أقوالهم من الآراء ما يستحق أن يفند أو أن يرد عليه، فهي (في ظننا الكاذب) ليست أكثر من خرافات لا تسمن ولا تغني من جوع يناقض بعضها بعضاً، وأحسن ما فيها – كما جاء عند أحدهم- حديث حسن غريب. فلعلهم أجمعوا على أن بناء التماثيل كان من شريعة سليمان وتم نسخه في شريعة محمد. ولكننا نثير هنا التساؤل عن شريعة إبراهيم الذي سبق سليمان، فهل كان في شرع إبراهيم منسوخاً ثم تمت إباحته في شريعة سليمان ثم تم نسخه مرة جديدة في شريعة محمد؟ هل هذا هو الدين يا أهل العلم؟ من يدري!!!

أقول إن الهدف الرئيس من تقديم ما جاء في أمهات كتب التفسير هنا هو تبيان أسلوب الكتمان الذي يتبعه أهل العلم عندما لا يجدون في جعبتهم ما يقولونه للناس، فهم يبدون ما يريدون ويخفون كثيراً بحجة أن هذا من العلم الذي قد لا يفيد، وأنا (والله) أستغرب وأتعجب كيف ينفقون وقتهم (الثمين طبعاً) في جدال عن المادة التي صنعت منها تلك التماثيل، أهي الطين أم الزجاج (انظر التفاسير السابقة)، ويغفلون في الوقت ذاته عن السؤال الأكبر وهو: لماذا كان سليمان أصلاً يأمر الجن أن يعملوا له ما يشاء من تماثيل؟ فهل يا ترى كان ذلك من باب الهواية التي كان سليمان يقضي فيها وقت فراغه مثلاً؟ من يدري!!!

رأينا: إن أخشى ما أخشاه (كما أقول على الدوام) أن في سلوك علمائنا هذا نسخة لصورة طبق الأصل عمّا كان يعمل أهل الكتاب من قبلهم:

- **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91) الأنعام**

نعم لقد جعل علماء أهل الكتاب كتاب موسى الذي جاء به نورا وهدى جعلوه قراطيس يبدون منها ما يشاءون ويخفون كثيراً منها.

رأينا: لقد كان الأولى بعلماء الأمة أن يثيروا السؤال للناس حتى وإن لم يكن عندهم الإجابة عليه وذلك لكي تتفتح عقول الناس وتتهيأ للتفكر فيه، فلا أظن أن إنساناً على وجه الأرض يمكن أن يحيط بكتاب الله علما، ولكن تبقى المهمة عند التصدي لأي جزئية في كتاب الله أن تثيرها من جميع جوانبها، فلا تتّبع أسلوب الانتقاء ثم الكتمان، فتثير منها ما تريد وتترك ما لا تريد أن تثيره لا لشيء وإنما لظنك أنه من الأمور غير المهمة، والحقيقة أنك لا تملك إجابة عليه. فمن - يا ترى- يستطيع أن يقرر أن هذا الشيء أو ذاك الشيء مهم أو غير مهم؟! فإن وجد، فإني من هنا أطلق الدعوة لعلمائنا الأجلاء أن يقدّموا لنا قائمة بالأمور التي يسمح لنا أن نتفكر بها (كالمادة التي صنعت منها تماثيل سليمان مثلاً) وقائمة أخرى بالأمور التي لا يسمح لنا التفكر بها (كالسؤال عن سبب أن تعمل الجن لسليمان التماثيل مثلاً). وسنكون لهم من الشاكرين.

رأينا: إننا نعتقد جازمين أن الأهم من ذلك كله هو أن نذكّر أنفسنا قبل أن نذكّر غيرنا بالآيات الكريمة التالية:

- **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160) البقرة**

(دعاء: اللهم إني أسألك أن لا أكون من الذين يكتمون ما أنزلت من البينات والهدى، وأتوب إليك من سوء ما كسبت يدي إن أنا فعلت هذا)

إن العقيدة الصحيحة – في ظننا- يجب أن تبنى على الاعتقاد اليقيني بأن كل ما في كتاب الله مهم ويجب التعرض له بالتفصيل ما استطعنا إلى ذلك سبيلا. والحالة هذه كان لابد لنا من إثارة الموضوع مرة أخرى سائلين الله وحده أن يأذن لنا بشيء من علمه فلا نقول عليه إلا الحق ولا نفتري عليه الكذب، ولا نكتم ما أنزل الله من البينات والهدى، إنه هو السميع المجيب). ونطلب من القارئ الكريم أن يثير ما يشاء من تساؤلات عن كل ما يمكن أن نفتريه في كتاباتنا كلها، فإن كان عندنا علم أفدناه به، وإن لم يأذن الله لنا بعلمه نصحناه صادقين إن شاء الله.

أما بعد

⇐ ما هي التماثيل التي كانت الجن تؤمر من قبل سليمان نفسه أن تعملها له؟
⇐ لماذا كان سليمان يأمر الجن أن تعمل له تلك التماثيل؟
⇐ ومتى أمر سليمان الجن أن تبني له تلك التماثيل؟
⇐ وأين كانت الجن تعمل تلك التماثيل لسليمان؟
⇐ وكيف كانت الجن تعمل تلك التماثيل؟
⇐ وأين ذهبت تماثيل سليمان التي عملتها الجن له؟
⇐ الخ.

القضية الأولى: ما هي التماثيل؟

للإجابة على هذا التساؤل لابد من تفقد السياق القرآني الذي جاءت فيه هذه المفردة ونحاول أن نفهمها في سياقها المباشر (local context)، ثم نحاول بعد ذلك ربطها مع السياقات القرآنية الأخرى في القرآن كله (global context). فالسياق المباشر يسعفنا بالخروج باستنباطات محليه تخص السياق نفسه (local intuitions) بينما نستطيع من خلال السياقات الأخرى أن نخرج بحول الله وتوفيقه باستنباطات كليّة تخص العقيدة برمتها (global intuitions)، وحتى لا ندخل مع أهل الدراية بجدال مفردات النظريات البشرية، فإننا سننتقل مباشرة إلى التطبيق لهذه الطريقة في تحليل النص.

أولاً: تحليل السياق المباشر

جاء الحديث عن تماثيل سليمان في الآية الكريمة التالي:

- **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) سبأ**

لنطرح عندها السؤال التالي على الفور: ما علاقة التماثيل بما حولها من مفردات؟ وبكلمات أكثر دقة نقول: لماذا جاءت التماثيل في سياق الحديث عن المحاريب وجفان كالجواب وقدور راسيات؟

رأينا: نحن نظن أن فهمنا لهذه الأشياء سيسعفنا في فهم مفردة التماثيل نفسها، فالعلاقة بين المفردات في الآية الواحدة (أو ما نسميه بـ cohesive tie باللسان الأعجمي) يجب أن تكون جليّة، فالمفردات لا تتراكم مع بعضها البعض في السياق القرآني الواحد بشكل اعتباطي.

لذا لابد من طرح السؤال على النحو التالي: كيف يمكن أن نربط مفردة التماثيل بما جاء قبلها مباشرة (أي **مَحَارِيبَ**) وما جاء بعدها مباشرة (أي **وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ**).

رأينا: لو دققنا في النص جيداً لما عدمنا الفهم بأن الأمر من سليمان قد صدر للجن بأن تعمل له **مَا يَشَاءُ مِنْ**:

- ⇐ **مَحَارِيبَ**
- ⇐ **وَتَمَاثِيلَ**
- ⇐ **وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ**
- ⇐ **وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ**

السؤال: ما هي هذه الأشياء؟ ولماذا أمر سليمانُ الجنَ بأن تعمل له هذه الأشياء على وجه التحديد؟

افتراء خطير جداً جداً من عند أنفسنا نظن أنه غير مسبوق: هذه هي أركان الإسلام الأربعة.

فالإسلام كبناء يبنى على أربعة أركان فقط (وليس خمسة كما يحب أهل الإسلام أن يروجوا له)، فالبناء يقوم على قواعد أربعة وليس على خمس قواعد كما في الشكل التوضيحي التالي:



فنحن نظن أن المقولة الشائعة بأن الإسلام قد بني على خمسة أركان هي مقولة غير صحيحة لأنه يستحيل أن يكون هناك إسلام أصلاً ما لم يكن هناك إقرار بوحدانية الله:

- **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** (19) آل عمران

فلا بد من وجود الإسلام أولاً، ويكون ذلك بأن ينطق الإنسان شهادة التوحيد المتمثلة بالإقرار أن الله هو الإله الأحد الصمد، عندها يصبح الإنسان مسلماً يستطيع أن يقيم بناء الإسلام، وهذا لا شك ينطبق على من كان مسلماً قبل محمد كإبراهيم مثلاً:

- **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67) آل عمران**

وإسماعيل وإسحق ويعقوب:

- **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133) البقرة**

ويوسف:

- **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101) يوسف**

وجميع أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين وذلك لأن الدين عند الله هو الإسلام منذ أن خلق البشرية وحتى يرث الله الأرض ومن عليها:

- **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19) آل عمران**

ومنذ ذلك الوقت الذي كان فيه الإسلام هو الدين عند الله كان هناك شعائر لابد من تطبيقها، فكانت الصلاة والصيام والزكاة والحج. لذا فإن قواعد الإسلام – في ظننا- هي: الصلاة والحج والصدقة والصيام، وهذه هي – في رأينا المفترى- ما دعا سليمان أن يأمر الجنَ أن يعملوا له هذه الأشياء وهي (**مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ**) ليتمكن من خلالها أداء هذه الشعائر الأربعة بالطريقة التي يجب أن تطبق فيها على أرض الواقع كما أرادها الله، ولكن كيف؟

إن هذا الافتراء يجبرنا على النبش في هذه الأشياء واحدة تلو الأخرى، ولنبدأ بالمحاريب سائلين الله أن يهدينا رشدنا فلا نفتري عليه الكذب.

أولاً: باب المحاريب

ما هي المحاريب؟

رأينا: لم ترد مفردة المحاريب في كتاب الله إلا في هذه الآية الكريمة التي تتحدث عن محاريب سليمان التي كانت الجن تؤمر من قبل سليمان ببنائها له:

- **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) سبأ**

لذا لم نجد بدّاً أن نظن بأن المحاريب هي جمع مفردة "محراب" التي وردت في السياقات القرآنية التالية من كتاب الله:

- فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37) آل عمران
- فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (39) آل عمران
- فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11) مريم
- وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) ص

ولو دققنا في هذه السياقات القرآنية جميعاً لربما خرجنا بالاستنباط بأن المحراب هو – في زعمنا- مكان خاص (كالخلوة) يقيم فيه الإنسان صلاته ودعائه منفرداً، وليس أدل على ذلك – في ظننا- مما كانت تفعل مريم في محرابها:

- فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37) آل عمران

فالمحراب هو مكان خلوة مريم حيث كانت تقيم صلاتها، فمريم كانت مأمورة أن تقنت لربها وتسجد وتركع مع الراكعين:

- يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43) آل عمران

فأين - يا ترى- كانت مريم تقوم بكل ذلك؟ هل كانت تخرج للصلاة مع الرجال، فتسجد وتركع معهم؟

رأينا: كلا وألف كلا، لقد كانت تقيم صلاتها مع الجماعة ولكن في مكان خاص بها منفصل عنهم، وهو ما نفهم على أنه المحراب، ودليلنا على ذلك يأتي من نص الآية الكريمة نفسها، حيث أن مريم لم تكن تخرج عليهم من ذلك المكان، وكان زكريا فقط هو من يستطيع أن يدخل عليها في ذلك المحراب:

كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا

ولو دققنا النظر فيما فعل زكريا نفسه في موطن آخر من كتاب الله لربما تأكدت لدينا الفكرة بأن المحراب هو مكان خلوة خاصة حيث ينفرد الشخص فيه ليصلي ويدعو ربه، وليس أدل على ذلك – في ظننا- مما فعل زكريا نفسه:

- فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (39) آل عمران

فلقد كان زكريا قائماً يصلي لوحده في المحراب لحظة أن نادته الملائكة وبشروه بيحيى نبياً من الصالحين، وليس أدل على معنى الخلوة التي يمكن أن نستنبطها من الآية الكريمة مما فعل زكريا نفسه بعد ذلك، فلقد خرج بنفسه على القوم وأشار إليهم (بالرمز) بأن يقيموا صلاتهم من دونه:

- فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11) مريم

فالرجل قد دعا ربه هناك (عندما رأى ما رأى من أمر مريم) وصلّى منفرداً في المحراب.
وسنتعرض لاحقاً بحول الله وتوفيقه إلى السؤال التالي: لماذا دعا زكريا ربه هناك عندما رأى ما كان يحصل لمريم؟

فاستجاب الله دعاءه، فنادته الملائكة هناك بأن الله يبشره بيحيى، وهناك أيضاً جاءه الأمر الإلهي بأن لا يكلم الناس (إلا رمزا) ثلاثة أيام وثلاث ليال سويا
فنحن نظن أن زكريا كان مأموراً أن لا يكلم الناس بالليل أو باليوم (أي ثلاثة أشهر):

- **قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (41) عمران**
- **قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (10) مريم**

ولو دققنا في الآية الكريمة التالية لوجدنا أن داوود (والد سليمان) كان أيضاً يتخذ لنفسه محراباً، فعندما حصلت الفتنة لداوود تسوّر القوم محرابه:

- **وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) ص**

السؤال: فلماذا فزع داوود من القوم عندما دخلوا عليه في المحراب؟
رأينا: لمّا كان المحراب هو – في ظننا- مكان خلوة خاصة للعبادة الفردية (وليس كالمسجد حيث تقام صلاة الجماعة)
انظر الآيات الكريمة التالية لترى أن المسجد هو مكان إقامة صلاة جماعية:

- **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31) الأعراف**
- **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (108) التوبة**
- **وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (21) الكهف**

جاء فزع داوود من ظنه بأن أمراً جلل قد حصل، وإلاّ لما اضطر القوم أن يدخلوا عليه المحراب. فهم يعلمون أن هذا مكان خاص بعبادة داوود لا يدخل عليه أحد فيه، فذاك مكان يتخذه الشخص لصلاته الفردية وربما لدعاء ربه كما فعل زكريا مثلاً.

نتيجة مفتراة: لم يكن المحراب (كمكان خلوة للعبادة الفردية) غريباً على سليمان (موضوع حديثنا) لأن والده داوود كان من ذي قبل يقفل نفسه في ذلك المحراب ليؤدي طقوس العبادة الخاصة به كالصلاة (كما فعل زكريا وكما فعلت مريم).

فكان لداوود – بنص الآية الكريمة- محراب واحد، أليس كذلك؟

السؤال: إن صح ما تقول، فلم أمر سليمان الجن بأن تعمل له محاريب (أي أكثر من محراب)؟ ألا يحتاج الشخص لمحراب واحد وكفى؟

جواب: لو تفقدنا السياقات القرآنية التي جاءت في مفردة المحراب لوجدناها خاصة بداوود (والد سليمان) وبزكريا وبمريم، أليس كذلك؟

افتراء من عند أنفسنا: لو حاولنا أن نمعن التفكر في الفرق بين هؤلاء الثلاثة من جهة وسليمان من جهة أخرى لوجدنا أن سليمان هو من كان دائم الترحال والتنقل. فمريم اتخذت محراباً واحداً طوال حياتها ولم تغادره إلاّ يوم أن ذهبت لتضع المسيح عيسى بن مريم وعادت إليه بعد أن وضعته. فهي كانت مستقرة في منطقة جغرافية محددة بذاتها، وكذلك كان زكريا الذي كفّله الله مريم، وكذلك كان داوود والد سليمان، فلا نجد في السياقات القرآنية أن داوود قد أتخذ من الأرض مواطن كثيرة له فيها، وإنما اتخذ موطناً واحداً واستقر فيه ليحكم بين الناس بالحق:

- **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26) ص**

فبنى محرابه هناك، وقضى حياته كلها في تلك البقعة الجغرافية. ولكن الأمر بالنسبة لسليمان فهو مختلف قليلاً، فما أن ورث سليمانُ داوودَ حتى حشر له جنوده:

- **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) النمل**

وسار بهم في الأرض فاتحاً، وليس أدل على ذلك من وجوده في واد النمل:

- **حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) النمل**

افتراء من عند أنفسنا: لقد كان سليمان دائم الترحال، فكان بحاجة على الدوام إلى مكان يخصصه لعبادته الفردية للصلاة فيه، لذا نحن نتخيل الأمر على النحو التالي: لقد كان سليمان يأمر الجن أن تعمل له محراباً في كل أرض تطأها قدماه، وما دام أن الدين عند الله الإسلام وأن سليمان مقر لله بالوحدانية، فلا أخال أن الدنيا ستحجزه عن إقامة ركن الإسلام الأول وهو الصلاة: فكانت المحاريب هي مكانه الخاص الذي يقيم فيه صلاته.

نتيجة مفتراة: المحراب هو مكان مخصص لإقامة الصلاة الفردية حيث يدعو الإنسان ربه بما شاء أن يدعوه.

انظر إلى الفرق بين تصرف داوود وتصرف سليمان بعد الفتنة التي حصلت لكل منهما:

- **قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (24) ص**
- **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) ص**

السؤال: لماذا لم يخر سليمان راكعاً مباشرة بعد أن حصلت له الفتنة كما فعل والده داوود؟

رأينا: لما حصلت الفتنة لداوود وهو في داخل المحراب لم يتردد داوود أن يخر راكعاً على الفور فهو متواجد في المكان المخصص أصلاً للركوع. ولكن بالمقابل لما حصلت الفتنة لسليمان وهو متواجد في مكان غير المحراب لم يخر راكعاً على الفور لأنه لا يتواجد في مكان خاص بالركوع أصلاً. وسنتعرض لاحقاً للحديث عن الفرق بين الركوع والسجود عندما نتحدث عن ما كانت تفعل مريم في المحراب كما تصور ذلك الآية الكريمة التالية:

- **يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43) آل عمران**

لنطرح عندها السؤال التالي: كيف يستقيم المعنى بأن تؤمر مريم بالسجود قبل الركوع؟

فالله أسأل أن يأذن لنا بشيء من علمه إنه هو السميع العليم.

والآن لنرجع إلى الآية الكريمة التي نحن بصدد التعرض لها وفي جعبتنا هذا الفهم المفترى من عند رشيد الجراح:

- **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) سبأ**

فكيف يمكن أن نفهمها؟

رأينا: نحن نعتقد جازمين أن سليمان كان يصدر أوامره للجن بأن تعمل له تلك المحاريب ليتمكن من أن ينفرد بها بنفسه في خلوة ليقيم فيها صلاته فيدعو ربه بالضبط كما كان يفعل والده داوود من قبله وكما فعل زكريا وفعلت مريم من بعده.

ولا أظن أن فكرة الخلوة في الدين المسيحي أو اليهودي قد جاءت عبثاً أو من فراغ، إنها برأينا تقليداً لفكرة المحراب. فهناك مكان خاص بخلوة النساء (nuns) ويسمى في اللغة الإنجليزية convent وتسمى القائمة عليه abbess بينما يسمى مكان خلوة الرجال (monks) بـ monastery ويسمى القائم عليه abbot، بينما يسمى المكان الذي يجتمع فيه الرجال والنساء معاً بـ abbey.

سؤال: إذا كان هذا معنى مفردة المحراب التي سبقت في النص نفسه مفردة التماثيل (موضوع حديثنا)، فماذا عن **وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ** اللتان وردتا بعد مفردة التماثيل في الآية نفسها:

- **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ** ... (13) سبإ

ثانياً: وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ

السؤال: ما هي الجفان؟
الجواب: كالجواب؟
نحن نظن أن مفردة جفان هي كلمة تدل على الجمع. فبحثنا في النص القرآني فلم نجد أن مفردة "جفان" (كمفردة محاريب) قد وردت في النص القرآني إلاّ في الآية التي تتحدث عن ما كانت تعمل الشياطين لسليمان بأمر منه:

- **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** (13) سبإ

فحاولنا أن نبحث عن الكلمة التي تدل على المفرد منها (كمفردة جفن مثلاً) فلم نجد أنها قد وجدت في السياقات القرآنية. لنصل من خلال ذلك إلى الافتراء الخطير التالي: مفردة جفان لم تفصل بنفسها في كتاب الله.
السؤال: فما العمل إذن؟
جواب: لنرجع إلى الآية نفسها لنجد أن الله قد عقد تشبيهاً بين الجفان والجواب فقال:
وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ
إذن، صحيح أننا لا نستطيع أن نفهم مفردة جفان من خلال المفردة نفسها (أو من خلال مشتقاتها) كما فعلنا في حالة المحاريب مثلاً، لكننا نستطيع أن نفهمها من خلال ما شبّهت الجفان به، إنه الجواب بناء على المعادلة التشبيهية التالية:
وَجِفَانٍ كَـ الْجَوَابِ
فلو استطعنا أن نفهم ماهية الجواب لأسعفنا ذلك بكل تأكيد أن نخرج بتصورات عن ماهية تلك الجفون التي كانت تعملها الجن لسليمان بأمر منه، فالجفان هي ما يشبه الجواب، أليس كذلك؟
السؤال: ما هي **الْجَوَابِ**؟
بحثنا عن مفردة الجواب فلم نجد أنها قد وردت في كتاب الله إلا في الآية الكريمة نفسها التي تتحدث عن الجفون:

- **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** (13) سبإ

لذا كان لزاماً أن نعمد للبحث عن مشتقاتها، فظننا أن جواب تفرد على "جب" كما جاء في قصة يوسف:

- **قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (10) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15) يوسف**

لو أمعنا التفكر في مفردة الجب التي ترد في هذه الآية الكريمة لربما خرجنا باستنباطات نظن أنها ذات علاقة وطيدة بقصة سليمان، ولكن شريطة أن نفهم الآية بحرفيتها وليس كما تدور في مخيلتنا بسبب ما نخر في عقولنا من تفسيرات سابقة، لذا كان لزاماً علينا أن نطرح التساؤل المثير التالي: أين ألقى إخوة يوسف أخاهم يوسف بعد أن ذهبوا به؟

جواب: في غيابت الجب.

سؤال: وما هي غيابت الجب؟

رأينا: لابد من الاستدراك بأن أخوة يوسف لم يلقوا أخاهم في الجب وإنما ألقوه في غيابت الجب، وفي هذا – في ظننا- فرق عظيم، ولكن لماذا؟

تصورات شعبية سائدة: غالباً ما تبادر لأذهان العامة (ربما بسبب مستوردات أهل العلم من تحريفات أهل الكتاب) بأن المكان الذي ألقي فيه يوسف هو ما يشبه بئر الماء، وهذا في ظننا غير صحيح على الإطلاق. ولكن لماذا؟

رأينا:

⇐ أولاً، نحن نظن أنه لو كان الأمر على تلك الشاكلة لربما صُوّرت القصة لنا في كتاب الله بنفس الطريقة (أو ما يشبهها) كما حصل مع موسى يوم أن سقى للامرأتين عندما وصل إلى أرض مدين:

- **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) القصص**

فلو تم إلقاء يوسف في شيء يشبه "بئر الماء" (أو ربما بركة ماء) لربما جاء تصوير "وارد القوم" الذي أرسلوه وهو يقوم بفعل السقاية كما كان في حالة موسى مثلاً.

⇐ ثانياً، والأهم مما سبق - في نظرنا- هو أنه لو كان الأمر على مثل تلك الصورة التي تدور في أذهان العامة لربما ما كان القوم (أي السيّارة) مضطرين أصلاً أن يرسلوا واردهم إلى غيابت الجب:

- **وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19) يوسف**

نتيجة مفتراة: لو كان ما أُلقي فيه يوسف يشبه بئر الماء في طبيعته لكان ذلك واقع على طريق القوم، ولربما لم يضطروا أن يرسلوا إليه شخصاً بعينه ليحضر لهم منه الماء، ولربما توقفت القافلة (أي السيارة) بأكملها عند ذلك البئر أو حوض الماء المزعوم وشربوا منه جميعاً.

⇐ ثالثاً، نحن نقرأ في النص القرآني أن السيارة قد أرسلوا واردهم، أليس كذلك؟ إن هذا يدعونا على الفور إلى طرح السؤال التالي: كم هي كمية الماء التي يستطيع ذلك الوارد أن يأتي القوم بها بنفسه؟ هل يستطيع أن يحضر الماء الذي يمكن أن يسقي دوابهم مثلاً؟ ولماذا لم تذهب الدواب بنفسها لترد حوض الماء ذلك؟ هل السيارة مضطرين أن ينقلوا لها الماء من خلال الوارد؟ أم هل كانت مهمة الوارد فقط أن يستكشف وجود الماء من عدم وجوده في ذلك المكان وكفى؟ من يدري!!!

السؤال: ما هو إذن غيابت الجب؟

رأينا: مهما تكن الإجابة على التساؤلات السابقة فإننا نزعم الظن بأن غيابت الجب هو عبارة عن مكان لا يمكن أن تشق فيه طريق، وهو –لا شك- يقع بعيداً بعض الشيء عن طريق السيارة، لذا فهو مكان يصعب أن يكون متواجداً على حافة طريق، وهو مكان بحاجة أن يبذل الشخص جهداً ووقتاً للوصول إليه بالضبط كما فعل وارد القوم الذي جاء بخبر يوسف. فكيف يمكن أن نتخيله؟

جواب: لو راقبنا النص القرآني الذي يتحدث عن قصة يوسف مع إخوته لوجدنا أن الأمر قد صوّره القرآن الكريم بلفظتين، فلقد جاء بلفظ الإلقاء في بداية القصة عندما خطط الأخوة مكيدتهم للتخلص من أخيهم:

- **اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (10) يوسف**

وجاء بلفظ "الجعل" عندما عمدوا إلى تنفيذها:

- **فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15) يوسف**

السؤال: كيف سيتم الإلقاء والجعل في آن واحد؟ أي كيف سيقوم الأخوة بجعل أخاهم وإلقاءه في غيابت الجب؟

رأينا: انظر معنى الجعل في الشيء كما يرد في الآية الكريمة التالية التي تتحدث عن قصة يوسف نفسها:

- **فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (70) يوسف**

ألا يدل ذلك - عزيزي القارئ- أن من أراد أن يجعل شيئاً في شيء عليه أن يدخله إلى داخله أولاً، فالسقاية عندما جعلت في رحل أحدهم، قام أحد رجال العزيز بإدخالها في رحل ذلك الرجل، وبالمنطق نفسه فإننا نفتري القول بأن إخوة يوسف قد قاموا بإدخال يوسف إلى غيابت الجب أولاً، فكان ذلك هو – في ظننا – جزء من معنى الْجُبِّ

- **فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15) يوسف**

ويمكن أن تتعزز تلك الصورة بما يمكن أن يرسم في الأذهان من كيفية جعل الأصابع في الآذان كما تصور ذلك الآية الكريمة التالية:

- وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7) نوح

نتيجة: الجعل في الشيء ينطوي على عملية يتم فيها إدخال شيء صغير في شيء أكبر منه.

افتراء من عند أنفسنا: يقوم إخوة يوسف بإدخال أخيهم في مكان وذلك بدلالة فعل الجعل:

- **فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ... (15) يوسف**

وكان ذلك هو - في ظننا - ما يمكن أن نفهمه على أنه الجب.

وما أن دخل يوسف في ذلك المكان (الجب) حتى قاموا بفعل آخر وهو إلقائه من هناك في مكان عميق، وتم ذلك بإنزاله من أعلى إلى أسفل بدلالة فعل الإلقاء،

- **... وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (10) يوسف**

وكان ذلك - في ظننا - هو معنى **غَيَابَتِ**

افتراء من عند أنفسنا: بعد أن قام إخوة يوسف بإدخال أخيهم في الجب وقاموا بإلقائه في غيابته، فكان ذلك كله هو – في زعمنا- **غَيَابَتِ الْجُبِّ.**

فكيف يمكن أن نتخيل غيابت الجب إذن؟

افتراء من عند أنفسنا: نحن نتخيل المكان على أنه ما يشبه المغارة الواسعة ذات المنافذ العديدة وذات الارتفاعات والانخفاضات التي عادة ما تكون واقعة ومتصلة بالجبال المحاذية لطريق القوافل التجارية (السيارة). ويجري بها الماء في مناطقها المنخفضة، ويحتاج من أراد أن يصل إلى الماء الموجود في داخلها أن يدلي دلوه، فيدخل الشخص إلى داخلها أولاً (فيجعل فيها) ثم يقوم بورود ماءها بأن يدلي دلوه في غيابتها.

لذا نحن نتصور أن غيابت الجب هو مكان معروف بالنسبة ليوسف وإخوته، وهو لا شك مكان يكتنفه الغموض والسريّة، فيخططوا للأمر ليس فقط بأن يجعلوه فيها ولكن بأن يلقوه فيها:

- **اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (10) يوسف**

وما أن يصلوا إلى المكان ويهموا بأن يجعلوه فيها حتى يأتي الوحي من الله ليوسف بما سيكون عليه تدبير أخوته له في المستقبل:

- **فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15) يوسف**

فنحن نفهم أن الوحي جاء ليوسف بحضور إخوته قبل أن يتم جعله ومن ثم إلقاءه في غيابت الجب بدليل (**وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**) في قوله تعالى:

- **.... وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15) يوسف**

لذا نحن نتخيل أن الوحي جاء ليوسف على باب تلك المغارة قبل أن يتم إدخال يوسف إلى داخلها ليتم بعد ذلك إلقائه في غيابتها.

نتيجة مفتراة: الجب هو ما يمكن أن يجعل الشيء فيه جعلاً (كالمغارة مثلاً) وغيابت هو ما يمكن أن يتم إلقاء الشيء فيه إلقاء داخل ذلك الجب.

عودة على بدء

ما علاقة ذلك بقصة سليمان؟
نحن نزعم الفهم أن جفان سليمان التي كانت كالجواب كما في المعادلة التشبيهية السابقة:

وَجِفَانٍ كَـ الْجَوَابِ

تبيّن أن "جفان" سليمان كانت فقط كالجواب (جمع جب: وهي المغارة) ولم تكن كالغيابت. فالجن كانت مأمورة من قبل سليمان أن تعمل له جفان (أكثر من جفن) ولكن لم تكن مأمورة أن تجعل فيها غيابت كما في حالة يوسف.

ولو دققنا في مفردة الجفان لربما أسعفنا التفكير السطحي (من مثل تفكيري هذا) أن نفتري الظن (كاذبين بالطبع) بأنه ربما يكون لمفردة الجفان علاقة بمفردة "جفاء" التي ترد في الآية الكريمة التالية:

- **أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (17) الرعد**

ولو أمعنا التفكر في الجُفاء لوجدنا أنه ما يحصل للزبد (وهو ما يتراكم من رغوة وفقاعات – بالكلام الأردني أو foam باللسان الأعجمي) فوق سطح الماء الذي يكون من تحتها. فما على سطح الماء فيذهب جفاء، أي لربما لا أحد يعلم أن يذهب أو لا تستطيع تعقبه أو حتى جمعه، ففي نهاية المطاف هو ليس أكثر من غطاء لما تحته. فالجفاء (وهو بلا شك عديم الأهمية) يغطي تحته الماء الذي هو بلا شك شيء ثمين جداً للناس (**وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ**).

لذا تتراءى لنا الصورة على نحو أن هناك شيئاً ربما لا قيمة له يستخدم كغطاء لشيء بالغ الأهمية والفائدة.

كما أننا نظن أن عنصر الخفاء موجود في مفردة الجفان لظننا (كاذبين بالطبع) أن لها علاقة بما جاء في الآية الكريمة التالية:

- **لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا** (60) الأحزاب

فهناك في المدينة:

⇐ المنافقون (**الْمُنَافِقُونَ**)

⇐ الذين في قلوبهم مرض (**وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**)

⇐ المرجفون في المدينة (**وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ**)

السؤال: من هم المرجفون في المدينة؟

رأينا: نحن نظن أن المرجفين في المدينة هم الذين يعملون في السر للحصول على معلومات عنها (أو secret agents باللسان الأعجمي)، فهم في نهاية المطاف أشخاص عديمي الأهمية بأجسادهم ولكنهم يحملون معلومات ثمينة وقيمة.

افتراء خطير من عند أنفسنا: نحن نشعر أن مفردة "جفان" تحمل في ثناياها معنى الغطاء الذي لا قيمة له بحد ذاته ولكنه يخفي تحته الشيء الثمين جداً كما الزبد الذي يذهب جفاء وكما المرجفون في المدينة، ولا ننسى أن نتخيل طبيعة حركة كل منهما، فزبد الماء الذي يذهب جفاء يبقى يروح ويجيء في حركة مستمرة، وكذلك هم المرجفون في المدينة، فهم ينقلون الأخبار ومن وإلى بشكل متكرر.

ولعلي أظن (وإن كنت لا أجزم القول) بأن ما نسميه بـ "جفن العين" (وتجمع على جفون) ربما جاءت من هذا الباب: فجفن العين بحد ذاته ليس أكثر من غطاء لما هو فعلاً ثمين بالنسبة للإنسان وهو العين (أي البصر).

ولو دققنا النظر جيداً في هذه المفردات مجتمعة لوجدنا أنها تتحرك بشكل دائم، فالزبد يذهب جفاء لأنه يروح ويجيء تارة ويجيء تارة أخرى (راقب حركة زبد الماء)، والمرجفون في المدينة يتحركون على الدوام، وكذلك هو جفن العين، فهو يفتح ويغلق في حركة دائمة. فلا يمكن أن يفتح ويبقى مفتوحاً على الدوام ولا يمكن أن يغلق ويبقى مغلقاً على الدوام، لأن في كلتا الحالتين يكون الموت قد قضى عليه.

نحن نظن أن فكرة تلك المغارة التي تفتح وتغلق بالكلمة (التي ترد في قصص الخيال العلمي وكتب الأساطير كمغارة افتح يا سمسم مثلاً) هي في نهاية المطاف فكرة مستوحاة من جفان سليمان هذه. فالمغارة تفتح بأمر من يملك سر الكلمة التي تفتحها، وما أن تفتح حتى يظهر ما تخفي تلك المغارة من الكنوز العظيمة.

افتراء خطير جداً جداً من عند أنفسنا: نحن نتخيل جفان سليمان التي كانت تعملها الجن له بأمر منه هي عبارة عن ما يشبه المغارات الجبلية التي يمكن أن يكون لها أبواب تفتح وتغلق، وهي تشبه في شكلها وفي حركتها عين الإنسان التي تغطيها الجفون (من الأسفل ومن الأعلى) لتحفظ ما تحتها

(البصر) من أي خطر خارجي. فتلك الجفون (أو ما يشبه الجفان) هي بحد ذاته ليست ذات قيمة ولكنها لا شك كانت تخفي شيئاً ثميناً داخلها، فما هو؟

رأينا: إنها كنوز سليمان

- **وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37) النمل**

ولو دققنا في قصة سليمان لوجدنا أن سليمان قد آتاه الله ملكاً عظيماً:

- **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (35) ص**

وهو بذلك صاحب ثراء كبير، فعندما حاولت تلك المرأة التي جاءه الهدهد بخبرها من سبأ أن تقدم "الرشوة" لسليمان بالمال ليدعها وقومها وشأنهم، رد عليها سليمان بأنه لا يرغب في المال لأن الله أعطاه منه الكثير:

- **فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُم بَلْ أَنْتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36) النمل**

ومع ذلك، فلقد جاءته تلك المرأة في نهاية المطاف وأسلمت معه لرب العالمين، فلا شك عندنا إذن أنها أضافت مالها كله إلى ما عند سليمان أصلاً من المال الكثير، فأين كان يخزّن سليمان ماله كله؟

جواب: في الجفان التي كالجواب (**وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ**)

سؤال: وماذا يتوجب على من عنده المال الكثير أن يفعل به؟

رأينا: أن يؤتي حق الله فيه، وذلك هو ركن من أركان الإسلام كان يعمد سليمان على القيام به، وهو أن يدفع الصدقات من ماله الكثير المخزن في تلك الجفان التي تشبه الجواب.

ثالثاً: وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ

نعود إلى الآية الكريمة التي تتحدث عن تماثيل سليمان لنثير تساؤلاتنا هذه المرة حول عبارة "**وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ**" التي كانت تعملها الجن لسليمان:

- **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) سبإ**

التساؤلات

⇐ ما هي القدور الراسيات التي كانت الجن تعملها لسليمان بأمر منه؟
⇐ ولماذا كانت الجن مأمورة أن تعملها؟
⇐ فماذا كان سليمان يعمل بتلك القدور؟
⇐ وما علاقة ذلك بقصة التماثيل التي هي محور النقاش في هذا الجزء من المقالة؟

ما هي القدور؟

بحثنا في القرآن الكريم عن مفردة "قدور" فلم نجدها قد وردت بلفظتها إلاّ في الآية التي تتحدث عن تماثيل سليمان:

- **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) سبإ**

ولما ظننا أن مفردة "قدور" هي كلمة تدل على الجمع حاولنا البحث عن المفرد منها وهو ما نظن أنه مثل "قدر" مثلا، فلم نجد لها ذكر في كتاب الله، فاجتهدنا القول أن مفردات مثل "قدور وقدر" تدل على الاسم (أي الشيء) وظننا أن بالإمكان اشتقاق الفعل منها، فزعمنا أن الفعل من "القدر والقدور" هو – برأينا– ما يرد في الآيات الكريمة التالية:

- **لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (12) الشورى**
- **أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52) الزمر**
- **اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (62) العنكبوت**
- **قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (36) سبإ**

وصيغة الفعل الماضي (كما يجب أهل اللغة أن يسمونه) ترد في الآية الكريمة التالية:

- **فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16) كَلَّا ۖ بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (18) الفجر**
- **لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ۖ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (7) الطلاق**

وصيغة فعل الطلب (أو الأمر بكلمات النحويين) وردت في الآية الكريمة التالية:

- **أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (11) سبإ**

السؤال: كيف يمكن أن نفهم المفردة بناء على ما هو متوافر حتى الساعة عندنا من ألفاظ الكتاب الكريم نفسه؟

رأينا: لو دققنا بجميع صيغ هذا الفعل لوجدنا أنه ملازماً على الدوام للرزق:

- **قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (36) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (37) وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (38) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39) سبإ**
- **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (37) فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (38) الروم**

- **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (81) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82) القصص**

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: إن مفردة "قدر" ومشتقاتها لها علاقة مباشرة بالرزق.

ولو راقبنا المفردة في السياق القرآني لوجدنا أن من بسط الله له في الرزق فعليه أن لا يجعل يده مغلولة إلى عنقه وعليه أيضاً أن لا يبسطها كل البسط:

- **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (29) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (30) الإسراء**

ومن رزقه الله رزقاً حسناً فعليه – حسب الآية الكريمة التالية- أن ينفق منه في سره وفي جهره:

- **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (75) النحل**

والقاعدة في الإنفاق – حسب الآية الكريمة التالية- تكون على النحو التالي:

- **لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (236) البقرة**

فالله جعل لكل منا "**قَدَرُهُ**" في الإنفاق، فمن وسع الله عليه في رزقه فله قَدَرُهُ، ومن قدر الله عليه رزقه فله **قَدَرُهُ** كذلك.

السؤال: ما علاقة ذلك كله بقصة قدور سليمان الراسيات؟

افتراء من عند أنفسنا: لمّا كان سليمان قد وسّع الله عليه في رزقه فلا شك أنه لم يجعل يده مغلولة إلى عنقه وقد كان يبسطها (ولكن ليس كل البسط حتى لا يقعد ملوما محسورا). فنحن نعلم أن الله يبتلي الإنسان ليعلم ما يصدر عن الإنسان نفسه:

- **فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) الفجر**

وقد حصل مثل هذا الابتلاء لسليمان:

- **قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) النمل**

فلا شك أن سليمان قد اختار طريق الشكر، أليس كذلك؟

ولو رجعنا إلى آية التماثيل التي ورد فيها ذكر القدور الراسيات لوجدنا أن آل داوود قد كانوا يعملون شكرا:

- **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) سبإ**

ولو ربطنا ذلك بما كان عند والده داوود من قبل لوجدنا الآية الكريمة التالية:

- **أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (11) سبإ**

فكيف كان آل داوود يعملون شكرا؟

رأينا: نحن نظن أن سليمان لم يكن يجعل يده مغلولة إلى عنقه بل كان يبسطها لينفق – حسب قدره- مما رزقه الله، ولكن كيف كان يفعل سليمان ذلك؟

رأينا: نحن نظن أن هناك حاجة أن نميز بين الشكر (كما كان يفعل نوح مثلاً) من جهة:

- **ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (3)**

ومن يعمل شكراً (كما كان يعمل آل داوود) من جهة أخرى:

- **.... اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) سبإ**

ولكن كيف يكون عمل الشكر؟

جواب: لننظر في الآية الكريمة التالية:

- **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) لقمان**

السؤال: كيف يكون شكر الله؟ وكيف يكون شكر الوالدين؟

فهل يكتفي الإنسان أن يشكر لوالديه بالقول فقط؟ أي هل ما هو مطلوب من الإنسان لكي يشكر لوالديه أن يعبر لهم عن امتنانه وتقديره لهم بالكلام فقط كأن يقول لهم "شكراً" مثلاً؟ وماذا لو كان الوالدان بحاجة إلى مساعدة؟ وماذا لو كان الوالدان فقيران مثلاً؟ هل يطلب من الإنسان أن يعبر لهم بالكلام عن خالص تقديره لهم وامتنانه؟

رأينا: كلا وألف كلا، فلابد أن يقوم الإنسان بعمل شيء ما ليعبر لوالديه عن شكره لهم.

وماذا عن شكر الله؟ كيف يمكن للإنسان أن يشكر الله أصلاً؟

رأينا: لا شك كذلك أن الشكر بالكلام يكون على نعم الله التي أنعمها على الإنسان:

- **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) سبإ**

فعندما تأكل من رزق الله (**كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ**) وتعبر عن ذلك اعترافك بأن هذا من رزق الله بالكلام فأنت تشكر الله إذن (**وَاشْكُرُوا لَهُ**)، ولكن هل يتوقف الأمر عند ذلك الحد؟

رأينا: كلا وألف كلا، فلابد أن تقوم بفعل تعبر فيه كذلك عن شكرك لله لتكون ليس فقط ممن يشكر الله ولكن لتكون ممن يعمل شكراً لله، كأن تتصدق على الناس ببعض ما بسط الله لك من الرزق خاصة على من قدر الله عليه رزقه:

- اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (26) الرعد

وعندما تقوم بذلك ويكون غرضك فقط طاعة الله، وليس الحصول منهم على جزاء أو شكورا، فإنك تكون بذلك ممن يعملون شكرا:

- وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9) الأنسان

نتيجة مفتراة: لمّا كان سليمان ممن بسط الله له في الرزق، واختار سليمان أن يكون عبدا شكور، كان يترتب عليه أيضاً أن يعمل شكرا، فينفق مما بسط الله عليه من الرزق على من قدر الله عليه رزقه. ولا شك أن سليمان يعلم أن ما ينفق من شيء فالله يخلفه.

- قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39) سبإ

وسليمان يعلم أيضاً أن الأموال بحد ذاتها (ما لم يؤتى حق الله فيها) وأن الأولاد أنفسهم (ما لم يكونوا صالحين) لا تقرب الناس إلى الله زلفى:

- قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (36) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (37) سبإ

ولكن لو بحثنا في كتاب الله عن آل داوود لوجدنا أن لهم عند الله زلفى، فكان ذلك من نصيب داوود:

- قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (24) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (25) ص

وكان ذلك أيضاً من نصيب ولده سليمان:

- هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (40)ص

نتيجة: لا يذكر القرآن الكريم أن لأحد من الناس عند الله زلفى إلا آل داوود (داوود وولده سليمان من بعده).

ولكن لماذا؟

رأينا: للإجابة على هذا التساؤل فلابد أن ننتقل مباشرة إلى الحديث عن التماثيل التي كانت تعملها الجن لسليمان بأمر منه، وهو محور النقاش في هذا الجزء منذ بدايته، فنحن نتعرض للحديث عن جانب من المفردات الأخرى وهي المحاريب وجفون كالجواب وقدور راسيات لأنها فقط جاءت في سياق الحديث عن التماثيل

باب التماثيل

سننطلق من هنا في نقاشنا عن مفردة التماثيل متعرضين للآية الكريمة التالية:

- **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (3) الزمر**

  إن الهدف الذي يرجوه من يعبدون شيئاً من دون الله (كعبادة الشياطين والأصنام وحتى الناس العاديين) هو أن يقربوهم إلى الله زلفى، وذلك لأن هؤلاء هم أولياءهم. (للتفصيل بمعنى مفردة زلفى انظر مقالتنا تحت عنوان: لماذا نصلي خمس مرات في اليوم والليلة؟)

  فالولاية المطلقة لله وحده:

- **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ... (257) البقرة**

  ولكن الطاغوت هو ولي الذين كفروا:

- **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (257) البقرة**

- **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (175) آل عمران**

- **وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (121) الأنعام**

  وهناك أولياء للكافرين من الإنس:

- **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (128) الأنعام**

  فالظالمين هم أولياء بعضهم بعضا:

- **وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (129) الأنعام**

  ولكن الله هو من يتولى الصالحين:

- **إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (196) الأعراف**

  والولي هو من له حق التصرف بمن له الولاية عليه:

- **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (33) الإسراء**

فأنت عندما تتخذ الشيطان وليا

- وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (119) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (120) النساء

فإنك تمنحه حق التصرف فيك.

وفي الوقت الذي نجد فيه أن الله هو ولي المتقين، فإن المتقين أنفسهم هم أولياء المسجد الحرام على وجه التحديد:

- وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (34) الأنفال

وهو من استن الله علينا سنته بأن نحج إليه:

- إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97) آل عمران

ولكن الذين اتخذوا من دون الله أولياء فإن بيوتهم لا تتعدى أن تكون أكثر من بيت العنكبوت من شدة وهنها:

- مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) العنكبوت

نتيجة مفتراة: المسجد الحرام الذي ببكة هو مكان شعيرة الحج التي أمرنا الله بأدائها. فهو المكان الذي رفع فيه إبراهيم القواعد من البيت وولده إسماعيل:

- وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) البقرة

وهناك دعا إبراهيم ربه أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام:

- وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ۖ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (36) إبراهيم

السؤال المربك لنا: لماذا أمرنا الله بحج البيت بالرغم أنه نهانا عن عبادة الأصنام؟ فما الفرق بين أن يذهب الإنسان إلى ذلك البيت ليطوف به وفي الوقت ذاته لا يجوز له أن يفعل ذلك للأصنام؟ فما الفرق بين البيت الحرام نفسه والأصنام التي كانت متواجدة فيه ومن حوله؟ أليست هي جميعها حجارة في نهاية المطاف؟

ما الفرق البيت الحرام والأصنام؟

افتراء من عند أنفسنا: نحن نظن أن البيت الحرام هو تمثال يعكف الناس له (وهذا من الدين) بينما الأصنام هي ما يعكف الناس عليها (وهذا ليس من الدين). ولكن كيف؟
جواب: لو راقبنا قصة العبادة في القرآن الكريم لوجدنا أن عبادة الأصنام كانت من الركائز الأساسية في ديانات أقوام كثيرين بمن فيهم قوم إبراهيم مثلاً:

- **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ۖ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (36) إبراهيم**

ولو رجعنا إلى قصة أصنام إبراهيم لوجدنا فيها شيئاً – نظن أنه- غاية في الغرابة:

- **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَـٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) الأنبياء**

ولوجدنا القوم يردون عليه بالقول:

- **قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) الأنبياء**

فيرد عليهم إبراهيم قائلا:

- **قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) الأنبياء**

وهنا يحدث حوار جدّي بين إبراهيم وقومه عندما يحاول القوم أن يستفسروا منه عن ما جاءهم به:

- **قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) الأنبياء**

فما يكون من إبراهيم إلا أن يدعوهم إلى ربهم الحقيقي:

- **قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56) الأنبياء**

ولا يتوقف إبراهيم عند هذا الحد بل يتوعد أصنامهم بالمكيدة:

- **وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) الأنبياء**

وهنا نتوقف مع أول سؤال نود أن نلفت انتباه القارئ له ليشكل حيّزاً كبيراً في نقاشنا عن مفردة التماثيل، والسؤال هنا هو: لماذا تغير اللفظ هنا إلى مفردة الأصنام بعد أن كان الكلام قد ابتدأ بالحديث عن التماثيل؟ فالمراقب للفظ يجد أن إبراهيم في البداية يستفسر عن عكوف القوم للتماثيل:

- **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَـٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) الأنبياء**

ولكنه في نهاية الحديث يتوعد الأصنام بالمكيدة:

- **وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) الأنبياء**

سنحاول في مقالة لاحقة بحول الله وتوفيقه الحديث عن طبيعة المكيدة التي دبرها إبراهيم بالأصنام حتى قال في نهاية الأمر أن الذي فعل الفعلة هو كبيرهم هذا:

- قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) الأنبياء

وقد حاول بعض علمائنا الأجلاء تسويق الأمر من خلال حديث – لا أدري درجة صحته- بأن هذه كانت "كذبة" من إبراهيم، فهم قد روجوا للمقولة بأن نبي الله وخليله إبراهيم قد وقع في فعل الكذب في حياته ثلاث مرات (انظر أمهات كتب التفاسير) وأنا والله لا أعلم كيف يطلب منا أن نتبع سنة إبراهيم وهو يكذب، فما الذي يدريني أن ما جاء به إبراهيم كله يقع في باب الكذب أصلاً ما دام أن الرجل قد فعلها ثلاث مرات حسب ما قاله علماؤنا الأجلاء. والأهم من ذلك أنه في الوقت الذي ينقلون مثل هذا الحديث الذي يصور نبي الله وخليه إبراهيم يقع في فعل الكذب ثلاث مرات لا ينفكوا أن يقرؤوا على الناس حديثاً آخر يبين أن المؤمن قد يزني وقد يقتل وقد ... وقد... ولكن عندما سئل النبي "هل يكذب المؤمن" جاء رده بالنفي لأن المؤمن حسب حديثهم الثاني لا يكذب، وهنا نطرح سؤالنا نحن على الشكل التالي: هل فعلاً كان إبراهيم مؤمناً عندما وقع في فعل الكذب ثلاث مرات يا سادتنا من أهل الدراية والرواية؟ من يدري!!!

فيقوم بتجذيذ الأصنام:

- فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) الأنبياء

السؤال: ما الفرق بين التماثيل والأصنام؟ ولماذا بدأ إبراهيم حديثه عن التماثيل؟ ولماذا انتهى إلى الحديث عن الأصنام؟

رأينا: للإجابة على هذا السؤال لابد من مراقبة قول إبراهيم أولاً كما جاء في الآية الكريمة التالية:

- إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَـٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) الأنبياء

رأينا: نحن نظن أن القراءة الصحيحة للآية الكريمة تدل على أن إبراهيم كان يستفسر فقط عن ما يعمل القوم بالتماثيل، ونظن أن إبراهيم لم يكن يجد ضيراً في أن يعكف القوم للتماثيل. وبكلمات أخرى فإننا نقول أن إبراهيم ربما لم يكن يجد مشكلة مازال القوم متخذين التماثيل للاعتكاف. ونحن نفتري الظن بأنه لو جاء رد القوم على نحو أنهم فعلاً يعكفون لتلك التماثيل لمّا كان هناك مشكلة عند إبراهيم في فعل القوم، فإبراهيم – نحن نفتري الظن- ربما لم يكن يرى ضيراً في الاعتكاف للتماثيل، ولكن لما جاء رد القوم على أن فعلهم لم يكن مجرد اعتكاف للتماثيل ولكنه كان أيضاً عبادة:

- قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) الأنبياء

عندها فقط ثارت ثائرة إبراهيم وأنكر عليهم فعلتهم تلك:

- قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) الأنبياء

نتيجة مفتراة: نحن نفتري الظن بأن إبراهيم يرى المشكلة في عبادة تلك التماثيل ولم يكن يرى مشكلة في اعتكاف القوم لها.

ولكن لماذا؟

افتراء خطير جداً جداً من عند أنفسنا: نحن نرى أن إبراهيم لم يكن يرى مشكله في الاعتكاف للتماثيل لأن ذلك من شرعة كل الديانات السماوية، فاليهود يعكفون للتماثيل والنصارى يعكفون للتماثيل ونحن المسلمين لا شك نعكف للتماثيل. كلام خطير، أليس كذلك؟

عودة على بدء

حاولنا البحث في كتاب الله عن مفردة تماثيل فما وجدنا أنها قد وردت في كتاب الله إلاّ في موقعين وهما:

⇐ التماثيل التي كانت تعملها الجن لسليمان:

- **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) سبأ**

⇐ التماثيل التي كان يظن إبراهيم أن القوم يعكفون لها:

- **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) الأنبياء**

ولو حاولنا أن نربط بين الآيتين لوجدنا أن الهدف من وجود التماثيل هو الاعتكاف، فإبراهيم كان يظن أن القوم كانوا يقومون بفعل الاعتكاف للتماثيل، ولكن لما تبين له أنهم لا يتوقفون عند ذلك الحد، وإنما يقوم بما هو أكثر من ذلك وهو عبادتها، انقلبت لتصبح تلك التماثيل أصناماً تعبد من دون الله، كما جاء على لسان القوم:

- **قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) الأنبياء**

عندها لم يتردد إبراهيم في إظهار عداوته لها، فيتوعدها بالمكيدة:

- **وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) الأنبياء**

فيقوم بتجذيذ تلك الأصنام:

- **فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) الأنبياء**

لأنها أصبحت تضل كثير من الناس:

- **رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ۖ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (36) إبراهيم**

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: مادامت تلك الكينونات متخذة للاعتكاف فهي تسمى تماثيل، ولكن عندما تصبح تلك الكينونات تعبد من دون الله تنقلب إلى أصنام، فالفرق بين التماثيل والأصنام هو – هو في ظننا- فرق في الوظيفة وليس في الشكل.

ولكن كيف؟

الاعتكاف

افتراء من عند أنفسنا: نحن نظن أنه يجب علينا أن نميز بين الاعتكاف للتماثيل والاعتكاف على الأصنام، ونحن نظن أن لا ضير في الاعتكاف للتماثيل ولكن تكمن المشكلة في الاعتكاف على الأصنام.

الدليل

ربما نستطيع أن نتذكر ما حصل ببني إسرائيل عندما جاوز الله بهم البحر ونجّاهم من فرعون وقومه، وما أن يأتوا على قوم حتى يجدوهم يعكفون على أصنام لهم، فيطلبوا من نبيهم موسى أن يجعل لهم آلهة كما لهؤلاء القوم آلهة، فما يكون من موسى إلا أن ينكر عليهم مثل هذا الطلب:

- **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) الأعراف**

والسبب في ذلك حسب ما يقول لهم نبيهم أن ما يقوم به هؤلاء القوم هو عمل باطل لأنهم اتخذوا آلهة غير الله:

- **إِنَّ هَـٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (139) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (140) الاعراف**

نتيجة: عندما يعكف الناس على الأصنام فإنهم يتخذوها آلهة من دون الله وهذا بلا شك ما لا يجب أن يحصل.

ولكن لو راقبنا ما جاء في الآية الكريمة التالية لوجدنا أن الله يطلب من إبراهيم وولده إسماعيل أن يطهرا بيته للطائفين والعاكفين:

- **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125) البقرة**

ولكن إبراهيم لا يغفل عن دعاء ربه أن يجنبه وبنيه من عبادة الأصنام

- **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) إبراهيم**

فعباد الله مأمورون أن يعكفوا إلى البيت بالإضافة إلى أن يطوفوا به وأن يركعوا ويسجدوا فيه. وهذا برأينا ما جعل محمدا يعمد إلى تكسير تلك الأصنام التي عكف عليها القوم، فعبدوها من دون الله عندما عاد فاتحاً مكة، فدمّر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ولكن المفارقة تكمن في أن محمداً في الوقت ذاته لم يدمر البيت الحرام نفسه الذي كانت ترقد تلك التماثيل فيه وحوله، فلماذا؟

السؤال: لماذا لم يقم محمد بتدمير البيت واكتفى بتدمير الأصنام الموجودة عنده؟

رأينا: لأن البيت هو عبارة عن تمثال يتم الاعتكاف له ولكنه ليس صنماً يعكف عليه ليعبد من دون الله مصداقا لقوله تعالى:

- **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125) البقرة**

السؤال: ما هو الاعتكاف؟

نحن نفهم من الآية الكريمة السابقة نفسها أن هناك طوافاً وركوعاً وسجوداً بالإضافة إلى الاعتكاف:

لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ

فالطواف هو مما يقوم به من حج البيت أو اعتمر:

- **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (158) آل عمران**

ويكون ذلك بالانتقال من مكان إلى مكان بالحركة ذهاباً وإياباً:

- **وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (24) الطور**
- **يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (17) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (18) الواقعة**
- **وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (19) الأنسان**
- **فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (43) عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (44) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (45) الصافات**
- **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (70) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (71) الزخرف**
- **وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (15) الأنسان**

ويتم ذلك بطريقة الإحاطة من جميع جوانبها واتجاهاتها كما حصل في حالة الجنة التي طاف عليها طائف من ربك:

- **إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (17) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (18) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (19) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (20) القلم**

أما الركوع والسجود فهما من الأعمال التي يقوم به من أراد الصلاة كما كانت تفعل مريم في محرابها:

- **يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43) آل عمران**

وأظن أن الفرق بين الركوع والسجود يكمن – كما ذكرنا في مقالات سابقة لنا- في المكان والهيئة، ففي حين أن السجود لا يتطلب الاغتسال (الوضوء) كسجود الشكر مثلاً، فإن الركوع يتطلب ذلك لأنه يكون في مكان صلاة الجماعة (للتفصيل انظر سلسلة مقالاتنا: كيف تم خلق عيسى بن مريم؟)

ويبقى السؤال الرئيس وهو: ما هو الاعتكاف؟

افتراء من عند أنفسنا: نحن نزعم الفهم أن الاعتكاف هو المكوث في مكان محدد بعينه كالمساجد مثلاً بغية أداء شعائر العبادة:

- **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187) البقرة**

ولا شك أن الإنسان مادام معتكفاً في المسجد فلا يحق له معاشرة النساء (**وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ**)، والاعتكاف الأكبر يكون عند بيت الله الحرام:

- **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125) البقرة**

لذا نحن نفتري الظن بأن الناس ممنوعون من معاشرة النساء في الحج وذلك لأن منطقة الحج بأكملها تصبح كالمسجد، وأظن أنها المنطقة التي يسميها القرآن بكة (بالباء):

- **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97) آل عمران**

وهي تختلف عن مكة (بالميم) التي هي في ظننا المدينة بأكملها:

- **وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (24) الفتح**

فمعاشرة النساء في ذلك المكان يعتبر كأنه معاشرة للنساء أثناء الاعتكاف في المساجد:

- **... وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187) البقرة**

فكيف يكون الاعتكاف؟

جواب: لا شك أن الاعتكاف عند بيت الله الحرام يحصل عندما يلبس الحاج ملابس الإحرام ولا ينتهي إلا عند التحلل منها لأنها هي الفترة التي لا يحق للحاج مباشرة النساء فيها. فالإنسان يستطيع أن يطوف بالبيت دون ملابس الإحرام، ويستطيع أن يركع وأن يسجد دون ملابس الإحرام، فقبل أن يلبس الحاج ملابس الإحرام وبعد أن يتحلل منها يستطيع

الطواف بالبيت كما يستطيع أن يسجد وأن يركع مع الراكعين، ولكن الاعتكاف (المكوث في مكان واحد بقصد أداء فريضة كفريضة الحج) لا يتم إلا بملابس الإحرام. وفيه يمنع على الحاج من فعل صيد البر ما دام محرما:

- **أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (96) المائدة**

فالثمرات تجبى إلى ذلك المكان الذي هو لا شك حرماً آمنا:

- **وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (57) القصص**

ويمنع على الحاج المعتكف مباشرة النساء:

- **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ۚ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197) البقرة**

فالاعتكاف يحصل بأن يقضي الإنسان جزءاً من وقته في مكان محدد بعينه بغية أداء فريضة كالصلاة والحج، ويكون الاعتكاف في المسجد (أي مسجد لأداء فريضة الصلاة) أما الاعتكاف في الحج فيكون عند البيت الحرام بغية أداء فريضة الحج:

- **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125) البقرة**

نتيجة مفتراة: عندما يذهب المؤمن إلى البيت الحرام بغية أداء فريضة الحج فهو يبقى في حالة اعتكاف متى لبس ملابس الإحرام ويمنع عليه صيد البر والرفث إلى النساء مادام معتكفاً (أي لابساً ملابس الإحرام) بغية أداء فريضة الحج، وما أن يتحلل من إحرامه حتى ينهي حالة الاعتكاف تلك فيصبح قادراً على معاشرة النساء.

عودة على بدء

- **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) سبإ**

السؤال: لماذا كانت الجن تعمل لسليمان التماثيل إذن؟

رأينا

⇐ أولاً، لما كان سليمان مسلماً (مادام أن الدين عند الله الإسلام) فإنه كان على الدوام مواظبا على أداء شعائر العبادات الأربعة وهي الصلاة والحج والزكاة والصوم. فكانت التماثيل هي المكان الذي يؤدي فيه سليمان شعيرة الحج بالاعتكاف. ولما كان سليمان دائم التنقل بجنده

كان يأمر الجن بأن تبني له من تلك التماثيل (كما البيت الحرام مثلاً) ليتمكن من أداء شعيرة الحج.

⇐ ثانياً، لما كان سليمان من آل داوود لم يكن يتخذ من الأرض المقدسة مسكناً له ولم يكن يتخذ من البيت الحرام مسكناً له، لذا كان على الدوام بحاجة إلى تمثال يجعله قبلة له ليوجه وجهه إليه في صلاته، وليحج إليه، فلا ننسى أن المؤمنين من عباد الله دائماً يتخذون من مكان محدد بعينه قبلة لهم. فلا شك أن قوم إبراهيم قد اتخذوا من المسجد الأقصى قبلة لهم فوجهوا وجوههم إليه في صلاتهم، وذهبوا إليه لأداء فريضة حجهم هناك، وقد وجه محمد وجهه قِبَلَ المسجد الأقصى قسطا من الزمن في بداية دعوته، ولكن ذلك لم يكن ليرضيه فقلب وجهه في السماء باحثاً عن قبلة جديدة، فمن الله عليه بتغيير القبلة الأولى (المسجد الأقصى) إلى القبلة الجديدة (البيت الحرام):

- **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144) البقرة**

فأخذ يوجه وجهه إليه في صلاته، ويذهب إليه لأداء فريضة الحج هناك. ولو رجعنا إلى آية تماثيل سليمان لوجدنا أن الترابط وثيق بين المحاريب من جهة والتماثيل من جهة أخرى:

- **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) سبإ**

فلماذا – يا ترى- جاءت مفردة التماثيل مباشرة بعد مفردة المحاريب؟

رأينا: نحن نفتري الظن أن السبب في ذلك هو الترابط بين المحراب (مكان إقامة الصلاة) والتماثيل (المكان الذي يولي المصلي وجهه إليه). فمن أراد أن يقيم الصلاة (في أي محراب فعليه أن يولي وجهه جهة تمثال (كالبيت الحرام مثلاً عند المسلمين) وكالمسجد الأقصى عند النصارى واليهود.

الدليل

لو رجعنا إلى قصة موسى يوم أن كانوا مستعبدين في أرض مصر لوجدنا أن موسى يأمرهم أن يجعلوا بيوتهم قبلة:

- **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (87) يونس**

فالبيوت التي تبوءها موسى وأخوه هارون كانت هي قبلة بني إسرائيل حتى خرجوا من هناك وعادوا إلى الأرض التي كتب الله لهم.

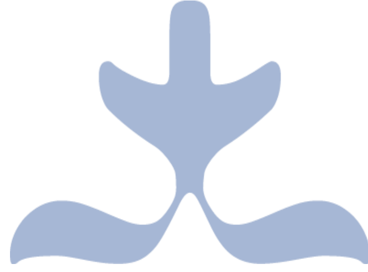
نتيجة مفتراة: نحن نفتري الظن أن سليمان كان دائم الترحال ولما كان عليه أن يقيم صلاته كان لابد له من أن يوجه وجهه شطر بيت (تمثال) ليكون له قبلة في صلاته (في محرابه)، وليكون المكان الذي يحج إليه ليعتكف له، لذا كان يأمر الجن بأن تعمل له ما يشاء من تلك المحاريب التي يصلي

فيها كما يأمرها أن تعمل له ما يشاء من تلك التماثيل التي يولي وجهه شطرها في صلاته، ويقيم فيها شعيرة الاعتكاف إذا ما أراد أداء فريضة الحج.

ولكن يبقى السؤال: أين هي تلك التماثيل التي عملتها الجن لسليمان؟
هذا ما سنناقشه في الجزء القادم بحول الله وتوفيقه تحت عنوان:
وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ

- **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) سبإ**

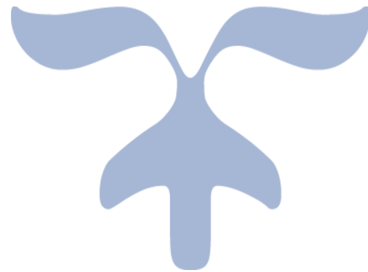
فالله اسأل أن يهدينا سواء السبيل لنقول عليه الحق فلا نفتري عليه الكذب، والله وحده أسأل أن يؤتيني وعلياً رحمة من عنده وأن يعلمنا من لدنه علماً لا ينبغي لأحد من بعدنا إنه هو السميع العليم.



مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ

الباب الرابع عشر

وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ



الباب الرابع عشر: وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ

تعرضنا في الجزء السابق للسبب الذي دفع بسليمان أن يطلب من الجن أن تعمل له ما يشاء من تماثيل كما جاء في قوله تعالى:

- **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) سبأ**

وحاولنا الإجابة عن السبب الذي يدفع الناس جميعاً للاعتكاف للتماثيل، فظننا – مفترين القول من عند أنفسنا- بأن الاعتكاف إلى التماثيل هي شرعة كل الديانات السماوية، فاليهود يعكفون للتماثيل، والنصارى يعكفون للتماثيل، ونحن المسلمين لا شك نعكف للتماثيل.

فإبراهيم كان يظن أن القوم يعكفون لها:

- **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) الأنبياء**

وظننا أن إبراهيم لم يكن يجد ضيرا في ذلك، فقد أصبحت تلك شرعة فيه وفي من اتبعه:

- **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125) البقرة**

وتابعنا نحن المسلمين (أتباع النبي المصطفى) تلك السنة بالاعتكاف إلى ذلك التمثال الأكبر (أي البيت العتيق)، فأصبحنا (نحن المسلمين) مأمورين بالاعتكاف للتماثيل متبعين ما عهد الله به إلى إبراهيم وإسماعيل من قبل:

- **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (29) الحج**

وحاولنا تقديم فهمنا المفترى بأن تلك الكينونات التي اتخذت للاعتكاف تسمى تماثيل كالبيت العتيق مثلاً، ولكن عندما تصبح تلك الكينونات تعبد من دون الله تنقلب لتصبح أصناما، فالفرق بين التماثيل والأصنام هو – هو في ظننا- فرق في الوظيفة وليس في الشكل.

فنحن نعلم أن محمدا قد عمد إلى تكسير تلك الأصنام التي عكف عليها القوم، فعبدوها من دون الله عندما عاد فاتحاً مكة، فدمّر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ولكن المفارقة تكمن في أن محمداً في الوقت ذاته لم يدمّر البيت الحرام نفسه الذي كانت ترقد تلك التماثيل فيه وحوله، والسبب في ظننا المفترى هو لأن البيت هو عبارة عن تمثال يتم الاعتكاف له ولكنه ليس صنماً يعكف عليه ليعبد من دون الله مصداقا لقوله تعالى:

- **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125) البقرة**

وزعمنا الفهم بأن الاعتكاف هو المكوث في مكان محدد بعينه كالمساجد مثلاً بغية أداء شعائر العبادة:

- **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187) البقرة**

فالمسلمون يعكفون على بيت في الصحراء فيجعلوه قبلة لهم ليحجوا إليه، واليهود يعكفون إلى حائط المبكى، والنصارى تحج إلى المغطس ليتعمدوا فيه، والبوذيون يغتسلون بماء نهر في حجهم إلى مناطقهم المقدسة. ولكن الملفت للنظر - برأينا- هو في حين أن الجميع يقوم بالعمل نفسه على طريقته الخاصة به، إلا أن الجميع ينظر إلى الآخرين (أي إلى غيره) بعين السخرية والتندر، فيسخر غير المسلمين من المسلمين عندما يلفون حول الكعبة في الحج، ويسخر المسلمون أنفسهم من غيرهم حين يعمدون إلى مكان بعينه في حجهم ويقومون بطقوس عبادتهم أي مناسكهم الخاصة بهم، ولكنهم غفلوا جميعاً – في ظننا- عن قول الحق:

- **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) المائدة**

وعن قوله تعالى بحق كل أمة:

- **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34) الحج**

كما افترينا القول بأن التمثال هو المكان الذي يوجّه الناس وجوههم شطره عند إقامة الصلاة. فلا ننسى أن المؤمنين من عباد الله دائماً يتخذون من مكان محدد بعينه قبلة لهم. فلا شك أن بني إسرائيل في فترة معينة قد اتخذوا من المسجد الأقصى قبلة لهم فوجهوا وجوههم إليه في صلاتهم، وذهبوا إليه لأداء فريضة حجهم هناك، وقد ولّى محمد وجهه قِبَلَ المسجد الأقصى قسطا من الزمن في بداية دعوته، ولكن ذلك لم يكن ليرضيه، فقلّب وجهه في السماء باحثاً عن قبلة جديدة، فمنّ الله عليه بتغيير القبلة الأولى (المسجد الأقصى) إلى القبلة الجديدة (البيت الحرام):

- **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144) البقرة**

وقد انتهينا في الجزء السابق عند تقديم الافتراء الخطير الذي مفاده أن سليمان لم يكن يتخذ من الأرض المقدسة مسكناً له، ولم يكن يتخذ من البيت الحرام مسكناً له أيضاً، لذا كان على الدوام بحاجة إلى تمثال يجعله قبلة له ليولّي وجهه شطره في صلاته، وليحج إليه. ولكن كانت المشكلة تكمن في ظننا بأن سليمان كان دائم الترحال، لذا كان يأمر الجن بأن تعمل له ما يشاء من تلك المحاريب التي يصلي فيها كما كان يأمرها أيضاً أن تعمل له ما يشاء من تلك التماثيل التي يولي وجهه

شطرها في صلاته، ويقيم فيها شعيرة الاعتكاف إذا ما أراد أداء فريضة الحج. وطرحنا في نهاية ذلك الجزء من المقالة التساؤل المثير التالي: أين هي تلك التماثيل التي عملتها الجن لسليمان؟
لذا سنتابع بحول الله وتوفيق منه في هذا الجزء بحثنا عن تماثيل سليمان.

سألين الله وحده أن ينفذ قوله بمشيئته وإرادته لي الإحاطة بشيء من علمه، وأن يعلمني ما لم أكن أعلم، وأسأله وحده أن يجعل فضله عليّ عظيما، إنه هو السميع العليم.

أما بعد
نحن نظن أنه من أجل محاولة الإجابة على هذا التساؤل الكبير، لابد لنا من التعرض أولاً إلى تساؤل أسبق يتعلق بمكان سكن سليمان عليه السلام، فأين - يا ترى- هي بلاد سليمان التي كان يسكنها؟ فهل كان يسكن سليمان فعلاً الأرض المقدسة التي باركنا فيها للعالمين كما تقول أساطير بني إسرائيل وكما حلقت خيالات علمائنا الأجلاء من ورائهم في ذلك دون تدبر ولا تفكر بما جاء في كتاب الله عن هذه الجزئية؟
افتراء خطير من عند أنفسنا: نحن نظن أن سليمان لم يكن يسكن الأرض المقدسة إطلاقاً. فتلك لم تكن بلاده.
الدليل
⇐ أولا، عند العودة إلى قصة سليمان كما ترد في جميع السياقات القرآنية نجد من السهل الخروج بالاستنباط بأن سليمان كان رجلاً صاحب ملك عظيم:

- **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (35) ص**

نتيجة مفتراة (1): نحن نظن أنه من غير المنطقي أن نحصر ملك سليمان ذاك بتلك البقعة الضيقة من الأرض، فملك سليمان كان يمتد على مسافة هائلة من الأرض.

وقد امتد حكمه ليشمل الجن والإنس والطير:

- **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) النمل**

نتيجة مفتراة (2): نحن نفتري القول بأنه من غير المنطقي الظن بأن من كان تحت حكم سليمان هم فقط من سلالة بني إسرائيل المتعارف عليها في أساطيرهم.

ونحن نعلم من مجمل القصة نفسها أن كثيرا من تلك الجن (خاصة الشياطين منهم) كانت كافرة، وكانوا أهل سحر:

- وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102) البقرة

نتيجة مفتراة (3): نحن نعتقد أنه من الخطأ الظن بأن جميع من كان تحت حكم سليمان كان من المؤمنين.

فكثير من الجن (وخاصة الشياطين منهم) كانوا يعملون بين يديه كراهية لا طواعية:

- ... وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) سبإ

وقد تنفسوا الصعداء بموت سليمان:

- فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14) سبأ

لو دققنا في ما كان يلقى الجن من سليمان لوجدنا أنه يشبه تماما ما كان يلقى بنو إسرائيل على أيدي آل فرعون، بدليل أنهم كانوا في العذاب المهين:

- وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (30) الدخان
- فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14) سبأ

⇐ ثانيا، نحن نعلم كذلك من مجمل أحداث القصة أن ملك سليمان كان واسعا جداً لدرجة أنه كان يتنقل بين أقطاره بالريح التي سخرها الله له غدوها شهرا ورواحها شهر:

- وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) سبإ

فكانت تنقله رخاء حيث أصاب:

- فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36)ص

نتيجة مفتراة (4): نحن نظن أنه من غير المنطقي أن نحصر ملك سليمان بالأرض المقدسة فقط مادام أن الرجل كان يتنقل بواسطة الريح رخاء حيث أصاب.

ولو دققنا في النص القرآني جيداً، لربما وصلنا إلى ملحوظة نظن أنها غاية في الأهمية ستفيد – برأينا- في تحديد موطن سليمان وهي أن هذه الريح المسخرة لسليمان كانت تنقله إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين:

- **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81) الأنبياء**

نتيجة مفترة (5): سليمان كان ينتقل بالريح إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين، ربما لنفهم أن تلك الأرض (أي الأرض التي باركنا فيها) لم تكن أصلاً هي موطنه الدائم بدليل أن الريح كانت تجري به إلى تلك الأرض، فهو إذاً كان متواجدا خارجها عندما كانت الريح تنقله إليها.

السؤال: أين كان سليمان يسكن عندما كان يأمر الريح أن تجري به إلى هناك؟
جواب: لا شك عندنا أن سليمان كان يتواجد في مكان يبعد عن تلك الأرض بمقدار المسافة التي تجري بها الريح في شهر غدوا وشهر آخر رواحاً.

⇐ ثالثا، نحن نعلم من مجمل تفاصيل القصة بأن سليمان هو وريث داوود الشرعي:

- **وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) النمل**

كما أننا نعلم في الوقت ذاته أن الحكم الذي وصل إلى داوود (والد سليمان) قد جاء عن طريق طالوت الذي (نظن أنه) لم يكن أصلاً من بني إسرائيل، فها هم بنو إسرائيل يطلبون من نبي لهم أن يبعث الله لهم ملكاً:

- **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) البقرة**

فقضت حكمة الله أن يبعث لهم طالوت ملكاً:

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ ...

فما يكون من الملأ من بني إسرائيل الذي طلبوا وجود ملك لهم إلا أن يظهروا اعتراضهم على الفور على طالوت وذلك لسببين:

⇐ أولهما أنهم (أي بني إسرائيل) هم الأحق بالملك من طالوت:

... قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ...

⇐ وثانياً، لأن طالوت لم يؤت سعة من المال:

... وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ ...

فلم يكذب الله دعواهم تلك، ولكنه اصطفاه واختصه بأشياء أخرى وهي البسطة في العلم والجسم:

- **قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247) البقرة**

نتيجة مفتراة (6): نحن نفتري الظن بأن طالوت لم يكن من الملأ من بني إسرائيل أصحاب الأرض المقدسة، وإلا لما أبدوا اعتراضهم على حكمة الله في أنه هو من آتاه الله الملك من دونهم جميعاً. ولكنه كان فقط ملكاً عليهم. فهو الذي أعاد بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة بعد أن كانوا قد أخرجوا منها، انظر السياق القرآني نفسه الذي طلب فيه بنو إسرائيل من نبي لهم أن يبعث الله لهم ملكا، لتجد أنهم فعلاً كانوا قد أخرجوا من الأرض التي كتب الله لهم:

إن هذا سيقودنا لاحقاً إلى افتراض واحد من سيناريوهين اثنين يخصان نسب طالوت وهما:

⇐ أن طالوت لم يكن من بني إسرائيل إطلاقاً، أو
⇐ أنه كان من عامة بني إسرائيل ولكنه لم يكن من الملأ من بني إسرائيل.

وسنتعرض لتبعات كل واحد من هذين السيناريوهين لاحقاً بحول الله وتوفيقه.

فالله أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم.

- **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُواۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) البقرة**

وما عادوا إليها إلا بعد ذلك النصر المؤزر من الله لطالوت وجنوده (ومنهم داوود) على جالوت:

- **فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) البقرة**

نتيجة مفتراة (7): عاد بنو إسرائيل إلى الأرض المقدسة بعد أن قتل داوود جالوت الخصم العنيد لطالوت. وما أن حصل ذلك حتى انتقل الملك من طالوت الملك إلى داوود الذي آتاه الله الملك والحكمة وأخذ يحكم بين الناس بالقسط:

- **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26) ص**

فأصبحت تلك مهمة داوود في الأرض، ونشأ سليمان مع والده داوود وهو يقيم الحكم بين الناس بالعدل، وقد آتاهما الله حكما وعلماً:

- وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15) النمل

وبقي الأمر على حاله حتى حصلت تلك الفتنة لداوود:

- وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) ص

وكانت مشكلتهم على النحو التالي:

- إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (24) ص

ثم ما لبثت أن نشبت مشكلة أخرى مع داوود تخص حكمه بين الناس وكانت على النحو التالي:

- وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) الأنبياء

وعلى الرغم من صغر سن سليمان مقارنة مع والده داوود إلا أن الله كان قد فهمهما لسليمان:

- فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) الأنبياء

وما أن قضى الله بالموت على داوود حتى كان سليمان هو الوريث الشرعي لوالده:

- وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) النمل

فكان أول ما فعله سليمان هو أن يحشر إليه جنوده من الجن والإنس والطير.

وما ترك سليمان بلاداً يصل إليها علمه حتى أخضعها لملكه كبلاد النمل مثلاً:

- حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) النمل

وحاولت تلك المرأة في سبأ (بسبب ما لديها من أسباب العلم: عرش عظيم) أن تتجنب بطش سليمان وجنوده ولكنها لم تستطع، بعد أن اكتشفها أحد جنود سليمان وهو الهدهد:

- فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) النمل

نتيجة مفتراة (8): لقد شمل ملك سليمان سبأ وهي البلاد التي جاءت منها المرأة التي لها عرش عظيم التي كانت تملك قومها، ومن ثم أسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

- **قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44) النمل**

نتيجة مفتراة (9): سليمان لم يكن يسكن سبأ لأن تلك المرأة جاءته وقومها من هناك.

السؤال: أين تقع سبأ بالنسبة للأرض التي بارك الله فيها للعالمين؟

جواب: نحن نظن أن السياق القرآني التالي يسلط الضوء على سبأ التي جاءت منها تلك المرأة التي لها عرش عظيم لتسلم مع سليمان لله رب العالمين:

- **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14) لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (17) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (18) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19) سبأ**

يشير السياق القرآني إلى العلاقة الوطيدة بين سليمان (كملك) وسبأ (كأرض). فسليمان هو من دانت له سبأ حتى موته، وما أن قضى الله على سليمان بالموت حتى حل بسبأ الدمار، فبعد أن كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال (**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ**)، وبعد أن كانوا يأكلون من رزق الله ويشكرون له (**كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ**)، لم تدم تلك النعم عليهم بعد إعراضهم (**فَأَعْرَضُوا**)، وما أن أعرضوا حتى أرسل عليهم سيل العرم الذي دمر بلادهم (**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ**)، فبدّلهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل (**وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ**). فتلك هي قصتهم، ولكن يبقى السؤال قائماً: فأين كان موطنهم؟

رأينا: نحن نظن أن تتمة السياق القرآني تجيب على هذا التساؤل، فانظر - عزيزي القارئ- إلى السياق الذي يكمل قصتهم بعد سليمان:

- **وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (18) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19) سبأ**

نتيجة: نحن نستطيع أن نستنبط من هذا النص القرآني وجود ثلاث مناطق جغرافية محدده بذاتها.

ألا وهي:

⇐ سبأ (**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ**)
⇐ القرى التي باركنا فيه (**وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**)
⇐ القرى الظاهرة (**قُرًى ظَاهِرَةً**)

ولو دققنا في النص جيداً لوجدنا أن القرى الظاهرة تقع بين سبأ من جهة والأرض التي باركنا فيها من الجهة المقابلة، فيصبح الترتيب على النحو التالي:

⇐ سبأ
⇐ القرى الظاهرة
⇐ القرى التي باركنا فيها

ولعلنا بحاجة أن نبحث عن هذه المناطق بشيء من التفصيل علّنا نستطيع بحول الله وتوفيق منه أن نحددها على الخريطة الجغرافية، لذا سنبدأ بها الواحدة تلو الأخرى، ولنبدأ بالقرى التي باركنا فيها.

القرى التي باركنا فيها (وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا)

السؤال: أين تقع الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا؟

رأينا: لو حاولنا إسقاط ذلك على الخارطة الجغرافية، لربما ما اختلفنا بأن القرى التي باركنا فيها هي المنطقة التي تحيط بالأقصى، أليس كذلك؟

الدليل

فالأقصى يقع في تلك الأرض:

- **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (1) الإسراء**

فتلك هي الأرض التي أورثناها للذين كانوا مستضعفين في الأرض من بني إسرائيل:

- **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ (137) الأعراف**

نتيجة مفتراة: نحن نظن أن الأرض التي تقع إلى الشرق كله (مَشَارِقَ) وإلى الغرب كله (وَمَغَارِبَهَا) من الأقصى هي الأرض التي باركنا فيها، وهي نفسها التي أورثها الله للمستضعفين من بني إسرائيل.

وهي الأرض التي نجّا الله إليها إبراهيم ولوط:

- **وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71) الأنبياء**

وهي الأرض نفسها التي كانت الريح تحمل سليمان إليها:

- **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81) الأنبياء**

نتيجة مفتراة: نحن نفتري الظن بأن سليمان لم يكن يسكن مشارق ومغارب الأرض التي باركنا فيها للعالمين، فتلك هي أرض المستضعفين من بني إسرائيل، وإذا ما علمنا أن موسى قد وصل مجمع البحرين (وهو برأينا الملتقى بين خليج العقبة وخليج السويس (انظر الخارطة)، فإن منطقة سيناء (أي فلسطين التاريخية) تصبح هي منطقة القرى التي باركنا فيها، وهناك تقع القرى إلى الشرق وإلى الغرب من نهر الأردن حيث بيت المقدس.



فنحن نفتري الظن بأن تلك المنطقة (إلى الشرق وإلى الغرب من بيت المقدس) كانت تسمى بأكملها سيناء، وصحراء سيناء الحالية (في ظننا) ليست إلا جزءا مما تبقى من التسمية القديمة من سيناء المنطقة الكلية، فأنت عندما تقول صحراء مصر، فإن تلك الصحراء هي جزء من مصر، وإذا ما قلت صحراء جزيرة العرب، فإن تلك الصحراء هي جزء من جزيرة العرب، وهكذا.

ونحن نفتري الظن أنها هي الأرض نفسها التي جاء ذكرها في الآية الكريمة التالية:

- **وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ (20) المؤمنون**

فالطور هو جزء من سيناء. وهو المكان الذي آنس عنده موسى النار:

- **فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29) القصص**

وهو الطور الذي نادى الله موسى عنده:

- **وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (52) مريم**
- **وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (46) القصص**

وهو المكان نفسه الذي واعد الله بني إسرائيل جانبه:

- **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (80) طه**

وهو الطور نفسه الذي رفعه الله فوق بني إسرائيل:

- **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (63) البقرة**
- **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ (93) البقرة**
- **وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (154) النساء**

والطور هو الذي نظن أنه قد جاء ذكره في سورة التين:

- **والتين والزيتون (1) وطور سنين (2) وهذا البلد الأمين (3) التين**

وسنتعرض لهذه السورة الكريمة في نهاية هذه المقالة لنحدد من خلالها المناطق الأربعة موطن الرسالات السماوية الرئيسية.

وإلى الجنوب الغربي من سيناء التاريخية تقع مصر التي رحل إليها يعقوب النبي مع أبنائه وأهله أجمعين يوم كان يوسف هو حاكمها. وهناك تم استضعاف بني إسرائيل بعد وصول الفراعنة إلى الحكم (انظر الخريطة مرة أخرى) وهي الأرض التي ولد فيها موسى من سلالة المستضعفين من بني إسرائيل في أرض مصر. وسنعود إلى قصة الطور لاحقاً ولكن نطلب من القارئ الكريم تديق النظر في الخريطة الجغرافية مرة أخرى



والى الشرق (والجنوب الشرقي) تقع مدين التي هرب إليها موسى من فرعون:

- وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ (22) وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) القصص

ومدين هي بلاد نبي الله شعيب:

- وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (36) العنكبوت

وهي الأرض التي لا تبتعد كثيراً عن قرية لوط التي وقع عليها العذاب، كما جاء ذلك على لسان شعيب الذي حذر قومه من مغبة ما يفعلون:

- قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (87) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (88) وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (89) هود

نتيجة: مدين تقع إلى الشرق من الأرض التي بارك الله فيها للعالمين وهي ليست بعيدة عن قرية قوم لوط الذي كان يسكن أصلا مع إبراهيم الأرض التي باركنا فيها للعالمين:

- وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71) الأنبياء

نتيجة مفتراة: نحن نفتري الظن بأن المنطقة الجغرافية التي تقع في شمال جزيرة العرب تنقسم إلى ثلاث أجزاء حسب تسميات القرآن الكريم وهي:

- ⇐ مصر التاريخية وهي الأرض التي استعبد فيها آل فرعون بني إسرائيل وتقع إلى الشمال الغربي من جزيرة العرب
- ⇐ سيناء التاريخية وهي الأرض التي أعاد موسى بني إسرائيل إليها بعد أن كان يعقوب ويوسف قد أخرجوهم منها، وتقع إلى الشمال المباشر لجزيرة العرب
- ⇐ مدين (أرض شعيب) وهي المنطقة القريبة من قرية لوط والتي هرب إليها موسى ومكث فيها سنين من عمره وتقع إلى الشمال الشرقي من جزيرة العرب

نتيجة مفتراة: نحن نظن أن تلك المناطق الثلاثة قد خضعت جميعها لحكم سليمان وإن لم يكن أيا منها موطنه الأصلي

السؤال: أين كان موطن سليمان؟
جواب: لم يكن يسكن مصر، ولم يكن يسكن مدين، ولم يكن يسكن الأرض التي باركنا فيها.

سبأ

كما أن سليمان لم يكن يسكن سبأ، فسليمان أرسل إليهم رسالته طالباً أن يأتوه مسلمين:

- **إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) النمل**

فجاءته المرأة وقومها من هناك:

- **قَالَ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) النمل**

فمن أين قدموا وإلى أين توجهوا؟
جواب لقد قدموا من سبأ؟
وأين هي سبأ؟
جواب: تقع ما بعد القرى الظاهرة؟

- **وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (18) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19) سبإ**

نتيجة: نحن نفهم من السياق القرآني أن هناك القرى الظاهرة التي تقع بين سبأ من جهة والأرض التي باركنا فيها للعالمين. وإذا ما ظننا أن القرى التي باركنا فيها تقع إلى الشمال من جزيرة العرب فإن سبأ تقع إلى الجنوب من جزيرة العرب. ولكن أين الدليل على ذلك؟

القرى الظاهرة

السؤال: من هم أهل القرى؟

جواب: هم كل الذين جاء بعدهم موسى:

- تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (101) وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (102) ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (103) الأعراف

فمن هم؟

جواب: هي القرى التي أهلكها الله بذنوبهم:

- ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (131) الأنعام
- وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ (4) الأعراف
- وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (96) الأعراف

وهم من جاء خبرهم على لسان الذي آمن من آل فرعون لموسى:

- يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ (31) غافر

نتيجة: نحن نظن أنها تلك القرى التي لازالت بيوتهم شاهدة (ظاهرة) على وجودهم الذي انتهى بالعذاب:

- فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (52) النمل

نتيجة مفتراة: نحن نظن أن المنطقة التي تقع في وسط جزيرة العرب هي ديار عاد وثمود وغيرهم من القرى التي أهلكها الله بذنوبهم

كما نظن أنها المنطقة التي كان السير فيها آمنا:

- **وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (18) سبإ**

وأين تقع سبأ؟

رأينا: نحن نظن أن الجزء الجنوبي من جزيرة العرب هي منطقة سبأ التي جاءت منها تلك المرأة التي لهاعرش العظيم إلى سليمان. انظر الخريطة مرة أخرى:



ولكن هذا الظن يعيدنا على الفور إلى التساؤل الرئيس وهو: أين كان سليمان يتواجد عندما قدمت إليه تلك المرأة مادام أنها أتته من سبأ؟

رأينا: نحن نظن أن سليمان لم يكن موطنه أياً من تلك المناطق الجغرافية سالفة الذكر وإن كانت جميعاً قد وقعت تحت حكمه.

⇐ فشمال جزيرة العرب (التي تشمل الأرض التي باركنا فيها ومدين إلى الشرق منها ومصر إلى الغرب منها) وقعت جميعها تحت حكم سليمان

⇐ ومنطقة وسط جزيرة العرب (القرى الظاهرة) وقعت تحت حكم سليمان

⇐ ومنطقة جنوب جزيرة العرب (سبأ) وقعت تحت حكم سليمان

فأين كان يسكن سليمان إذن؟

رأينا: إنها المنطقة الجغرافية التي تبعد عن الأرض التي باركنا فيها مسيرة الريح شهرا في الذهاب وشهر آخر في الإياب:

- **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) سبإ**
- **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81) الأنبياء**
- **فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ (36) ص**

ولكن هذه المنطقة لها مواصفات محددة:

⇐ نحن نظن أن موطن سليمان كان يقع في منطقة جغرافية مطلة على البحر بدليل أن الشياطين كانت تغوص له:

- **وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ (37) ص**

نتيجة مفتراة: نحن نظن أن الشياطين كانت تعمل لسليمان في البر والبحر، وقد شيّدت له في البر كما شيدت له في البحر

⇐ هي المنطقة التي شيدت فيها الجن لسليمان الصرح:

- **قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44) النمل**

وقد افترينا الظن سابقاً بأنه مادام أن الصرح كان لجة (كما حسبته المرأة) فلابد أنه كان قريباً من الماء أو على الأقل كان للماء دخل في تلك اللجة:

- **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (40) النور**

فظننا بأن انعكاس أشعة الشمس على الماء هو الذي يسبب تلك اللجة، كما ظننا بأن ذلك الصرح كان بناء يرتفع عن الأرض بدليل ما طلبه فرعون من موسى:

- **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38) القصص**

كما افترينا بأن الصرح يتطلب إشعال النار تحته، ففرعون يطلب من فرعون أن يوقد على الطين حتى يجعل له صرحاً ليبلغ به الأسباب:

- **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (36) غافر**

وقد خلصنا إلى القول بأن صرح سليمان كان بناء يشبه الشمس في إضاءته وارتفاعه بدليل أن أول ردة فعل المرأة (التي كانت وقومها تسجد للشمس) كان أن كشفت عن ساقيها لتقوم بفعل السجود عندما رأته:

- **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42) القلم**

فالمرأة لم تكشف ساقها ولكنها كشفت عن ساقها

⇐ نحن نظن أن منطقة بلاد سليمان هي التي أسيل له فيها **عَيْنَ الْقِطْرِ** موضوع البحث الرئيسي في هذا الجزء:

- **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) سبإ**

فـ لكي نستطيع أن نحدد المكان الجغرافي الذي كان يتواجد فيه سليمان فلابد من معرفة المكان الذي أسيل لسليمان فيه عين القطر، فأين هو ذلك المكان؟

عَيْنَ الْقِطْرِ

للوصول إلى جواب على هذا التساؤل الكبير، فنحن بحاجة أولا أن نطرح التساؤلات المبدئية التالية:

⇐ ما هي عين القطر؟

⇐ ولماذا أسالها الله لسليمان؟

⇐ ومن الذي كان يعمل فيها؟

ما هي عين القطر؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نفتري الظن بأن عين القطر لها علاقة وطيدة بصناعة الحديد، ولكن كيف؟

رأينا: نحن نتفق جميعاً بأن سليمان هو وريث داوود، أليس كذلك؟

- **وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) النمل**

سؤال: مادام أن سليمان كان وريثاً لداوود، فماذا ورث عنه؟

جواب: كل شيء (**وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ**).

افتراء من عند أنفسنا: مادام أن سليمان قد ورث داوود في كل شيء، فلا ضير إذاً أن نفتري القول بأنه قد ورث عنه الصنعة (أي الحرفة) . فنحن نعلم من السياق القرآني التالي بأن الله هو من علم داوود "**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ**":

- **وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ (80) الأنبياء**

ولكن سليمان – في ظننا- قد ورث تلك الصنعة عن والده (كما ورث أشياء أخرى من كل شيء).
ولما كانت الغاية من تعليم داوود تلك الصنعة هي **لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ** ،فإننا نعتقد جازمين أن لها علاقة بالحديد، لأن الحديد هو الذي فيه البأس:

- **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25) الحديد**

وربما لهذا نقرأ في كتاب الله آية صريحة تبين كيف ألآن الله الحديد لداوود:

- **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10) سبإ**

السؤال: ولكن ما علاقة الحديد الذي ألانه الله لداوود بعين القطر التي أسلها الله لسليمان؟

افتراء خطير من عند أنفسنا: نحن نظن أن التلازم بين الحديد والقطر قد جاء في كتاب الله في الآية الكريمة التالية التي تتحدث عن ذي القرنين.

- **آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96) الكهف**

فالآية الكريمة تدلنا على أن ذا القرنين قد استخدم زبر الحديد (**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ**) وقد أفرغ عليه القطر (**آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا**)؟

السؤال: ما هو زبر الحديد؟ وما هو القطر؟

جواب مفترى: نحن نظن أن زبر الحديد هو المادة المصنّعة من الحديد، فالله أنزل الحديد كله:

- **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25) الحديد**

وكانت مهمة الناس أن يشكلوه بالطريقة التي يريدونها، فيجعلونه زبرا. فالحديد هو – في ظننا- المصدر، وزبر الحديد هو ما يمكن لكل أمة أن تشكل من تلك المادة الخام ما تشاء، بالضبط كما تفعل كل أمة عندما يتقطعون أمرهم زبرا بالرغم أنها أمة واحدة وأن ربهم هو الله:

- **وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (52) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (53) المؤمنون**

سؤال: ما هو القِطر؟

نحن نظن أن القِطر هو المادة التي يمكن أن تجعل الحديد يتماسك مع بعضه البعض، ولكن كيف؟

جواب: عندما نقرأ ذلك في قصة ذي القرنين، نجد أنه قد وضع الحديد أولاً (**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ**)، ثم قام بعد ذلك بتسوية ما بين الصدفين (**حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ**)، وطلب منهم أن ينفخوا (**قَالَ انفُخُوا**)، وما أن جعله ناراً (**حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا**) حتى أفرغ عليه القطر (**أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا**):

- **آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96) الكهف**

تخيلات من عند أنفسنا: نحن نتصور أن المشهد على النحو التالي: كان ذو القرنين يقوم على ردم الطريق التي توصل يأجوج ومأجوج إلى الأرض حتى لا يعيثوا بها فساداً، فقام ببناء تسوية من حديد لتلك الطريق، بالضبط كما يفعل رجل البناء، وعندما أكمل الهيكل الحديدي قام بالنفخ عليه حتى أصبح نار، وما أن أصبح ناراً حتى أفرغ عليه القطر، فأصبح الحديد متماسكاً مع بعضه البعض بطريقة يصعب إحداث النقب فيه.

ولكن يبقى السؤال قائماً: ما هو القطر الذي أفرغه ذو القرنين على زبر الحديد المشتعل؟

جواب: عندما حاولنا الإجابة على هذا التساؤل، وجدنا أن من الضروري طرح سؤال لغوي بحت يخص مفردة القِطر، وكان السؤال الذي طرحناه هو: هل مفردة القِطر هي مفردة تدل على المفرد أم على الجمع؟

لقد أجاءتنا المفاجأة من معظم الذين وجهنا لهم السؤال من العامة ومن أهل الاختصاص اللغوي على حد سواء حيث كانت جل إجابتهم على نحو أن المفردة تدل على المفرد. وعندها فاجأنا أهلَ اللغة بالتساؤل المثير التالي: إذا كانت مفردة "القِطر" تدل على المفرد، فما الجمع منها؟ أي كيف يمكن أن تجمع؟ فلم نجد عندهم جواباً يسد عطشنا للمعرفة.

والحالة هذه، عدنا نبحث كالعادة في كتاب الله عن مخرج مما نحن فيه من الضيق، فسألنا الله أن يهدينا رشدنا، وأن يعلمنا ما لم نكن نعلم، فوجدنا الجواب الذي نظن أنه صحيحاً في الآية الكريمة التالية من سورة الرحمن:

- **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) الرحمن**

افتراء خطير جداً من عند أنفسنا: نحن نظن أن مفردة "قطر" تجمع على أقطار (أَقْطَارِ).

ولكن أين الدليل على ذلك؟

رأينا: نحن نظن أن الدليل على افترائنا هذا يأتي من تدبر الآية الكريمة نفسها، لنطرح بعد ذلك على القارئ الكريم سؤالاً بسيطاً جداً وهو: كيف يمكن أن تتم عملية النفاذ من أقطار السموات والأرض؟ وأين هي أقطار السموات والأرض؟

عندما حاولنا أن نطرح مثل هذه التساؤلات على الناس وجدنا أن الصورة التي تتشكل في أذهانهم للآية الكريمة هي على نحو أنه يوجد حول الكرة الأرضية مجالات افتراضية تحيط بالأرض داخل وخارج غلافها الجوي كما في الشكل التالي:



فالصورة الذهنية عند الناس هي على نحو أن أقطار الأرض هي كينونات محيطة بالأرض، بينما لم يستطع الكثيرون أن يرسموا لنا صورة ذهنية عن أقطار السموات.

رأينا: إن أكثر ما يهمنا هنا هو الصورة الذهنية التي شكّلها الكثيرون لنا لأقطار الأرض، ونحن نفتري الظن بأن هذه الصورة الذهنية هي مغلوطة تماماً، فأقطار الأرض – برأينا لا تحيط بالأرض إطلاقاً.

السؤال: إذا كان ظننا هذا صحيحاً، فعلينا أن نجيب على التساؤل التالي على الفور: أين هي أقطار الأرض إذن؟

جواب خطير جداً مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن أقطار الأرض موجودة داخل الأرض وليس خارجها.

الدليل

نحن نظن أن الدليل على ظننا هذا ربما يمكن أن يستنبط من الآية الكريمة نفسها التي تتحدث عن أقطار السموات والأرض:

- **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) الرحمن**

ولكن كيف ذلك؟

رأينا: تدبر -عزيزي القارئ- الآية الكريمة جيداً خاصة ترتيب المفردات فيها، لنطرح عليك التساؤل التالي:

السؤال: ألا ترى عزيزي القارئ أن الله يطلب منا أن نحاول أن ننفذ من أقطار السموات قبل أن ننفذ من أقطار الأرض؟ انظر الترتيب في الآية الكريمة جيداً:

إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا

ألم يكن الأولى (إن صحت الصورة الذهنية التقليدية التي تشكلت في أذهان الناس) أن نحاول أن ننفذ أولاً من أقطار الأرض ثم نحاول بعد ذلك أن ننفذ من أقطار السموات؟ ألم يكن الأولى أن تكون الآية الكريمة على نحو:

إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار الأرض والسماوات فانفذوا

الصورة التقليدية القديمة: لا تنسى - عزيزي القارئ- أننا (على الأقل نحن الإنس) متواجدون على سطح الأرض، فإن أردنا أن ننفذ، فعلينا أن نحاول أن ننفذ من أقطار الأرض، وما أن نتخلص من أقطار الأرض حتى نحاول بعد ذلك أن ننفذ من أقطار السموات. أليس كذلك؟

السؤال: كيف إذن سنستطيع أن ننفذ من أقطار السموات ثم من أقطار الأرض بعد ذلك (**إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**)؟

الصورة البديلة المفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أن أقطار الأرض ليست متواجدة حولها وإنما هي كينونات متواجدة في داخل الأرض، فالنفاذ من أقطار الأرض يتطلب – برأينا- الدخول في باطنها، أي هي حركة باتجاه باطن الأرض، أما النفاذ من أقطار السموات فهي حركة إلى الأعلى باتجاه الفضاء الخارجي.

الدليل

نحن نظن أن السماء بالنص القرآني هي كل ارتفاع عن سطح الأرض بغض النظر عن مقداره، فالله ينزل لنا الماء من السماء بالرغم أنها تأتي من الغيوم:

- **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (22) البقرة**

فالسحاب الذي يحمل المطر مبسوط في السماء:

- **اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاء وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (48) الروم**

والسماء تبدأ بوجود الغازات الضرورية لعملية التنفس وتستمر السماء مع تناقص تلك الغازات:

- **فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ (125) النعام**

وتبدأ السماء مع فرع الشجرة:

- **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء (24) إبراهيم**

والطيور مسخرات في جو السماء:

- **أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (79) النحل**

وباختصار نقول أن كل ما فوقنا فهو سماء:

- **أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (6) ق**

نتيجة مفتراة: إن الحركة إلى أعلى (صعوداً أو رقياً أو عروجاً) تأخذنا إلى أقطار السموات.

السؤال: كيف سيكون النفاذ من أقطار الأرض والسماء متواجدة فوق رؤوسنا؟

رأينا: نحن نظن أن ذلك يتم ليس بالخروج منها ولكن بالولوج فيها:

- يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (2) سبإ
- هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4) الحديد

نتيجة: إن أي حركة من الأرض إلى الأعلى تؤدي بك إلى الخروج منها إلى السماء، لذا نحن نفتري الظن بأن أقطار الأرض ليست موجودة خارجها وإنما موجودة في داخلها.

- يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) الرحمن

ولو راقبنا التحدي الموجود في الآية الكريمة لوجدنا أن النفاذ من أقطار السماوات ربما يكون أسهل من النفاذ من أقطار الأرض، فالناس جبلوا على التفكير بالخروج من الأرض إلى السماء في مسافات بعيدة جداً (فقطعت مركباتهم الفضائية ملايين الأميال في الفضاء، ولكنهم عجزوا عن قطع بضع كيلومترات في باطن الأرض. لذا نحن نظن أن التحدي في الآية الكريمة ربما جاء ليبين لنا أننا قد نستطيع أن نحاول أن ننفذ من أقطار السموات قبل أن نستطيع أن (نحاول أن) ننفذ من أقطار الأرض. فالرحلة إلى باطن الأرض لم تبدأ بعد بالرغم من التطور الهائل في مجال رحلات الفضاء باتجاه أقطار السموات

عودة على بدء: ما علاقة ذلك كله بعين القطر التي أسالها الله لسليمان؟

رأينا: لما كان الله قد أسال لسليمان عين القطر، فنحن نفهم أن الله قد أخرج لسليمان عين تجري بالقطر الموجود في باطنها ليظهر على سطحها:

- وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) سبإ

فكانت مهمة الجن تكمن في أن يعملون له منها ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات

نتيجة مفتراة: لقد كانت المحاريب والتماثيل والجفان التي كالجواب والقدور الراسيات التي كانت تعملها الجن لسليمان مصنوعة من عين القطر.

السؤال: ما هو عين القطر إذن؟

افتراء من عند أنفسنا: نحن نظن أن الجواب على هذا السؤال موجود في الآيات الكريمة التي تبين التحدي الإلهي للإنس والجن بالنفاذ من أقطار السموات والأرض:

- **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ (35) الرحمن**

نحن نفهم الآية الكريمة على النحو التالي: إن مجرد محاولة الجن والإنس الاقتراب من أقطار السموات والأرض ستؤدي إلى أن يرسل عليهم (**شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ**) لكي لا ينتصران (**فَلَا تَنتَصِرَانِ**)

نتيجة مفتراة: لذا نحن نظن أن القطر هو عبارة عن خليط من "شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ"

لذا نحن نظن أن باطن الأرض يتكون من أقطار، وفي كل قطر يوجد نوع (وربما) أنواع محددة من المعادن. فجميع معادن الأرض تخرج من باطنها (أي من أقطارها) باستثناء معدن واحد فقط وهو الحديد الذي أنزله الله إنزالا:

- **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25) الحديد**

السؤال: وأين أسال الله تلك المادة المنصهرة من النحاس بشواظ النار لسليمان؟

جواب: في عين القطر؟

سؤال: وأين هي تلك العين؟

جواب: للإجابة على هذا التساؤل لابد من التعرض أولاً لمفردة العين لنفهم ما هي، لذا نحن نطرح التساؤل التالي: ما هي العين؟

جواب: العين هي عين الإنسان التي نعرفها.

- **أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9) البلد**
- **قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ (13) آل عمران**
- **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45) المائدة**
- **وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) المائدة**

- **قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (116) الأعراف**
- **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179) الأعراف**
- **أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ (195) الأعراف**
- **وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (84) يوسف**

ونحن نظن أن ذلك الجزء من الإنسان الموجود في الرأس ونحن نظن أن العين هي جزء من الرأس وليست جزءا من الوجه (انظر مقالتنا تحت عنوان لماذا نصلي خمس مرات في اليوم والليلة)، وذلك لأن غسل العينين ليست جزءاً من الاغتسال للصلاة، فالمسلم عندما يقوم للصلاة يغسل وجهه (بما في ذلك فمه وأنفه) ولكنه لا يغسل عيناه. ولو راقبنا قصة يعقوب مع ولده يوسف لوجدنا أن عينا الوالد يعقوب قد ابيضت من الحزن على ولده يوسف:

- **وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (84) يوسف**

فبياض العينين يعني ذهاب بصرهما بدليل أنه عندما أرسل يوسف قميصه إلى والده وألقاه على وجهه ارتد بصيرا:

- **فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (96) يوسف**

لذا نحن نظن أن العينين ليست من الوجه لأنه لو كانت العينان من الوجه لذهب بصرهما يوم القيامة عندما تبيض وجوه وتسود وجوه:

- **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (106) آل عمران**

ففي تلك اللحظة عندما تبيض وجوه المؤمنين لا تذهب أبصارهم لأن عيونهم لا تبيض مع بياض وجوهم لأنها ببساطة ليست من الوجه.

وقد سميت بالعين على الأقل لسببين:

⇐ أولهما، لأنها مكان يجري فيه السائل:

- **فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) الغاشية**
- **فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50) الرحمن**

ويكون هذا الجريان أحياناً غزيرا:

- **وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ (92) التوبة**

وهذا بالضبط ما نجده من عين الماء:

- وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60) البقرة
- عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (6) الأنسان

لذا نحن نظن أن الماء المعين هو الماء الذي يخرج من عين الماء:

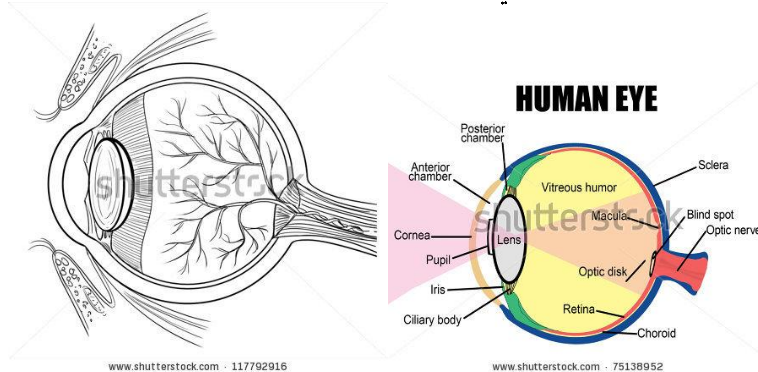
- قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ (30) الملك

⇐ وثانيهما لشكلها:

- وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (160) الأعراف

والانبجاس برأينا هو بروز من الداخل إلى الخارج.

سؤال: وكيف هو شكل العين أصلاً؟
جواب: انظر الشكل التالي



فتلك هي صورة العين التي يخرج منها السائل سواء كان دمعاً كما في حالة العين البشرية أو الماء كما في حالة عين الماء.
ونحن نظن أن الشمس تغرب فيما يشبه العين في الشكل، وإن كانت مختلفة في درجة حرارتها:

- حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (86) الكهف

أين هي تلك عين القطر التي أسالها الله لسليمان؟
رأينا: نحن نظن أن العين إذا ما خرجت من باطن الأرض فإنها تنبجس:

- وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (160) الأعراف

والانبجاس برأينا هو خروج الشيء من مكانه في الداخل إلى الخارج شيئا قليلا، فقد خرج من باطن الأرض – في ظننا- ما يشبه العين في الشكل (وكان ذلك انبجاساً لعين الماء) وما أن انبجست تلك العين من باطن الأرض حتى انفجرت بعد ذلك بالماء:

- وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60) البقرة

افتراء خطير جداً من عند أنفسنا: إذا صح هذا الزعم المفترى من عند أنفسنا، فإننا بحاجة أن نبحث في الكرة الأرضية عن كتلة من اليابسة تشبه في شكلها العين والتي تبدو وبكأنها قد خرجت (أي انبجست) من باطن الأرض. ونحن نفتري الظن أنه إن استطعنا أن نحددها بطريقة صحيحة فإننا سنجد أن القطر الذي أسالها الله لسليمان (وعملت به الشياطين لسليمان ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات) قد كانت تخرج من تلك العين.

فأين هي إذن؟

رأينا: هي المنطقة التي توجهت إليها المرأة من سبأ مع قومها حيث كان يتواجد سليمان؟

سؤال: وما هي تلك المنطقة؟

جواب: هي ليست سبأ بالتأكيد، لأن المرأة قد جاءت أصلاً من سبأ، وهي ليست الأرض التي باركنا فيها للعالمين، لأن سليمان كان يذهب إليها بالريح، وهي ليست القرى الظاهرة التي تقع بين سبأ والأرض التي باركنا فيها (فتلك بلاد عاد وثمود). لكنها بلا شك منطقة تقع على مسطحات مائية لأن الشياطين كان منهم كل بناء وغواص، فما هي؟

رأينا: نحن نظن أننا بحاجة أن بحث حول المسطحات المائية عن كتلة من اليابسة يبدو أنها قد خرجت من اليابسة لتشبه في شكلها العين (عين الإنسان)، فأين يا ترى يمكن أن نجدها؟

افتراء خطير جداً جداً من عند أنفسنا: انظر – عزيزي القارئ- الخارطة الجغرافية التالية جيدا، ثم حاول أن تخمن الإجابة بنفسك:



هل تعرف عزيزي القارئ ما هذه الخريطة؟
جواب: إنها جزء من خريطة شبه الجزيرة العربية:



السؤال: أين هي تلك العين التي أسال الله منها القطر لسليمان؟

افتراء خطير جداً جداً من عند أنفسنا: إننا نفتري الظن أنها ما يسمى الآن بدولة قطر العظيمة.

نعم، نحن نفتري الظن بأن تلك التسمية لتلك البقعة الجغرافية (أي قطر) هي مما تبقى من قصة سليمان، فسليمان كان موطنه الأصلي على أطراف المسطحات المائية للخليج العربي مع بحر العرب والمحيط الهندي. فهناك كانت مملكة سليمان، وهناك كانت الجن تغوص له في البحر ليجنوا له من كنوز تلك البحار الثرية وهناك أسال الله القطر لسليمان من تلك العين، وإلى هناك جاءته المرأة من سبأ مع قومها لتسلم لله رب العالمين، وهناك كان صرح سليمان الذي كان صرحاً ممرداً من قوارير والذي حسبته المرأة أنه لجة فكشفت عن ساقيها لتسجد له، ومن هناك حكم سليمان الأرض كلها حتى وصل حكمه إلى كل أصقاع الأرض بما فيها التماثيل التي لا زالت موجودة حتى يومنا هذا في أمريكيا اللاتينية (وسنتعرض لهذه الجزئية في نهاية هذه المقالة بحول الله وتوفيقه)

تبعات هذا الظن
لما كان القطر هو مادة النحاس المسال بالحرارة من باطن الأرض، ولما كان الله هو من أساله لسليمان من باطن الأرض، فقد نفذ ذلك السائل عن طريق فتحة أحدثها الله من باطن الأرض لتنقل ذلك السائل إلى ظاهره، فشق طريق له يصل بين باطنها وظاهرها، وأخذت تلك الفتحة

بالاقتراب شيئاً فشيئاً إلى سطح الأرض، وما أن وصلت تلك الفتحة إلى منتهاها إلى سطح الأرض حتى انفجرت وشكلت جسماً يشبه في شكله العين، وما كان من تلك الفتحة إلا أن أخرجت ما في باطن الأرض من الكنوز إلى ظاهرها، ونحن نتجرأ بناء على هذا الفهم المغلوط على تقديم الافتراء التالي الذي هو بلا شك من عند أنفسنا:

إن الغازات السائلة (بما فيها الغاز والنفط) التي ظهرت على سطح الأرض هي غازات دفينة في باطن الأرض (أي في أقطار الأرض) وليست عبارة عن متحجرات كائنات عضوية، انظر كيف تعرف الويكيبديا في نسختها الإنجليزية مفردة CRUDE OIL:

Crude oil, or petroleum, and its refined components, collectively termed petrochemicals, are crucial resources in the modern economy. Crude oil originates from ancient fossilized organic materials, such as zooplankton and algae, which geochemical processes convert into oil.[7] The name is a misnomer, in that minerals are not the source of the oil - ancient plants and animals are. Mineral oil is organic. However, it is classified as "mineral oil" instead of as "organic oil" because its organic origin is remote (and was unknown at the time of its discovery), and because it is obtained in the vicinity of rocks, underground traps, and sands. Mineral oil also refers to several specific distillates of crude oil

وكيف تعرفه في نسختها العربية:

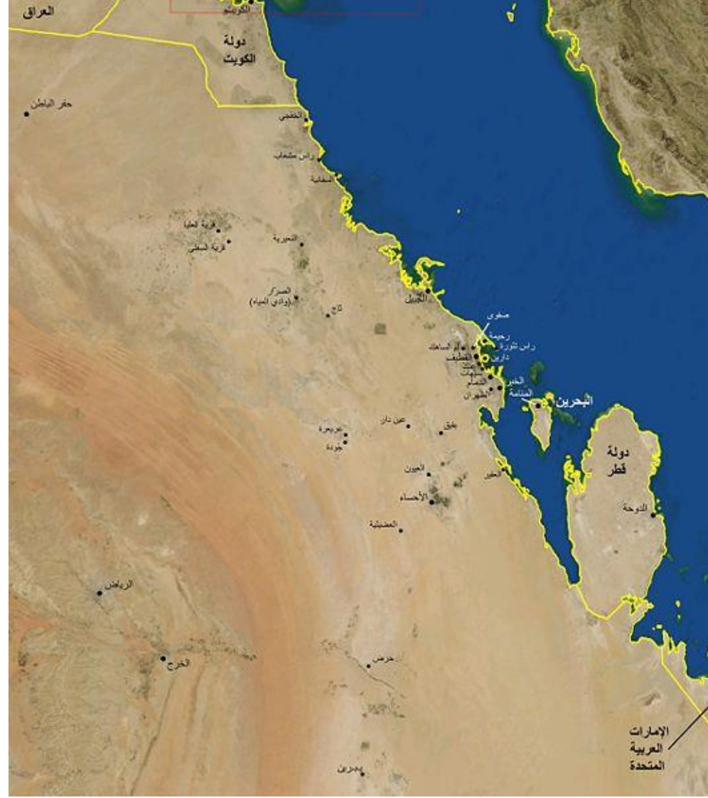
النفط أو البترول ويطلق عليه أيضا الزيت الخام الذهب الأسود كمصطلح ادبي، عبارة عن سائل كثيف، قابل للاشتعال، بني غامق أو بني مخضر، يوجد في الطبقة العليا من القشرة الأرضية. ويتكون النفط من خليط معقد من الهيدروكربونات، وخاصة من سلسلة الألكانات الثمينة كيميائيا، ولكنه يختلف في مظهره وتركيبه ونقاوته بشدة بحسب مكان استخراجه. وهو مصدر من مصادر الطاقة الأولية الهامة طبقا ل إحصائيات الطاقة في العالم. ولكن العالم يحرقه ويستغله في إنتاج الطاقة الكهربائية وتشغيل المصانع وتحريك وسائل النقل وتشغيل المحركات المعدة لحركة وفي إنتاج الطاقة الكهربائية التي يمكن أن تُوّلد بطرق أخرى توفر على البشرية حرق هذه المادة القيمة كيميائيا. النفط هو المادة الخام لعديد من المنتجات الكيماوية، بما فيها الأسمدة ،مبيدات الحشرات ، اللدائن وكثير من الأدوات البلاستيك والرقائق والأنابيب والأقمشة والنايلون والحرير الاصطناعي والجلود الاصطناعية والأدوية.

رأينا المفترى: نحن نظن أن تلك الغازات هي عبارة عن ما هو متواجد في أقطار الأرض، فكل قطر من أقطار الأرض يحتوي في طياته على نوع أو أنواع محدده من المعادن، فجميع معادن الأرض موجودة في باطنها وقد تنفذ إلى السطح في أي مكان على الأرض يمكن أن يتسرب منها ذلك المخزون الدفين في باطن الأرض باستثناء معدن واحد وهو الحديد الذي أنزله الله إنزالاً:

- **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25) الحديد**

وقد حصلت - في ظننا- أكبر عملية إسالة (تهريب) لهذا المخزون في التاريخ بفعل عين القطر تلك التي أسالها الله لسليمان، فنفذت إلى السطح بفعل تلك الفتحة الهائلة التي أحدثها الله لسليمان من باطن الأرض إلى ظاهرها لينقل له من خلالها القطر. ولما كانت تلك الفتحة ترتفع شيئاً فشيئا

إلى سطح الأرض أخذت معها كميات هائلة من الغازات والدفائن فنقلتها من باطن الأرض إلى سطحها. ولو راقبنا على الخارطة الجغرافية المناطق التي تعتبر مواطن الغاز والنفط في العالم لوجدنا أنها تبدأ من مناطق أواسط روسيا (ما وراء جبال الهملايا) وتمتد إلى بلاد القوقاز ومنا إلى إيران والعراق حتى تنهي أخيرا إلى منطقة شرق جزيرة العرب:



ولكن المهم في الأمر أن ذروة تلك الكميات قد ظهرت في المناطق التي تقترب منها تلك العين (أي قطر) من سطح الأرض، فظهرت الكميات الأضخم في شرق جزيرة العرب (العراق، الكويت، الإمارات، وشرق السعودية).

كما يجدر الإشارة بأن أسهل عمليات اكتشاف لتلك الدفائن كانت في هذه المنطقة الجغرافية، وذلك لأن عملية الاستكشاف لا تتطلب الحفر في باطن الأرض إلى أعماق كبيرة، فبعض تلك الكميات ظهرت على السطح بطريقة السيلان الطبيعي (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) منذ زمن بعيد، ولكن لكي يتم استخراج تلك الدفائن في مناطق الأرض الأخرى كان لابد من الحفر إلى أعماق هائلة للوصول إلى منافذ ومصائد لتلك الغازات والدفائن الأرضية.

وهذا يعني بمنظورنا المكذوب هذا استحالة نفاذ كميات الغاز والنفط وذلك لأنها قادمة من أقطار الأرض التي تحتوي الكثير منه، فالكميات المقدرة حتى الساعة هي مبنية فقط على اجتهادات بناء على ما تم اكتشافه حتى الساعة، ولكن العلم سيكشف لنا- نحن نفتري الظن- بأن هناك كميات هائلة جداً لازالت في طريقها من باطن الأرض (أقطارها) إلى سطحها.

ولو راقبنا الآية الكريمة لوجدنا أن عذاب الجن الذي كان يزغ عن الأمر بالسعير:

- **.... وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) سبإ**

فكيف يكون ذلك؟ لو دققنا لو جدنا أن الجن هي أصلاً مخلوقات من نار، لذا فإن عذابهم يتطلب أكثر من مجرد وجو النار، لذا لما كانت الجن تعمل لسليمان على ذلك القطر الذي يسيل من باطن الأرض، فإنه أقرب إلى المادة البركانية المنصهرة شديدة الحرارة، لذا فإن من كان يزغ عن الأمر من الجن كان عذابه يتم بإلقائه في تلك المادة المنصهرة ذات الحرارة العالية جداً.

⇐ ثانياً، نحن نظن أن وجود ملك سليمان في تلك البقعة الجغرافية من الكرة الأرضية قد مكّنه من حكم الأرض بأكملها، فنحن نقرأ في كتاب الله أن سليمان قد دعا ربه أن يهب له ملكاً لا ينبغي لأحد بعده:

- **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (35) ص**

لذا من الاستحالة عندنا أن نؤمن أن ملك سليمان قد اقتصر على بقعة جغرافية محددة، وذلك لأن هناك من حكم من بعد سليمان مناطق شاسعة جداً من الأرض، فهذا هارون الرشيد مثلاً ينادي الغيمة – كما تقول قصصنا الشعبية- بأنها مهما ذهبت فإن خراجها سيأتيه دلالة على سعة الرقعة الجغرافية التي كانت تقع تحت حكمه، وأظن أن تشرشل (أحد رؤساء وزراء بريطانيا) كان يحكم الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، وليس أدل على ذلك من الأغنية البريطانية الشهيرة حيث يتكرر مقطعها الشهير التالي عدة مرات:

Rule Britannia!
Britannia rule the waves.
Britons never, never, never shall be slaves.
Rule Britannia!
Britannia rule the waves.
Britons never, never, never shall be slaves

فهل - يا ترى- اقتصر ملك سليمان العظيم على بقعة محددة من الأرض؟ هل حكم هارون رشيد أو تشرشل مثلاً منطقة جغرافية أوسع من تلك التي كانت تقع تحت حكم من وهب الله له ملكاً لم ينبغي لأحد من بعده؟

رأينا: كلا وألف كلا، نحن نظن أن سليمان بجنده من الجن والإنس والطير قد وصل حكمه إلى كل أصقاع الأرض. ولكن كيف ذلك؟

انظر الخريطة التالية:



فإلقاء نظرة على خريطة الكرة الأرضية تبين لنا أن سليمان قد حكم القارة الآسيوية والإفريقية والأوروبية بكل سهوله، وذلك للترابط البري بين تلك الكينونات، لذا نحن لا نتردد أن نفهم أن حكم سليمان قد امتد على كل تلك المساحة الجغرافية الشاسعة، ولكن لمّا كان سليمان يتحكم بالطير وبالجن، فنحن نظن أن حكمه قد ابتعد أكثر من ذلك، لنفتري بأنه قد وصل إلى الأمريكيتين: الجنوبية والشمالية.

تخيلات من عند أنفسنا بغير دليل

دعنا نطرح التساؤلات التالية:

⇐ أولاً، ما أصل الهنود الحمر الذين وجدهم الأوربيون في الأمريكيتين عندما وصلوا إلى هناك؟ من أين جاء أولئك البشر؟ وكيف وصلوا إلى هناك؟ ولم لم يحدث اتصال بينهم وبين العالم إلا بعد أن وصل الأوربيون إلى هناك؟

⇐ ثانيا، ما أصل الحضارات ذات الآثار العظيمة المتواجدة حتى يومنا هذا في تلك البلاد خاصة أمريكيا اللاتينية؟ وما أصل التراث الديني الهائل الموجود هناك؟ ومن أين جاء؟ وما أصل الأساطير الكثيرة جداً التي تتوافر في تلك البلاد؟ ثم مادام أن هؤلاء الناس متواجدون هناك منذ زمن بعيد، فأين هم رسلهم؟ ألم يقل الله في كتابه الكريم؟

- **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ (24) فاطر**

فمن هم رسلهم؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن كل تلك الحضارة قد شيدت في عهد سليمان. ولكن كيف؟

افتراء من عند أنفسنا: تجمع معظم الدراسات المادية الغربية التي أجريت حتى الساعة في هذا الصدد أن الهنود الحمر (أهل الأمريكيتين الأصليين) قد جاءوا فعلاً من الهند، وقد عبروا خلال رحلتهم إلى هناك عن طريق البر الذي يربط أسيا بأمريكا الشمالية عبر ألاسكا (انظر الخريطة السابقة). لكننا لا نتردد أن نكذّب دعواهم هذه، وذلك لأن الواقع يناقضه، ولأسباب عديدة نذكر منها:

⇐ صعوبة وصول الجنس البشري بحضارته القديمة من خلال تلك الطريق المهلكة بمناخها، فحتى يومنا هذا يصعب على الإنسان أن يقطع الآلاف من الأميال في تلك الصحاري المتجمدة.

⇐ لو حصل أن وصلت الرحلات البشرية من هناك لاستمرت هذه الرحلات في حقبات الزمن المتعاقبة، فمن غير المنطقي أن تحصل مرة واحدة ثم تنقطع بعد ذلك وإلى الأبد. والأهم من ذلك – برأينا- هو لو أنه فعلاً استطاع من وصل من هناك عبور تلك الطريق لاستطاع أيضا أن يعود سالكاً الطريق نفسها إن هو أراد ذلك، فهل يعقل أن يصل البشر من هناك ثم ينقطع خبرهم وإلى الأبد؟ فإن كنا نحن لم نصل إليهم، كان على بعضهم أن يعود إلينا بخبر في يوم ما، وهذا ما لم يحصل قط. لذا نحن نفتري الظن بأن من وصل إلى هناك كان قد وصل بطريقة لم تمكنه من العودة مرة أخرى. وهذا ما سنحاول أن تبيانه بعد قليل بحول الله وتوفيقه.

⇐ لو جاءت الرحلة من هناك لكانت الحضارة المادية (بآثارها المعمارية) تنتشر في أمريكيا الشمالية أكثر من انتشارها في أمريكيا الجنوبية. فالعارف بتضاريس الأمريكيتين يجد أن هناك في أمريكيا الشمالية جغرافية أكثر ملائمة للحياة البدائية من أمريكيا الجنوبية، فالغابات الاستوائية والكائنات المفترسة، والأمطار والفيضانات الغزيرة في أمريكيا الجنوبية تجعل الحياة البدائية أقل قدرة على التكيف. فالسؤال المطروح هو: لماذا تكثر الآثار في أمريكيا الجنوبية أكثر منها في أمريكيا الشمالية؟

رأينا: لأن حضارة الهنود الحمر (أهل البلاد الأصلين) بدأت – برأينا- من أمريكيا الجنوبية وانتشرت بعد ذلك إلى أمريكيا الشمالية (وهذا بالضبط ربما يعاكس جميع النظريات البشرية المادية المتوافرة حتى الآن)، فنحن نظن أن انتشار الهنود الحمر جاء من الجنوب (من أمريكيا الجنوبية) إلى الشمال (أمريكيا الشمالية) وليس من الشمال إلى الجنوب كما تروج لذلك النظريات المادية، ولكن كيف حصل ذلك؟

رأينا: لقد حصل كل ذلك بسبب ملك سليمان. ولكن كيف؟

افتراء من عند أنفسنا: نحن نظن أن سليمان كان صاحب ثروة عظيمة بسبب ملكه وقد بنت له الجن المحاريب والتماثيل والجفان التي كالجواب والقدور الراسيات في كل مكان على المعمورة. فسليمان كان هو من دعا ربه أن يهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده:

- **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (35) ص**

فكان أول ثمرات ذلك الدعاء أن سخر الله له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب:

- **فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ (36)ص**

وهنا نتخيل سليمان يركب الريح لتجري به رخاء حيث أصاب، فينظر إلى الأرض من فوق، فتطوف به الريح الأرض، وعندها يقع بصره على منطقة جغرافية يصعب على الناس الوصول إليها لتكون هي مخازن سليمان التي ستحتوي الكنوز العظيمة التي كانت في ملكه. فنحن نتخيل أن سليمان يختار منطقة لا يمكن أن تصل إليها أيد الناس بسهوله لتكون هي المكان الأكثر أمنا ليضع فيها ثروات ملكه العظيم، لذا نحن ننفي أن تكون أي بقعة متصلة باليابسة التي كان يسكنها الناس حينئذ يمكن أن يتم اختيارها لتكون فيها جفون سليمان التي كالجواب. لذا نحن نفتري الظن بأنه من غير المنطقي – بالنسبة لنا- أن يضع سليمان كنوزه في أي مكان في العالم القديم (أسيا أو إفريقيا أو أوروبا) لأن الناس يستطيعون الوصول إليه ولو بعد حين. لذا كان في ذهن سليمان – برأينا- عاملان رئيسيان في الاختيار وهما:

⇐ البعد المكاني حيث لا تصل إليه أيدي الناس

⇐ قسوة المنطقة الجغرافية.

ولمّا كان سليمان ينظر إلى الأرض من أعلى عندما كانت الريح تجري به رخاء حيث أصاب، كان يستطيع أن يحدد بكل بساطة المنطقة التي تنقطع فيه رجل الإنسان فلا يصل إليها، ثم لابد من اختيار المكان الذي يتم الوصول إليه من أعلى وليس من أسفل، لذا نحن نظن أن اختيار سليمان قد وقع على رؤوس الجبال الشاهقة هناك ليبني فيها ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفون كالجواب وقدور راسيات بأيدي الجن. وذلك في ظننا لسببين:

⇐ كان سليمان – في ظننا- يريد أن تصل عن طريقه كلمة الله إلى أقصى منطقة يمكن أن يصلها الإنسان على الأرض

⇐ كما كان يريد أن يشيّد مملكة يصعب اختراقها مهما بلغ الإنسان من قوة.

لذا عندما جرت الريح بسليمان فوق الأرض، مر بالبحار المفتوحة، وما أن وصل إلى الأرض الواقعة ما وراء البحار حتى وقع بصره على الجبال الشاهقة المتواجدة فيما نعرفه اليوم بأمريكا الجنوبية، حيث تكثر الغابات والحيوانات المفترسة، فاختار رؤوس جبالها الشاهقة فشيدت له الجن هناك المحاريب، فأقام الصلاة فيها، وشيدت له التماثيل، فوجه وجهه إليها، وشيدت له الجفون التي كالجواب، فكنز فيها ثروات مملكته، وشيدت له فيه القدور الراسيات، فأطعم الطير والحيوانات، وكل ما كان متواجداً هناك، لذا نحن نقول باختصار أن سليمان قد أقام شعائر الله في أرض لم تطأها قدم الإنسان من قبل.

سؤال: وما علاقة هذا كله بالهنود الحمر أصحاب البلاد الأصليين؟

جواب: لمّا كان لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير، استعمل سليمان بعض جنوده في تلك الأرض، لتقوم على تلك البنايات العملاقة التي شيدتها له الجن على رؤوس تلك الجبال. فكانت اليد العاملة من الإنس عنده من أصول هندية (فلا زالت العمالة الهندية حتى الساعة هي من تقوم على عمارة الخليج العربي). فترك منهم في تلك البلاد من يقوم على خدمتها، ويقيم فيها شعائر الله. ولا يجب أن ننسى أن عملية نقل تلك الأيدي من العمالة ونقل تلك الثروات على يد سليمان لم تكن تكلف جهداً، فنحن لم ننس بعد من كان عند سليمان من جنده من استطاع أن يحضر عرش بلقيس له قبل أن يرتد إليه طرفه:

- **قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) النمل**

ولكن ما الذي حصل يوم أن قضى الله بالموت على سليمان؟

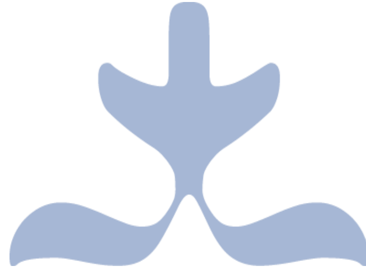
- **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14) سبإ**

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا بغير دليل

نحن نظن أنه ما أن قضى الله بالموت على سليمان فجأة حتى انقطع الاتصال بين تلك البلاد (أمريكيا الجنوبية) والعالم البشري آنذاك في الجزء الشرقي من المعمورة. وعندها عاثت الجن فساداً في الأرض. ولكن بقي من استعملهم سليمان في تلك البلاد البعيدة من الإنس في موطنهم الجديد منقطعين عن أصولهم في الشرق. فعاشوا حياة الإنسان الأول في تلك البلاد لافتقارهم للعلم وللقدرة على الرجوع إلى موطنهم. فملك سليمان قد نفذ، والعلم المصاحب له قد ذهب مع أصحابه كجليس سليمان الذي نقل له عرش المرأة. والحالة هذه، استقرت حياة الهنود هناك، وبدءوا بالانتشار من الجنوب إلى الشمال، باحثين عن أسباب الحياة كغيرهم، ولكنّ الذي كان يميزهم هو تلك القصص التي هي أقرب إلى قصص الخيال والجن بما تركهم سليمان فيه. وبقيت تلك القصص متوارثة في أجيالهم حتى أصبحت مع مرور الزمن قصص محرّفة غير صحيحة وإن كانت في الأصل قادمة من أصول دينية حقيقية.

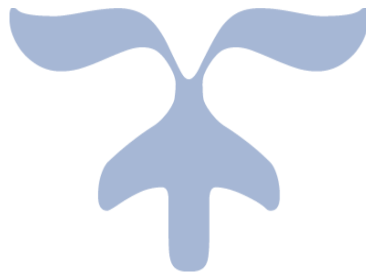
والله أعلم.

(دعاء: اللهم رب سليمان وربي، أسألك كما وهبت لسليمان ملكاً لم ينبغي لأحد من بعده، أسألك وحدك أن تعلمني وعليا علماً من لدنك لا يكون لأحد من بعدنا إنك أنت العليم الحكيم)



مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ

الباب الخامس عشر النعجة



الباب الخامس عشر: النعجة

- **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) ص**
- **وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) الأنبياء**

⇐ ما قصة تلك النعجة التي جاء القوم يختصمون فيها عند داوود؟

⇐ وما قصة غنم القوم التي نفشت في الحرث؟

أما بعد،

دعنا نبدأ النقاش بطرح بعض تصوراتنا المسبقة عن قصة داوود وولده سليمان وهما محور هاتين القصتين (النعجة والغنم)

⇐ أولا، كان سليمان هو وريث والده داوود الشرعي والحصري:

- **وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) النمل**

الذي وصله الحكم أصلا عن طريق طالوت الذي لم يكن (نحن نظن) من الملأ من بني إسرائيل الذين طلبوا من نبي لهم من بعد موسى أن يبعث الله لهم ملكاً كما جاء بصريح الآية الكريمة التالية:

- **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) البقرة**

حيث قضى الله بحكمته أن يبعث لهم طالوت ملكاً:

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ ...

فما كان من الملأ من بني إسرائيل (وهم الذي طلبوا بأنفسهم أن يبعث الله لهم ملكا ليقاتلوا في سبيل الله) إلا أن أظهروا اعتراضهم الصريح على الفور على طالوت وذلك لسببين، أولهما أنهم (أي الملأ من بني إسرائيل) هم الأحق بالملك من طالوت:

... قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ...

⇐ وثانياً، لأن طالوت لم يؤت سعة من المال:

... وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ ...

فلم يكذّب الله دعواهما، لذا نحن نفتري الظن بأن طالوت لم يكن من الملأ من بني إسرائيل، كما أنه لم يكن ذا سعة من المال، ولكن الله اصطفاه عليهم جميعا، واختصه بأشياء أخرى، وهي البسطة في العلم والجسم:

- **قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247) البقرة**

فبنو إسرائيل لا شك أصحاب علم:

- **أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ (197) الشعراء**

فجاءت الزيادة لطالوت في العلم (**وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ**)، فما عاد أقل علم من علماء بني إسرائيل من هذه الزاوية.

ولا شك أن بني إسرائيل كانوا أيضا ذا مال، وهم الذين انتهى إليهم ما كان يكنز فرعون وملئه بعدما أورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها:

- **فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (59) الشعراء**
- **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ (137) الأعراف**

ومن تلك الكنوز (نحن نفتري القول) اتخذ القوم عجلهم من بعد موسى:

- **وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ (148) الأعراف**

فأصبحت البسطة في الجسم عند طالوت تعوض عن نقص السعة في المال، فأصبحت شرعيته في اثنتين: بسطة العلم وبسطة الجسم.

نتيجة: إن ما يهمنا قوله هنا أن المنّة الإلهية قد جاءت على طالوت بأن زاده الله بسطة في العلم مقابل علم بني إسرائيل وبسطة في الجسم مقابل سعة بني إسرائيل في المال.

لذا نحن نظن أن المقارنة بين الملأ من بني إسرائيل وطالوت يمكن أن تجرى على النحو التالي:

الملأ من بني إسرائيل	بسطة في العلم	سعة من المال
طالوت	بسطة في العلم	بسطة في الجسم

نتيجة مفتراة: نحن نفتري الظن بأن طالوت لم يكن من الملأ من بني إسرائيل أصحاب الأرض المقدسة، وإلا لما أبدوا اعتراضهم على حكمة الله في أنه هو من آتاه الله الملك من دونهم جميعاً. ولكنه كان فقط ملكاً عليهم.

لقد ظننا في جزء سابق من هذا الكتاب، أن طالوت هو من أعاد بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة بعد أن كانوا قد أخرجوا منها، انظر السياق القرآني نفسه الذي طلب فيه بنو إسرائيل من نبي لهم أن يبعث الله لهم ملكا، لتجد أنهم فعلاً كانوا قد أخرجوا من الأرض التي كتب الله لهم:

- **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) البقرة**

وما عادوا إليها إلا بعد ذلك النصر المؤزر من الله لطالوت وجنوده (ومنهم داوود) على جالوت:

- **فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) البقرة**

فعاد بنو إسرائيل إلى الأرض المقدسة بعد أن قتَل داوودُ جالوتَ، الخصمَ العنيد لطالوت.
وما أن حصل ذلك حتى انتقل المُلك من طالوت المَلِك إلى داوود الذي آتاه الله العلم والحكمة، فأخذ يحكم بين الناس بالقسط:

- **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26)ص**

فأصبحت تلك مهمة داوود في الأرض، ونشأ سليمان مع والده داوود وهو يبذل جهده ليقيم الحكم بين الناس بالعدل، وقد آتاهما الله حكما وعلماً:

- **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15) النمل**

وبقي الأمر على حاله حتى حصلت تلك الفتنة لداوود:

- **وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22)ص**

وكانت مشكلتهم على النحو الذي تصوره الآيات الكريمة التالية أحسن تصوير:

- **إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (24) ص**

ثم ما لبث أن نشبت مشكلة أخرى مع داوود تخص حكمه بين الناس وكانت على النحو التالي:

- وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) الأنبياء

وعلى الرغم من صغر سن سليمان حينئذ (مقارنة مع والده داوود صاحب الخبرة في الحكم بين الناس) إلا أن الله كان قد فهمهما لسليمان:

- فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) الأنبياء

دعاء: اللهم أسألك أن تنفذ أمرك بمشيئتك وإرادتك لي بالعلم كما كان لداوود وسليمان وأن تفهمني كما فهمت سليمان، إنك أنت الواسع العليم

وسنحاول في هذا الجزء التعرض لحادثة فتنة النعجة على أن نعاود الحديث عن قصة غنم القوم في الجزء القادم بحول الله وتوفيق منه.

سائلين الله وحده أن يهدينا رشدنا وأن ينفذ أمره بمشيئته وإرادته لي الإحاطة بشيء من علمه لا ينبغي لأحد غيري إنه هو السميع المجيب

فتنة داوود (في النعجة)

تصور الآيات الكريمة التالية ظن داوود وقوعه بالفتنة بعد حادثة النعجة، فاستغفر ربه على ذلك وخر راكعا وأناب:

- وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (24)ص

التساؤلات

⇐ من الخصم الذين تسوروا المحراب؟
⇐ لماذا تسوروا المحراب؟
⇐ وكيف تسوروا المحراب؟
⇐ ولماذا دخلوا على داوود في المحراب؟ لماذا لم ينتظروا خروجه إليهم من المحراب؟

⇐ لماذا فزع داوود عندما دخلوا عليه المحراب؟
⇐ لماذا طلبوا من داوود أن يحكم بينهم بالحق؟ فهل كان داوود يحكم بغير ذلك؟
⇐ وما قصة النعجة التي جاء القوم جميعا يطلبونها؟ وماذا لو اشتريت لهم أنا عشرة نعاج (بل مئة) بدلا منها، هل كان الله سيكفيننا ذلك؟ هل كانت ستبقى جزءً من القرآن؟
⇐ ومن هو الخصمان الذين بغى بعضهم على بعض؟ فمن الباغي ومن المبغي عليه؟
⇐ ولماذا ظلمهم بسؤال النعجة إلى نعاجه؟
⇐ وكيف طلب الأخ كفالة النعجة من أخيه؟ وهل تكفل النعجة أصلا – يا سادة- حتى يطلب أخوهم كفالتها؟
⇐ وكيف حكم داوود بالأمر؟
⇐ والسؤال الأهم على الإطلاق هو: لماذا ظن داوود أن في ذلك فتنة له فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب؟ فما علاقة داوود بالأمر برمته؟
⇐ الخ.

تصورات شعبية: ظن العامة من الناس أن هناك قوم اختصموا في نعاجهم، فكان أحدهم يملك تسع وتسعون نعجة والآخر يملك نعجة واحدة، فطلب أخوهم صاحب النعاج الكثيرة "كفالة" تلك النعجة الوحيدة، فكان في ذلك ظلم لأخيه الآخر، فجاءوا إلى داوود ليحكم بينهم، فكان ما كان. وأخذ معظم أهل العلم النعجة على أنها امرأة، فانظر ما جاء عند الطبري من أقوال سادتنا العلماء أهل الدراية في تفسير هذه الحادثة. وحتى لا نُتّهم بأننا نجتزئ النصوص من سياقها الأوسع فإننا سنعرض كل الأقوال المنسوبة إلى أهل الدراية كما وردت في هذا التفسير "العظيم"!!!

القول في تأويل قوله تعالى : { إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة } وهذا مثل ضربه الخصم المتسورون على داود محرابه له , وذلك أن داود كانت له فيما قيل : تسع وتسعون امرأة , وكانت للرجل الذي أغزاه حتى قتل امرأة واحدة ; فلما قتل نكح فيما ذكر داود امرأته , فقال له أحدهما : { إن أخي } يقول : أخي على ديني , كما : 22920 - حدثنا ابن حميد , قال : ثنا سلمة , عن ابن إسحاق , عن بعض أهل العلم , عن وهب بن منبه : { إن هذا أخي } : أي على ديني { له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة } وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله : " وإن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة أنثى " وذلك على سبيل توكيد العرب الكلمة , كقولهم : هذا رجل ذكر , ولا يكادون أن يفعلوا ذلك إلا في المؤنث والمذكر الذي تذكيره وتأنيثه في نفسه كالمرأة والرجل والناقة , ولا يكادون أن يقولوا هذه دار أنثى , وملحفة أنثى , لأن تأنيثها في اسمها لا في معناها. وقيل: عنى بقوله: أنثى: أنها حسنة. ذكر من قال ذلك: 22921 - حدثت عن المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك " إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة أنثى " يعني بتأنيثها. حسنها.

فقال أكفلنيها

وقوله: {فقال أكفلنيها} يقول: فقال لي: انزل عنها لي وضمها إلي، كما: 22922 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: {أكفلنيها} قال: أعطينها، طلقها لي، أنكحها، وخل سبيلها. 22923 - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه، فقال: {أكفلنيها} أي احملني عليها.

وعزني في الخطاب

وقوله: {وعزني في الخطاب} يقول: وصار أعز مني في مخاطبته إياي، لأنه إن تكلم فهو أبين مني، وإن بطش كان أشد مني فقهرني. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22924- حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: قال عبد الله في قوله: {وعزني في الخطاب} قال: ما زاد داود على أن قال: انزل لي عنها. * - حدثنا ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن المسعودي، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ما زاد على أن قال: انزل لي عنها. * -وحدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، قال: قال عبد الله: ما زاد داود على أن قال: {أكفلنيها} 22925 - حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، {وعزني في الخطاب} قال: إن دعوت ودعا كان أكثر، وإن بطشت وبطش كان أشد مني، فذلك قوله: {وعزني في الخطاب} 22926 -حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة {وعزني في الخطاب} ; أي ظلمني وقهرني. 22927 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: {وعزني في الخطاب} قال: قهرني، وذلك العز ; قال: والخطاب: الكلام. 22928 - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه {وعزني في الخطاب}: أي قهرني في الخطاب، وكان أقوى مني، فحاز نعجتي إلى نعاجه، وتركني لا شيء لي. 22929 - حدثنا عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: {وعزني في الخطاب} قال: إن تكلم كان أبين مني، وإن بطش كان أشد مني، وإن دعا كان أكثر مني.

القول في تأويل قوله تعالى : { قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه } يقول تعالى ذكره : قال داود للخصم المتظلم من صاحبه : لقد ظلمك صاحبك بسؤاله نعجتك إلى نعاجه ; وهذا مما حذفت منه الهاء فأضيف بسقوط الهاء منه إلى المفعول به , ومثله قوله عز وجل : { لا يسأم الإنسان من دعاء الخير } 41 49 والمعنى : من دعائه بالخير , فلما ألقيت الهاء من الدعاء أضيف إلى الخير , وألقي من الخير الباء ; وإنما كنى بالنعجة ها هنا عن المرأة , والعرب تفعل ذلك ; ومنه قول الأعشى : قد كنت رائدها وشاة محاذر حذرا يقل بعينه إغفالها يعني بالشاة : امرأة رجل يحذر الناس عليها ; وإنما يعني : لقد ظلمت بسؤال امرأتك الواحدة إلى التسع والتسعين من نسائه .

وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض

وقوله: {وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض} يقول: وإن كثيرا من الشركاء ليتعدى بعضهم على بعض

إلا الذين آمنوا

{إلا الذين آمنوا} بالله

وعملوا الصالحات

{وعملوا الصالحات} يقول: وعملوا بطاعة الله، وانتهوا إلى أمره ونهيه، ولم يتجاوزوه

وقليل ما هم

{ وقليل ما هم } وفي " ما " التي في قوله : { وقليل ما هم } وجهان : أحدهما أن تكون صلة بمعنى : وقليل هم , فيكون إثباتها وإخراجها من الكلام لا يفسد معنى الكلام : والآخر أن تكون اسما , و " هم " صلة لها , بمعنى : وقليل ما تجدهم , كما يقال : قد كنت أحسبك أعقل مما أنت , فتكون أنت صلة لها , والمعنى : كنت أحسب عقلك أكثر مما هو , فتكون " ما " والاسم مصدرا , ولو لم ترد المصدر لكان الكلام بمن , لأن من التي تكون للناس وأشباههم , ومحكي عن العرب : قد كنت أراك أعقل منك مثل ذلك , وقد كنت أرى أنه غير ما هو , بمعنى : كنت أراه على غير ما رأيت . وروي عن ابن عباس في ذلك ما: 22930 - حدثني به علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: {وقليل ما هم} يقول: وقليل الذين هم. 22931 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم} قال: قليل

من لا يبغي. فعلى هذا التأويل الذي تأوله ابن عباس معنى الكلام: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقليل الذين هم كذلك، بمعنى: الذين لا يبغي بعضهم على بعض، و " ما " على هذا القول بمعنى: من.

وظن داود أنما فتناه

وقوله: {وظن داود أنما فتناه} يقول: وعلم داود أنما ابتليناه، كما: 22932 - حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة {وظن داود}: علم داود. 22933 - حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن {وظن داود أنما فتناه} قال: ظن أنما ابتلي بذاك. 22934 - حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس {وظن داود أنما فتناه} قال: ظن أنما ابتلي بذاك. * - حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس {وظن داود أنما فتناه} اختبرناه. والعرب توجه الظن إذا أدخلته على الإخبار كثيرا إلى العلم الذي هو من غير وجه العيان.

فاستغفر ربه

وقوله: {فاستغفر ربه} يقول: فسأل داود ربه غفران ذنبه

وخر راكعا وأناب

{وخر راكعا} يقول: وخر ساجدا لله {وأناب} يقول: ورجع إلى رضا ربه، وتاب من خطيئته. واختلف في سبب البلاء الذي ابتلي به نبي الله داود صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم: كان سبب ذلك أنه تذكر ما أعطى الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من حسن الثناء الباقي لهم في الناس، فتمنى مثله، فقيل له: إنهم امتحنوا فصبروا، فسأل أن يبتلى كالذي ابتلوا، ويعطى كالذي أعطوا إن هو صبر. ذكر من قال ذلك : 22935 - حدثني محمد بن سعد , قال : ثني أبي , قال : ثني عمي , قال : ثني أبي , عن أبيه , عن ابن عباس , قوله : { وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب } قال : إن داود قال : يا رب قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لوددت أنك أعطيتني مثله , قال الله : إني ابتليتهم بما لم أبتلك به , فإن شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم به , وأعطيتك كما أعطيتهم , قال : نعم , قال له : فاعمل حتى أرى بلاءك ; فكان ما شاء الله أن يكون , وطال ذلك عليه , فكاد أن ينساه ; فبينا هو في محرابه , إذ وقعت عليه حمامة من ذهب فأراد أن يأخذها , فطار إلى كوة المحراب , فذهب ليأخذها , فطارت , فاطلع من الكوة , فرأى امرأة تغتسل , فنزل نبي الله صلى الله عليه وسلم من المحراب , فأرسل إليها فجاءته , فسألها عن زوجها وعن شأنها , فأخبرته أن زوجها غائب , فكتب إلى أمير تلك السرية أن يؤمره على السرايا ليهلك زوجها , ففعل , فكان يصاب أصحابه وينجو , وربما نصروا , وإن الله عز وجل لما رأى الذي وقع فيه داود , أراد أن يستنفذه ; فبينما داود ذات يوم في محرابه , إذ تسور عليه الخصمان من قبل وجهه ; فلما رآهما وهو يقرأ فزع وسكت , وقال : لقد استضعفت في ملكي حتى إن الناس يتسورون علي محرابي , قالا له : { لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض } ولم يكن لنا بد من أن نأتيك , فاسمع منا ; قال أحدهما : { إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة } أنثى { ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها } يريد أن يتمم بها مئة , ويتركني ليس لي شيء { وعزني في الخطاب } قال : إن دعوت ودعا كان أكثر , وإن بطشت وبطش كان أشد مني , فذلك قوله : { وعزني في الخطاب } قال له داود : أنت كنت أحوج إلى نعجتك منه { لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه } . . إلى قوله: {وقليل ما هم} ونسي نفسه صلى الله عليه وسلم، فنظر الملكان أحدهما إلى الآخر حين قال ذلك، فتبسم أحدهما إلى الآخر، فرآه داود وظن أنما فتن {فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب} أربعين ليلة، حتى نبتت الخضرة من دموع عينيه، ثم شدد الله له ملكه. 22936 - حدثنا محمد بن الحسين , قال : ثنا أحمد بن المفضل , قال : ثنا أسباط , عن السدي , في قوله :

{ وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب } قال : كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام : يوم يقضي فيه بين الناس , ويوم يخلو فيه لعبادة ربه , ويوم يخلو فيه لنسائه ; وكان له تسع وتسعون امرأة , وكان فيما يقرأ من الكتب أنه كان يجد فيه فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ; فلما وجد ذلك فيما يقرأ من الكتب قال : يا رب إن الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي , فأعطني مثل ما أعطيتهم , وافعل بي مثل ما فعلت بهم , قال : فأوحى الله إليه : إن آباءك ابتلوا ببلايا لم تبتل بها ; ابتلي إبراهيم بذبح ابنه , وابتلي إسحاق بذهاب بصره , وابتلي يعقوب بحزنه على يوسف , وإنك لم تبتل من ذلك بشيء , قال : يا رب ابتلني بمثل ما ابتليتهم به , وأعطني مثل ما أعطيتهم ; قال . فأوحي إليه : إنك مبتلى فاحترس ; قال : فمكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث , إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب , حتى وقع عند رجليه وهو قائم يصلي , فمد يده ليأخذه , فتنحى فتبعه , فتباعد حتى وقع في كوة , فذهب ليأخذه , فطار من الكوة , فنظر أين يقع , فيبعث في أثره . قال : فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها , فرأى امرأة من أجمل الناس خلقا , فحانت منها التفاتة فأبصرته , فألقت شعرها فاستترت به , قال : فزاده ذلك فيها رغبة , قال : فسأل عنها , فأخبر أن لها زوجا , وأن زوجها غائب بمسلحة كذا وكذا . قال : فبعث إلى صاحب المسلحة أن يبعث أهريا إلى عدو كذا وكذا , قال : فبعثه , ففتح له . قال : وكتب إليه بذلك , قال : فكتب إليه أيضا : أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا , أشد منهم بأسا , قال : فبعثا ففتح له أيضا. قال : فكتب إلى داود بذلك , قال : فكتب إليه أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا , فبعثه فقتل المرة الثالثة , قال : وتزوج امرأته . قال : فلما دخلت عليه , قال : لم تلبث عنده إلا يسيرا حتى بعث الله ملكين في صور إنسيين , فطلبا أن يدخلا عليه , فوجداه في يوم عبادته , فمنعهما الحرس أن يدخلا , فتسوروا عليه المحراب , قالا : فما شعر وهو يصلي إذ هو بهما بين يديه جالسين , قال : ففزع منهما , فقالا : { لا تخف } إنما نحن { خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط } يقول : لا تحف { واهدنا إلى سواء الصراط } : إلى عدل القضاء. قال : فقال : قصا علي قصتكما , قال : فقال أحدهما : { إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة } فهو يريد أن يأخذ نعجتي , فيكمل بها نعاجه مئة . قال : فقال للآخر : ما تقول ؟ فقال : إن لي تسعا وتسعين نعجة , ولأخي هذا نعجة واحدة , فأنا أريد أن آخذها منه , فأكمل بها نعاجي مئة , قال : وهو كاره ؟ قال : وهو كاره , قال : وهو كاره ؟ قال : إذن لا ندعك وذاك , قال : ما أنت على ذلك بقادر , قال : فإن ذهبت تروم ذلك أو تريد , ضربنا منك هذا هذا وهذا , وفسر أسباط طرف الأنف , وأصل الأنف والجبهة ; قال : يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وهذا , حيث لك تسع وتسعون نعجة امرأة , ولم يكن لأهريا إلا امرأة واحدة , فلم تزل به تعرضه للقتل حتى قتلته , وتزوجت امرأته . قال : فنظر فلم ير شيئا , فعرف ما قد وقع فيه , وما قد ابتلي به . قال : فخر ساجدا , قال : فبكى . قال : فمكث يبكي ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه إلا لحاجة منها , ثم يقع ساجدا يبكي , ثم يدعو حتى نبت العشب من دموع عينيه . قال : فأوحى الله إليه بعد أربعين يوما : يا داود ارفع رأسك , فقد غفرت لك , فقال : يا رب كيف أعلم أنك قد غفرت لي وأنت حكم عدل لا تحيف في القضاء , إذا جاءك أهريا يوم القيامة آخذا رأسه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه دما في قبل عرشك يقول : يا رب سل هذا فيم قتلني ؟ قال : فأوحى إليه : إذا كان ذلك دعوت أهريا فأستوهبك منه , فيهبك لي , فأثيبه بذلك الجنة , قال : رب الآن علمت أنك قد غفرت لي , قال : فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياء من ربه حتى قبض صلى الله عليه وسلم . 22937 - حدثني علي بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: ثني عطاء الخراساني، قال: نقش داود خطيئته في كفه لكيلا ينساها، قال: فكان إذا رآها خفقت يده واضطربت. وقال آخرون: بل كان ذلك لعارض كان عرض في نفسه من ظن أنه يطيق أن يتم يوما لا يصيب فيه

حوبة، فابتلي بالفتنة التي ابتلي بها في اليوم الذي طمع في نفسه بإتمامه بغير إصابة ذنب، ذكر من قال ذلك: 22938 -حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن مطر، عن الحسن: إن داود جزأ الدهر أربعة أجزاء: يوما لنسائه، ويوما لعبادته، ويوما لقضاء بني إسرائيل، ويوما لبني إسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه، ويبكيهم ويبكونه ; فلما كان يوم بني إسرائيل قال: ذكروا فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنبا؟ فأضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك ; فلما كان يوم عبادته , أغلق أبوابه , وأمر أن لا يدخل عليه أحد , وأكب على التوراة ; فبينما هو يقرؤها , فإذا حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن , قد وقعت بين يديه , فأهوى إليها ليأخذها , قال : فطارت , فوقعت غير بعيد , من غير أن تؤيسه من نفسها , قال : فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل , فأعجبه خلقها وحسنها ; قال : فلما رأت ظله في الأرض , جللت نفسها بشعرها , فزاده ذلك أيضا إعجابا بها , وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه , فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا , مكان إذا سار إليه لم يرجع , قال : ففعل , فأصيب فخطبها فتزوجها . قال : وقال قتادة : بلغنا إنها أم سليمان , قال : فبينما هو في المحراب , إذ تسور الملكان عليه , وكان الخصمان إذا أتوه يأتونه من باب المحراب , ففزع منهم حين تسوروا المحراب , فقالوا : { لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض } . . حتى بلغ {ولا تشطط}: أي لا تمل {واهدنا إلى سواء الصراط}: أي أعدله وخيره {إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة} وكان لداود تسع وتسعون امرأة {ولي نعجة واحدة} قال: وإنما كان للرجل امرأة واحدة {فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب} أي: ظلمني وقهرني، فقال: {لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه}.. إلى قوله: {وقليل ما هم وظن داود} فعلم داود أنما صمد له: أي عنى به ذلك {فخر راكعا وأناب} قال: وكان في حديث مطر، أنه سجد أربعين ليلة، حتى أوحى الله إليه: إني قد غفرت لك، قال: رب وكيف تغفر لي وأنت حكم عدل، لا تظلم أحدا؟ قال: إني أقضيك له، ثم أستوهبه دمك أو ذنبك، ثم أثيبه حتى يرضى، قال: الآن طابت نفسي، وعلمت أنك قد غفرت لي. 22939 -حدثنا ابن حميد , قال : ثنا سلمة , قال : ثني محمد بن إسحاق , عن بعض أهل العلم , عن وهب بن منبه اليماني , قال : لما اجتمعت بنو إسرائيل , على داود , أنزل الله عليه الزبور , وعلمه صنعة الحديد , فألانه له , وأمر الجبال والطير أن يسبحن معه إذا سبح , ولم يعط الله فيما يذكرون أحدا من خلقه مثل صوته , كان إذا قرأ الزبور فيما يذكرون , تدنو له الوحوش حتى يأخذ بأعناقها , وإنها لمصيخة تسمع لصوته , وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج , إلا على أصناف صوته , وكان شديد الاجتهاد دائب العبادة , فأقام في بني إسرائيل يحكم فيهم بأمر الله نبيا مستخلفا , وكان شديد الاجتهاد من الأنبياء , كثير البكاء , ثم عرض من فتنة تلك المرأة ما عرض له , وكان له محراب يتوحد فيه لتلاوة الزبور , ولصلاته إذا صلى , وكان أسفل منه جنينة لرجل من بني إسرائيل , كان عند ذلك الرجل المرأة التي أصاب داود فيها ما أصابه 22940 -حدثنا ابن حميد , قال : ثنا سلمة , عن محمد بن إسحاق , عن بعض أهل العلم , عن وهب بن منبه , أن داود حين دخل محرابه ذلك اليوم , قال : لا يدخلن علي محرابي اليوم أحد حتى الليل , ولا يشغلني شيء عما خلوت له حتى أمسي ; ودخل محرابه , ونشر زبوره يقرؤه وفي المحراب كوة تطلعه على تلك الجنينة , فبينا هو جالس يقرأ زبور , إذ أقبلت حمامة من ذهب حتى وقعت في الكوة , فرفع رأسه فرآها , فأعجبته , ثم ذكر ما كان قال : لا يشغله شيء عما دخل له , فنكس رأسه وأقبل على زبوره , فتصوبت الحمامة للبلاء والاختبار من الكوة , فوقعت بين يديه , فتناولها بيده , فاستأخرت غير بعيد , فاتبعها , فنهضت إلى الكوة , فتناولها في الكوة , فتصوبت إلى الجنينة , فأتبعها بصره أين تقع , فإذا المرأة جالسة تغتسل بهيئة الله أعلم بها في الجمال والحسن والخلق ; فيزعمون أنها لما رأته نقضت رأسها فوارت به جسدها منه , واختطفت قلبه , ورجع إلى زبوره ومجلسه , وهي من شأنه لا يفارق قلبه ذكرها . وتمادى به البلاء حتى أغزى زوجها , ثم أمر

صاحب جيشه فيما يزعم أهل الكتاب أن يقدم زوجها للمهالك حتى أصابه بعض ما أراد به من الهلاك , ولداود تسع وتسعون امرأة ; فلما أصيب زوجها خطبها داود , فنكحها , فبعث الله إليه وهو في محرابه ملكين يختصمان إليه , مثلا يضربه له ولصاحبه , فلم يرع داود إلا بهما واقفين على رأسه في محرابه , فقال : ما أدخلكما علي ؟ قالا : لا تخف لم ندخل لبأس ولا لريبة { خصمان بغى بعضنا على بعض } فجئناك لتقضي بيننا { فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط } : أي احملنا على الحق , ولا تخالف بنا إلى غيره ; قال الملك الذي يتكلم عن أوريا بن حنانيا زوج المرأة : { إن هذا أخي } أي على ديني { له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها } أي احملني عليها , ثم عزني في الخطاب : أي قهرني في الخطاب , وكان أقوى مني هو وأعز , فحاز نعجتي إلى نعاجه وتركني لا شيء لي ; فغضب داود , فنظر إلى خصمه الذي لم يتكلم , فقال : لئن كان صدقني ما يقول , لأضربن بين عينيك بالفأس ! ثم ارعوى داود، فعرف أنه هو الذي يراد بما صنع في امرأة أوريا، فوقع ساجدا تائبا منيبا باكيا، فسجد أربعين صباحا صائما لا يأكل فيها ولا يشرب، حتى أنبت دمعه الخضر تحت وجهه، وحتى أندب السجود في لحم وجهه، فتاب الله عليه وقبل منه. ويزعمون أنه قال: أي رب هذا غفرت ما جنيت في شأن المرأة، فكيف بدم القتيل المظلوم؟ قيل له: يا داود، فيما زعم أهل الكتاب، أما إن ربك لم يظلمه بدمه، ولكنه سيسأله إياك فيعطيه، فيضعه عنك ; فلما فرج عن داود ما كان فيه، رسم خطيئته في كفه اليمنى بطن راحته، فما رفع إلى فيه طعاما ولا شرابا قط إلا بكى إذا رآها، وما قام خطيبا في الناس قط إلا نشر راحته، فاستقبل بها الناس ليروا رسم خطيئته في يده.
22941 - حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثا يذكر عن مجاهد قال: لما أصاب داود الخطيئة خر لله ساجدا أربعين يوما حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطى رأسه ; ثم نادى: رب قرح الجبين، وجمدت العين، وداود لم يرجع إليه في خطيئته شيء، فنودي: أجائع فتطعم، أم مريض فتشفى، أم مظلوم فينتصر لك؟ قال: فنحب نحبة هاج كل شيء كان نبت، فعند ذلك غفر له. وكانت خطيئته مكتوبة بكفه يقرؤها، وكان يؤتى بالإناء ليشرب فلا يشرب إلا ثلثه أو نصفه، وكان يذكر خطيئته، فينحب النحبة تكاد مفاصله تزول بعضها من بعض، ثم ما يتم شرابه حتى يملأه من دموعه ; وكان يقال: إن دمعة داود، تعدل دمعة الخلائق، ودمعة آدم تعدل دمعة داود ودمعة الخلائق، قال: فهو يجيء يوم القيامة خطيئته مكتوبة بكفه، فيقول: رب ذنبي ذنبي قدمني، قال: فيقدم فلا يأمن فيقول: رب أخرني فيؤخر فلا يأمن. 22942 -حدثني يونس , قال : أخبرنا ابن وهب , قال : أخبرني ابن لهيعة , عن أبي صخر , عن يزيد الرقاشي , عن أنس بن مالك سمعه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن داود النبي صلى الله عليه وسلم حين نظر إلى المرأة فأهم , قطع على بني إسرائيل , فأوصى صاحب البعث , فقال : إذا حضر العدو , فقرب فلانا بين يدي التابوت , وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به , من قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو يهزم عنه الجيش , فقتل زوج المرأة ونزل الملكان على داود يقصان عليه قصته , ففطن داود فسجد , فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه , وأكلت الأرض جبينه وهو يقول في سجوده " فلم أحص من الرقاشي إلا هؤلاء الكلمات : " رب زل داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب , إن لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه , جعلت ذنبه حديثا في الخلوف من بعده , فجاءه جبرائيل صلى الله عليه وسلم من بعد الأربعين ليلة , قال : يا داود إن الله قد غفر لك الهم الذي هممت به , فقال داود : علمت أن الرب قادر على أن يغفر لي الهم الذي هممت به , وقد عرفت أن الله عدل لا يميل فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال : يا رب دمي الذي عند داود ! فقال جبرائيل صلى الله عليه وسلم: ما سألت ربك عن ذلك، ولئن شئت لأفعلن، فقال: نعم، فعرج جبريل وسجد داود، فمكث ما شاء الله، ثم نزل فقال: قد سأل ربك عز وجل يا داود عن الذي أرسلتني

فيه، فقال: قل لداود: إن الله يجمعكما يوم القيامة فيقول: هب لي دمك الذي عند داود، فيقول: هو لك يا رب، فيقول: فإن لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا ". 22943 - حدثني علي بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا ابن جابر، عن عطاء الخراساني: أن كتاب صاحب البعث جاء ينعى من قتل، فلما قرأ داود نعي رجل منهم رجع، فلما انتهى إلى اسم الرجل قال: كتب الله على كل نفس الموت، قال: فلما انقضت عدتها خطبها.

(انتهى الاقتباس من الطبري)

إن مجمل ما جاء في هذا التفسير "العظيم" يبين لنا أن داوود قد وقع في قلبه حب امرأة بعينها، ولا أعلم كيف استطاع بعض أهل العلم أن يعلموا بها، فعمد إلى إرسال زوجها في غزوة (ويكأنها مؤامرة) ليقتل فيها، ولا أعلم كيف علم بعض أهل العلم أن اسمه (أوريا بن حنانيا) - لاحظ أن التفسير منسوب في الأصل إلى ابن إسحق (أي محمد بن إسحق)، أليس كذلك؟- فحصل لداوود قتل ذاك الرجل في واحدة من معارك التابوت، وكان ذلك في المحاولة الثالثة، فتزوج بامرأته، قال بعض أهل العلم أنها كانت أم ولده سليمان (انظر ما وضعنا تحته خط في التفسير السابق). فنزل ملكان يختصمان في أزواجهم عند داوود فذكّره ذلك بفعلته عندما قصا عليه "كذبة" لم تحصل أصلا، فعلم داوود من "قصتهم المكذوبة" مقدار الغلط الذي وقع به. فاستغفر داوود ربه وسجد أربعين ليلة، وكانت دمعته بحجم دمع أهل الأرض جميعا حتى نبتت خضرة الأرض من دموعه، الخ. --- ما شاء الله!!! ما أعظم هذا العلم!!! وما أعظم علم هؤلاء العلماء!!!

أما أنا، ف والله لا أرى فيه إلا ...، أظن أني أحتاج أن أبرأ إلى الله من كل ما جاء من أقوال منسوبة إلى أهل الدراية في هذا التفسير "العظيم" حول هذه الحادثة!!!

- لماذا تنكر ذلك؟ يسأل صاحبنا. هل ترد أقوال هؤلاء العلماء (ابن اسحق، ابن عباس، مجاهد، الضحاك، السدي) جميعا؟ هل أنت فعلا في كامل قواك العقلية؟ يضيف آخر.

أما بعد،

في واحدة من خطب الجمعة العظيمة صعد خطيبنا ومحدثنا الجليل (من أهل الرواية) ليذكّرنا بأمور الدين بعد أن ذكرنا بالحكمة من قدومنا إلى الجمعة كما جاء في قوله تعالى:

- **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (9) الجمعة**

فكان موضوع خطبته حينها "الدفاع عن أبطال المسلمين" الذين بذلوا الغالي والنفيس لنشر هذا الدين، فكان بطل تلك "الحلقة" من مسلسل خطب شيخنا الجليل هو الصحابي الكبير خالد بن الوليد (الملقب بسيف الله المسلول)، فأثنى شيخنا على خالد، وذكر مناقبه وجزء من سيرته على عجل حتى خلص إلى الحديث بإسهاب عن الشائعات التي قيلت في خالد. فذكر ما قاله بعض المتربصين بالدين عن خالد، وكيف أنهم ألصقوا به تهمة كاذبة مفادها أن خالدا (كما تقول الشائعة) قد بعث بزوج امرأة أعجبته إلى المعركة حتى قتل ليتزوج امرأته من بعده، فعلت وانخفضت نبرة خطيبنا ليدافع وينافح عن خالد، وحاول أن يبيّن للعامة من الناس (من مثلي) بكل ما أسعفته به لغته العربية من البيان كيف أن هذه الشائعات كان هدفها النيل من خالد من قبل أعداء خالد، وأن خالدا (كما ذكّرنا شيخنا الجليل) أجلّ قدرا

وأرفع مكانة من أن يقع في فعل مشين كهذا. انتهت خطبة الجمعة تلك وقد أُعجبنا بشيخنا الجليل الذي زادت خطبته من ثقتنا ببطل من أبطال المسلمين هو خالد بن الوليد.

وإذ نستنكر نحن (مثل شيخنا الجليل) ما افتراه المتربصون بخالد من أكاذيب قد لا تصح، إلا أن الحب في زيادة المعرفة كان يدفعنا لنسأل خطيبنا حينها سؤالا واحدا وهو: إذا كنت استنكرت (يا شيخنا) أن يقال مثل هذا في خالد بن الوليد، ألم يكن الأولى بك أن تدافع عن نبي الله داوود؟ ألم يكن الأولى بك أن تُكذّب ما رواه سادتك من أهل العلم وسطّروه في بطون أمهات كتب التفسير (كالطبري وابن كثير والقرطبي) عن داوود الذي فعل (كما صوروا ذلك في كتبهم) الفعلة نفسها التي ألصقت بخالد؟ لم لم تجيء لتدافع وتنافح عنه ضد "المتربصين به" من أعداء الدين؟ أم أنك لم تقرأ هذا بعد في كتب التفاسير؟ دعني أقتبس لك (وأمثالك من أهل الرواية اللذين يرددون ما لا يعون) بعض ما جاء في التفسير السابق من أقوال سادتك أهل الدراية بحق نبي الله داوود لأطلب منك – إن شئت- التعليق عليه في يوم من الأيام:

قال : فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها , فرأى امرأة من أجمل الناس خلقا , فحانت منها التفاتة فأبصرته , فألقت شعرها فاستترت به , قال : فزاده ذلك فيها رغبة , قال : فسأل عنها , فأخبر أن لها زوجا , وأن زوجها غائب بمسلحة كذا وكذا . قال : فبعث إلى صاحب المسلحة أن يبعث أهريا إلى عدو كذا وكذا , قال : فبعثه , ففتح له . قال : وكتب إليه بذلك , قال : فكتب إليه أيضا : أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا , أشد منهم بأسا , قال : فبعثا ففتح له أيضا. قال : فكتب إلى داود بذلك , قال : فكتب إليه أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا , فبعثه فقتل المرة الثالثة , قال : وتزوج امرأته

(انتهى الاقتباس)

السؤال الموجه إلى شيخنا خطيب جمعتنا الموقّر: من الأحق والأجدر بأن تتصدى للدفاع عنه يا شيخنا الجليل: خالد أم داوود؟ فلماذا استشطت غضبا (يا شيخنا) عندما ألقيت التهم المرويّة شفاهةً (وربما جزافا) على خالد في بعض بطون الكتب الصفراء التي ربما لا يقرأها الكثيرون؟ ولماذا لم تستشط بمثل ذاك الغضب عندما ألصقت التهم المرويّة كتابةً بأكثر من رواية على داوود في بطون أمهات كتب التفسير (كالطبري وابن كثير والقرطبي وغيرها)؟ من يدري؟!!!

أما أنا، فإذا كنت أنكر أن يفعل خالد مثل هذا الفعل المشين، فإن إنكاري أشد أن يكون داوود قد فعلها من ذي قبل (كما جاء في بطون أمهات كتب التفسير). فأنا لا أعتقد أن هذه أخلاق نبي كريم مثل داوود ولو رواها كل أهل الأرض (وإن نسبت على ما أظن زورا وبهتانا إلى بعض أهل الدراية الذين لا نشك بصلاحهم)، لأنه إن صح ما زعموا، فإن هذا يتركني في حيرة من أمري مع ربي. فأنا لا أظن أن الرب كان عادلا وقد غفر لداوود فعلته هذه إن كان قد فعلها حقا. فما كان الله – في ظني- سيكافئ من دبّر مثل تلك المؤامرة (قتل رجل للزواج بامرأته) بقوله هذا:

- **فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (25) يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26) ص**

لذا، نحن نؤمن يقينا بأن ما جاء في بطون هذه الكتب ليست (في ظننا) إلاّ من خرافات وأساطير خطها بعض أهل الكتاب في تلمودهم بعد أن حرّفوا التوراة التي جاء بها موسى من ربه (ومن أراد المجادلة فليبحث عن القصة نفسها في كتب علماء يهود)، ثم تناقلها من بعدهم من سمّوا أنفسهم علماء المسلمين بعد أن حرّفوا ما في القرآن الذي جاء به محمد من عند ربه. فهؤلاء هم (في ظننا) الذين حرّفوا المحرّف أصلا.

السؤال: كيف حصلت القصة إذن؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: إن عقيدتنا في هذا الجانب يمكن أن نسطِّرها بالافتراءات التالية:

- ⇐ داوود لم يكن متزوجا بتسع وتسعين امرأة كما زعموا
- ⇐ داوود لم يدبر مؤامرة للتخلص من رجل لكي يتزوج بامرأته كما كذبوا
- ⇐ داوود لم يسجد أربعين ليلة كما خرّفوا
- ⇐ داوود لم ينزل دمعه بحجم دمع أهل الأرض كما شطوا
- ⇐ لم تنبت الأرض خضرة من دمع داوود كما هجروا
- ⇐ لذا، فليكف "أهل الرواية" عن نسب الأباطيل إلى بعض "أهل الدراية" ليمرروا من خلالهم تحريفات العقيدة التي يروّجون لها وهم لا يعون خطورة ما يفعلون، ليصدوا الناس عن الحق الذي جاءهم من عند ربهم.
- ⇐ الخ.

السؤال: كيف حصلت القصة إذن؟ ربما يسأل القارئ مستعجلا الإجابة.

جواب: دعنا - أخي القارئ الكريم- نقدم لك ما نظن أننا فهمناه من كتاب الله حول قصة النعجة التي حصلت مع داوود، ونترك لك أنت وحدك أن تحكم بعد أن تقارن هذا (ما نفتريه نحن من قول من عند أنفسنا) بذاك (ما جاء في كتب التفاسير من علم عظيم حول الحادثة نفسها). سائلين الله وحده أن يعلمنا ما لم نكن نعلم، فلا نفتري عليه الكذب ولا نقول عليه ما ليس لنا بحق، إنه هو السميع المجيب – آمين.

أما بعد،

إن شعلة التفكير في هذا الجانب هي ملاحظة بسيطة في الآيات الكريمة التي تتحدث عن هذه القصة العظيمة. فلنورد الآيات أولا ثم نقدم للقارئ ملاحظتنا التي نظن أنها قد تغير مسار التفكير بأكمله:

- **وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (24)ص**

الملاحظة: لاحظ - عزيزي القارئ- أن الذين تسوروا المحراب كانوا هم "**الْخَصْمِ**"، أليس كذلك؟

- **وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) ص**

ولكن ما أن دخلوا المحراب على داوود حتى أصبحوا **خَصْمَانِ** كما جاء في كلام خطيبهم الذي وقف ليقدم حجته بكل براعة وإتقان:

- **إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) ص**

ولعلي أظن أن خطيب الخصم هذا كان أقوى حجة (ربما قليلا- من يدري!!!) من خطيبنا في تلك الجمعة التي وقف يدافع فيها عن خالد، لكن يبقى السؤال المربك لنا هو: كيف كان القوم الذين تسوّروا المحراب خصما واحدا (**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ**) وكيف أصبحوا خصمان داخله (**قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ**)؟

نتيجة: نحن نفتري الظن بأن من تسوروا المحراب كانوا خصما واحدا ولكن عندما دخلوا المحراب أصبحوا خصمان.

السؤال: كيف حصل ذلك؟

جواب مفترى: للإجابة على هذا التساؤل لابد من طرح التساؤلات التالية:

⇐ ما الخصم؟

⇐ وما الخصمان؟

⇐ وما الفرق بين الخصم والخصمان؟

⇐ وكيف يمكن لخصم واحد أن يتسوروا الحراب؟

⇐ الخ.

افتراء من عند أنفسنا: نحن نظن أنه من أجل أن تكون هناك خصومة فلابد من وجود خصمان:

- **هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (19) ص**

لذا فإن الخصومة لا تقع في خصم واحد، فكيف سيستطيع خصم واحد أن ينشب فيه خصومه إلا إذا كان له خصم آخر؟ ومن هو خصمه حتى يستطيع أن يتخاصم معه؟

لذا نحن نظن أن القوم الذين تسوروا المحراب كانوا خصما واحدا (حتى وإن كانوا مجموعة من الناس)، ولم تكن الخصومة قد دبت بينهما لأن الخصم الواحد لا يبغي بعضه على بعض، فقد كانوا جميعا كتلة واحدة ضد خصم آخر، فمن هو هذا الخصم الآخر؟

جواب مفترى: لو تدبرنا السياق القرآني لوجدنا أنه بمجرد دخولهم المحراب أصبحوا خصمان (**خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ**)، الأمر الذي يدفعنا إلى تقديم الافتراء الخطير جدا التالي الذي هو لا شك من عند أنفسنا: لقد كان خصمهم موجودا داخل المحراب.

السؤال: من هو خصمهم الذي بغى عليهم؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: إنه داوود نفسه.

الدليل

نحن نتخيل الموقف على النحو التالي: يبغي داوود على جماعة من الناس (أي قوم)، فأصبح داوود نتيجة لبغيه هذا خصما لهؤلاء القوم. وما أن يشتد بغي داوود عليهم حتى يضجر القوم من ذلك، فيقفوا صفا واحدا (أي خصما) ضد داوود الذي هو خصمهم الذي بغى عليهم. فيأتوه في محرابه، حيث مكان خلوته كما كانت تفعل مريم:

- **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ (37) آل عمران**

وحيث كان يقيم صلاته كما كان يفعل زكريا مثلا:

- **فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (39) آل عمران**

وهناك يتسوّر القوم محراب داوود، أي يلتفوا حوله كما السور حول المكان:

- **يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13) الحديد**

فيحصل الخوف عند داوود لأنه أدرك في تلك اللحظة أن القوم لم يكونوا قادمين مسالمين. لذا يحصل الفزع مباشرة عند داوود منهم:

إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ...

فما كان من القوم إلا أن حاولوا أن يهدءوا من روعه:

- **... قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) ص**

مشترطين موقفهم بالحكم بالعدل، ومحذرين داوود نفسه من أن يشطط:

- **... قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) ص**

عندها يعرضوا القضية عليه مباشرة، فقال خطيبهم:

- **إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) ص**

منتظرين حكم داوود نفسه في هذه القضية، فجاء حكمه على النحو التالي:

- **قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (24) ص**

الدليل

لو تدبرنا ما قاله خطيب القوم لداوود وطريقة تصرف داوود في الحكم لوجدنا فيها العجب، ولكن أكثر الذي أدهشني في حكم داوود هو نطقه بالحكم دون أن يستمع إلى شهادة الآخر. فخطيب الخصم الأول الذين تسوروا المحراب قدّم حجته على النحو التالي:

- **إِنَّ هَـٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** (23) ص

ولكن داوود لم يطلب سماع شهادة الخصم الآخر، ونطق بالحكم على الفور:

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ...

السؤال: أهكذا - يا ترى- يجب أن يتصرف القاضي الذي يحكم بين المتخاصمين بالعدل؟!

السؤال: لماذا لم ينتظر (ولماذا لم يطلب) داوود سماع شهادة الخصم الآخر واكتفى بما حدّثه به الخصم الأول؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: لأن الخصم الثاني الذي قُدِّمت الشكوى إلى داوود ضده هو داوود نفسه. ولكن كيف يكون ذلك؟

تصورنا المفترى للقصة: لمّا كان خصم القوم الذين تسوروا المحراب هو داوود نفسه، ولمّا كان داوود قد علم من حجة خطيب القوم أنه هو نفسه خصمهم الآخر الذي بغى عليهم، ولمّا كان داوود يعلم حيثيات القضية كلها بمجرد أن استمع إلى حجة خصمه، لم يكن يحتاج (نحن نفتري القول) أن يستمع لشهادة نفسه.

الدليل

أولاً، لو تدبرنا حيثيات القضية لوجدنا أن خطيب الخصم الذين تسوروا المحراب قد قدّم حجته ضد شخص واحد وهو أخوه:

- **إِنَّ هَـٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** (23) ص

لذا نحن نفهم أن خصم القوم الذين تسوروا المحراب كان شخصا واحدا فقط (**إِنَّ هَـٰذَا أَخِي**) فكان الخصمان هما:

⇐ القوم الذين تسوروا المحراب (خصم)

⇐ داوود نفسه (خصم)

فقد تحدث مثلا خصومة بين شخص واحد من جهة وقرية بأكملها من جهة أخرى، عندها يصبح القوم بأكملهم (سكان تلك القرية) خصما واحدا عندما يصطفون في صف واحد ويكون الشخص الذي خاصمهم هو الخصم الآخر، وذلك لأنه لا علاقة (في ظننا) للخصومة بالعدد. فقد تنشب الخصومة بين طرفين غير متكافئين في العدد لكن هذا لا يمنع أن يكونا خصمان.

كما نفتري الظن بأن هذا الشخص (الخصم الآخر) كان حاضرا المجلس بدليل اسم الإشارة "هذا" (**إِنَّ هَـٰذَا أَخِي**) ولكنه لم يقدم حجته ضد خصمه فبقي صامتا.

تساؤلات

⇐ من هو أخوه هذا؟

⇐ لماذا جاء القومُ داوودَ ليشتكوا أخاهم هذا؟

⇐ ما هي النعجة التي طلب أخوه منه أن يكفله إياها؟

⇐ وهل تكفل النعاج أصلا (يا سادة)؟
⇐ وهل تحتاج كفالة نعجة إلى كل هذا الفزع؟
⇐ فما بال داوود يفزع من أجل نعجة؟
⇐ وما بال القوم يتسوروا محراب داوود من أجل نعجة؟
⇐ ألم يكن من بين القوم رجل رشيد (مثلي) ليدفع للمشتكي ثمن عشرات النعاج بدل نعجته؟
⇐ لِم لَم يغضب داوود من تسوّر القوم محرابه من أجل نعجة؟
⇐ ألم يكن عند داوود من النعاج ما يرد لهم بمثل نعجتهم وزيادة؟
⇐ والأهم من هذا كله، مادام أن داوود قد حكم للرجل بالقضية فلِم لَم يرد عليه نعجته التي حكم له فيها؟
⇐ فأين – يا ترى- ذهبت تلك النعجة؟
⇐ الخ.

افتراءات من عند أنفسنا: نحن نظن أن الذين اشتكى بعضهم على بعض كانوا خلطاء، وأنهم كانوا إخوة في العقيدة وليس في الدم:

- **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10) الحجرات**

وكثيرا ما صوّر القرآن الكريم أخ القوم على أنه رسولهم:

- **إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (106) الشعراء**
- **إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (124) الشعراء**
- **إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142) الشعراء**
- **إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (161) الشعراء**

لذا نحن نتجرأ على أن نفتري القول من عند أنفسنا بأن أخاهم الذي جاءوا ليشتكوه هو رسولهم. فإذا كان الرسول هو أخ القوم (كما نظن)، فهذا يعني أنه أخوهم في الإيمان وليس بالضرورة أن يكون أخاهم بالدم. لذا فإن نوح وهود وصالح ولوط (نحن نظن) لم يكونوا من أبناء القوم أنفسهم (وسنتعرض لتبعات هذا الظن لاحقا بحول الله وتوفيق منه متى ما أذن لنا بشيء من علمه، فالله اسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم).

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن بأن الأخ الذي جاء القوم يشتكونه لداوود هو أخوهم في العقيدة، ونحن نتجرأ على الظن بأنه هو نبيهم نفسه: إنه داوود.

⇐ ثانيا، نحن نفتري الظن بأن القضية كانت أكبر من قصة نعجة (كما يتصورها العامة) وذلك لأنّ الأمر قد نتج عنه فزع داوود نفسه:

- **إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) ص**

ولو تدبرنا مفردة "الْفَزَع" في كتاب الله لوجدنا أنها "الخوف الشديد جدا"، والتي غالبا ما ارتبطت في النص القرآني بالخوف الذي يحصل في الآخرة:

- **لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (103) الأنبياء**
- **وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (87) النمل**
- **مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (89) النمل**
- **وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (23) سبإ**
- **وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (51) سبإ**

نتيجة مفتراة: لقد كان الموقف الذي حصل عندما دخل الخصم اللذين تسوروا المحراب على داوود موقفا رهيبا جدا لدرجة أن داوود نفسه قد فزع منهم (أي خاف خوفا شديدا).

لذا نحن نظن أنه يمكن الخروج من هذا بافتراءات ثلاثة على الأقل:

⇐ أن القوم كانوا جادّين في طلبهم
⇐ أن طلبهم كان شرعيّا
⇐ أن طلبهم كان أمرا جللا

وإلاّ لمّا تطلّب الموقف (نحن نظن) كل هذه الجلبة التي أحدثوها، والأهم من ذلك كله أن الأمر ما كان ليحدث ذلك الفزع في نفس داوود منهم، فما كان داوود ليفزع (نحن نؤمن) لولا أن الأمر قد تطلب فعلا الفزع منهم.

السؤال: ماذا كان طلبهم؟

جواب: نعجة

السؤال: هل هذا كل شيء؟ هل طلب نعجة واحدة يحدث كل هذه الجلبة التي حصلت؟

جواب: نعم، إنْ نحن فهمنا ما هي النعجة التي طلبها القوم.

السؤال: وما هي تلك النعجة؟

جواب: إنها النعجة التي تكفل:

- **إِنَّ هَـٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) ص**

سؤال: وهل تكفل النعجة أصلا؟

جواب: إذا كان ظن الناس بأن النعجة هي من الماشية (كما ربما يقع في خاطر العامة من الناس)، فإن ذلك يسبب السخرية لأنه من غير المنطقي أن تحدث الكفالة لنعجة.

السؤال الدقيق: ما هي النعجة التي تكفل؟ وكيف يمكن لنعجة أن تكفل؟

جواب مفترى: مادام أن النعجة تكفل بنص حديث الخصم الذين تسوروا المحراب:

- **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) ص**

فإن البحث عن النعجة يجب (نحن نظن) أن يقع في باب الكفالة.

السؤال: على من تقع الكفالة؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن الكفالة لا تقع إلا على من مات أبوه أو من مات أبوها كما في حالة مريم مثلا:

- **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ (37) آل عمران**

وكما حصل في حالة موسى:

- **إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40) طه**
- **وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12) القصص**

لذا، نحن نفتري القول بأن الكفالة قد وجبت لمريم ولموسى لأن والد كل منهما كان غائبا (بالوفاة)، فلو كان والد أحدهما على قيد الحياة (أو على الأقل حاضرا) لما تم البحث له عن كفالة.

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نظن أن الكفالة لا تقع إلا على من مات أبوه (أو أبوها) ولازال يعيش في كنف الأم.

لذا فإن النعجة – نحن نفتري الظن- هي من الذرية الضعفاء الذين يتركهم الرجل خلفه بعد أن يتوفاه الله بالموت، تاركا زوجته مع أطفاله الذين لازالوا ذرية ضعفاء:

- **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا (9) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (10) النساء**

ونحن نكاد نجزم القول بأن النعجة هي الإناث من الذرية الضعفاء الذين تجب كفالتهم وذلك لأنهن لم يبلغن سن الرشد بعد:

- **وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيبًا (6) النساء**

نتيجة: النعجة هي الأنثى من اليتامى التي لم تبلغ النكاح (أو لنقل سن الرشد) والتي تجب كفالتها مادامت يتيمة الأب لازالت تعيش مع أمها.

خروج عن النص: لماذا تسمى نعجة؟

إن هذا السؤال ربما يطرحه الطفل الصغير متى ما قرأ مثل هذه التخريفات التي نسطّرها هنا. ولكننا نرد عليه السؤال بالسؤال نفسه: لماذا سُمّيت النعجة أصلا نعجة؟ من أين جاءت تسمية النعجة (من الماشية) بهذا الاسم؟ ألا نجد الخطاب في كتاب الله يبرز المعز والضأن عند الحديث عن "الماشية"؟

- **ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (143) الأنعام**

السؤال: ما علاقة النعجة بالمعز والضأن؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: غالبا ما خلط الناس أصول المسميات، فهم يظنون وكأن مفردة النعجة (التي تشير إلى بعض نوع من الماشية) موجودة أصلا منذ الأزل، وربما يعتقد الكثيرون منهم أن أي استخدام لهذه المفردة يجب أن يربط بهذا الاستخدام الدارج على لسان العامة، لذا فهم يظنون أنها هي الأصل وما ينتج عنها هو الاستثناء. أما نحن فإننا ندعو القارئ الكريم أن ينظر إلى الأمر من الزاوية المعاكسة، ولكن كيف ذلك؟

جواب: دعنا نظن (ولو قليلا) أن مفردة النعجة (بمعنى أنثى نوع من الماشية كالماعز والضأن) هي الفرع وأن هناك استخدام آخر هو الأصل وهو الذي جاءت منه هذه المفردة باستخدامها الدارج على لسان العامة. فكيف يمكن أن نتصور ذلك؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: دعنا نظن مثلا أن مفردة "نعجة" كانت تدل في الأصل على من كانت من الإناث (أي كل أنثى بغض النظر عن نوعها)، فمفردة النعجة تدل على المؤنث بنص القرآن الكريم، وانظر – إن شئت- صيغ التأنيث في كل الضمائر العائدة عليها:

- **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) ص**

ومادام أنها نعجة واحده، فإن هذا يدل على احتمالية أن يكون هناك غيرها الكثير من النوع نفسه بدليل أن أخاه كان عنده تسع وتسعون نعجة (**إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً**).

ومادام أن النعجة تكفل (**فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا**)، فهي على أقل تقدير ممن يحتاج إلى رعاية من غيرهم، فالنعجة إذن بحاجة إلى رعاية من غيرها بدليل كفالتها. ونحن نظن أن السبب ربما يعود إلى أن الأنثى (النعجة) لا تملك القوة الكافية لإطعام نفسها، فهي بحاجة إلى الآخرين ليرعونها ويتكفلونها (**أَكْفِلْنِيهَا**). وربما لهذا السبب (نحن نفتري القول) أطلقت اللفظة على أنثى الماشية التي تحتاج إلى من يرعاها ويطعمها، فكانت نعجة بعد أن كانت اللفظة نفسها (أي نعجة) تطلق على الإناث (كل الإناث) اللاتي لم يبلغن سن النكاح، فوجبت عليهن الكفالة، فكانت بذلك نعجة. ولا يجب أن ننسى أن أنثى الماشية (النعجة) تبقى ملازمة لأمها فترة من الزمن، ولكنها بكل تأكيد منفصلة تماما عن أبوها الذي قد لا تعرفه، وقد تكثر النعاج عند الأم في غياب الوالد، فكم من نعجة (أنثى الماشية) يستطيع صاحبها أن يحدد الأم التي أنجبتهن، ولكن هل يستطيع أن يحدد من هو والد كل واحدة منهن؟ من يدري؟!!! لا ضير أن تسأل بعض من يربون الماشية لتعرف الإجابة منهم مباشرة.

الدليل: خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ

يبين الله تعالى في الآية الكريمة التالية أن الإنسان قد خلق من عجل:

- **خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (37) الأنبياء**

السؤال: هل فعلا خلق الإنسان من عجل كهذا، مثلا؟



جواب مفترى من عند أنفسنا: نعم، أظن ذلك، شريطة أن نتفكر بالأمر من الزاوية المعاكسة التي تحدثنا عنها آنفا في قضية مفردة النعجة، فبدل أن نتفكر بخلق الإنسان من العجل، فنتصور (خطأ) وكأن وجود العجل جاء سابقا لخلق الإنسان، فعلينا (نحن نظن) أن نعكس الصورة لنتفكر بالأمر من المنظور الحقيقي الذي لا يمكن المجادلة فيه وهو أن خلق الإنسان أسبق من العجل الذي يظهر في الصورة. فيكون السؤال الحتمي عندها هو: لماذا نسمي هذا الشيء الذي يظهر في الشكل السابق بالعجل؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: إنها السرعة، فنحن نظن أن العجل يسمى عجلا ليس لشيء خاص بشكله الدائري وإلاّ فإن مقود السيارة نفسه هو دائري الشكل كما العجل، ولا أظن أن التسمية قد جاءت بسبب المادة المصنوعة منها العجل لأن العجل يمكن أن يكون من خشب أو من أي مادة أخرى، فلماذا سمي بالعجل إذن؟

جواب: أظن أن ذلك قد جاء بسبب خاصية واحدة هي السرعة، فهذا الشيء الذي يظهر في الصورة هو عجل لأنه سريع. لذا يكون تصورنا أن الإنسان قد خلق من عجل (أي من سرعة)، وعندها نستطيع أن نتدبر الآية الكريمة السابقة من هذا المنظور:

- **خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (37) الأنبياء**

وربما عندها فقط نستطيع بكل يسر وسهولة أن نربط العجل بخلق الإنسان لا أن نربط خلق الإنسان بالعجل الذي نراه في الشكل السابق:

الصورة الخاطئة خلق الإنسان ← العجل

الصورة الحقيقية خلق الإنسان [illegible] العجل

وذلك لأن المعنى الخاص بخلق الإنسان (أي العجلة) هو المعنى الأساسي وأن الذي يظهر في الصورة (أي العجل) هو ما تفرع عنه مصداقا لقوله تعالى:

- **وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (203) البقرة**
- **قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (57) قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (58) الأنعام**
- **وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الألْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (150) الأعراف**
- **وَلَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (11) يونس**
- **أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (1) النحل**

عودة على النعجة: نحن نظن أن علينا أن نربط مفردة النعجة الخاصة بالماشية (التي نعرفها على لسان العامة) بالأصل الذي جاءت منه، فما هو ذلك الأصل الذي جاءت منه؟

رأينا المفترى: نحن نظن مفترين القول من عند أنفسنا بأن مفردة النعجة كانت تدل في الأصل على كل من تحتاج من الإناث إلى كفالة (**فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا**) وذلك ربما لعدم قدرتها على إطعام نفسها أو لانفصالها (بسبب الوفاة) عن والدها الذي كان يرعاها، ولمّا كانت الكفالة لا تقع (في رأينا) إلا على من كانت يتيمة الأب فقط، فإن النعجة التي طلب القوم الذين تسوّروا المحراب كفالتها هي فتاة مات والدها، فأصبحت كفالتها واجبة على من حولها من الرجال البالغين بالضبط كما حصل في حالة مريم بنت عمران:

- **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ (37) آل عمران**

نتيجة مفتراة: نحن نظن أنه لمّا كانت مريم يتيمة الأب تعيش في كنف أمها كانت بذلك "نعجة"، وكانت كفالتها واجبة على من حولها من الرجال البالغين، فكان القرار الإلهي هو إلزام زكريا بها، فجاء ذلك الإلزام على شكل كفالة (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) وإن لم يكن راغبا فيها.

فالقوم كانوا يتخاصمون في كفالة مريم لأن أحدا (نحن نظن) لم يكن راغبا في ذلك:

- **ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44) آل عمران**

(للتفصيل انظر سلسلة مقالاتنا تحت عنوان: كيف تم خلق عيسى بن مريم؟)

السؤال: كيف تتم كفالة النعجة؟

جواب مفترى: لكي تحصل الكفالة للنعجة (أي الأنثى التي لم تبلغ سن النكاح) فلا بد من إيجاد رابط التحريم بينها ومن يكفلها من الرجال كما حصل في حالة مريم:

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ...

السؤال: لماذا يجب أن تنشأ رابطة التحريم بين الكفيل (الرجل البالغ) مع النعجة (المكفولة)؟

جواب: حتى يستطيع أن يدخل عليها ويخرج في أي وقت شاء كما كان يفعل زكريا. انظر تتمة الآية السابقة:

- **... كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ (37) آل عمران**

فزكريا كان يستطيع أن يدخل على مريم في مكان خلوتها وهو المحراب (**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ**)، وما كان ذلك يشكل له حرجا، فكيف حصل ذلك وهي ليست من محارمه؟

لقد دعانا هذا التصور إلى طرح التساؤل التالي: لماذا لم تتهم اليهود مريم بزكريا؟ ولماذا لم يتهموا زكريا بمريم؟ لماذا لم يجرؤ أحد من الناس حينئذ على الظن بأن الغلام الذي جاءت به مريم (المسيح) هو فعلا ابن زكريا الذي كان يدخل عليها المحراب؟ فهل كان أحد من الناس يستطيع أن يختلي بمريم في محرابها غير زكريا نفسه؟ ثم، ألم يهب الله لزكريا ولده يحيى بعد أن بلغ من الكبر عتيا؟ لِم لَم يُدْخِل ذلك الشك والريبة في قلب نفر من اليهود حينئذ؟ والأهم من ذلك كله، كيف يجرؤ زكريا نفسه أن يدخل على مريم المحراب (في خلوة) وهي ليست من المحارم؟

جواب: نحن نفتري الظن بأن دخول زكريا على مريم كان مشروعا وذلك لأن علاقة محرمة قد نشأت بينهما، فكيف تم ذلك؟

جواب مفترى: بالكفالة، فما أن كفل زكريا مريم، حتى أصبحت مريم (نحن نظن) من محارم زكريا.

السؤال: وكيف ذلك؟

جواب: نحن نظن أن ذلك قد حصل لأن زكريا قد تزوج بأم مريم، فأصبحت مريم ابنت امرأته:

- **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (23) النساء**

وأصبحت مريم بذلك من ربائب زكريا، أي الربائب اللاتي في الحجور من نساء الرجل الذي دخل بهن (**وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ**)، فنشأت بسبب تلك العلاقة بينهما صفة التحريم، ولو لم يتم دخول زكريا بأم مريم لبقيت (نحن نظن) مريم من النساء اللاتي لا يحرمن على زكريا نفسه (**فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ**)، وما كان زكريا سيستطيع حينها أن يدخل على مريم محرابها وهي في خلوة.

ولا أظن أن أم مريم وأم يحيى أخوات (كما افترى ذلك بعض علماء أهل الكتاب) لأنه لا يحق لزكريا أن يجمع بين الأختين (**وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ**).

نتيجة مفتراة: تصبح الربائب اللاتي في حجور الرجال من نسائهم اللاتي دخلوا بهن من النساء المحرمات على الرجل. لذا كانت مريم ربيبة زكريا (أي من تربت في بيت زكريا) وذلك لأن زكريا قد كفلها لأنه دخل بوالدتها، ولو لم يدخل بوالدتها لما نشأت علاقة تحريم بينهما (فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ).

السؤال: وماذا لو أن والد الطفل أو الطفلة الذي لم يبلغ سن النكاح (أي اليتيم) قد توفي وأن والدته كانت أيضا قد توفيت؟ هل تقع الكفالة بحقه؟ أي ماذا يُفْعَل بمن مات والده ووالدته (أي أصبح يتيم الأب والأم معا) سواء كان ذكرا أو أنثى؟

جواب: لا أظن أن الكفالة تقع عليه، لأن ذلك (نحن نفتري القول) لا يقع تحت مسمى الكفالة وإنما يقع (نحن نظن) تحت مسمى آخر وهي الولاية:

... فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ...

- **وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (33) الإسراء**

فالولي هو (نحن نظن) الأقرب إلى اليتيم برابطة الدم (للتفصيل انظر مقالاتنا تحت عنوان تعدد الزوجات)، فهو الأحق بولاية اليتامى لأقربائه الذين توفاهم الله بالموت وتركوا من خلفهم ذرية ضعفاء.

(وسنتعرض في مقالات لاحقة – إن أذن الله لنا بشيء من علمه- للتفصيل بين الكفالة والولاية وتبعات ذلك في التشريعات)

فالله أسأل أن يهديني رشدي وأن يعلمني ما لم أكن أعلم إنه هو الواسع العليم.

عودة على قصة النعجة

كان داوود هو من يقضي بين الناس بالقسط، وكان يحرص (نحن نظن يقينا) أن يقيم شرع الله في الأرض مادام أن الله هو من قضى أمره بأن يجعله خليفة في الأرض:

- **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26) ص**

ولكن لو تدبرنا هذه الآية الكريمة لوجدنا بكل يسر وسهولة التنبيه الإلهي قد جاء واضحا لداوود بأن لا يتبع الهوى (**وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى**)، لأن في اتباع الهوى ضلال عن سبيل الله (**فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**)، فهل تنبه داوود لهذا الخطر المحدق به (وهو اتباع الهوى)؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: كلا، لقد وقع داوود في ذلك الشَّرَك، وهذا في ظننا هو السبب الذي دفع بالقوم أن يتسوروا المحراب على داوود، ولكن كيف حصل ذلك؟

جواب مفترى: لمّا كان داوود هو صاحب القرار (أي القاضي) عمد (ربما عن غير قصد منه) إلى الاستفادة من ذلك المنصب لمآربه الشخصية (ولتوضيح الصورة دعنا نتذاكر ما نفعله نحن عندما نسرق أموال الناس بعد أن نتولى المنصب بحجة أننا نقوم بخدمتهم، فنعمد إلى سن بعض القوانين والتشريعات التي تتيح لنا سرقة الناس جهارا نهارا فلا تصل يد القانون إلينا، ومن أراد المجادلة فلينظر في القوانين والتشريعات في المؤسسات الأردنية الحكومية التي تتيح لصاحب المنصب سرقة مقدرات المؤسسة بأكملها بالقانون. فهذا مجلس التعليم العالي الأردني مثلا المؤلف ممن تعطلت أعضائهم التناسلية عن الإنجاب بسبب تقدم العمر وما عاد أولادهم المباشرين يستطيعون الاستفادة من مؤسسات التعليم العالي وقد أخذوا يسنّون التشريعات والمكرمات التي تتيح لأحفادهم الاستفادة منها. فأنت تستطيع أن تحصل على مقعد في جامعات المملكة الأردنية الهاشمية العتيدة لمجرد أن يكون جدك ممن هم أعضاء في مجلس التعليم العالي. ما شاء الله!!!

أي شريعة سماوية وأي دستور وضعي يسمح أن يستفيد (الحمار) من العلم لمجرد أن جده كان يوما من الذين ربما يعقلون. من يدري؟!!!

وهذا طالب يحصل على معدل 85% في امتحان الثانوية العامة فيحصل بذلك على مقعد في كلية الطب التي لا يستطيع غيره الحصول عليه إلا أن كان معدل قد تجاوز 97% في أغلب الأحيان، والسبب أن والده يشتغل في واحدة من جامعات المملكة الأردنية الهاشمية الرسمية فقط. من يدري؟!!!

وهذا الطالب نفسه يدفع جزءا من التكاليف وتعاد إليه معظمها إن نجح في المساقات التي درسها وحصل على معدل جيد ولا يكون ذلك إلا لمن كان والده أو والدته ممن يعملون في الجامعة. من يدري؟!!!

وهاهم أبناء رئيس الجامعة وأبناء نوابه الأفاضل يستخدمون السيارات الرسمية (مع السائق الخاص) للذهاب إلى الجمنازيوم والكوافير ويأخذون أصحابهم معهم في الطريق إلى

هناك، وهذا مسطر في التشريعات والقوانين، بينما بالمقابل لا يسمح لي أنا كعضو هيئة تدريس في الجامعة أن أستخدم آلة التصوير لنسخ بحث أمضيت شهور وربما سنوات في كتابته، فعلي أن أخرج خارج حدود الجامعة لأصوره على نفقتي الخاصة وإلا فإن ذلك يعتبر "سرقة" مادام أن التشريعات لا تسمح بذلك. من يدري؟!!!

وتطبق مثل هذا "المهازل" في كل مؤسسات الدولة تحت مسميات القانون والتشريعات.

أما أنا فقد قرأت القرآن الكريم وراجعت الكتاب المقدس بعهديه الجديد والقديم ودققت في بعض التشريعات الأرضية فما وجدت ذلك في مكان إلا عند من يحرصون على السؤال عن مشروعية السواك بعد صلاة العصر من أيام رمضان المبارك، وأعذروني – يا سادة- أن أقول أني ما استطعت أن أخرجه إلا من باب واحد في قول المنسوب للنبي في الحديث المروي وهو:

إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت

نعم، إذا لم تستح فاصنع ما شئت. فكم منّا يطعم أولاده من المال الذي سرقه جهارا نهارا وتحت حماية القانون؟! وكم منّا قدم لنسائه الهدايا منه؟! وكم منّا بني البيوت الفارهة والعزب والضياع من ذلك المال المنهوب وما رضي إلا أن يكتب على مداخلها

هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي

وأنا مالي، ما أنا حالي مثل حالهم بل ربما أضل سبيلا!!!

دعاء: اللهم أسألك أن لا تفتني لأنك أنت السميع العليم

المهم بالموضوع – عزيزي القارئ- أن داوود (عن غير قصد منه) قد وقع في شَرك استغلال المنصب الذي أسند إليه وهو القضاء، فكيف تم ذلك؟

تخيلات من عند أنفسنا: لمّا كان داوود يريد أن يقيم شرع الله في الأرض كان يعلم أن من واجبه أن يتكفل من كانت من الأيتام (أي النعاج)، فهو يعلم أن ما يجب عليه القيام به بحق الأيتام هو الشريعة التي تنص عليها الآية الكريمة التالي:

- **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ (3) النساء**

فظن داوود أنه يستطيع أن يقسط في اليتامى بنكاح أمهاتهم من النساء، فكان بذلك يكفل الأيتام.

السؤال: ما المشكلة في ذلك؟

جواب مفترى: لا أظن أن في ذلك مشكلة سوى أن داوود (أنا أتخيل) قد أعجبه الأمر فتمادى في ذلك، فما كان ليترك أرملة يموت زوجها تاركا إياها مع ذرية ضعفاء من خلفه إلا ويقدم نفسه لخطبتها:

- **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234) وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ**

اللّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (235) البقرة

فما أن تبلغ المرأة المتوفى عنها زوجها أجلها بعد فترة التربص وهي أربعة عشر شهرا وقد ترك معها ذرية ضعفاء حتى يعرض داوود نفسه لخطبتها بحجة كفالة الأيتام. فما كان داوود (نحن نظن) يكِنّ في نفسه شيئا (**وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ**)، فأصبح يتصرف في ذلك وبكأنه الشخص الوحيد المؤهل من بين القوم أجمعين لخطبة النساء بحجة كفالة الأيتام. ففعل داوود ذلك فترة من الزمن حتى أصبح عدد النعاج (اليتامى اللذين كفلهم) عنده تسع وتسعون، وما كان يترك للقوم إلا القليل:

- **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23)ص**

ولما وجد القوم أن داوود قد أصبح متبعا للهوى أكثر من إقامة العدل بين الناس كما كان الأمر الإلهي له يقضي:

- **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26) ص**

حتى ظن القوم أن داوود قد ضل عن اتباع سبيل الله، فما كان منهم إلا أن جاءوه محذرين له:

- **إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) ص**

فطلب القوم (كما نفهمه من هذه الآيات الكريمة) كان يحمل في ثناياه:

⇐ الحكم بين الخصمان بالعدل (**فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ**)
⇐ أن لا يشطط (**وَلَا تُشْطِطْ**)
⇐ أن يهديهم إلى سواء الصراط (**وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ**)

وهذا ما كان الله قد طلبه من داوود عندما جعله خليفة كما في الآية الكريمة التالية:

- **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26) ص**

وفي هذه اللحظة تذكّر داوود مقدار الغلط الذي وقع فيه بنفسه، فجاء حكمه بالإقرار بشرعية طلبهم، وإلقاء التهمة على كاهله والطلب من الله المغفرة على ما فرط في جنبه:

- **قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24)ص**

فجاءت المنة الإلهية عليه بالعفو والمغفرة:

- **فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ** (25)ص

الدليل: وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ

لو تدبرنا ما قاله خطيب القوم ربما نستطيع أن نجلب من خلاله الدليل على هذا الافتراء الخطير الذي قدمناه من عند أنفسنا. ولكن كيف ذلك؟

رأينا: نحن نظن أن الدليل (كما نفهمه) ربما يمكن جلبه من عبارة (**وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**) التي جاءت في الآية الكريمة نفسها

- **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** (23) ص

السؤال: ما معنى قول خطيب القوم وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ؟

⇐ أولا، نحن نفتري الظن بأن في العزة ارتفاع شأن البعض على البعض الآخر، فالعزيز من الناس هو الذي اكتسب مكانة اجتماعية فوقية كما كان حال عزيز مصر (انظر مقالتنا تحت عنوان قصة يوسف).

افتراء من عند أنفسنا: نحن نظن أن خصم خطيب القوم كان أعز منه في المكانة الاجتماعية

⇐ ثانيا، نحن نظن أن عزة هذا الخصم كانت في الخطاب (**وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**)، فكيف يكون ذلك؟

رأينا المفترى من عند أنفسنا: لا أظن أن مفردة الخطاب هنا تعني "القول في العلن"، لأن هذا الرجل الذي وقف يتحدث أمام داوود كان خطيبا بارعا في إلقاء حجته لدرجة أن خصمه لم يتفوه بكلمة واحدة وبدليل أن القاضي داوود (وهو خصمه) قد أقر بقوة حجته. فما الخطاب الذي عزه به إذن؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نفتري القول أن مفردة الخطاب هنا مشتقة من مفردة خطبة النساء:

- **وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** (235) البقرة

السؤال: كيف يصبح معنى عبارة (**وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**) إذن؟

جواب مفترى: نحن نظن أن خطيب القوم كان يريد أن يوصل رسالة إلى داوود مفادها بأن خصمه (وهو داوود نفسه) قد عزه في خطبة النساء، أي أنه كان أعز منه مكانة اجتماعية، فما كان أحد ليزوجه لو أن خصمه صاحب هذه المكانة الاجتماعية قد تقدم معه لخطبة المرأة نفسها. فلو تعرض هذا الرجل مع خصمه لخطبة امرأة ما، فإن المرأة (وربما أهلها) لا شك ستقبل بخصمه لأنه أعز منه مكانة اجتماعية.

مثال: تخيل عزيزي القارئ أني تقدمت أنا مثلا لخطبة امرأة ما وتقدم في الوقت ذاته شخص آخر لخطبتها، فمن من النساء سترضى بأي شخص غيري؟ ألست أنا أحلى رجل

بالعالم؟ هل ستقبل امرأة بأقل مني؟ فلو حصل هذا لكنت قد عززت خصمي في الخطاب لأن الناس سيزوجونني ولا يزوجون خصمي. من يدري؟!!!

السؤال: فكيف لو كان خصم خطيب القوم هو داوود نفسه؟ فمن كان سيزوج هذا الخصم ويترك داوود؟ ومن كان سيقبل بخطبة هذا الخصم ولا يقبل بخطبة خصمه داوود؟!

تخيلات من عند أنفسنا: نحن نتخيل أنه إن تقدّم داوود لخطبة امرأة لنفسه فإنه كان (لا شك) سيعز خصمه في الخطاب (أي خطبة النساء) لأن النساء سيقبلن بداوود ولن يقبلن بخصمه، وذلك لأن داوود هو صاحب المكانة الاجتماعية التي تطمع بها النساء. فتخيل عزيزي القارئ أن ملكا عاديا قد تقدم لخطبة واحدة من بنات رعاياه، فكم سيعز غيره في ذلك؟ فما بالك بداوود نفسه؟

السؤال: وأين الدليل أن داوود قد فعل هذا؟

جواب مفترى: دعنا نقرأ ما جاء في قوله تعالى بحق داوود في الآية الكريمة التالية:

- **اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ (19) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (20) ص**

السؤال: كيف كان لداوود **فَصْلَ الْخِطَابِ**؟ وما هو الخطاب الذي كان داوود يفصل فيه؟

رأينا المفترى: نحن نظن أن داوود كان هو الحكم الذي آتاه الله الفصل في الخطاب (أي في تزويج النساء)، ولكن لما كان داوود صاحب مكانة اجتماعية فقد عز كل خصمه كما قال خطيب الخصم (**وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**). فكانت النساء تقبل بالزواج من داوود من دون رجال القوم أجمعين، ولم يكن داوود ليرفض، بل فعلها مرات عديدة حتى أصبح عدد نعاجه تسع وتسعين، عندها ضجر القوم بداوود فجاءوه محذرين مهددين، عندها أدرك داوود خطأه فتراجع على الفور.

والآن لنقرأ -عزيزي القارئ- القصة كلها كما جاءت في كتاب الله في سياقها الكامل من هذا المنظور:

- **اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ (19) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (20) وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ (22) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (25) ص**

السؤال: هل تبدو الأحداث – عزيزي القارئ- أكثر وضوحا في مخيلتك؟ من يدري؟!!

جواب: أرجو أن تعقد مقارنة بين هذه الحكاية التي نسجناها من مخيالنا عن قصة نعاج داوود ونعجة خصمه في مقابل العلم العظيم والغزير الذي وصلك عن طريق أهل الرواية من عند سادتنا العلماء أهل الدراية في بطون أمهات كتب التفسير كالطبري والقرطبي وابن كثير مثلا.

دعاء: اللهم إني أعوذ بك أن افتري عليك الكذب أو أن أقول عليك غير الحق، إنك أنت الواسع العليم

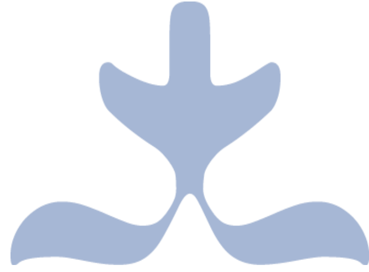
وأخيرا، نحن لا نشك قيد أنملة أن عمل داوود ذاك لم يكن من باب العمل المقصود لذاته، فداوود لم يكن يقصد أن يتعدى على حقوق الآخرين وإن كان قد تعدى عليهم فعلا، وإنما هو خطأ وقع فيه عن غير قصد منه لأن ذلك كان ظنا من داوود أن الله قد فتنه:

- **... وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24) ص**

فشتان بين من يفعل الخطأ عن غير قصد منه ومن يفعله عن سابق إصرار:

- **لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286) البقرة**

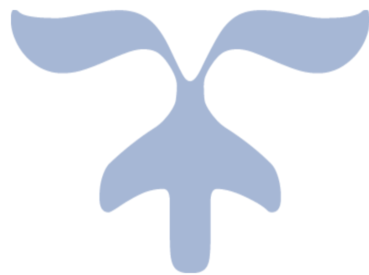
دعاء: ربي لا تؤاخذني إن نسيت أو أخطأت إنك أنت الغفور الرحيم



مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ

الباب السادس عشر

الغنم



الباب السادس عشر: الغنم

كان محور النقاش في الجزء السابق هو الآية الكريمة التالية:

- **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) ص**

فتحدثنا عن قصة تلك النعجة وعن كيفية الفتنة التي ظن داوود أنه قد وقع فيها. فظننا أن الخصم الّذين تسوروا المحراب كانوا هم قوم داوود نفسه، وافترينا الظن من عند أنفسنا بأن داوود كان هو نفسه خصمهم الذي جاءوا يشتكونه إلى داوود الحكم، أي أخوهم الذي جاء ذكره في خطاب الخصم:

- **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23)ص**

فدخلوا عليه المحراب لأن خصمهم (وهو داوود نفسه) كان قد بغى عليهم، فجاءوه محذّرين مهدّدين، طالبين في الوقت ذاته أن يكون أخوهم (رسول القوم) هو نفسه الحكم في فض الخلاف بينهما. وقد زعمنا أن المشكلة قد نشبت بينهما عندما كان داوود هو من آتاه الله فصل الخطاب:

- **اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (19) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (20) ص**

فكان داوود - في ظننا- هو المسئول عن الفصل في تزويج النساء، فالخِطاب (بكسر الخاء) مشتق – في ظننا- من خِطبة النساء:

- **وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (235) البقرة**

لذا ظننا أنه قد وجب التفريق بين الخِطاب (بكسر الخاء) المشتق من خطبة النساء:

- **وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (235) البقرة**

والخَطاب (بفتح الخاء) الذي المشتق من التحدث بالكلام على الناس في الآية الكريمة التالية:

- **وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (37) هود**

رأينا الذي افتريناه سابقا: لمّا كان داوود هو الأعز في الخِطاب (خطبة النساء) بسبب مكانته الاجتماعية، كانت معظم النساء تقبل بالزواج منه دون غيره، فأكثر داوود من خِطبة النساء لنفسه بحجة كفالة النعاج (اليتامى من النساء):

- **وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء اللاَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (127) النساء**

فكان يظن داوود أنه قادر على أن يقوم لليتامى بالقسط عندما كان ينكح أمهات اليتامى، مطبّقا بذلك سنّة الله في الأرض:

- **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ (3) النساء**

فأصبح يطبق داوود شرعة الله هذه في الأرض ربما ظانا أنه كان يعمل المعروف في ذلك، ولكن داوود (نحن نظن) تمادى في فعله هذا حتى أصاب القوم (كل القوم) الضجر مما كان يفعل، فظنوا أنه قد شطّ، فجاءوه مخاصمين له، طالبين منه الحكم بالحق وأن لا يشطط:

- **وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) ص**

فالقوم إذن يطلبون ما جاء في الآية الكريمة التالية:

- **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (213) البقرة**

فعرض خطيب القوم مظلمتهم على داوود (الخصم والحكم):

- **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) ص**

فما كان من داوود (الذي لم يكن يفعل ذلك بقصد الإساءة إلى الآخرين) إلاّ أن أقرّ على الفور بخطئه، فظن أن في فعلته تلك فتنة من الله له، فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب:

- **قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24)ص**

فجاءت المنة الإلهية على داوود بالمغفرة والزلفى:

- **فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (25) ص**

السؤال: لماذا تمادى داوود في ذلك؟ أي لماذا أكثر داوود من خِطبة النساء لنفسه؟

جواب: لم نقدم إجابة مرضية على هذا التساؤل في الجزء السابق من المقالة، وقد أجاءتنا المفاجأة من عند أحد الإخوة القراء المهتمين بهذه المواضيع وهو الأخ محمد الذي أسأل الله أن يعلمنا وإياه ما لم يعلمه لغيرنا إنه هو السميع العليم، حيث أشار في رده على مقالتنا تلك في واحدة من مراسلاته الإلكترونية بأن السبب ربما يعود لأن داوود لم يكن له حتى الساعة ذرية من الذكور، ولكن كيف ذلك؟

جواب: لقد ذكّرنا الأخ محمد محقا بأن داوود قد رزق بسليمان بطريقة الهبة من الله:

- **وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (30) ص**

ومادام أن الله قد رزق داوودَ سليمانَ على شكل هبة، لذا فإن داوود لم يكن قادرا (نحن نفتري الظن) على الإنجاب بطريقة طبيعية، وهذا ما تعرضنا له بالتفصيل في مقالة سابقة لنا تحت عنوان: لماذا قدّم نبي الله لوط بناته بدلا من ضيوفه؟

فكان مثار القول حينئذ (كما أعاد الأخ محمد تذكيرنا به) هو أن هبة الذرية لم تتحصل إلا لمن كان عنده مشكلة في إنجاب ما يشاء من الذرية بطريقة طبيعية، فكان ظننا أن الهبة لا تحصل إلا عندما يستوجب الأمر تدخلا مباشرا من الله تعالى لتغيير وضع غير طبيعي لا يمكن تغييره بالطرق العادية، فهذا إبراهيم مثلا لم ينجب الذرية حتى أصبح شيخا كبيرا (وكانت امرأته عقيم):

- **وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) الأنعام**
- **الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء (39) إبراهيم**
- **فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) مريم**
- **وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72) الأنبياء**
- **وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (27) العنكبوت**
- **رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) الصافات**

وهذا زكريا لا ينجب لأن امرأته كانت عاقرا، وقد بلغ هو نفسه من الكبر عتيا:

- **هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء (38) آل عمران**
- **وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (5) مريم**

- **وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (89) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (90) الأنبياء**

وهذه مريم ابنت عمران – التي أحصنت فرجها – لم تكن متزوجة ولم يمسسها بشر، فرزقت بالغلام الزكي (المسيح عيسى) كهبة من الله:

- **قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) مريم**

وأظن أنه بمثل تلك الطريقة رُزِق أيوبُ بأهله ومثلهم معهم:

- **وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ (43) ص**

وهذا ما سنتحدث عنه بحول الله وتوفيق منه في مقالات منفصلة لاحقا.

فالله وحده أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم، إنه هو الواسع العليم.

وبالمنطق نفسه، نحن نفتري الظن، كانت الهبة الإلهي لداوود بولده سليمان:

- **وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (30) ص**

السؤال: كيف حصل ذلك؟

جواب: يظن صاحبنا محمد أن الأمر قد حصل على النحو التالي:

لم يكن داوود قد أنجب من الذرية بالطريقة الطبيعية لترثه، فأكثر من الزواج بالنساء بغية أن تتحصل له الذرية، فكان يقوم بخِطبة النساء لنفسه بدلا من الفصل في الخطاب بين الناس بالحق، فكان متبعا للهوى في ذلك، ولكن بالرغم من كثرة خِطبة داوود للنساء إلا أن الذرية لم تتأتى له حتى حصلت تلك الحادثة الشهيرة التي جاءه القوم مهددين متوعدين. وهنا فقط أدرك داوود خطأ ما كان يفعل، فتراجع عن خطأه على الفور، وقد أدرك أنه قد وقع في فتنة من الله باتباعه الهوى الذي نهاه الله عن اتباعه:

- **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26)ص الدليل**

نحن نعتقد أن ظن الأخ محمد هذا صحيحا (حسب الإطار العام لهذا الطرح الذي نفتريه من عند أنفسنا)، ونستطيع (مفترين القول من عند أنفسنا) أن نجلب عليه الدليل من الآية الكريمة نفسها:

- قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24) ص

السؤال: وأين الدليل على ذلك؟

جواب: نحن نجد الدليل في مفردة "**وَأَنَابَ**."

السؤال: وكيف ذلك؟

جواب: لو بحثنا عن هذه المفردة (ومشتقاتها) في النص القرآني لوجدنا الآية الكريمة التالية التي تصور أن البشرى تأتي مباشرة بعد الإنابة:

- وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الزمر

منطقنا المفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أنه مادام أن الرزق بالذرية هو بحد ذاته نوع من أنواع البشرى، وانظر – إن شئت- التلازم بين فعل البشرى والذرية في الآيات الكريمة التالية:

- وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (112) الصافات
- قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (54) قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ (55) الحجر
- وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) النحل

فإن البشرى لداوود بسليمان كذرية (نحن نفتري القول) قد جاءته بعدما أناب، ليصبح المشهد بكليته (في مخيالنا) على النحو التالي:

ما أن وجد داوود نفسه لا ينجب بالطريقة الطبيعية حتى عمد إلى الإكثار من الدخول بالنساء، فأكثر من خِطبتهن لنفسه، أي بدل أن يكون داوود هو من يقوم بالفصل في الخِطاب (بكسر الخاء) بين الناس بالعدل، عمد إلى تزويج نفسه بمن كانت متوافرة من الأرامل بحجة كفالة الأيتام، ونحن نظن أن السبب في ذلك إلى أن نفس داوود كانت تواقة للحصول على الذرية التي ترثه من ورائه، فكان يظن أن باستطاعة الحصول على الذرية بتلك الطريقة. وما توقف داوود عن ذلك حتى حصلت تلك الحادثة التي تسوّر فيها القوم محرابه، فدخلوا عليه محاريين طالبين الحكم بالحق، ولا شي أقل من الحق:

- إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ (22)ص

فعرض خطيب الخصم حجتهم على داوود الحكم ضد داوود الخصم:

- إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23)ص

فما كان من داوود (الحكم) إلا أن نطق على الفور بالحكم ضد داوود (الخصم):

- **قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24)ص**

فأقر للقوم أنه قد ظلمهم، ولكنه أكد لهم في الوقت ذاته أن ذلك لم يكن من باب البغي عليهم (وإن كان يقع في باب الظلم) وذلك لأنّ البغي لا يقع بين الخلطاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات (**وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**)، وأظن أن داوود هو واحد من هؤلاء الذين آمنوا وعلوا الصالحات. ويكأن داوود إذن يقول للقوم (نحن نتخيل) أني قد ظلمتكم فعلا ولكني لم أبغي عليكم، ولكن لماذا؟

جواب مفترى: نحن نظن أنه لو كان ما فعله داوود يقع في باب البغي لتطلب الأمر اللجوء إلى القتال، أي لو كان ذلك بغيا من داوود على القول لوجب قتاله كما جاء في الآية الكريمة التالية

- **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (9) الحجرات**

ولكن مادام أن داوود من الذين آمنوا وعملوا الصالحات (**وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**)، فإن ما فعله بهم (نحن نظن) هو ظلم للقوم وليس بغيا عليهم (**قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ**)، لذا أصبح من الواجب إحداث الصلح بين الإخوة كما تشير إلى ذلك تتمة الآيات الكريمة السابقة في سياقها الأوسع:

- **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (9) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10) الحجرات**

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: نحن نتخيل داوود يطلب من القوم أن يلجأوا إلى الصلح وليس إلى القتال لأن فعله يقع في باب الظلم لهم وليس في باب البغي عليهم.

وهنا فقد يدرك داوود أن في ذلك فتنة له، فيستغفر ربه ويخر راكعا وينيب:

- **قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24)ص**

السؤال: ما معنى أناب؟ وكيف أناب داوود؟

جواب مفترى: نحن نظن أن الذي "أناب" هو من تراجع عن خطأ كان قد تمادى فيه، فأنت عندما تقترف ذنبا وتمارسه وقتا طويلا من الزمن فإن الرجوع عنه يحتاج إلى إنابة، ونحن نظن أن الذي ينيب هو الذي يتراجع عن الخطأ بمجرد أن يدرك خطأه، فما أن أدرك داوود أنه قد أخطأ حتى أناب إلى الله:

- **فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24) ص**

فداوود قد عمد بعد ذلك مباشرة على فعل ثلاثة أمور: الاستغفار والخرور راكعا والإنابة

السؤال: ما فائدة تلك الإنابة لداوود؟ ألا يكفي أن يستغفر ربه؟ ألا يكفي أن يستغفر ربه ويخر راكعا؟ فلم أناب إذن؟

جواب: نحن نظن (مفترين القول من عند أنفسنا) بأن البشرى لداوود بسليمان كذرية ترثه قد جاءته بسبب تلك الإنابة، فمن أناب أصبح مؤهلا لبشرى من ربه:

- **وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الزمر**

فكانت البشرى بوريث داوود الشرعي وهو سليمان:

- **وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) النمل**

دعاء: اللهم أسألك أن نكون من المنيبين إليك دائما.

السؤال: ما الذي حصل للنعجة؟

جواب: لقد أقر داوود بنفسه أن تلك النعجة هي من حق خصمه، فلربما ترك (نحن نظن) الزواج بأمها لتنتهي كفالتها عند خصمه الذي طلبها، مادام أن الأمر بينهما لم يتعدى مرحلة السؤال والخِطاب (بكسر الخاء) بعد:

- **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) ص**

فالأمر كان لازال في مرحلة الخِطاب (أي خطبة النساء).

كما أظن أن داوود ما عاد يكفل بعدها ذرية ضعفاء من اليتامى بالزواج من أمهاتهم. فتوقف عند العدد 99 من النعاج.

السؤال: لماذا العدد تسع وتسعون؟

جواب: هذا ما سنحاول النبش فيه في مقالات لاحقة عندما نتحدث عن هذه الأعداد بحول الله وتوفيق منه.

فالله أسأل أن ينفذ أمره بمشيئته وإرادته بأن يأذن لي الإحاطة بشيء من علمه لا ينبغي لأحد غيري إنه هو السميع العليم.

تنبيه: يجب أن لا يفهم من كلامنا هذا أن داوود قد تزوج بتسع وتسعين امرأة كما ظن أهل العلم الذين سبقونا، ولكن مراد القول أن النعاج (أي يتامى "النساء" اللاتي نكحهن داوود- الضمير يعود على النساء) كان عددهم تسع وتسعون، ولكن هذا لا يعني أن عدد "أمهات النعاج" المنكوحات كان تسع وتسعون، وذلك لأن الأرملة الواحدة يمكن أن يكون لها أكثر من نعجة، فقد يتزوج داوود بأرملة عندها خمسة من النعاج وربما تزوج بأخرى عندها سبعة من النعاج، وثالثة عندها اثنتين من النعاج ورابعة عندها نعجة واحده فقط، وهكذا.

انتهى تلخيص وتكملة الجزء السابق من هذه المقالة، بعدما ذكرنا صاحبنا محمد ببعض التفاصيل التي نظن أنها ربما أوضحت الصورة بشكل أفضل- سائلين الله لنا وله الجزاء بأحسن العمل والزيادة من فضله والرزق بغير حساب.

باب: غنم القوم التي نفشت في الحرث

أما في هذا الجزء الجديد، فسنعاود الحديث – كما وعدنا القارئ الكريم – عن القصة الأخرى التي حكم داوود وولده سليمان (الذي أصبح حاضرا في هذه القصة بصريح اللفظ فيها، ألا وهي قصة غنم القوم التي نفشت في الحرث، كما تصورها الآية الكريمة التي نحن بصدد تقديم فهمنا المفترى من عند أنفسنا لمفرداتها:

- **وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) الأنبياء**

بداية، تبين الآية الكريمة بما لا يدع مجالا للشك أن سليمان الآن متواجد مع والده داوود بعد أن وهبه الله له:

- **وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (30) ص**

فنشأ سليمان (نحن نتخيل) يتعلم من والده داوود الذي لازال يحاول أن يحكم بين الناس بالعدل لفضّ الخصام بينهم. وفي يوم من الأيام تحدث قصة غنم القوم التي نفشت في الحرث، فيتدخل الاثنان (الوالد داوود والولد سليمان) في الحكم في هذه القضية التي أشكلت على القوم (**وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ**). فما الذي حصل؟ نحن نتساءل.

جواب: لنبدأ النقاش في هذه القصة هنا بطرح التساؤلات التالية التي ربما تخطر على بال الصغير والكبير، العالم والمتعلم على حد سواء:

ما قصة الغنم التي نفشت في الحرث؟

وما هي الغنم التي نفشت؟

⇐ وكيف نفشت فيه الغنم؟ أي كيف كانت آلية النفش؟

⇐ ومن هم القوم الذي نفشت غنمهم في الحرث؟

⇐ وما هو الحرث الذي نفشت فيه الغنم؟

⇐ ومن كان يملك ذلك الحرث؟

⇐ وكيف حكم داوود في القضية؟

⇐ وكيف حكم فيها سليمان؟

⇐ ولماذا جاء الفهم فيها لسليمان بالرغم من صغر سنه؟

⇐ وهل جاء الفهم لوالده داوود ذي الحكمة والخبرة الطويلة في الحكم بين المتخاصمين؟

⇐ الخ.

أما بعد،

ربما يكون من المفيد بداية أن نقدّم للقارئ الكريم ما تناقلته ألسنة أهل الرواية من العلم الغزير الذي جاءوا به من عند أهل الدراية وسطّروه لنا في بطون أمهات كتب التفسير حول هذه الحادثة، ولنبدأ بما جاء في الطبري مثلا:

القول في تأويل قوله تعالى: {وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين} يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر داود وسليمان يا محمد إذ يحكمان في الحرث. واختلف أهل التأويل في ذلك الحرث ما كان؟ فقال بعضهم: كان نبتا. ذكر من قال ذلك: 18651 - حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن إسحاق، عن مرة في قوله: {إذ يحكمان في الحرث} قال: كان الحرث نبتا. 18652 - حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة، قال: ذكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلا. وقال آخرون: بل كان ذلك الحرث كرما. ذكر من قال ذلك: 18653 - حدثنا أبو كريب، قال: ثنا المحاربي، عن أشعث، عن أبي إسحاق، عن مرة، عن ابن مسعود، في قوله: {وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث} قال: كرم قد أنبت عناقيده. 18654 - حدثنا تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن أبي إسحاق، عن مسروق، عن شريح، قال: كان الحرث كرما. قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قال الله تبارك وتعالى: {إذ يحكمان في الحرث} والحرث: إنما هو حرث الأرض. وجائز أن يكون ذلك كان زرعا، وجائز أن يكون غرسا، وغير ضائر الجهل بأي ذلك كان. وقوله: {إذ نفشت فيه غنم القوم} يقول: حين دخلت في هذا الحرث غنم القوم الآخرين من غير أهل الحرث ليلا، فرعته أو أفسدته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك : 18655 - حدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الأصم قالا : ثنا المحاربي , عن أشعث , عن أبي إسحاق , عن مرة , عن ابن مسعود , في قوله : { وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم } قال : كرم قد أنبت عناقيده فأفسدته . قال : فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم , فقال سليمان : غير هذا يا نبي الله ! قال : وما ذاك ؟ قال : يدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان , وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها , حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه ودفعت الغنم إلى صاحبها . فذلك قوله: {ففهمناها سليمان}. 18656 - حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: {وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث} ... إلى قوله: {وكنا لحكمهم شاهدين} يقول: كنا لما حكما شاهدين. وذلك أن رجلين دخلا على داود، أحدهما

صاحب حرث والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الحرث: إن هذا أرسل غنمه في حرثي، فلم يبق من حرثي شيئا. فقال له داود: اذهب فإن الغنم كلها لك! فقضى بذلك داود. ومر صاحب الغنم بسليمان، فأخبره بالذي قضى به داود، فدخل سليمان على داود فقالا: يا نبي الله إن القضاء سوى الذي قضيت. فقال: كيف؟ قال سليمان: إن الحرث لا يخفى على صاحبه ما يخرج منه في كل عام، فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها حتى يستوفي ثمن الحرث، فإن الغنم لها نسل في كل. عام. فقال داود: قد أصبت، القضاء كما قضيت. ففهمها الله سليمان. * - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن علي بن زيد، قال: ثني خليفة، عن ابن عباس قال: قضى داود بالغنم لأصحاب الحرث، فخرج الرعاة معهم الكلاب، فقال سليمان: كيف قضى بينكم؟ فأخبروه، فقال: لو وافيت أمركم لقضيت بغير هذا. فأخبر بذلك داود، فدعاه فقال: كيف تقضي بينهم؟ قال: أدفع الغنم إلى أصحاب الحرث، فيكون لهم أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها، ويبذر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم، فإذا بلغ الحرث الذي كان عليه، أخذ أصحاب الحرث الحرث وردوا الغنم إلى أصحابها. 18657 - حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، قال: ثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: {إذ نفشت فيه غنم القوم} قال: أعطاهم داود رقاب الغنم بالحرث، وحكم سليمان بجزة الغنم وألبانها لأهل الحرث، وعليهم رعايتها على أهل الحرث، ويحرث لهم أهل الغنم حتى يكون الحرث كهيئته يوم أكل، ثم يدفعونه إلى أهله ويأخذون غنمهم. * - حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثني ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله. * - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج بنحوه، إلا أنه قال: وعليهم رعيها. 18658 - حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن إسحاق، عن مرة في قوله: {إذ نفشت فيه غنم القوم} قال: كان الحرث نبتا، فنفشت فيه ليلا، فاختصموا فيه إلى داود، فقضى بالغنم لأصحاب الحرث. فمروا على سليمان، فذكروا ذلك له، فقال: لا، تدفع الغنم فيصيبون منها - يعني أصحاب الحرث - ويقوم هؤلاء على حرثهم، فإذا كان كما كان ردوا عليهم. فنزلت: {ففهمناها سليمان}. 18659 - حدثنا تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن أبي إسحاق، عن مسروق، عن شريح، في قوله: {إذ نفشت فيه غنم القوم} قال: كان النفش ليلا، وكان الحرث كرما، قال: فجعل داود الغنم لصاحب الكرم، قال: فقال سليمان: إن صاحب الكرم قد بقي له أصل أرضه وأصل كرمه، فاجعل له أصوافها وألبانها! قال: فهو قول الله: {ففهمناها سليمان}. 18660 - حدثنا ابن أبي زياد، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا إسماعيل، عن عامر، قال: جاء رجلان إلى شريح، فقال أحدهما: إن شياه هذا قطعت غزلا لي، فقال شريح: نهارا أم ليلا؟ قال: إن كان نهارا فقد برئ صاحب الشياه، وإن كان ليلا فقد ضمن. ثم قرأ: {وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم} قال: كان النفش ليلا. * - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن عامر، عن شريح بنحوه. * - حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي، عن شريح، مثله. 18661 - حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: {وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث} ... الآية، النفش بالليل، والهمل بالنهار. وذكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلا، فرفع ذلك إلى داود، فقضى بالغنم لأصحاب الزرع، فقال سليمان: ليس كذلك، ولكن له نسلها ورسلها وعوارضها وجزازها، حتى إذا كان من العام المقبل كهيئة يوم أكل دفعت الغنم إلى ربها وقبض صاحب الزرع زرعه. فقال الله: {ففهمناها سليمان}. 18662 - حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة والزهري: {إذ نفشت فيه غنم القوم} قال: نفشت غنم في حرث قوم. قال الزهري: والنفش لا يكون إلا ليلا، فقضى داود أن يأخذ الغنم، ففهمها الله سليمان، قال: فلما أخبر بقضاء داود، قال: لا، ولكن خذوا الغنم، ولكم ما

خرج من رسلها وأولادها وأصوافها إلى الحول. * - حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، في قوله: {إذ نفشت فيه غنم القوم} قال: في حرث قوم. قال معمر: قال الزهري: النفش لا يكون إلا بالليل، والهمل بالنهار. قال قتادة: مضى أن يأخذوا الغنم، ففهمها الله سليمان. ثم ذكر باقي الحديث نحو حديث عبد الأعلى. 18663 - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: {وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم} ... الآيتين، قال: انفلت غنم رجل على حرث رجل فأكلته، فجاء إلى داود، فقضى فيها بالغنم لصاحب الحرث بما أكلت ; وكأنه رأى أنه وجه ذلك. فمروا بسليمان، فقال: ما قضى بينكم نبي الله؟ فأخبروه، فقال: ألا أقضي بينكما عسى أن ترضيا به؟ فقالا: نعم. فقال: أما أنت يا صاحب الحرث، فخذ غنم هذا الرجل فكن فيها كما كان صاحبها، أصب من لبنها وعارضتها وكذا وكذا ما كان يصيب، واحرث أنت يا صاحب الغنم حرث هذا الرجل، حتى إذا كان حرثه مثله ليلة نفشت فيه غنمك فأعطه حرثه وخذ غنمك! فذلك قول الله تبارك وتعالى: {وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم}. وقرأ حتى بلغ قوله: {وكلا آتينا حكما وعلما}. 18664 - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، في قوله: {إذ نفشت فيه غنم القوم} قال: رعت. 18665 - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: النفش. الرعية تحت الليل. 18666 - قال : ثنا سلمة , عن ابن إسحاق , عن الزهري , عن حرام بن محيصة بن مسعود , قال : دخلت ناقة للبراء بن عازب حائطا لبعض الأنصار فأفسدته , فرفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم , فقال : { إذ نفشت فيه غنم القوم } فقضى على البراء بما أفسدته الناقة , وقال : " على أصحاب الماشية حفظ الماشية بالليل , وعلى أصحاب الحوائط حفظ حيطانهم بالنهار " . قال الزهري : وكان قضاء داود وسليمان في ذلك أن رجلا دخلت ماشيته زرعا لرجل فأفسدته , ولا يكون النفوش إلا بالليل , فارتفعا إلى داود , فقضى بغنم صاحب الغنم لصاحب الزرع , فانصرفا , فمرا بسليمان , فقال : بماذا قضى بينكما نبي الله ؟ فقالا: قضى بالغنم لصاحب الزرع. فقال: إن الحكم لعلى غير هذا، انصرفا معي! فأتى أباه داود، فقال: يا نبي الله، قضيت على هذا بغنمه لصاحب الزرع؟ قال نعم. قال: يا نبي الله، إن الحكم لعلى غير هذا. قال: وكيف يا بني قال: تدفع الغنم إلى صاحب الزرع فيصيب من ألبانها وسمونها وأصوافها، وتدفع الزرع إلى صاحب الغنم يقوم عليه، فإذا عاد الزرع إلى حاله التي أصابته الغنم عليها ردت الغنم على صاحب الغنم ورد الزرع إلى صاحب الزرع. فقال داود: لا يقطع الله فمك! فقضى بما قضى سليمان. قال الزهري: فذلك قوله. {وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث} ... إلى قوله: {حكما وعلما}. 18667 - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، وعلي بن مجاهد، عن محمد بن إسحاق، قال: فحدثني من سمع الحسن يقول: كان الحكم بما قضى به سليمان، ولم يعنف الله داود في حكمه.

وكنا لحكمهم شاهدين

يقول: وكنا لحكم داود وسليمان والقوم الذين حكما بينهم فيما أفسدت غنم أهل الغنم من حرث أهل الحرث، شاهدين لا يخفى علينا منه شيء، ولا ينيب عنا علمه.

(انتهى الاقتباس من الطبري)

أما بعد،

لا نريد أن ندخل في الجزئيات التي ربما تبيّن (في ظننا) خطأ سادتنا العلماء أهل الدراية في هذه التفسيرات العظيمة التي اتحفونا بها قرونا من الزمن، لكننا سننطلق على الفور إلى تقديم تصورنا المفترى من عند أنفسنا للقصة نفسها، ونترك للقارئ الكريم (كما نطلب عادة) أن يقارن هذا (ما نفتريه نحن من عند أنفسنا) بذاك (العلم الغزير الذي وصله من عند سادتنا العلماء الأفاضل).

أما بعد،

- وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) الأنبياء

السؤال الأول: ما هو الحرث؟

عند البحث في كتاب الله عن هذه المفردة وجدناها في الآيات الكريمة التالية:

- قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71) البقرة
- وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (205) البقرة
- نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (223) البقرة
- زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14) آل عمران
- مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (117) آل عمران
- وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (136) الأنعام
- وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (138) الأنعام
- وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) الأنبياء
- مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ (20) الشورى
- أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64) الواقعة
- أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (22) القلم

ولو تدبرنا هذه السياقات القرآنية لوجدنا أن الحرث غالبا ما جاء مقترنا بالأنعام:

- زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14) آل عمران
- وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (136) الأنعام
- وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (138) الأنعام

الأمر الذي يجعلنا نعتقد أن للحرث علاقة بالزراعة، ولكن الملفت للانتباه أن مفردة الزرع قد وردت مستقلة في السياقات القرآنية كما في الآيات التالية:

- قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ (47) يوسف
- يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11) النحل
- أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (27) السجدة
- مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29) الفتح

الأمر الذي يجعلنا نطرح السؤال على النحو التالي: ما الفرق بين الحرث والزرع؟

جواب مفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن الزرع هو ما ينبت (**يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ**)، وهو ما يخرج من الأرض (**فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا**)، وهو ما يمكن أن نأكل منه وتأكل منه أنعامنا (**فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ**)، وهو ما يمكن أن نبصره بأم أعيننا (**فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ**)، وهو ما يمكن أن يخرج شطأه (**كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ**)، وهو ما يمكن أن يأزر فيستغلظ فيستوي على سوقه (**فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ**)، وهو الذي يعجب الزراع (**يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ**).

السؤال: إذا كان هذا هو الزرع، فما الحرث إذن؟

جواب مفترى: نحن نظن أن الحرث لا يعني الزرع الذي يخرج فوق سطح الأرض لآزر فيستوي فيستغلظ فيخرج شطأه فيعجب الزراع، ولا يعني ما ينبت تحت الأرض لأن ذلك هو النسل، وانظر – إن شئت- ارتباط الحرث بالنسل:

- **وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ (205) البقرة**

ولو دققنا في النسل، لوجدناه عبارة عن عملية الخروج من الباطن إلى الظاهر كخروج يأجوج ومأجوج من وراء ردمهم:

- **حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (96) الأنبياء**

وكخروج الأجساد من الأجداث بعد النفخ في الصور:

- **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (51) يس**

وكخروج النسل من الأصل بعد عملية خلق الإنسان الأولى من طين:

- **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ (8) السجدة**

نتيجة مفتراة: الحرث ليس ما يظهر فوق الأرض من الزرع وليس ما يخرج من باطن الأرض إلى ظاهرها كالنسل.

فما الحرث إذن؟

جواب مفترى ظاهرها من عند أنفسنا: نحن نظن أن الحرث هو "التربة الصالحة للإنبات"، فهي التي يوضع فيها الحب والنوى الذي ينفلق بأمر الله ليخرج به الحي من الميت:

- **إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (95) الأنعام**

وهذه العملية تحدث في حالتين:

⇐ (1) في حالة النبات، عندما ينزل الله من المعصرات ماء ثجاجا:

- **وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجًا (14) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (15) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (16) النبأ**
- **وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (99) الأنعام**

- الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى (53) طه

⇐ و(2) تحصل كذلك في حالة إنجاب الذرية، لذا نجد أن مفردة الحرث لا تشمل فقط الأرض القابلة للإنبات والإخصاب وإنما أيضا النساء:

- نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (223) البقرة

السؤال: كيف تكون نساؤنا حرث لنا؟

جواب: نحن نظن أن النساء حرث للرجال لأن المرأة تملك البيئة الملائمة للإنجاب، بالضبط كالأرض القابلة للإنبات، لذا نحن لا نتردد أن نفتري القول من عند أنفسنا أن الحرث هو عبارة عن التربة (أو لنقل البيئة) القابلة للإخصاب (أي للإنبات). وهذا الظن ربما يؤكده التلازم بين عملية إنبات الزرع بعد نزول المطر وتكون الجنين في بطن المرأة بعد إنزال المني فيها:

- أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (58) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَم نَحْنُ الْخَالِقُونَ (59) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60) عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (61) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذكَّرُونَ (62) أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64) لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (65) الواقعة

فتتطابق عملية إنبات الزرع وإنبات الإنسان:

- وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (17) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (18) نوح

(للتفصيل انظر مقالتنا تحت عنوان لماذا يدفن الناس موتاهم؟)

والآن لنعود إلى قصة داوود وسليمان حيث يحكمان في الحرث:

- وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) الأنبياء

بالافتراء الذي مفاده أن الحرث يمكن أن يكون:

⇐ الأرض المؤهلة للإنبات

⇐ النساء المؤهلات للإنجاب

السؤال: أيهما أرجح أن تكون المسألة قد نشبت حول قضية قطعة أرض صالحة للإنبات (كما جاء في معظم كتب التفسير) أم حول امرأة قابلة للإنجاب (كما نفتري الظن هنا)؟

الجواب المفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أن قضية الحرث التي حكم فيها داوود وولده سليمان كانت تتعلق بامرأة قابلة للإنجاب وليس بقطعة أرض قابلة للزراعة، ولكن لماذا؟

جواب: لأن الغنم قد نفشت في الحرث وليس في الزرع أو في النسل أو ما شابه، فالغنم قد دخلت حرثا، ومادام أنها قد نفشت في حرث فليس هناك أساسا زرعا لتعيث فيه الغنم إفسادا

كما يمكن أن يتخيل العامة (بما أفهمهم إياه أهل الدراية)، فأين الزرع الذي نفشت فيه الغنم؟ وكيف يمكن لغنم أن تنفش في حرث فتحدث فيه الخراب كما ظن سادتنا العلماء أهل الدراية؟

جواب: مادام أن الغنم قد نفشت في الحرث (أي الأرض)، فهي لم تلحق (في ظننا) أي نوع من الأذى بالمحصول الزراعي (كما ظن أهل الدراية) لأنه لا وجود بعد للزرع الذي ينبت أو يخرج من الأرض أصلا، فالأرض لازالت حرثا (أي قابلة للإنبات فقط)، ومازال الحب في داخلها لم ينفلق بعد ليخرج منه النسل ومن ثم الزرع الذي يمكن أن نبصره.

السؤال: ما الذي حصل إذن؟ يسأل صاحبنا.

جواب: لو تدبرنا آيات الكتاب الحكيم كلها، لوجدنا أن مفردة الغنم قد جاءت في آيتين كريمتين فقط، هما:

- **وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ (146) الأنعام**
- **قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18) طه**

وأن مفردة الحرث لم تلازم من الأنعام إلاّ البقر والغنم كما في الآيتين الكريمتين التاليتين:

- **قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ (71) البقرة**
- **وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) الأنبياء**

السؤال: ما علاقة البقر والغنم من جهة بالحرث من جهة أخرى؟

جواب مفترى: إنها الحياة. ولكن كيف ذلك؟

جواب: أظن أننا نتذكر قصة بقرة بني إسرائيل التي طلب منهم نبيهم موسى أن يذبحوها:

- **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) البقرة**

عندها أخذ القوم يطلبون مواصفات تلك البقرة، وهنا ظهر سقاية الحرث كواحدة من صفاتها:

- **قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ (68) قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ (71) البقرة**

وهنا كانت المفاجأة الكبرى وهو ضرب المقتول منهم ببعض البقرة فدبّت الحياة فيه:

- **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (72) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73) البقرة**

وسنتعرض لتفاصيل القصة بحول الله عند عودتنا إلى قصة موسى.

فالله أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم إنه هو الواسع العليم

نتيجة مفتراة: نحن نظن أن وجود البقر والغنم ملازماً للحرث يدل على إخراج الحي من الميت (أي الحياة).

تساؤلات

⇐ كيف نفشت غنم القوم في الحرث؟
⇐ ومن هم القوم اللذين نفشت غنمهم جميعا في الحرث؟
⇐ ولماذا نفشت غنم قوم كثيرين في حرث واحد؟
⇐ فمن هم أصحاب القوم؟
⇐ هل كان الحرث الذي نفشت في غنم القوم أكثر من حرث واحد؟
⇐ أم هل نفشت غنم القوم في حرث واحد؟
⇐ فمن هم أصحاب (أو من هو صاحب) الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم؟
⇐ الخ.

بداية، لابد من التأكيد على الملاحظات التالية التي نظن أننا فهمناها من الآية الكريمة قيد البحث:

⇐ أن الغنم التي نفشت في الحرث كانت تعود ملكيتها إلى القوم (أي مجموعة من الناس)
⇐ أن الحرث لم يكن يعود ملكيته إلى القوم

الأمر الذي دعانا إلى طرح سؤالين كبيرين هما:

⇐ السؤال الأول: من هم القوم الذين نفشت غنمهم في الحرث؟
⇐ السؤال الثاني: من هو صاحب الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم؟

جواب مفترى: نحن نظن أن الغنم التي نفشت في الحرث كانت ملكيتها تعود إلى مجموعة من الناس (فكانت بصريح اللفظ القرآني غنم القوم):

- وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) الأنبياء

ولكن بالمقابل- فإن الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم لا تعود ملكيته لمجموعة من الناس (أي قوم)، ليكون السؤال الأكثر خطورة الآن هو: من صاحب الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم؟

افتراء خطير جدا من عند أنفسنا: نحن نظن أن الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم لا يعود ملكيته إلى أحد من الناس، فلم يكن يملكه رجل، ولكنه كان خاصا بامرأة.

فمن هي؟

- نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (223) البقرة

نتيجة مفتراة من عند أنفسنا: إن النتيجة التي لا نطمع أن يصدقها القارئ الكريم على عجل ما لم يظن أن الدليل من كتاب الله يدعمها هي: لقد نفشت غنم قوم كثير في امرأة واحدة (حرث واحد)، ولكن كيف ذلك؟

جواب: بطريقة النفش
سؤال: وكيف يمكن للغنم أن تنفش؟
جواب: دعنا نحاول أن نربط ذلك بما يمكن أن يحصل للجبال في يوم القارعة، فعندما نقرأ الآية الكريمة التالية:

- وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105)

يمكن لنا أن نتخيل ما سيحصل لتلك الجبال التي نسفت نسفا لتصبح كالعهن المنفوش كما تصوره الآية الكريمة التالية:

- وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (5)

بعد أن يكون الناس أنفسهم كالفراش المبثوث، ويكون ذلك كله عندما تحدث القارعة:

- الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (4) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (5) القارعة

السؤال الموجّه للقارئ الكريم هو: كيف يمكن أن نتخيل تلك الجبال المنفوشة؟

منطقنا المفترى: نحن نتخيل عملية نفش الغنم في الحرث على تلك الشاكلة، حيث تتوزع الغنم الكثيرة بشكل شبه عشوائي في مكان محدد بعينه كما تتوزع حبات تراب الجبال المنفوشة بعد أن تنسف نسفا، فتكون محجورة في حدود جغرافية لا تتعداها:

- **وَقَالُوا هَـٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (138) الأنعام**

فالأنعام والحرث يكونا حجرا (نحن نظن) عندما تحجز في مكان محدد لا تخرج منه.

الدليل

السؤال: ما هو الحجر؟

جواب مفترى: نحن نظن أن الحجر هو المكان المعلومة حدوده، حيث لا يستطيع من حجر عليه فيه أن يخرج منه، انظر الآية الكريمة التالية:

- **وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا (53) الفرقان**

السؤال: إذا كان بين البحرين برزخا يعمل كحاجز حيث لا يبغي بعضهما على بعض:

- **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (20) الرحمن**
- **أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَـٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61) النمل**

فلماذا هناك حجرا محجورا بين البحرين بالإضافة إلى ذلك البرزخ؟

جواب: أظن مفتريا القول من عند نفسي أن الحجر المحجور هو الحدود الجغرافية للبحر حتى لا تخرج مياهه إلى اليابسة أو حتى لا تفلت في الفضاء إذا ما تخيلنا كروية الأرض:



السؤال: إذا استطعنا أن نفهم أن البرزخ (أي الحاجز) الموجود بين البحرين يعمل على أن لا يبغي أحدهما على الآخر، فما الذي يحفظ وجود الماء في مكانه فلا يتدفق في الفضاء أو في جهة محددة بعينها باتجاه اليابسة خصوصا إذا ما تخيلنا كروية الأرض؟

جواب مفترى: نحن نظن أن الذي يحفظ ماء البحر الواحد في مكان محدد فلا ينفلت منه هو ذلك الحجر المحجور، فماء البحر محجور في مكان محدد بعينه.

وكذلك هم المجرمون في نار جهنم:

- وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا (21) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا (22) الفرقان

وأظن أن هذا الحجر هو ما يمنعهم عن رؤية ربهم:

- كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (15)

وأظن أن ذلك كله مشتق من الحجرات:

- إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (4)

فالحجرة هي المكان الذي تحفظ خصوصية كل عائلة، فلا يتم تجاوزه من قبل الآخرين.

وكذلك كان – في ظننا- أصحاب الحجر (وهم ثمود):

- وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (80)

وذلك لأنهم كانوا – كما نتخيلهم- يحيطون أنفسهم بموانع طبيعية تحميهم من عدوهم:

- كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (143) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (144) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (145) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (149) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (150) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (152) قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153) مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (154) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (155) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (156) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (157) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (158) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (159)

(وسنتعرض بالتفصيل لمكان تواجدهم لاحقا بحول الله وتوفيق منه، فالله أسأل أن يعلمني ما لم أكن أعلم)

نتيجة مفتراة: الحجر هو المكان المحدد بذاته.

عودة على السؤال السابق: كيف يمكن أن تكون الأنعام والحرث حجر؟

- وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (138) الأنعام

جواب: أظن أنها الأنعام المتواجدة في حرث محدد بعينه لا يمكن تجاوزه.

سؤال: ما علاقة هذا بقصة غنم القوم التي نفشت في الحرث؟

جواب مفترى: نحن نفتري الظن بأن جميع غنم القوم (وهم كثيرون) قد نفشت في حرث واحد، أي في مكان محدد بذاته.

السؤال: كيف يمكن أن يكون ذلك؟

جواب مفترى: مادام أن غنم القوم قد نفشت جميعها في حرث واحد، يصبح من المستحيل (نحن نظن) تمييز ملكية كل واحدة من غنم القوم في الحرث، ودعنا نستدعي الصورة الذهنية لكيفية نفش الغنم في الحرث، فلنتخيل بداية أن هناك أكثر من راعي واحد يرعى غنمه في حقل واحد (أي حرث واحد)، حيث يمتلك كل واحد منهم مجموعة من الغنم، دخلوا جميعا في حرث واحد كما في الشكل التالي:



⇐ السؤال 1: هل يستطيع الناظر أن يميّز إلى من تعود ملكية كل واحدة من الغنم في ذلك الحرث متى ما اختلطت الغنم بعضها مع بعض؟

⇐ السؤال 2: وماذا لو أحدثت تلك الغنم دمارا في محصول ما في ذلك الحرث، هل نستطيع أن نحدد أي الغنم أحدثت ذلك الدمار؟ وإلى من تعود ملكية الغنم التي أحدثت دمارا بعينه؟

الصورة الشعبية التي نعرفها من التراث: غالبا ما اشتكى أهل الزراعة من الدمار الذي ربما يحدثه أهل الرعي في حقولهم، وعادة ما ينكر كثير من أصحاب الغنم أن الدمار الذي حصل في الحقل كان بسبب ما فعلت غنمه، فلا يتردد كثيرا أن ينسب ذلك الخراب إلى غيره، وهكذا يفعل الآخرون منهم، فتضيع القصة الحقيقية بين اتهامات البعض للبعض الآخرين، خاصة إذا حصل أن اختلطت غنمهم جميعا في وقت واحد.

⇐ السؤال: على من ستقع المسئولية في الخراب الذي حدث للحرث (إن وجد)؟

جواب: لا شك أن جميعهم يتحمل قسطا من المسؤولية الجماعية، ولكن لا أحد منهم ربما يقبل أن يتحمل كامل المسئولية الفردية، وذلك لأن جميعهم سينكر أنه هو المسئول الوحيد عن الخراب الذي حصل، فيعترف بمسؤوليته المحدودة في ذلك، أليس كذلك؟

⇐ السؤال: هل يمكن الوصول إلى خبر يقين في من كان السبب الفعلي في إحداث الخراب (إن وجد) أو الأذى (إن حصل)؟ أي هل يمكن تحديد الفاعل الحقيقي الذي أحدثت غنمه الدمار الفعلي؟

الجواب: ربما يستحيل ذلك؟

⇐ السؤال: كيف يمكن للقاضي أن يفض الخلاف في ذلك لو أن قضية كهذه قد رفعت إليه؟

جواب: غالبا ما يحمّل القاضي المسؤولية للجميع، أي لأصحاب الأغنام جميعا، فيتقاسمون الضرر الذي يجب أن يدفع لصاحب الحرث.

⇐ السؤال: هل هذا ما فعله داوود وسليمان عندما نفشت غنم القوم جميعا في حرث واحد؟ وإذا كان كذلك، ألا يحق لنا أن نطرح تساؤلات مثل:

⇐ هل هذه قضية كبيرة تحتاج لداوود وسليمان أن يشتغلا بها؟

⇐ هل الأمر بهذه الأهمية لدرجة أن تصبح القضية نفسها قرآنا يتلى؟

⇐ وما حاجة الفهم لو أنها كانت كذلك؟ ألا تظن أن أي شخص (حتى بعض المتخلفين عقليا من مثلي) يمكن أن يفض الخلاف فيها؟

⇐ كيف يختلف فهم سليمان لها عن فهم والده داوود إذن؟

⇐ الخ.

رأينا المفترى من عند أنفسنا: نحن نظن أنه حتى يصبح داوود وسليمان فعلا قضاة متميزون عن غيرهم فلابد أنهم استطاعوا الوصول إلى الحل الحقيقي لهذه القضية، فاستطاعا أن يحددا المسبب الحقيقي في الدمار الذي حصل بالرغم من اختلاط غنم القوم في الحرث، ولكن كيف ذلك؟

تخيلات من عند أنفسنا: نحن نتخيل الذي حصل على النحو التالي: تنفش غنم قوم كثيرين في حرث واحد، فتختلط بعضها ببعض، فيحدث نفش الغنم في الحرث "بعض الأثر" الذي لا يمكن السكوت عليه (أي يسبب أذى كبيرا بعينه)، فيلجأ الجميع إلى قاض يحكم بين الناس بالعدل مثل داوود وسليمان ليحددا الفاعل الحقيقي الذي تسبب بهذا الأثر بعينه، وعندها ينكر الجميع مسؤوليته الفردية في ذلك، وإن كانوا لا ينكرون اشتراك غنمهم جميعا في فعل النفش ذاته، فالقوم لا ينكرون أن غنمهم قد نفشت في الحرث ولكن كل واحد منهم قد أنكر بأن الأثر الذي أُحدث في الحرث والذي دفع بهم جميعا للمثول أمام داوود وسليمان للبت فيه في هذه القضية كان بسبب غنمهم على وجه التحديد. فاستطاع داوود وسليمان أن يحددا الفاعل الحقيقي بالرغم من اختلاط غنم القوم جميعا في الحرث نفسه؟

السؤال: كيف فعلا ذلك؟

جواب مفترى: نحن نظن أنهم استطاعوا القيام بذلك بشرط واحد وهو أن الحرث الذي يتحدثون عنه ليس المكان الذي تنبت فيه الزرع (كما ظن سادتنا العلماء أهل الدراية) وإنما هو المكان الذي يتولد فيه الجنين، إنه رحم المرأة:

- **نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (223) البقرة**

تخيلات مفتراة من عند أنفسنا: نحن نفتري الظن بأن الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم هو رحم امرأة واحدة بعينها. فكيف يكون ذلك؟

جواب مفترى: نحن نظن أن غنم القوم التي نفشت في الحرث هي ما يصبه الرجل من المنيّ في رحم المرأة. فتكون الصورة في مخيالنا على النحو التالي:

يعمد قوم كثيرون في زمن نبي الله داوود وولده سليمان إلى امرأة واحدة، فيقترفوا جميعهم فاحشة الزنا معها، فتنفش غنمهم (منيّهم جميعا) في رحم تلك المرأة، فيتولد نتيجة ذلك في رحم تلك المرأة مولودا واحدا مادام أن المرأة (كما يعلم القاصي والداني) لا تحمل في بطنها إلا من عملية مجامعة واحدة ولو حصلت ألف ألف مرة، وهنا تختلط غنم القوم في رحم تلك المرأة، فيصبح من الصعب تمييز الفاعل الحقيقي الذي بسبب غنمه حملت المرأة جنينا في بطنها، وهنا يحاول الجميع أن يتنصلوا من المسؤولية الفردية، وإن تعذر عليهم أن يتنصلوا من المسؤولية الجماعية، فالمرأة (الحرث) تعلم كل واحد منهم بعينه، وتستطيع أن تحدد من الذي ارتكب معها الفاحشة من القوم، فلا يستطيع أن ينكر أنه قد فعلها، ولكن أحدا منهم لا يستطيع أن يجزم الأمر بأنه هو الأب الحقيقي لذاك المولود الذي في بطن تلك المرأة (الحرث)، فلربما ظن كل واحد منهم أن الحمل لم يكن نتيجة فعله بحد ذاته، وهنا تنشأ مشكلة حقيقية (وهي تحديد الشريط الوراثي DNA) تتطلب قاض بحجم داوود وسليمان للبت فيها، فكيف حصل ذلك؟

تخيلات من عند أنفسنا: يحصل أن تضع امرأة من نساء القوم (وربما كانت تلك المرأة غير متزوجة) مولودا، فيحدث ذلك "بلبلة" في نسب ذلك المولود، فتحضر المرأة مع طفلها إلى المحكمة، وتضع القضية بين يدي داوود وولده سليمان للبت فيها، ومادام أن القضية قد وضعت بين أيدي القضاة، فلابد من أن يتم الخوض في تفاصيلها كاملة، وما هي إلا سويعات قليلة حتى يتبين أن قوما كثيرين قد نفشت غنمهم (منيّهم) في ذلك الحرث (رحم تلك المرأة)، وما أن يحضر القوم الذين صبوا منيهم في رحم تلك المرأة أمام القضاة حتى يحاول كل منهم أن يتنصل من المسؤولية الفردية وإن كان يتحمل قسطا من المسؤولية الجماعية، فتحتاج القضية الآن أن يكون هناك حكما ذا علم للبت بالقضية، فهي تحتاج في نهاية المطاف إلى فحص الشريط الوراثي (DNA) لتحديد نسب الطفل. فمن يستطيع ذلك؟

جواب: سليمان.

- **وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) الأنبياء**

نعم، بالرغم من صغر سن سليمان وحداثة خبرته في القضاء (مقارنة بوالده داوود) إلا أنه استطاع أن يفهم ما يدور حوله.

الدليل: نَفَشَتْ

السؤال: كيف يحدث فعل النفش؟

جواب: لقد عهدت هذه المفردة منذ نعومة أظفاري (كما يقولون في الفصيحة) على لسان العامة في اللغة غير الفصيحة (أي لسان الأهل والجيران)، وكان ذلك في أيام الشتاء الباردة جدا عند نزول الثلج من السماء على الأرض ليلبسها حلة بيضاء، فكان من حولي (ممن أتقنوا اللسان العامي قبلي) يصفون ذلك المشهد بالنفش، فيقولوا " الدنيا بتنفش" أي تنزل حبات الثلج الأبيض على الأرض كما في الصورة التالية:



السؤال: ما الذي يحدث عندما يصب الرجل منيه في رحم المرأة؟ وكيف يمكن أن تتخيل ذلك وإن كنت لا تراه مباشرة؟ أليست هي الصورة الذهنية نفسها، ألا ينزل الماء دافقا من بين الصلب والتراب:

- **فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) الطارق**

ألا ينتشر ذلك السائل (الأبيض في لونه) في كل أنحاء تلك الحجرة (الحرث)، ألا يكتسي ذلك الحرث لونا جديدا شيئا فشيئا؟ من يدري؟!!!

نحن لا نظن (كما فعل أهل الدراية من قبلنا) أن هذا الأمر قد فات داوود. وأن سليمان هو وحده من فهم ذلك (انظر ما جاء في الطبري سابقا). فقد ظن كثير من أهل الدراية أن داوود قد نطق بحكم وأن سليمان قد نطق بحكم آخر مختلف عن حكم والده داوود، وأن سليمان هو من أصاب كبد الحقيقة في حكمه وأن داوود قد أخطأ في حكمه.

رأينا: نحن نظن أن هذا لا يصح إطلاقا بدليل أن النص القرآني يتحدث عن حكم واحد مشترك صدر من الاثنين:

- **وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) الأنبياء**

فالنص القرآني لا يتحدث عن حكم صدر عن داوود وآخر عن سليمان، وإلا لكان النص على نحو "حكماهما"، بمعنى أن هناك حكمان صدرا منهما، ولكن لما كان النص القرآني يتحدث عن حكم واحد، فإننا لا نتجاوز في القول، ظانين بأن حكما واحدا مشركا قد صدر عن المحكمة في القضية التي نظرها القاضيان وهما داوود وسليمان، فلقد اشترك الاثنان في دراسة القضية، ولكن حكما واحد صدر عن المحكمة موقعا من قبل داوود وسليمان.

السؤال: ما دلالة قوله تعالى "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ"؟

جواب مفترى: نحن نتخيل أن داوود وسليمان قد عكفا على دراسة القضية معا قبل النطق بالحكم، وكان ذلك في غرفة خاصة بالقضاة لم يطلع على ما دار فيها إلا من خصهم الله بقوله (**وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ**). فلقد شهد الله (وبعض ملائكته) على ما دار في تلك الحجرة من دراسة لتفاصيل القضية بين داوود وولده سليمان. وبعد تدبر شديد ودراسة متأنية لكل تفاصيل القضية، كان سليمان هو من توصل إلى فهم القضية، فتوصل إلى الحل، فكان ذلك من دواعي سرور الوالد داوود، فخرج على الناس بحكم واحد.

السؤال: ما هو الحكم الذي نطق به داوود بعد أن خرج من غرفة القضاة؟

جواب: قبل أن أنقل لكم ما أظن أنه حكم داوود وسليمان في القضية، أظن أني بحاجة أن أدعو ربي بالقول:

اللهم يا معلم سليمان وداوود علمني وأخي علي الشرمان ويا مفهم سليمان فهمني وحدي، فأنت من كنت شاهدا على حكمهم.
